

الوزارة في عهد السلاجقة

تأليف

الأديب المؤرخ الفارسي

عباس إقبال

ترجمة وتعليق

الدكتور أحمد كمال الدين حلمي

أستاذ اللغة الفارسية وآدابها بجامعة الكويت

١٩٨٤

الوزارة في عهد السلاجقة



الوزارة في عهد السلاجقة

تأليف
الأديب المؤرخ الفارسي
عباس إقبال

ترجمة وتعليق
الدكتور أحمد كمال الدين حلمي
أستاذ اللغة الفارسية وآدابها بجامعة الكويت

١٩٨٤

وزارات در عهد سلاطين بزرگ سلجوقي
(از تاريخ تشكيل اين سلسله تا مرگ سلطان سنجر)
(٤٣٢ ـ ٥٥٢ هـ)

شامل وزراء وأصحاب ديوان طغرل أول وجغري بيك
وألپ أرسلان وملكشاه وسه پسر أو يعني بركيارق
ومحمد وسنجر

تأليف

عباس إقبال

بسم الله الرحمن الرحيم


www.al-maktabeh.com
مكتبة
المهتدين

الإهداء

إلى شريكتي في الكفاح والنجاح

إلى زوجتي

فهرس الموضوعات

(الوزارة في عهد السلاجقة)

(وزراء چغري وطغرل)

(وزراء ألب أرسلان وملكشاه)

(وزراء بركيارق)

(وزراء محمد)

(الصدارة)

١

(الاستيفاء)

(الإنشاء)

(الإشراف)

(عرض الجيوش)

(وزراء سنجر)

(ثلاثة ملاحق)



« مقدمة المترجم »

عزيزي القارىء

تحية طيبة

يسعدني أن أضع بين يديك كتاباً أحسّ خطره وعظيم قدره . . . بعد أن عكفت عليه أكثر من علم أترجمه وأقوم بالتعليق عليه ، باذلاً جهداً يتناسب مع قيمته ـ التاريخية والأدبية .

لقد كان هذا الكتاب في يدي منذ أكثر من عشر سنوات أثناء كتابتي لرسالة الدكتوراه . . وقد أفدت منه كثيراً في كتابتي حول الناحية الإدارية في عهد السلاجقة ، ثم استردّه زميلي الدكتور عبد السلام فهمي ، ولما طلبته منه ثانية للإستعانة به في بعض الأمور أخبرني بأنه قد فقد في زحمة المستعيرين . وحاولت أن أجده لدى المشتغلين بالدراسات الشرقية أو في مكتباتنا المصرية دون جدوى .

ثم أتيحت له فرصة السفر إلى إيران والتنقّل بين جامعاتها ومكتباتها ، وواصلت البحث دون طائل . وبعد أن تملكني اليأس ، وجدت نسخة وحيدة في مكتبة كلية الآداب بجامعة الفردوسي . واستطاع زميلي الأستاذ الدكتور كريمي رئيس قسم اللغة العربية بالكلية المذكورة أن يستعيرها على مسئوليته بعد جهد جهيد ، فأخذتها معي يوم سفري إلى الكويت ، وقمت بتصويرها ، وحرصت على إعادتها له عن طريق السفارة .

والآن . . بعد ترجمتها والتعليق عليها أجد من الواجب عليّ أن أشيد بمؤلّفها

الذي اعتمد - إلى جوار اعتماده على كُتبٍ معظمها نادر مخطوط - على أكثر من ألف ومائتي بيت من الشعر الفارسي ، وعلى مئات الأبيات من الشعر العربي . . لإثبات ما جاء به من معلومات تتعلّق بموضوع لم يسبقه إليه أحد ، ولم يتطرّق إليه من بعده من يناظره دقّة وأصالة .

إن الكتاب بوضعه الحالي يعدُّ في رأيي مرجعاً لكل من يريد معرفة شيء عن الوزارات والوزراء في عهد من عهود الإسلام المشرقة . . عهد السلاجقة العظام . كما أنه يضع المعزّي ملك الشعراء - بين المؤرخين ، ويعطي قسماً من أشعاره قيمة لم يلتفت إليها أحد قبل مؤلف هذا الكتاب . .

إنها لبنة أخرى أضعها - عزيزي القارىء - في صرح الدراسات الشرقية ، راجياً أن تساهم مع غيرها مما وضعت ووضع زملائي في تشييد هذا البناء الـذي نتمنى أن يصير شامخاً .

وإني إذ أشكر الله العلي القدير على ما قدّره لي من توفيق لأرجو التغاضي عما وقعت فيه من أخطاء .

وأسأل الله السداد

المترجم
أحمد كمال الدين حلمي
الكويت في ٢٥/ ٥/ ١٩٨٠ م

مقدمة الناشر

بقلم محمد تقي دانش پژوة

[*1] ترك المرحوم عباس إقبال - أحد كبار المؤرخين الإيرانيين - من ورائه أثراً جليلاً يتناول تاريخ الوزراء الذين عملوا في أجهزة سلاجقة إيران الإدارية . وقد أورد فيه الوزراء الذين ينحدرون من أصل إيراني ، وقلم بتقديم دراسات مفيدة حولهم . . بناها على وثائق كانت تحت يده ، واستعمل عبارات سهلة وأسلوب بليغ .

وفي شهر خرداد من علم ١٣١٤ هـ . ش .(١) أنجز إقبال مؤلَّفه في باريس ، كما يتضح من النسخة الأصلية . وبعد وفاة هذا الرجل العظيم - وبناء على اقتراح الأستاذ سعيد حسن تقي زاده - اشترت جامعة طهران مجموعة مذكّراته الخطيّة ، ومن بينها النسخة موضوع حديثنا .

ثم عرض الدكتور ذبيح الله صفا موضوع طبع هذا المؤلَّف المفيد على مجلس كلية الآداب ، فأقرّ طبعه ضمن سلسلة منشورات الجامعة ، لتكون دراساته في متناول الجميع ، ولتصبح مصدراً ونبراساً لمن يعملون في حقل تاريخ إيران .

وقد كلَّفتني إدارة النشر والعلاقات الجامعية بإنجاز هذه الخدمة الثقافية ، وطبع هذا العمل ، فطلبت بدوري العون من صديقي العالم الأستاذ يحيى ذكاء الذي يعمل في حقلي التاريخ والأدب ، لنتمكّن معاً من إتمام العمل على أفضل

* الأرقام الإفرنجية على اليمين هي أرقام صفحات الكتاب المترجم .
(١) ١٣٦٤ هـ . ق = ١٩٤٥ م .

وجه . ولم يدّخر ذكاء وسعاً في هذا السبيل ، فقد قام ـ بالإضافة إلى إرشاداته في مجال الطبع ـ بتبييض نصف الكتاب ، وقام صديقنا الحميم الأستاذ محمد الشيرواني بتبييض النصف الثاني . . لأننا خشينا أن ندفع بنسخة إقبال الخطيّة إلى المطبعة فتتلف أو تتلوّث .

[2] ولما كان إقبال نفسه قد دفع بقسمَيْ هذا الكتاب إلى المطبعة ليطبعا في مجلّة يادگار ، فقد قمت بمهمة التصحيح والمقابلة بنسخة الأصل . وكان ذكاء يؤدي نفس الدور أحياناً ، وله عميق شكري على ذلك .

وقد قابلت بين أشعار الأمير معزى ـ التي وردت بكثرة في هذا الكتاب ـ وبين ديوان إقبال المطبوع ، وحاولت قدر إمكاني أن أتلافى الأخطاء المطبعيّة ، وأن أوصل النسخة ليد القراء مطابقة للأصل .

وفي النهاية أثبتُّ مراجع الكتاب وفهرستها . وإني لأشكر صديقي العالم الأستاذ إيرج أفشار لتقديمه كافة ألوان الإرشادات الفنيّة والعلمية . ولقد استطعت ـ بفضل موافقته ـ أن أثبت قصة حياة المرحوم إقبال كما وردت في معجم بلاد إيران (الدفتر الرابع من المجلد الثالث) .

وأخيراً ، أتقدّم بوافر شكري للأستاذ الجامعي العالم الدكتور ذبيح الله صفا مدير علم إدارة النشر بالجامعة على إتاحته الفرصة لي لإنجاز هذه المهمة العلميّة ، مما تسبّب عنه إحياء مؤلف الفقيد وتخليد ذكراه .

عباس إقبال

١٣١٤ ق - ١٣٣٤ ش[١]

[3] توفي عبّاس إقبال - أحد أساتذة جامعة طهران ، والعضو الدائم في مجمع إيران اللغوي ، والعالم البليغ في الحادي والعشرين من شهر بهمن من علم ١٣٣٤ ، عن عمر يناهز الستين[٢] .

وكانت ولادته في علم ١٣١٤ هـ . ق ، في أسرة عمالية بأشتيان . وقد أمضى عدّة سنوات من سني طفولته يمتهن النجارة ، ويتوق في قرارة نفسه إلى التعليم . . وهذا ما حدا به إلى الالتحاق بأحد المكاتب . وهداه تفكيره إلى إقتطاع ساعة من عمله يقضيها في الدراسة ، راضياً في سبيل ذلك بخصم جزء من أجره . ولم يمض طويل وقت حتى تمكّن بجدّه واجتهاده من ترك المكتب إلى مدرسة دار الفنون ، حيث أنهى دراسته المتوسّطة . وهكذا استطاع الشاب الفقير أن يدرس دون مال أو جاه ، وأن ينهي دراسته في أقصر مدة ممكنة .

وأنهى إقبال دراسته في دار الفنون مبدياً تفوقه على أترابه ، فاختير للعمل في مكتبة المعارف ، وكانت انذاك تابعة لمدرسة دار الفنون - كما طلب منه القيام بتدريس اللغة الفارسية بالمدرسة . وأخذ نجمه في الصعود ، وتنازعته مدارس طهران الشهيرة . . فقام بتدريس اللغة الفارسية في دار المعلمين العليا ، والتاريخ والجغرافيا في المدرسة السياسية والمدرسة العسكرية . ويعتبر العديد من رجال

(١) علم ١٣١٤ هـ . ق = ١٢٦٤ هـ . ش = ١٨٩٥ م ، وهو علم ميلاده .
وعلم ١٣٣٤ هـ . ش = ١٣٨٤ هـ . ق = ١٩٦٥ م ، وهو علم وفاته .

(٢) بناء على ما ذكرناه تكون وفاته في سن السبعين .

عصرنا البارزين من تلاميذ إقبال .

وفي علم ١٣٠٤ هـ . ش[1]، وبينما كان يقوم بالتدريس في المدرسة العسكريّة . . توجّه إلى باريس كواحد من كتاب الوفد العسكري . وفي باريس ، عاد إقبال للدراسة وحصل على درجة الليسانس في الأدب من جامعة السربون .

[4] وبحصوله على دبلوم دار الفنون ، وانخراطه في سلك موظفي مكتبة المعارف تمكّن من التعرّف إلى مشاهير علماء عصره ممن كانوا يعقدون مجالس الأنس والبحث في طهران . وقضى فترةً جالسَ فيها بهار ملك الشعراء ، ورشيد ياسمي ، والقائد العظيم تيمور تاش ، وسعيد نفيسي . . وكانوا ينشرون مجلة دانشكدة (الكلية) . كما تعاون فترة مع محمد علي فروغي وأبي الحسن فروغي وغلامحسين رهنما وعبد العظيم قريب . . وكانوا يصدرون مجلة فروغ تربيت(ضياء التربية) . وبفضل هاتين المجلتين تطايرت شهرة إقبال ، وعرفه مطالعو الأدب الفارسي وقرّاء مجلات ذلك العهد .

وفي فرنسا ، تعارف إقبال ، وعلى ميرزا محمد خان قزويني ، وتصادقا مخلصين حتى المماة . وعن طريق مؤلفات إقبال التي نشرت في طهران ، عرفه القزويني ، كما تأثر إنتاج إقبال نتيجة صداقته للقزويني وحضوره مجلسه .

وعاد إقبال من أوروبا ليصبح أستاذاً في الجامعة وعضواً دائماً في مجمع إيران اللغوي وفي علم ١٣٢٤[2] تملّكته رغبة جامحة في أن يخدم الفارسية وآدابها ، فقرّر أن ينشر مجلة تتناول المسائل المتعلّقة بتاريخ إيران وأدبها بالدراسة والتعليق . وصدرت المجلة باسم (يادگار : الذكرى) ، واستمرت في الظهور مدة خمس سنوات . . وهي تضارع أفضل المجلات الفارسية التي تصدر في وقتنا هذا . كما

---

(١) ١٣٠٤ هـ . ش = ١٣٥٤ هـ . ق = ١٩٣٥ م .
(٢) ١٣٢٤ هـ . ش = ١٣٧٤ هـ . ق = ١٩٥٥ م .

أسس جمعية باسم « جمعية نشر المؤلفات الإيرانية » لتقوم بنشر أهم الكتب الفارسية وأكثرها فائدة .

وحين توقّفت مجلة يادكار عام ١٣٢٨ [١] عن الصدور ، ملأت الحسرة قلبه ، وساءت صحته ، وهجر إيران ولهان أسفاً . وحاول أن يعيد الراحة إلى نفسه في الفترة المتبقيّة من عمره ، فقبل منصب الملحق الثقافي لإيران في تركيا وإيطاليا ، وظلّ يشغله إلى أن أسلم الروح في مدينة روما بإيطاليا .

لقد كان موته خسارة جسيمة لنا، إذ فقدنا رجلاً لن يجود الزمان بمثله مهما توالت السنين. وكما يقول الشاعر:

بالعين غاب اليوم شخص واحد ... بالعقل ألف لو سألت وأكثر

---

(١) ١٣٢٨هـ . ش = ١٣٧٨هـ . ق = ١٩٣٥م .



al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

« فهرست مؤلفات عباس إقبال »

١٣٤٢ ق[1] قابوس وشمگير زياري (قابوس بن وشمگير الزياري) ، نشر مجلة إيرانشهر ، برلين ، ٢٧ ص .

١٣٠٦ ش شرح حال عبد الله بن المقفّع الفارسي ، نشر مجلة إيرانشهر ، برلين ، ٧٥ ص .

١٣٠٨ ش ترجمة « ياد داشتهاي ژنرال تره زل فرستادهٔ ناپليون بسمت هند » (مذكرات الجنرال تريزل ، مندوب نابليون في الهند) ، نشر إدارة المجلس العسكري ، ز + ١٦٧ + ٨ ص .

١٣٠٩ ش تصحيح « حدائق السحر في دقايق الشعر » من مؤلفات الوطواط نشر مكتبة كاوه ـ عج + ١٥٠ + س ص .

١٣١٠ ش ترجمة « ماموريت ژنرال گاردان درايران » (مهمة الجنرال جوردون في إيران) ، تأليف إبنة « الكونت الفريد دي جوردون » ، نشر إدارة المجلس العسكري ، ١٩٣ ص .

١٣١١ ش خاندان نوبختي (آل نوبخت) ، يو + ٢٩٧ ص .

١٣١٢ ش ترجمة (طبقات سلاطين إسلام) تأليف استانلي لين بول ، نشر مكتبة مهر ، يط + ٣٣٩ ص .

١٣١٢ ش كليات علم جغرافيا ، ٤٧ ص

١٣١٣ ش طبع « بيست مقالهٔ قزويني » (مقالات القزويني العشرون) . المجلد الثاني ، ٢٩٠ ص (الطبعة الثانية ـ علم ١٣٣٢)

١٣١٣ ش تصحيح معالم العلماء (النص العربي) ، تأليف رشيد الدين أبي

(١) للتحويل من هجرى شمسي الى هجرى قمري نضيف ٥٠ عاماً، فيرجى اتّباع ذلك.

جعفر محمد السروي (ابن شهر آشوب) ، ١٢ + ١٤٢ ص .

١٣١٣ ش « تصحيح تبصرة العوام في معرفة مقالات الأنام » ينسب تأليفه إلى سيد مرتضى بن داعي حسني الرازي ، ي + ٢٩٥ ص .

١٣١٣ ش تصحيح « تجارب السلف في تواريخ خلفا ووزراي إيشان » (تجارب السلف في تواريخ الخلفاء ووزرائهم) ، تأليف هندوشاه بن سنجر بن عبد الله الصاحبي النخجواني ، يد + ٣٦٨ ص .

[6] ١٣١٣ ش تصحيح « تتمة اليتيمة » (المتن العربي) ، تأليف أبي منصور الثعالبي ، في مجلدين ، ٨ + ١٧٤ + ١٢٨ ص

١٣١٤ ش تاريخ اكتشافات جغرافيائي وتاريخ علم جغرافيا (تاريخ الاكتشافات الجغرافية وتاريخ علم الجغرافيا) ، ٢٤٨ ص .

١٣١٤ ش تصحيح شاهنامهٔ فردوسي (شاهنامة الفردوسي) ، طبع مكتبة بروخيم ، المجلدات ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ .

١٣١٥ ش كليات جغرافياي اقتصادي (موسوعة الجغرافيا الإقتصادية) ، ج + ٢٢١ ص .

١٣١٥ ش ترجمة « سيرت فلسفي رازي » (ترجمة حياة الرازي الفلسفية) ، تأليف أبي بكر محمد بن زكريا الرازي ، يو + ١٦ ص .

١٣١٧ ش تصحيح « طبقات الشعراء في مدح الخلفاء والوزراء » (المتن العربي) تأليف ابن المعتز ، نشر أوقاف جيب ، لندن ، ٢٠١ + 6 + ٢٠٩ +xxxII ص .

١٣١٩ ش تصحيح « ديوان أمير معزي » (ديوان المعزي أمير العشراء) ، نشر المكتبة الإسلامية ، س + ٨٦٨ ص .

١٣١٩ ش تصحيح « لغت فرس » ، تأليف أسدي الطوسي ، ك + ٥٧١ ص .

١٣٢٠ ش تصحيح « تاريخ طبرستان » ، تأليف بهاء الدين محمد بن حسن بن أسفنديار الكاتب ، نشر كلاله خاور ، يب + ٣٣١ + ١٧٥ ص .

١٣٢٠ ش تصحيح واختيار « سياست نامه » (كتاب السياسة) ، تأليف

خواجه نظام الملك ، نشر وزارة المعارف ، يو + ٢٩٩ ص .

١٣٢٠ ش كليّات تاريخ تمدّن جديد (موسوعة تاريخ الحضارة الحديثة) ، ب + ٣٦٤ ص .

١٣٢١ ش تصحيح كليات عبيد زاكاني (قصائد وغزلّيات وقطعات ورباعيات ورسائل عشق) ، نشر مجلة أرمغان ، كد + ١٤٧ ص .

١٣٢٣ ش نشر « رجال كتاب حبيب السير ، جمع عبد الحسين نوائي ، مجلة يادگار ، السنة الأولى ، ك + ٣٠٤ ص .

١٣٢٥ ش نشر « شرح حال عباس ميرزا ملك آرا » باهتمام عبد الحسين نوائي ، مع مقدمة عن حياة المؤلف بقلم عباس إقبال ، النشرة الأولى لجمعية نشر المؤلفات الإيرانية .

[7] ١٣٢٥ ش تصحيح « أنيس العشاق » ، تأليف شرف الدين رامي ، النشرة الثانية لجمعية نشر المؤلفات الإيرانية ، و + ٦٤ ص .

١٣٢٦ ش ترجمة « سه سال دردربار إيران » (ثلاث سنوات في البلاط الإيراني) تأليف الدكتور فوريه ، نشر مكتبة علي أكبر علمي ، ٣٢٥ ص .

١٣٢٧ ش تصحيح « تاريخ نو » (التاريخ الجديد) ، تأليف جهاتگير ميرزا ، نشر مكتبة علي أكبر علمي ، ك + ٣٤٧ ص .

١٣٢٧ ش نشر « جنگ انگليس وإيران درسال ١٢٧٣ » (الحرب بين الإنجليز وإيران عام ١٢٧٣) ، تأليف القائد هنت ، ترجمة حسين سعادت نوري ، حواشي وإضافات عباس إقبال ، مجلة يادگار ، العلم الثالث ، ب + ١٢٤ ص

١٣٢٨ ش تصحيح « شدّ الإزار في حطّ الأوزار عن زوّار المزار » تأليف معين الدين أبو القاسم جنيد الشيرازي ومحمد قزويني . نشر وزارة المعارف ، هـ + ٦٢١ ص .

١٣٢٨ ش تصحيح « سمط العلي للحضرة العليا » تأليف ناصر منشي كرماني ، بإشراف المرحوم محمد قزويني ، ل + ١٤٨ ص .

١٣٢٨ ش   مطالعاتي دربارهٔ بحرين وجزاير وسواحل خليج فارس . . (دراسات حول البحرين وجزر خليج فارس وسواحله) ، ١٤ + ١٥٠ ص .

١٣٢٨ ش   تصحيح « مجمع التواريخ » (في تاريخ انقراض الدولة الصفوية وما تلي ذلك من أحداث) ، تأليف ميرزا محمد خليل مرعشي الصفوي ، ح + ١٦٦ ص .

١٣٢٨ ش   تصحيح « ترجمة محاسن أصفهاني » بقلم حسين بن محمد بن أبي الرضا الآوي ، مجلة يادگار ، ز + ١٦٨ ص .

١٣٢٩ ش   تصحيح عتبة الكتبة (مجموعة المراسلات الصادرة عن ديوان السلطان سنجر) ، بقلم مؤيد الدولة منتجب الدين بديع أتابك الجويني ، بالإشتراك مع المرحوم محمد قزويني ، نشر وزارة المعارف ، ي + ١٧٠ ص .

١٣٣١ ش   تصحيح « المضاف إلى بدايع الأزمان في وقايع كرمان » ، تأليف حميد الدين أحمد بن حامد الكرماني . . الملقّب بأفضل كرمان ، هـ + ٦٠ ص .

[8] ١٣٣٣ ش   تصحيح « فضايل الأنام في رسائل حجة الإسلام » (رسائل الغزالي الفارسية) ، و + ٤٢٠ ص .

١٣٣٣ ش   تصحيح « شرح قصيدهٔ عينيهٔ ابن سينا در أحوال نفس بزبان فارس » - (شرح بالفارسية لقصيدة ابن سينا العينية في أحوال النفس) ، مجلة كلية الآداب ، السنة الأولى ، العدد الرابع ، ص ١٤ - ٢٩ .

١٣٣٤ ش   تصحيح « ذيل برسير العباد لسنائي » (إضافة إلى سير العباد إلى المعاد لسنائي) ، بقلم الحكيم أوحد الدين الرازي الطبيب ، مجلة كلية الآداب ، السنة الثانية ، العدد الثالث ، ص ٨ - ١٦ .

وإلى جانب ما ذكرناه من أعمال ، ألّف عباس إقبال كتاباً من ثلاثة أجزاء في تاريخ إيران ، وآخر من ثلاثة أجزاء في التاريخ العلم ، وثالثاً من ثلاثة أجزاء في

جغرافيا العالم . كما ألّف كتاباً من جزء واحد في الجغرافيا الاقتصادية . وتـدرّس كتبه في المدارس المتوسطة وتعدّ من أفضل الكتب في ميادين تخصّصها . وقد طبعت أكثر من مرّة .

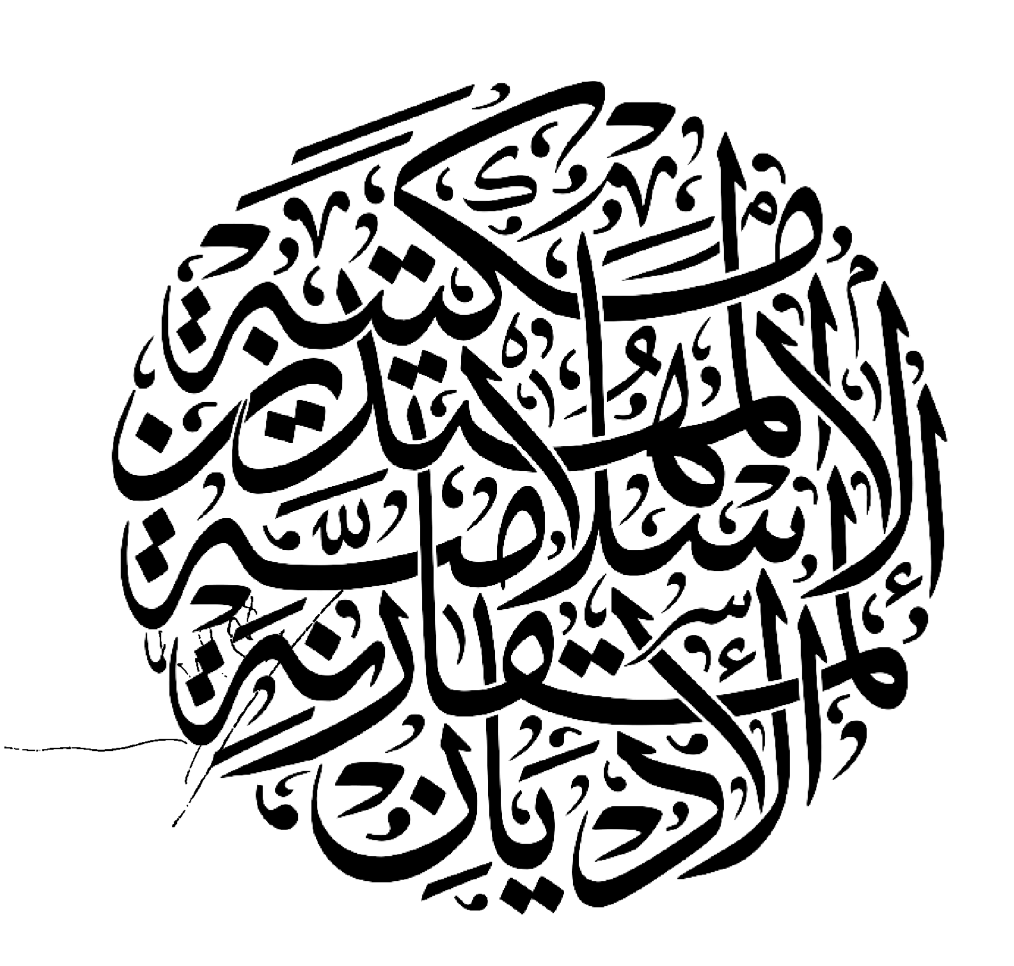
وقد نشر إقبال كثيراً من مقالاته في الجرائد والمجلاّت وتناول فيهـا مختلف المسائـل الأدبية والتـاريخية والاجتماعيّة . ويمـكن الإطـلاع على أهـم مقالاتـه في المجلاّت التالية :

بهار ، دانشكده ، آينـده ، مهـر ، ايرانشهـر ، أرمغـان ، إيران امـروز ، يغما ، آمـوزش وپـرورش ، شرق ، فروغ تربيت ، نشريهٔ أمـور خارجـه ، إطلاعات ماهيانه ، دانشكدهٔ أدبيات .

[9] ـ من نور بخارى تكوّنت جوهرة السلاجقة . .
وبفضل تلك الجوهرة غمر النور مشرق الأرض ومغربها .
ـ بطغرل وجغرى بدأ ملكهم . .
وفي كل ممالك العالم طار صيتهم .
ـ وحين جلس الملك ألب أرسلان على عرش عمه . .
بلغ نفوذ جيشه قصر القيصر ومنزله .
ـ ثم ملك السلطان ملكشاه الدنيا بأسرها ،
وأخذ من الفلك منشور العدل والإستقامة .
ـ وبعده ـ وبفضل بركيا رق ومحمد ـ ولمدة طويلة . .
ـ بلغ سقف الإيوان الملكي حدود كيوان(١) .
ـ وفي الفترة ذاتها ، ولكي تحظى الدنيا بالراحة وتنعم بالأمان . . جلس السلطان سنجر على عرش البلاد .

من نظم المعزي النيشابوري
أمير الشعراء

(١) كيوان : كوكب زحل أو السماء السابعة .


مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان

« مقدمة المؤلف »

[11] السلاجقة[1] طائفة من التركمان الغز والخزر ، سكنت أيام دولة الأمراء السامانيين في الأماكن المجاورة لبحيرة آرال ، أي قرب بحيرة خوارزم وفي السواحل الشرقية لبحر آبسكون (بحر الخزر) والوديان العليا لسيحون وجيحون . وكانت مساكنهم تفصل بين مساكن الترك الكفرة من الغز والقرلق وبين البلاد الإسلامية في ما وراء النهر . وكان قربهم من الممالك الإسلامية في ذاته سبباً في إعتناقهم الدين الإسلامي وتدخّلهم أحياناً فيما ينشأ من منازعات بين الأمراء السامانيين والخانيين ملوك تركستان . وكان تدّخلهم لصالح السامانيين . كما كانوا يشاركون في الجهاد ضد الكفار الثورانيين . ويفضل إسلامهم ورضاء السامانيين عنهم . . لم يقف أحد في سبيل تنقّلهم ، ولم يعترض أحد على هجرتهم إلى الممالك الإسلامية ، فكان أن هاجر جدّهم سلجوق بن دقاق (تقاق) هو وقبيلته ـ في أواخر عهد السامانيين ـ تاركاً توران إلى ديار المسلمين واستقرّ في جند (على ساحل سيحون وفي وديانه العليا ـ في مواجهة بلاد الكفّار من التركستانيين) .

وبعد موت سلجوق ، جاهد ابنه « ميكائيل » الكفّارَ المجاورين لمساكن قبيلة أبيه ، وشاركه أفراد القبيلة الجهاد . واستشهد ميكائيل تاركاً من بعده ثلاثة أبناء ، هم بيغو (جيغو) ، جغري ، طغرل . وبرفقة القبيلة ، رحل الثلاثة تاركين جند إلى حدود بخارى ، وأقاموا على بعد عشرين فرسخاً من عاصمة السامانيين . وخشيت بخارى جوارهم فهبت لدفعهم ، مما اضطرهم إلى اللجوء

(١) أنظر : السلاجقة في التاريخ والحضارة ، للمترجم ، حيث يورد أهم المصادر الفارسية التي يمكن الإعتماد عليها في معرفة أدق المعلومات عن السلاجقة بالإضافة لذكر المصادر العربية التي تستخدم لتحقيق الهدف نفسه . أحمد كمال الدين حلمي (دكتور) : السلاجقة في التاريخ والحضارة دار البحوث العلمية بالكويت ، ص ١ عام ١٩٧٥ م .

إلى بغراخان إيلك خان » في تركستان وسكنى بلاده .

وبعد مدة قام بغراخان بحبس طغرل ، فلما خلّصه أخوه جغرى من الحبس عادت القبيلة إلى بخارى واختارت قرية (نور) لسكناها[1] . وعندما قضى إيلك خان على السلالة السامانية ، واستولى على بخارى (عام ٣٨٩ هـ) . . كان السلاجقة قد باتوا على قدر كبير من القوة والمنعة ، وتزايد عددهم وتكاملت عدّتهم بمرور الوقت ، وأصبح في استطاعتهم تهديد الروابط التي تصل ما بين السلطان العظيم « محمود الغزنوي » وبين الخانيين ملوك التركستان ؛ فأخذوا يقطعون الطريق على السفراء المتنقّلين بين إيران وتوران . وفي عام ٤٢٠ هـ ، تسبّبت تصرّفات التراكمة السلجوقيين فيما وراء النهر وإيران ـ خاصة القبيلة التي كان يرأسها أرسلان بن سلجوق شقيق ميكائيل ـ فيما لحق بالسلاجقة من بلاء وما حاق بهم من عناء . فقد أقام هؤلاء قرب بخارى ، وعاثوا في الأرض فساداً ، فقبض محمود على أرسلان وحبسه في بلاد الهند ، وقتل فريقاً من طائفته[2] . غير أن العديد من أبناء هذه الطائفة تمكّن من الفرار إلى خراسان . . حيث شغلوا بالقتل والسلب والنهب وتعقّبهم الجنود الغزنويون ، ففر بعضهم إلى أصفهان والبعض إلى آذربيجان ، وأن بقي العديد منهم في خراسان . وأرسل السلطان محمود قائده أرسلان جاذب لدرء خطرهم ، فبذل قصارى جهده ، لكنه لم يتمكن من إقصائهم عن أماكنهم الحصينة التي اتخذوها في أطراف جبل بلخان (بين جبال شمال خراسان وساحل بحر الخزر) واضطر محمود إلى السير بنفسه إلى خراسان ، وتعقّب السلاجقة في أنحاء نيشا بور و دهستان فترة من الزمن ، لكنه لم يتمكّن من القضاء عليهم ، وتوفي في نفس العام . واستولى السلطان « مسعود بن محمود » على غزنة ، وقام بردع أنصار أخيه « محمد » . ولما كان السلاجقة قد أعانوه في لبس

(١) يُفهم من السياق أن ذلك كان قبل عام ٣٨٩ هـ ، بينما المفروض أن طغرل بك كان طفلاً آنذاك ، أو لعلّه لم يكن قد وُلد بعد ، ولو أخذنا ببعض الأقوال التي تقول إنه توفي عام ٤٥٥ هـ ـ ١٠٦٣ م عن عمر يناهز السبعين لكان مولده في عام ٣٨٥ (المترجم)

(٢) يخطىء المؤلف بذكره هذا التاريخ ، فقد توفي محمود عام ٤٢١ هـ ، وقد بدأ غدره بالسلاجقة وقائدهم قبل ذلك التاريخ بسنوات بناء على إجماع المصادر . (المترجم) .

التاج والجلوس على عرش أبيه ، فقد أعطى الأمان لقبيلة منهم كانت تقيم في جبل بلخان ، بشرط إطاعتها له . لكن السلاجقة التابعين لأرسلان بن سلجوق كانوا دائماً ما يؤذون الخراسانيين ، وتمتد هجماتهم وغاراتهم إلى حدود الري . وقد استفحل شرّهم رغم هزائمهم أمام مسعود وقواده ، ورغم ما تعرضوا له من مذابح . وما وافت سنة ٤٢٧ هـ حتى كانت بلاد المغرب بأسرها وشمال غربي إيران ـ حتى ديار بكر والموصل ـ تقضّ مضجعها مذابحُهم وغاراتهم .

[13] ورغم ذلك فإن هذه الشعبة السلجوقية ، المسمّى أفرادها بالغز العراقيين . . لم تفلح في تشكيل دولة ، وسرعان ما قضى أمراء العراق وآذربيجان والجزيرة وسلاطينها على هجومها وغاراتها .

أما السلاجقة من أتباع طغرل وجغري وبيغو ـ وكانوا يقيمون في ما وراء النهر إبان فتنة أتباع أرسلان بن سلجوق ـ فقد تحرّكوا نحو خراسان عام ٤٢٦ هـ . ولما بلغوا شاطىء جيحون ، دعاهم إليه « هارون بن التونتاش » خوارزمشاه ، وعرض على الإخوة الثلاثة الاتحاد ، فوافقوا وتوجّهوا إلى خوارزم . غير أن خوارزمشاه غدر بالسلاجقة وأعمل فيهم السيف . وترك أولاد ميكائيل الثلاثة خوارزم إلى حدود نسا سالكين طريق مرو بعد أن خاضوا حرباً طاحنة . وراسلوا مسعوداً في طبرستان وطلبوا منه الأمان فرفض وأرسل أحد قوّاده لصدّهم ووقْف تقدّمهم . وتمكّن هذا القائد من هزيمتهم قرب نسا في شعبان من عام ٤٢٦ هـ . لكنّهم تمكنّوا فيما بعد من تحويل الهزيمة إلى نصر وتخليص أسراهم من يد الغزنويين ، واستعادة ما غنمه قائدهم . وندم مسعود على رفضه مطالب السلاجقة وأحسّ بعجزه عن دفعهم عن خراسان ودرء خطرهم عنها ، فعمد إلى الوعود ، ومنح دهستان لداود ، ونسا لطغرل ، وفراوه لبيغو ، وأطلق على كل منهم لقب دهقان . ورفض الإخوة الخلع والألقاب السلطانية وطالبوه بإطلاق سراح عمهم أرسلان الذي كان محمود قد سجنه في الهند . ووافق مسعود وأحضره إلى بلخ ، وأجبره على الكتابة لأبناء أخيه يحثهم على إطاعة السلطان . ورفض الإخوة لعدم اطمئنانهم لوعود السلطان ؛ فلجأ مسعود إلى حبس أرسلان مرة أخرى ، وعاد هو

إلى غزنة . وشغل السلاجقة بالإستيلاء على بلخ ونيشابور وطوس وجوزجان . وما أن حل عام ٤٢٩ هـ حتى كانوا قد استولوا على معظم البلاد . واتخذ جغرى من (مرو) عاصمة لملكه ، وخُطِب له فيها في الجمعة الأولى من شهر رجب عام ٤٢٩ هـ . وتولىّ طغرل أمر نيشابور التي استولى عليها في نفس العام .

[14] ولم يكن السلطان مسعود يُعنى بخراسان أو يولي السلاجقة ما يستحقونه من اهتمام ، ولم يكن عماله وقواده في خراسان أكفاء أقوياء . ولما كان السلاجقة يسيرون في الناس سيرة حسنة . . فقد مال إليهم الخراسانيون ، حتى أنه حين أبدى أركان الدولة الغزنوية اهتمامهم بأمر خراسان وسيرّوا إليها جندهم . . لم ينالوا خيراً . وهزَم السلاجقةُ الغزنويين في معركة فاصلة (معركة دندانقان) . . دارت قرب مرو يوم الخميس الثامن من رمضان عام ٤٣١ هـ . وكانت الهزيمة بمثابة إعلان نهاية سيطرة الغزنويين على ما وراء النهر وخراسان والعراق ، وبمثابة إعلان بداية استقرار السلاجقة في تلك البلاد[1] .

وبانتصار السلاجقة المسلمين ـ الموالين للخليفة العباسي « القائم » ـ على الغزنويين ، سهل عليهم الاستيلاء على القسم الغربي من الممالك الغزنويّة وقسّموا البلاد فيما بينهم على النحو التالي :

(أ) البلاد من نيشابور إلى جيحون وما وراء النهر لجغري بيك داود ، وله أن يمتلك ما يفتحه من بلاد فيما وراء النهر . وقد تمكّن جغري من ضمّ بخارى وبلخ وخوارزم إليه خلال مدة قصيرة .

(ب) قهستان وجرجان لأخي طغرل من أمه ، ونعني به « إبراهيم ينال » .

(جـ) هراة وبوشنك وسيستان وبلاد الغور لأبي علي حسن بن موسى بن سلجوق وهو ابن عم طغرل ويبغو وجغري .

---

(١) أنظر إلى ما كتبه الراوندي حول تلك المعركة . ويجدر بالذكر أن يحيى القزويني قد ذكر عام ٤٣٢ هـ = ١٠٤٠ م تاريخاً للمعركة (المترجم) الراوندي : راحة الصدور وآية السرور ـ ليدن ١٩٢١ م ص ١٠٠ ـ ١٠١ ، يحيى القزويني : لب التواريخ : طهران ١٣١٤ هـ ، ص ١٠٥ .

(د) القسم الرئيسي من خراسان والعراق لطغرل ، وله الرئاسة على البلاد التي يتمكّن من فتحها . وطغرل هو الذي أطلق عليه بعد الإسلام إسم « محمد » .

وقد استطاع السلطان ركن الدين أبو طالب طغرل محمد السلجوقي (في عام ٤٣٣هـ) أن يُدخل جرجان وطبرستان في حوزته، كما استطاع في عام ٤٣٤ هـ أن يضمّ إلى ممتلكاته كلاً من خوارزم وكرمان ومكران وبادغيس وهراة .

وفي نفس العام ، استولى إبراهيم ينال على همدان ، وامتدّ نفوذه فشمل البلاد حتى حدود كنكاور ، في عام ٤٣٩ هـ ، وتجاوز الجزيرة في العام التالي ، ثم وصل بحدود الدولة السلجوقية ـ من هذا الجانب ـ إلى ساحل البحر الأسود فجاور بذلك ممالك السلاطين المسيحيين في الروم الشرقية . وفي عام ٤٤٢ هـ ضمَّ السلاجقة أصفهان إلى ممالكهم . وفي عام ٤٤٦ هـ سيطر طغرل على آذربيجان وأرمينية . وبهذا فإنه لم تمض عشر سنوات حتى كانت كل البلاد الإيرانية من ساحل سيحون حتى سواحل البحر الأسود ، ومن ساحلَي بحيرة خوارزم وبحر أبسكون حتى بحر عمان . . تحت سيطرة طغرل . والتزمت الأُسرَ الصغيرة التي تحكم هذه البلاد ـ أمثال آل زيار في جرجان وآل بويه في أصفهان وفارس ، وديالمة كاكويه في همدان ، والرواديون في آذربيجان ـ بتأدية الخراج لطغرل ، ودانت له بالولاء والطاعة .

[15]

وكفّ طغرل يد الغزنويين تماماً عن إيران . وأحسّ بعظيم قوّته ورفيع قدره فقرّر القضاء على المستنصر الخليفة الفاطمي الذي كان يحكم مصر والشام وقِسماً من العراق . وتوجّه السلطان بنفسه إلى بغداد على رأس جيش كبير ليقدّم المساعدة للخليفة العباسي الذي استنجد به لدفع فتنة أبي الحارث البساسيري . وكان البساسيري قد ثار على الخليفة العباسي وانحاز إلى المستنصر . وفي عام ٤٤٧ هـ بلغ طغرل بغداداً ففر البساسيري ناجياً بنفسه . وكافأ الخليفةُ السلطانَ بأن أمر بذكر اسمه في الخطبة ببغداد ، وأمر أن ينصّ فيها على سلطنته ، وأن يحذف اسم

الملك الرحيم الديلمي وكان ما يزال يرد في الخطبة حتى هذا التاريخ . وقد أخضع طغرل ـ خلال سفرته هذه ـ مجموعةً من أمراء الجزيرة . ولكي يستميل الخليفةُ السلاجقةَ أقدم على الزواج بابنة جغري بيك عام ٤٤٨ هـ .

وأقام طغرل وجيشه الكبير في بغداد في الفترة ما بين عام ٤٤٧ ، ٤٤٨ هـ ، وتعرّض الأهالي للعديد من المضايقات نتيجة هذه الإقامة . وبعد إقامة دامت ثلاثة عشر شهراً ، توجّه إلى الموصل فأخضعها لطاعته ، وكذلك فعل بديار بكر وسنجار بأكملها . ووكل أمر الموصل إلى إبراهيم ينال وكر عائداً إلى بغداد . وفي العام التالي تمكّن من قتل البساسيري وإخماد فتنته[1] . وفي عام ٤٥٣ هـ ، أخضع بلاد العراق الجنوبية ، ثم خطب ابنة الخليفة . وحين تزوّجها في عام ٤٥٥ هـ[2] ازدادت الروابط الأُسرية إحكاماً بين السلاجقة والعباسيين . ثم مات طغرل في الري في نفس العام[3].

أما أخوه الأمير « داود بيك » الجالس على عرش مرو ، والذي استولى على القسم الرئيسي من بلاد ما وراء النهر وخراسان ، فقد مات في شهر رجب من عام ٤٥١ هـ ، أي قبل وفاة طغرل بأربعة أعوام ، وترك مكانه لابنه « ألب أرسلان محمد » . ولما كان طغرل قد مات دون ولد يخلفه في حكم البلاد ، فقد بادر وزيره « عميد الملك الكندري[4] إلى تعيين ولد آخر من أبناء جغري بيك ، إسمه

(١) قتل طغرل أخاه إبراهيم ينال قبل أن يتوجّه إلى بغداد لمحاربة البساسيري . وقد تمّ قتل البساسيري بعد قتال عنيف ، وأرسل رأسه إلى الخليفة القائم . وتمّ الإستيلاء على بغداد في الخامس عشر من ذي الحجة عام ٤٥١ هـ= ١٠٥٩ م . (المترجم) .

(٢) تذكر معظم المراجع أنّ الزواج تمّ في عام ٤٥٤ هـ= ١٠٦٢ م وأنه توفي بعد عام من زواجه . (المترجم) .

(٣) يذكر السراج أن الوفاة تمّت في عام ٤٥١ هـ= ١٠٥٩ م ، وهذا خطأ (المترجم) . منهاج السراج الجوزجاني : طبقات ناصري ـ الطبعة الثانية ـ كابل عام ١٣٤٢ هـ . ش ، ص ٢٥٢ .

(٤) أبو نصر منصور بن محمد الكندري ، من قرية كندر من أعمال نيشابور ، كان يلقّب بعميد المُلك ، وكان من أصحاب اللسانين وله مؤلفات باللغتين ، وتوجد ترجمة لسيرته في كتب كثيرة منها : راحة الصدور للراوندي ، ودستور الوزراء لخواندمير ، وسياستنامه لنظام الملك ، والكامل لابن الأثير ، وعتبة الكتبة لمنتجب الدين بديع أتابك البويهي . (المترجم)

سليمان » ، سلطاناً على السلاجقة ، بينما اختار « نظام الملك الطوسي »[٤] ألب أرسلان وأجلسه على العرش في خراسان . وأحس عميد الملك أن أغلب الأمراء يميلون إلى ألب أرسلان ، فاضطر إلى أن يخطب في الري باسمه ، وأن يلقّبه بالسلطان ، وأن يعترف بسليمان ولياً للعهد . وهكذا ورث ألب أرسلان بن محمد بن داود جغري بيك عن طغرل ملكاً عظيماً يمتد ما بين توران والشام ، وما بين أران ومكران ، ولُقّب بعضد الدولة أبي شجاع برهان أمير المؤمنين .

[16]

واتسعت الدولة في عهد عضد الدولة ألب أرسلان بن جغري بيك (٤٥٥ - ٤٦٥ هـ) شرقاً وغرباً ، كما اتسعت في عهد ابنه السلطان جلال الدولة ومعز الدين أبي الفتح ملكشاه (٤٦٥ - ٤٨٥ هـ) فقد استولى ألب أرسلان على ختلان وبلاد - الجغانيين من جهة الشرق خلال السنة الأولى لجلوسه على العرش ، كما استولى على مدينة آني التابعة لبلاد شمالي الجزيرة . . من جهة الغرب . وفي عام ٤٦٣ هـ تمكّن من الإستيلاء على حلب ، وهزم إمبراطور الروم الشرقيّة وأسره ، كما استولى أحد أمرائه على قسم من فلسطين . أما ملكشاه فقد بسط سلطانه جهة الشمال الشرقي حتى بلغ حدود كاشغر ، وفتح ما وراء النهر بأسرها ، وأدخل ملوك تلك البلاد في طاعته . كما وقعت معظم بلاد الشام في يد أمراء السلاجقة[١] .

وبعد وفاة ملكشاه وغياب خراجه نظام الملك عن مسرح الأحداث[٢]- وهو علّة صعود نجم الدولة السلجوقية ورفعة مجدها - أدّى التنافس بين أبناء ملكشاه من جهة والعداء بين أبناء الوزير من جهة أخرى إلى إنحلال دولة السلاجقة العظام وضعفها ، وانقسام الأسرة إلى فروع عديدة[٣] ، أمثال سلاجقة كرمان أبناء قاورد

(١) أبو علي حسن بن علي بن إسحق الطوسي ن ، كان يلقب بخواجة نظام الملك.لمعرفة الكثير عنه أنظر : أحمد كمال الدين حلمي : النار تتكلم ، نشر مؤسسة علي الجراح الصباح ، الكويت ١٩٧٩ م ، ص ١٥٠ وما بعدها .

(٢) لمعرفة الكثير من المعلومات عن ألب أرسلان وولده ملكشاه ، أنظر : السلاجقة في التاريخ والحضارة ، ص ٣٢ - ٤٥ . (المترجم) .

(٣) كان مصرعهما في عام ٤٨٥ هـ - ١٠٩٢ م . (المترجم)

(٤) إنقسمت الأسرة إلى خمسة فروع ، يمكن معرفة الكثير عنها بالرجوع إلى السلاجقة في التاريخ والحضارة ، ص ٢١ - ٩٦ (المترجم) .

بن جغري بيك عم ملكشاه ، وسلاجقة الروم أبناء تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان أخي ملكشاه ، وسلاجقة العراق ، ونعني بهم بركيا رق وأخيه محمد وأبناء محمد . وطوال حياة بركيا رق (٤٨٥ ـ ٤٩٨ هـ) ومحمد (٤٩٨ ـ ٥١١ هـ) وسنجر (٥١١ ـ ٥٥٢ هـ) كانت هذه الفروع ـ خاصة سلاجقة كرمان والعراق ـ تبدي لهم احترامها الإسمي على الأقل . . باعتبارهم أبناء السلطان الأعظم ملكشاه .

[17] غير أنه بعد موت سنجر وضياع القسم الرئيسي من الممالك السلجوقية ـ إثر ازدياد نفوذ الأتابكة وملوك خوارزم ـ لم يعد للملوك السلاجقة ما كان لهم من قدر وشهرة . وما أن انقضت أربعون سنة على موت سنجر حتى زالت السلالة السلجوقية تماماً من العراق ، وبقي سلاجقة الروم وحدهم فترة من الزمن بعد إستيلاء المغول على آسيا الصغرى .

وبناء على ذلك فإن سلاطين السلاجقة العظام ـ الذين ترجع إليهم شهرة هذه السلسلة وعظمتها ـ ستّة ، وهم :

١ ـ السلطان ركن الدين أبو طالب محمد طغرل بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق (٤٢٩ ـ ٤٥٥ هـ) .

٢ ـ السلطان عضد الدولة ألب أرسلان محمد بن جغري بيك داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق (٤٥٥ ـ ٤٦٥ هـ) .

٣ ـ السلطان جلال الدولة معز الدين أبو الفتح ملكشاه بن ألب أرسلان (٤٦٥ ـ ٤٨٥ هـ) .

٤ ـ السلطان ركن الدولة أبو المظفّر بركيا رق بن ملكشاه (٤٨٥ ـ ٤٩٨ هـ) .

٥ ـ السلطان غياث الدين أبو شجاع محمد بن ملكشاه (٤٩٨ ـ ٥١١ هـ) .

٦ ـ السلطان معز الدين أبو الحارث أحمد سنجر بن ملكشاه (٥١١ ـ ٥٥٢ هـ) .

***

تعتبر الدولة السلجوقية ـ بعد الدولة الأموية والقسم الأول من الخلافة العباسية ـ ثانية الدول الكبيرة الإسلامية التي استطاعت السيطرة على معظم الممالك الإسلامية في القسم الشرقي على الأقل ، واستطاعت أن تخضع لها الأسر العديدة التي تمّ تشكيلها في القسم الشرقي من الخلافة الإسلامية منذ عصر المتوكل (عام ٢٣٢ تقريباً) ، والتي كانت تعيش في حالة ضعف عندما بدأ السلاجقة غزواتهم . ولما كان السلاجقة يعتنقون المذهب السنّي ويطيعون أوامر الخليفة العباسي الدينية ، فإنه يمكننا القول بأن الخلافة العباسية في بغداد قد حالفها الحظ والتوفيق في عهدهم ، مما جعلها تفرض سيطرتها على الممالك العظيمة التي هزمتها أيام الديالمة والصفاريين والعلويين ، وتجبرها على إطاعة أوامرها الدينية .

[18] ورغم إنجاب دولة السلاجقة العظام أناساً ذوي جلد ومهارة في المبارزة ، وقوادا ومحاربين ذوي بأس شديد أمثال أبناء سلجوق بن دقاق . . الذين كانت شجاعتهم وكان صبرهم سبباً في انتصارهم على جند الغزنويين وبقية المناوئين[1] ، إلا أن شموخ صرح هذه الدولة العظيمة ودوام بنائها يجب أن يعزى إلى يقظتها إذ لم يكن السلاجقة ـ وهم التراكمة الذين لا خبرة لهم ولا حضارة ـ ذوي كفاية في مجال السياسة ولا دراية . . بل إن سنجر ـ أعظم سلاطينهم ـ لم يتمكّن من تعلّم القراءة والكتابة رغم حياته الطويلة في إيران وديار الإسلام .

وتشبه دولة السلاجقة في ذلك الدولة المغولية ، والفرق بينهما هو أن جنگيزخان قد استغل ذكاءه الفطري في إقرار مجموعة من القوانين باسم (الياسا) حكم بها أتباعه . وقد أفادته على الأقل فيما يتعلّق بشئون قيادة الجيش والمسائل المرتبطة بالعلاقات بين أفراد الشعب ، وكان لها بالغ الأثر في حفظ النظام والتقدّم في العمل[2] .

---

(١) لمعرفة الكثير حول المعسكرات المناوئة للسلاجقة أنظر :
السلاجقة في التاريخ والحضارة ، الباب الثاني : المعسكرات المناوئة للسلاجقة ، ص ٩٧ ـ ١٩١
(٢) فؤاد عبد المعطي الصياد (دكتور) : المغول في التاريخ ، طبع بيروت علم ١٩٧٠م ، الجزء الأول . (المترجم) .

أما التراكمة السلجوقيون فكانوا يفتقرون إلى مثل هذه النظم والقوانين بالرغم من كمال نضجهم ومهارة رؤسائهم . وكان العامل الوحيد الذي عجل بإنجاز حوائجهم ومكّن سلاطينهم من المحافظة على ما يمتلكونه في شتى الأنحاء . . هو طبقة الكتّاب وعمال الديوان الإيرانيين ممن أمضوا عمرهم ـ في عهود السامانيين والغزنويين والديالمة والخلفاء ـ يديرون أقسام ممالك الشرق المختلفة ، وكانوا على دراية كبيرة بدقائق أعمالهم . . سواء ما تعلّق منها بالجيش أو بالشئون المدنية كانت في ما وراء النهر وخراسان والعراق مجموعة كبيرة من عمال الديوان السابقين ومن الشباب الذي يجيدون العمل في هذا المنصب .ولأن السلاجقة مسلمين . . أمكنهم أن يستفيدوا بسهولة من هذه المجموعة باستخدامها في أعمال الكتابة والإستيفاء والقضاء . ولأنهم لا فكرة لديهم قط عن كيفية إدارة الممالك بوجه خاص ، فقد أبقوا على هذه الطبقة من عمال الديوان بنفس التشكيلات والنظم الإدارية القديمة تقريباً . . تلك التشكيلات والنظم التي كانت سائدة في عهدي السامانيين والغزنويين في ما وراء النهر وخراسان . وبذلك كان ديوان [19] السلاجقة ـ باستثناء بعض التغيرات التي اقتضاها العصر وبعض المصطلحات البديلة ـ هو نفس ديوان الغزنويين والسامانيين من قبلهم . وأول من تولوا إدارة هذا الديوان العظيم هم : أبو القاسم علي بن عبد الله سالار بوزكّان ، وأبو محمد حسن بن محمد نظام الملك الدهستاني ، ورئيس الرؤساء أبو عبد الله حسين بن علي بن ميكال الغزنوي . . وهؤلاء يكوّنون الطبقة الأولى من وزراء السلاجقة ، كما أنهم أول من شغلوا منصب الوزارة في بداية تشكيل هذه السلالة في عهد طغرل . وقد وضعوا أسس الإدارة للملكة الجديدة بمساعدة عدد من الكتّاب والعمال الذين تربّوا في أجهزة الغزنويين الإدارية . ثم أحكم أبو نصر منصور بن محمد عميد الملك الكندري ـ وزير طغرل ـ هذه الأسس من بعدهم.وقد زادها إحكاماً ـ بصفة خاصة ـ الخواجة الأعظم الأتابك قوام الدين أبو علي حسن بن علي بن إسحاق الطوسي ، الملقّب بصدر الإسلام وبنظام الملك . ويعدّ نظام الملك صِنواً لخواجه شمس الدين محمد صاحب ديوان الجويني ، وصنواً لخواجه رشيد الدين فضل الله

الوزير الهمداني[1]، كما يعتبر من أعظم الوزراء ذوي الكفاية والتدبير . وقد استطاع خلال فترة وزارته لألب أرسلان وملكشاه من بعده ـ وهي فترة تبلغ الثلاثين سنة ـ أن يسيّر شئون القسم الأعظم من الممالك الإسلامية في ترتيب ونظام دقيقين يشهدان بما كان يتمتع به من دراية وحنكة وتدبير ، ويتناسبان مع الإمكانيات المتاحة في تلك الفترة . وقد عاونه في إنجازاته عمّال متمرّسون وكتّاب مهرة ، وسانده أبناؤه الأكفاء .

وكان نظام الملك يولي عناية كبيرة لكل جزئية من جزئيات الجيش ويهتم بكل شأن من شئون البلاد ، ويرعى مصالح الأهالي ، وينشر العلم والأدب ، ويرفع الظلم عن المظلومين . وكان قوياً محبوباً مسموع الكلمة ، تفوق قوّته وسلطته ــ في بعض المواقف ـ قوّة السلطان السلجوقي وسلطته ، كما كان يتمتّع بشعبيّة كبيرة بين العامة . وقد سعى إلى وضع معظم شئون الجيش والبلاد بيْن أيدي أبنائه وربيبي نعمته ، وأسبغ نعمه على كتّاب الديوان وعلى العمّال . وكان عبيده وغلمانه الذين يُعرفون بالنظامية بمثابة جنوده المخلصين الذين يفتدونه بأرواحهم إذا لزم الأمر . . ولذا لم يجرؤ أحد على إقصائه عن منصبه طوال السنين الثلاثين ، رغم الدسائس التي حاكها ضده بعض عمّال الديوان ورغم غضب ملكشاه عليه . ولقد كانت الهزيمة من نصيب كل من عاداه ووقف في سبيله .

[20] وظل نظام الملك شامخاً كالجبل ، راسخ القدم في منصبه حتى بعد أن تقدمت به السن واعتلّت صحته . وسئم ملكشاه طول بقائه في الوزارة ، وساءته سيطرته على الممالك ، وأغضبه تصرّفه في الأموال بطريقة استبدادية ، وتحكّم أبنائه وأصهاره وخدمه في أطراف الدنيا وأكنافها . وتصادف أن كان عثمان (شمس

---

(١) هو رشيد الدين فضل الله بن عماد الدولة أبي الخير بن موفق الدولة (ت ٧١٨ هـ= ١٣١٨ م) ، مؤرخ المغول الكبير ، وصاحب تاريخ مبارك غازاني (داستان غازان خان) ، وجامع التواريخ . ولمعرفة الكثير عن هذا المؤرخ أنظر :
فؤاد عبد المعطي الصياد (دكتور) : مؤرخ المغول الكبير : رشيد الدين فضل الله الهمداني ، القاهرة ـ ١٣٨٦ هـ= ١٩٦٧ م .

الملك) ابن الخواجة يحكم مرو ، فوقع بينه وبين شحنة مرو ـ أحد العبيد المقرّبين للسلطان ـ نزاع ، طلب عثمان من أتباعه على أثره أن يقبضوا على الشحنة ، مما اضطره إلى اللجوء للسلطان وتقديم شكواه . وتملك الغضب السلطان ، فحمّل أتباعه رسالة شفوية إلى الخواجة نظام الملك ، وقال لهم :

« قولوا للخواجة . . إن كنت شريكي في الملك فهذا شيء آخر ، وإن كنت تابعي فلِمَ تتجاوز حدّك ولا تؤدب أبناءك وأتباعك الذين سيطروا على الدنيا إلى حدٍ جعلهم لا يحترمون عبيدنا ؟ . . أم تراك تريدني أن آمر برفع المحبرة من أمامك ؟ .

وتوّجه أتباع السلطان إلى الوزير وأبلغوه الرسالة ، فتألم وغضب وقال : « قولوا للسلطان ، ألا تدري أني شريكك في الملك ، وأنك بلغت ما بلغت من منزلة بفضل تدبيري ؟ أولا تذكر حين قتل السلطان الشهيد ألب أرسلان . . كيف جمعت أمراء الجند ، وعبرت جيحونا وفتحت لك البلاد وأخضعت الممالك شرقاً وغرباً ؟ » .

لقد ارتبطت عظمة تاجك بمحبرتي هذه ، فإذا ما رفعت محبرتي رفع معها تاجك في نفس الوقت »[1] .

مما ذكرناه يتّضح مدى استبداد الخواجة ومقدار تحكّمه في دولة ملكشاه . ولقد صدق ما تنبأ به فلم يمض طويل وقت على قتل الخواجة وموت السلطان حتى انهارت الدولة السلجوقية . ولم يستطع أولئك الذين كانوا يثيرون حنق السلطان على الوزير أن يديروا دفّة الأمور في ممالك ملكشاه . . ولو لشهور معدودات . كما أن نفوذ الخواجة الذي استمر مدة ثلاثين سنة لم يمّح سريعاً ، فلم يكن أحد ليفعل شيئاً دون موافقة النظامية وأبناء الوزير . فتاج الملك أبو الغنايم الشيرازي ـ على سبيل المثال ـ لم يوفّق في إحلال ـ « محمود » مكان ملكشاه ، ولا في إحلال نفسه محلّ الوزير . . رغم ما قدّمه له الخليفة من عون وما أعانته به « تركان » ـ زوجة

(١) يمكن الرجوع إلى كتاب : النار تتكلم ، للمترجم ، ص ١٩١ وما بعدها . . للوقوف على الصدام بين السلطان والوزير ، ولمعرفة أهم المصادر في هذا الشأن . (المترجم) .

[21] السلطان ـ فقد مزّقه النظامية إرباً إرباً ، وأجلسوا بركيا رق ـ الإبن الأكبر للسلطان ـ على عرش البلاد ، وأسندوا منصب الوزارة إلى « عز الملك حسين » أحد أبناء الخواجة[1].

ومن المسلّم به أن لنظام الملك وأبنائه الفضل على سلاطين تلك الدولة ، وسوف نفصل الحديث حول ذلك الأمر في الفصول التالية . ويكفي هنا أن نقول إن إجلاس ألب أرسلان على العرش ومؤازرته ضد أخيه « سليمان » ـ صنيعة عميد الملك ـ واستقرار الأمور لملكشاه ، والقضاء على منافسيه العديدين . . كان كلّه بفضل حسن تدبير نظام الملك وكفاءته . كما أن الإستقرار الذي نعم به بركيا رق يُعزى إلى كفاءة « مؤيد الملك بن نظام الملك » . . الخواجة الفاضل . وبفضل جهود مؤيد الملك هذا وحسن تدبيره ، وصل السلطان محمد إلى كرسي السلطنة . وخلال حكم سنجر الذي استمر خمساً وخمسين عاماً تقريباً ، كانت الوزارة في يد فخر الملك بن نظام الملك ، وشهاب الإسلام ابن أخيه ، وصدر الدين محمد ، وناصر الدين طاهر » إبني فخر الملك (قضى سنجر اثنتين وستين سنة أميراً وسلطاناً)[2] . وقد وزر شمس الملك عثمان ـ الإبن الآخر للخواجه ـ فترة للسلطان « محمود بن محمد بن ملكشاه . ووزر » قوام الدين حسن بن ناصر الدين طاهر بن فخر الملك « أياماً عديدة للسلطان » سليمان « السلجوقي . وكان بقية أبناء نظام

---

(١) بعد مصرح ملكشاه ونظام الملك من قبله ، تنازع بركيا رق بن ملكشاه ـ يؤيده النظامية ـ مع أخيه الأصغر محمود (٤ سنوات) . . تناصره أمه تركان خاتون وتاج الملك الشيرازي الذي وزر لملكشاه بعد مصرح نظام الملك . وبعد العديد من المعارك انتصر بركيا رق واعترف به الخليفة المقتدي بالله سلطاناً للسلاجقة في المحرم من علم ٤٨٧ هـ= ١٠٩٤م . (المترجم) أنظر : راحة الصدور ، ليدن ، ١٩٢١ ؛ الكامل حـ ١٠ ص ٢٦١ ؛ البنداري تاريخ آل سلجوق ، ص ٧٦ ؛ راحة الصدور (الترجمة العربية) ، القاهرة ١٣٧٩ هـ = ١٩٦٠م ، ص ٢١٥ ؛ تاريخ كزبدة ، طهران ١٣٣٩ ، ص ٤٤٠ ، إبن هشلم طبع وستنفلد ، ص ٤٢ ؛ السلاجقة في التاريخ والحضارة ، ص ٤٥ ـ ٤٧ .

(٢) في علم ٤٩٠ = ١٠٩٧م ، أصدر بركيا رق أمره بتولية سنجر (أخيه غير الشقيق) حاكماً على خراسان بلقب (الملك ناصر الدين) . وكاننت وفاة سنجر في علم ٥٥٢ هـ = ١١٥٧م . (المترجم) .

الملك وأصهاره وأتباعه يديرون بدورهم عجلة الإدارة في الدولة السلجوقية بشكل من الأشكال .

والحق أن شئون الدولة السلجوقية كانت رهن تصرّف أسرة آل إسحق أي نظلم الملك وأبناء إخوته وأبناء أعمامه وأولاده وأصهاره . وعلى من يرغب في دراسة النظم الإدارية والمدنية والديوانية في الدولة السلجوقية أن يصرف القسط الأكبر من جهده ـ شاء أو لم يشأ ـ في تحقيق منجزات خواجه نظلم الملك وأبنائه وأتباعه .



الوزارة في عهد السلاجقة

[22] نقصد بالوزارة هنا مجموعة الإدارات التي تختصّ كل إدارة منها ـ شأنها شأن الوزارات الحالية ـ بشأن من شئون الديوان . ومع أن تشبيهها بالوزارات الحالية من ناحية تشكيلاتها أمر بعيد عن الصواب كلية ، إلا أنها تتشابه معها من جهة الاختصاصات الموكولة لكل منها .

ورغم أن هذه الإدارات أو الدواوين قد أصابها التغيير بمرور الزمن وبفضل تجارب الصدر الأعظم وآرائه الشخصية . . إلاّ أن أساسها ـ كما سبق أن قلنا ـ مقتبس عن ديوان السلاطين الغزنويين .

وكانت شئون المملكة الإدارية في عهد السلاجقة في يد خمسة أشخاص ، لكل منهم الرئاسة على أحد الدواوين . ولأهمية منصب كل واحد منهم . . لم يكن أحدهم يتدخل في شئون الآخر ، وكان لكل منهم منزلته ورتبته .

هذا ، وترتّب الدواوين الخمسة ـ وفق أهميّتها ـ على النحو التالي :

(١) الصدارة أو الوزارة :

يطلق على القائم بأعمالها ـ نظراً لما يوجد من خلاف بين اللغتين العربية والفارسية ـ إسم : خواجه بزرگ أو الصدر أو الدستور أو الوزير . وكانت تشكّل أكبر المناصب الحكومية[١] .

(١) كان كرسي الوزارة ـ لأهميته وخطورته محلّ نزاع وتنافس ، وكان الوزير يشغل أرفع منصب في الدولة بعد السلطان (المترجم) .
أنظر : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي ، للدكتور حسن إبراهيم حسن ، حـ ٣ ط ٣ ، القاهرة ١٩٥٥م ، ص ٢٥٥ .

(٢) الإستيفاء :

يسمّى القائم بأعمالها باسم المستوفي ، وكانت منزلته في مملكة السلطان تالية لمنزلة (خواجه بزرگ) .

(٣) الطغراء :

يسمّى رئيس هذا الديوان باسم الطغرائي ، وكان بمثابة وزير للسلطان . . يصحبه إذا سافر للصيد ولم يصطحب معه (خواجه بزرگ) . وديوان الرسائل والإنشاء شعبة من شعب ديوان الطغراء ، يعمل فيه فريق يطلق على الفرد فيه إسم المنشي أو كاتب الرسائل .

(٤) الإشراف :

يطلق على رئيس هذا الديوان إسم المشرف .

(٥) عرض الجيوش :

يطلق على رئيس هذا الديوان إسم العارض[1] .

ومع أن (خواجه بزرگ) كان يصحب السلطان غالباً في السفر والحضر ، ويتعامل معه مباشرة دون غيره من رؤساء الدواوين . . ومع أن الباقين كانوا تحت إمرته . . فإن السلطان كان يبلغه أوامره ـ إذا ما تغيّب ـ عن طريق الأمير الحاجب الكبير . والحاجب الكبير[2] هو نفسه حاجب سالار المعروف في العهدين :

---

(١) عماد الكاتب ، ص ١٠٠

(٢) هو المشرف على سير الأمور في بلاط السلطان ، وحلقة الاتّصال بينه وبين الرعية.وله حق نقل أوامر السلطان للوزير وقيادة الجيوش ضد أعداء السلطان . وكان أصحاب الدواوين يتقرّبون إليه ويستشيرونه . وكانت سطوته تبلغ أحياناً حدّ تدخله في شئون الدولة وفي تعيين حكّام الأقاليم . =

السامانى والغزنوي . وكان من حقّه الإستماع إلى أوامر السلطان مشافهة وإبلاغها للوزير ، وعنه أيضاً تصدر الأوامر والنواهي .

وكان تحت إمرة كل واحد من أصحاب الدواوين الخمسة نائب[1]. وكان يحدث أحياناً أن يعهد السلطان بعملين إلى شخص واحد .

ورغم أن منصب الوزارة كان يفضل جميع المناصب ، فإن أحد الأشخاص كان قد ترك الوزارة ، فلما اختير لرياسة الديوان وهو منصب أقل أهمية ولا شك ـ قبل المنصب الجديد . « فخطير الملك الميبدي » قد قبل منصب الطغرائي بعد تركه منصب الوزارة في عهد السلطان « محمد بن ملكشاه » ، وبذلك أصبح خاضعاً « لربيب الدولة » الذي خلفه في منصبه .

هذا ، ولم تحدَّد حدود مهام هؤلاء الخمسة ومدى صلاحياتهم وصلة كل منهم بالآخر بصفة قاطعة . ويحتاج هذا الأمر إلى دراسة دقيقة لتاريخ السلاجقة ، واطّلاع على الوثائق التي تركوها وراءهم وتخلّفت عن عهدهم . وحتى إذا لم يفلح ذلك في توضيح الأمر بصورة تامة ، فسوف يوضّح على الأقل بعض الجوانب .

[24] ولكي نعرّف القراء المحترمين بمهام كل رئيس من رؤساء الدواوين المذكورة بصورة إجمالية . . ننقل هنا عدداً من مكاتيب التعيينات الرسمية (الفرمانات) . وقد وردت ـ هذه الفرمانات ضمن مجموعة من المراسلات الرسمية التي صدرت عن ديوان السلاجقة ، وتتعلّق بتحديد السلطان نفسه لمهام موظفي هذه الدواوين . وسوف نورد ما يهمّنا من سطور تتعلّق بهذا الموضوع[2]. ومن حسن الحظ أن بقيت هذه المجموعة من المراسلات الرسميّة في مكتبة لننجراد الشرقية . وأصدر لنا المسئولون في وزارة المعارف الإيرانية إذناً بتصويرها .

= وقد بلغ الأمر ببعض الحجّاب حدّ مناهضة السلاطين ومحاولة القضاء عليهم (المترجم) .
أنظر : إبن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، بيروت ١٨٨٦م ، ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩ ؛ الراوندي : راحة الصدور ـ ليدن ، ص ٣٣٧ .

(١) كان للحاجب الكبير أيضاً نائب يعاونه . (المترجم) .

(٢) وردت هذه السطور بالخط الأسود الثقيل (المترجم) .

(١)

(الصدارة)

[25] منشور الوزارة الصادر بشأن الصاحب مجد الدين نصر ، وهو من إنشاء شرف الدين[1] ، وقد صدر في شهور عام ٥٤٤ هـ : « أولى الأمور باهتمام ذوي الفكر الصافي والنظرة الصائبة والهمة العالية ، وأجدرها بالاحتياط في إرساء دعائمها وتمهيد مبادئها وتشييد مبانيها . . أمر الوزارة ، لأن مصالح الجمهور وشئون الناس مرتبطة بها ، ولأنه بفضلها يتحقق للمملكة بهاؤها وجمالها وللدولة نظامها ورونقها .

ومنذ أن صرنا ملوكاً وأشرقت شمس ملكنا على أقطار العالم ، ونحن نفكّر دوماً في أن نختار للمملكة ـ ثبّت الله أركانها ـ وزيراً متديّناً، عالماً، خبيراً ، حسن السيرة طيب السريرة ، عارفاً بقوانين الملك واقفاً على مستقبل الدولة ، قارئاً لسير الملوك ، مسلّحاً بتجارب العصور . . ليسير بنا سيراً حسناً ، ويسلك بنا سبلاً صالحة ، ويحثّنا على ما يقرّبنا من مرضاة الله والثناء العاجل والثواب الآجل ، ويصدقنا القول فيما يتعلق بحال الرعايا والأتباع بصورة منزّهة عن الشوائب والأغراض ، ويقرّ مصالح كافة المسلمين . وسوف يكون إعتمادنا على ما يقوله ويفعله ، وما يقدّمه لنا ويضعه أمامنا . وسيستند أمرنا إلى قوله ، ونحوّل فصول كلامه إلى أصول . وقد أُثر عن خاتم الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ قوله إذا أراد الله بملك خيراً قيّض له وزيراً صالحاً ، إن نسي ذكّره ، وإن نوى أعانه ، وإن أراد شكراً كفله . والحكمة من الوزارة هي أن يكون الوزير عوناً للملك في ذكر الله

---

(١) تولى الوزارة في عصر سنجر ، وقد أطلق عليه السلطان لقب : الصاحب الأجلّ شرف الدين .

تبارك وتعالى وشكر نعمه ، ونشر العدل والإنصاف . ورغم معجزات الأنبياء والرسل وكراماتهم وتشرّفهم بالوحي والرسالة فإنهم كانوا بدورهم في حاجة إلى الوزراء . وقد طلب بعضُهم الوزيرَ من الله ، وأظهر احتياجه إليه ، كما جاء في الكتاب العزيز والقرآن المجيد :

[26] « واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي ، أشدد به أزري » .

وقد وقع الإختيار على جامع هذه المآثر والكفء لهذا المنصب الكبير . . الصاحب الأجلّ المؤيد المنصور المظفّر مجد الملّة والدين ، صدر الإسلام والمسلمين ، نظام الملوك والسلاطين ، قوام الملك والأمة ، تاج الممالك والملة ، صفيّ الإمام ومجد الأنام ، سيد الوزراء في العالمين الخواجة العظيم[١]، السبّاق إلى البركات نصر بن الصاحب المؤيد أمير المؤمنين أدام الله تمكينه . . فهو المتحليّ بآداب الدين والدنيا ، والمزدان بطاعة الله وخدمة الملك ، والمنفرد بصنوف الفضائل وفنون المناقب . . وقد جمع إليه تلك المعاني التي يمتدح عظماء الدنيا بإحداها ، وأنواع العلوم التي . . . [٢]» .

---

(١) كانت معظم هذه الألقاب تمثّل بعد وفاة خواجه نظام الملك جزءاً من ألقاب صدور الدولة السلجوقية . هذا ويراعى عدم لفظ الواو عند قراءة كلمة (خواجه) .

(٢) سقطت بقية العبارة من النسخة الأصلية .

(٢)

(الاستيفاء)

[27] منشور استيفاء الممالك المحروسة الصادر باسم نظام الدين كيخسرو بن مجد الدين بتاريخ شوّال من علم ثلاث وستين وخمسمائة : « أهم الأمور التي يُعتنى بتمهيد قواعدها ، ويهتمّ بتشييد أركانها ، ويحتاط في ترتيبها وإسنادها ، وتحتاج إلى ذهن صاف ونظرة فاحصة واعية . . استيفاء المملكة وضبط أموال الولاية . . . لأن مصالح الجند المنصور ونجاح الديوان المعمور مرتبطة بها ، ولأن قواعد الملك تستقرّ بفضلها وبها يستقيم حال الجنود والرعية وتضبط أعمال المملكة وأموالها . ويجب فيمن يتقلّد هذا المنصب أن يكون متّصفاً بحسن السمعة وكمال الديانة ، عارفاً بأسرار المعاملات ودقائق الحسابات ، مسلّحاً بأنواع الخبرات ، علياً بالتقاليد والعادات ، مزيّناً بآداب طاعة الملوك . قلمه حكم عدل وشاهد صدق ، وفاصل بين الحق والباطل . . إليه يسند تقويم المصالح ويعزى نجاح الأمور السلطانية ورعاية الأموال الديوانية . ولما كان الأجلّ الأوحد[١] نظام الدين كيسخرو بن مجد الدين ورضى أمير المؤمنين أدام الله تأييده هو أوحد زمانه ، ولما كان قدوة أهل الدنيا والمملكة في عفّته وديانته وورعه وأمانته . . يعشقه الخاصة ويدعون له مخلصين ، ولما كنا نودّ أن ينعم في ظل دولتنا بمنزلة القرب ، ويختص من العواطف والإكرام بعوارف الإنعام ، وأن يسند إليه أكبر منصب من مناصب أرباب القلم . . وهو منصب يحتاج إلى خبرة ودراية ، فقد أسندنا إليه هذا العمل الخطير والأمر

---

(١) كان اللقبان (الأوحد والأجلّ) من الألقاب الخاصة بعمال الديوان . يقول المعزي مادحاً سعد الملك سعد بن محمد أبي المنشي قبل توليته الوزارة :

برصفت توگرفت بيشي وپيشي ... مدح أجل سعد ملك سعد محمد

أوحد عصر ودر خطاب أجلى ... گشت نصير توهم أجل وهم أوحد

الجسيم ، معتمدين على درايته وذيانته واستقامته ، ووكلنا إليه أمر استيفاء المهالك المحروسة مستندين إلى قلم كفايتـه ، وأنطنا حساب المملـكة بنـاصية أمانتـه وولايته . وقد حرّر هذا المنشور مصحوباً بأنواع التكريم مقروناً بقبول الإعـزاز والتشريف والتعظيم . . ليكون في نطقه الشافي وقلمه الكافي زينة هذه المهمّة التي يرتبط بها نظام المملكة العليّة ، وتقتـرن بهـا مصالـح الجيش والـرعية ، وينتظـم بفضلها دخل الديوان ونفقاته . وليعرف أصول الديوان وفروعه ، ومم ينشأ الخلل في كل الأحوال . ولا يخفى عنه محاسبو ديوان الحضرة ومستوفو أعمال المملكة شيئاً ، فيطلعونه على النقير والقطمير ، ويجارونه فيما اشتهر عنه من كفاية ودراية في شتى المجالات ، ويرعون جانب الحق والعدل في كل الحالات .

وعلى عمال ديوال الوزارة ـ حماها الله تعالى ـ أن يبالغوا في توقيره واحترامه ومراعاة قدرته واحتشامه ، منصاعين في ذلك لأمرنا ، وأن يرهبوا جانبه إلى أقصى حد ويدركوا أن منزلته أرفع المنـازل ، ويقـرّوا ـ في وقـار ـ مرسومَـه ورسومَـه ، ويرجعوا إليه في كل شأن يتعلّق بديوان الاستيفاء . وليعلموا أننا نعتمـد عليه في تقرير المعاملات وتحرير الحسابات وإثبات البراءات .

كُتِب في شوال من علم ثلاث وستين وخمسمائة » .

وفي منشور آخر صدر بشأن تنصيب مستوفى كَركَان ، جاء ما يلي :

« . . . وهكذا تعوّد فلان على تحمّل أعباء المهـام الجسـام بفضـل كفاءتـه واستقلاله . . فهو يجيد ضبط العمل على أكمل وجه ، وله خبرة بكل المعاملات وكافـة أعمال الضرائـب وغيرهـا . . يدقـق بشـأن النقـير والقطـمير ، ويفصّـل المحاسبات ويجلّيها ويراجعها . . . . الخ » .

[28] وجاء في منشور استيفاء زين الدين أبي العلاء صاعد بن حسين المستوفي ، فيما يتعلّق بمهمته في مرو :

« . . . . ونحن نوكل إليه إستيفاء كل خطّة مرو : مدنها وقراها ، ونواحي

القصبة وجوانبها . . فيما يتعلق بالأملاك والأموال والزيارات المباركة . وننيبه عنّا في استيفاء ما يخصّ الحضرة من خراج عن علم ثلاث وأربعين . ونصرّح له بإنجاز ما عهدنا به إليه بكامل حريته ووفق آماله العريضة ، على أن يتّبع في تنظيم الحسابات وضبطها الطرق الخاصة : قديمها وحديثها . . على النحو الذي كتب أثناء ضرب المثال (إصدار المنشور) ، وبشرط أن يرسل نائباً سديداً حكيماً إلى كافة الأنحاء لضبط الخراج ، وعلى هؤلاء النواب أن يتوخوا الأمانة والصدق في ذلك السبيل ، وألا يدعوا للقلم سبيلاً إلى الخطأ وأن تتسم حساباتهم بالوضوح والدقّة . . ليتمكّن هو بدوره من إرسال نسخة منقّحة إلى ديواننا ، يوضّح فيها كيفية العمل ، ويسجل فيها الدخل والمنصرف ، ويحتفظ بعد ذلك بالحسابات الماضية . وعليه أن يتدارك الأمر إذا ما حدث خطأ كتابي . وقد صدر أمرنا بأن يلقى زين الدين احترام كل الجهات وإعزازها وإكرامها . ولا شك لدينا في أن كافة الوكلاء والعمّال والقائمين بشئون الاقتصاد والزعماء والرعايا ـ رعاهم الله ـ يعرفون المستوفي النائب زين الدين ، ولا ريب في أنّه لن يقصرّ فرد واحد منهم نحوه لأنهم يعلمون أننا نعول في رأينا على قلمه ، ولذلك ينبغي عليهم أن يريحوا فؤاده ، ويكسبوا رضاه ووداده ، ويظهروا الطاعة له ويسيروا وفق مراده » .

ومما نقلناه من جمل وعبارات يستفاد أن مستوفي المملكة العام[١] ـ أي من كان يشغل منصب رئاسة ديوان الإستيفاء ـ كان يتكفّل بإدارة جميع « أموال الديوان » و« الدخل والمنصرف » و« ضبط الحسابات » . كما يتّضح أنه كان يرسل من لدنه موظفاً إلى كل ولاية وكان هذا الموظف ـ وهو أحد موظفي ديوان الاستيفاء ـ يسمّى بعد أن يقع عليه الاختيار باسم وكيل المستوفي أو نائب المستوفي[٢] . ومن شروطه أن يكون كرئيسه مشهوراً « بحسن السيرة وكمال الديانة » ، «عليماً بأسرار المعاملات ودقائق الحسابات » ، وأن ـ يكون « قلمه حكم عدل وشاهد صدق » . ويكلّف هذا النائب بضبط أوراق الدخل والمنصرف ، وضبط الخراج والضرائب والزيادات

(١) الإسم في اللغة الفارسية : مستوفى كل مملكت .

(٢) الإسم في اللغة الفارسية : مستوفى نايب .

والعلاوات ، وإرسال نسخة (منقّحة ومهذّبة) إلى الديوان . وعليه أن يوصّل ما هو مقرر على الولاية التابعة له . . طبقاً لما هو مسجّل في دفاتر ديوان الاستيفاء ، وبناء على ما هو وارد في حجّة الديوان .

وهذه الوظيفة هي نفس الوظيفة التي تؤدّيها وزارة المالية الآن . وقد كان مستوفي المملكة العلم يعمل عمل وزير المالية في نظمنا الحالية .



(٣)

(ديوان الطغراء والرسائل والإنشاء)

[29] الطغراء كلمة تركية ، استعملها أهل الديوان ـ فيما يبدو ـ منذ استيلاء السلاجقة الأتراك على إيران . وهي تعني الخط المقوّس الذي كان يرسم في صدر الفرمانات والمنشورات ، كما كان يحدث بالنسبة لعلامة كل سلطان وبالنسبة للفظ (بسم الله) بصفة خاصة . وكان من يعهد إليه برسم هذا الخط المقوّس يسمى بالعربية طغرائي ، ـ وبالفارسية طغراكش . ولما كان هذا العمل لا يتطلّب أكثر من حسن الخط ، فقد قيل في تلك الأيام أن العمل بهذا الديوان لا يحتاج إلى فضل[١] وقد ظل خطّ الطغراء ـ المركّب من هذه الخطوط نفسها ـ رائجاً في بلاط السلاطين العثمانيين إلى عهد قريب ، وعرفته سائر الممالك الإسلامية بدورها[٢] .

وهذه نبذة مختصرة مقتبسة عن منشور صادر عن ديوان السلاجقة ، يتعلّق بإسناد منصب الطغرائي إلى أحد الأشخاص : « . . . وقد اقتضت الضرورة أن يسند منصب الطغرائي إليه ، فهو الذي يليق بحاله ويتناسب مع كماله . . حتى يقترن هذا العمل بالثقة التامة ، ويزاول بكل عناية ويحظى بكل رعاية .

ويجب على الوزراء والعظماء والأمراء والرؤساء والأعيان ووجوه القوم

---

(١) عماد الكاتب، الصفحات ٨٣، ١١٦ ، ١٣٧، ١٦٦ .

(٢) يقول المعزى في مدح تاج الملك أبي الغنائم الطغراني ملكشاه (ديوان المعزى ، ص ٦٣٨):

كارهاى چون كمان ازفعل أو گرديد چوتير

چون كندبر نامهٔ شاهنشهى تيروكمان.

والمشاهير وسائر الحشم والخدم وكافة طبقات الشعب أن يعرفوا أنه طغراؤنا ومصطفانا ومختارنا ، وأن يشملوه بعنايتهم ويعاملوه بإجلال وإكرام . ويكون هذا دأبهم على الدوام » .

وبناء عليه فقد كان الطغرائي أو الطغراكش هو في حقيقة الأمر الشخص الذي يوصل الفرمانات والمناشير إلى حضرة السلطان ويمهرها باسمه .

وكان يتفرَّع عن ديوان الطغراء ديوان آخر باسم ديوان الرسائل والإنشاء ، يرأسه شخص يطلق عليه اسم الرئيس أو الوزير أو صاحب ديوان الرسائل . . وهو في الواقع رئيس دار الإنشاء السلطانية ، ويأتمر بأمره عدد كبير نسبياً من المحررين المنشئين وكتّاب الرسائل ممن ينعمون بثقة الدولة ويحفظون أسرارها . وكانوا لما ينعمون به من ثقة ، كثيراً ما يوفدون من قبل البلاط السلطاني إلى شتى أنحاء البلاد . . . يحملون الرسائل ويقومون بالوساطات وينجزون المهام الرسمية والسياسية .

وكان صاحب ديوان الرسائل غالباً ما يتقلّد كذلك منصب نائب الصدارة (الوزارة) . وهذا جزء من فرمان (منشور) صدر في عهد الدولة السلجوقية يتعلّق بتعيين رئيس ديوان الإنشاء :

[30 « . . . . وقد مضت سنوات عديدة قبل أن يقف فكرنا المبارك على فضائل أكفى الكفاة ويطّلع على مآثره . لقد أبدى أكفى الكفاة الأجلّ العالم (فلان) - أدام الله تأييده - تصرّفاً محموداً إزاء كل ما أسند إليه من مهام تخصّ الدولة ، وتحتاج إلى تدبيره وتعتمد على شهامته . إنا لنعتقد أن قلوب أقرانه من كفاة عصره ودهاة أيامه ترهبه وتخشاه . لهذا استقرّ رأينا عليه ، وارتاح قلبنا إليه ، وازدادت ثقتنا به ، وارتفعت منزلته في مجلسنا ، وسما قدره عندنا ، وعلا مقامه أملم عرشنا ، وبانت همّته ، وطارت شهرته ، وعلت في الديوان درجته . وطلبنا الاستخارة من الله سبحانه وتعالى فألهمنا أن نسند ديوان الوزارة إليه ، ونضع زمام أمور الملك بين

يديه ، ونجعل النهي والحل والعقد ومصالح الدين والدولة في يد كفايته وفضله وفطنته . . ليقوم بترتيب شتّى مصالح الممالك ـ حرسها الله ـ بما عهد عنه من رأي صائب . . فيرتاح بالنا من هذه الناحية .

وعليه أن يحدّد وجوه الأرزاق ويعين مرتبات الحشم والخدم ، ويهيىء أسباب الرفاهية للخلق باعتبارهم ودائع الخالق عز وعلا ، ويزيل كل أمر بغيض يألم منه المسلمون وينطوي على أقل قدر من الحيف والظلم يمكن أن يحيق بهم ، ويعيد ترتيب ممالك العالم على نحو يكفل له الذكر الجميل والثواب الجزيل ، ويخلّد قراره وآثاره . وعليه أن يرتّب ديوان الإنشاء الذي يعتبر العمل فيه أدق أعمال الديوان ، وأن يدقق في اختيار طبقات الكتّاب الذين يدوّنون أسرار الممالك وخفاياها ، ويراجع دقائق ألفاظهم ومعانيهم ، ويعرف إمكانياتهم العقلية ، ويقف على فضل كل منهم عن طريق ما يكتبه ونتاج قريحته وعلمه . . فإن : كتاب [31] الأجلّ عنوان عقله وفضله . . ولذا يجب أن يكون كل منشور وخطاب يبلغ أدنى البلاد وأقصاها . . متضمّناً مصالح الدنيا وأهلها ، متوخّياً فائدة الرعية ونفعها ، ليظل على مدى الشهور والأعوام مسطوراً مذكوراً تُصدَّر به وجوه الصحف وتزدان . ولقد ضربنا هذا المثل ليعرف مسئولو الدولة ورجال الدين والشعب حُسن رأينا في أكفى الكفاة ، ويدركوا صفاء اعتقادنا بشأنه ، ولما كنّا قد شرّفنا هذين المنصبين الرفيعين بإسنادهما إليه . . فإن من الواجب عليهم أن يرجعوا إليه في كل مصالح المُلك وشئون الدولة و، وألا يعترضوا على أي شيء يورده ويصدره بكمال دهائه وفطنته وذكائه ، ولا يحيدوا عن طاعته بل يجب عليهم أن يساعدوا ويتبعوه . وعلى مشاهير أطراف البلاد وأكنافها ورعاياها في كل مكان ـ في البر والبحر والسهل والوعر ـ أن يطلعوا الديوان على أحوالهم ويراجعوا أكفى الكفاة ، ويحظوا باهتمامه . . ليكون واسطتهم في تحقيق مطالبهم وأهدافهم » .

(٤)

(ديوان الإشراف)

كان ديوان الإشراف مكمّلاً في الواقع لديوان الإستيفاء في إدارة أموال الديوان وضبط الحسابات وإثبات الدخل والمنصرف . وكان مشرف علم المملكة[١]ـ الذي يُرسل إلى كل ولاية (شأنه شأن المستوفي) فرداً من أفراد ديوانه يدعى نائب المشرف[٢]ـ بمثابة رئيس للتفتيش المالي . وهذه صورة لأحد المنشورات (الفرمانات)[٣] الحكومية الصادرة في عهد السلاجقة ، وهو يدور حول تنصيب خواجه عميد الدين نائب مشرف في جرجان :

« صدر الأمر بتعيين خواجه عماد الدين نائباً لديوان الإشراف في جرجان . ويمتاز عماد الدين على أقرانه بأمانته ووقوفه على رسوم المعاملات ومعرفته بدقائق الحسابات . وهو يفضل أصحاب القلم في مازندران بالفضل وضبط النفس . ويتعينّ عليه ـ بموجب منصبه ـ أن يجعل كل شيء رهن تصرّفه وتحت سمعه وبصره ، وأن يقف على الدخل والمنصرف ، ولا يعزُب عن باله مثقال ذرّة ، ويطّلع على كل قسم من أقسام الرياسة . كما يتعينّ عليه ـ حماه الله ـ أن يكتب الدخل والمنصرف بالتفصيل ويرسل نسخة مما كتبه إلى ديوان الإشراف . ويلزمه أن يبدي الشهامة ويظهر الكفاءة في كل أمر من الأمور ليحظى بالمزيد من الثقة .

[32

وإنا لنأمر عمال جرجان وموظّفيها ، دام تمكينهم ، بتوقير خواجه عميد الدين واحترامه ، ونطالبهم بعدم التصرّف في أمر من الأمور دون علمه ومعرفته . وعلى نائب قصر الرياسة ـ دام تمكينه ـ ألاّ يجُري شيئاً دون حضوره وأن يبلّغ ما أتمّه .

(١) الإسم في اللغة الفارسية : مشرف كل مملكت

(٢) الإسم في اللغة الفارسية : مشرف نايب .

(٣) الفرمان هنا يعني مرسوم التعيين .

وعلى المفوضين من ترك وتازيك أن يرعوا حرمته ، ويقبلوا شكره ويسمعوا شكايته[1] .



(١) جاء في سياسة نامه لخواجة نظام الملك (ص ٥٧ ، طبعة باريس) ، « يسند الإشراف إلى الشخص الذي يوثق به ويُعتمد عليه في معرفة ما يرد إلى البلاط وما يحتاجه . ويجب أن يُرسِل هذا الشخص من لدنه نائباً إلى شتى المدن والنواحي . . على أن يتّصف هذا النائب بسداد الراي والأمانة ، ويشرط أن يكون ممن يعلمون ما يُنفق قلّ أو كثر . ولا يكون ممن بسببهم تضيع مرتّبات أفراد الرعية وأجورهم ، ويتعرّضون للألم والتعب . وعلى من يُسند إليه الإشراف أن يُعطي لهؤلاء النواب من بيت المال ما يحتاجونه ، حتى لا يلجأوا إلى الخيانة وقبول الرشوة . ولا شك أن الفائدة التي تحققها استقامتهم تعدل عشر مرات بل ومائة مرّة ذاك المال الذي يعطي لهم في حينه » .

ولما كانت مهمة الإشراف تستلزم ما نسميه اليوم باسم « التقرير » . . فإنها لم تكن موضع الاحترام، حتى أن الباخرزي يقول في دمية القصر في شرح حال عميد الملك الكندري الذي شغل هذا المنصب في البداية : ولما كان طغرل يرى أن الجاسوسية أمر لا يناسبه فقد عينه والياً على خوارزم .

(٥)

(ديوان عرض الجيوش)

كان عارض الجيش ـ الذي يتولى رياسة ديوان عرض الجيوش ـ بمثابة كاتب الجيش في عهد القاجارية ، وكان يقوم بمهمـة ضبـط نفقـات الجيش ومرتباتـه ، وتنظيم تغذيته ، وتفقّد مظهر المجنّدين ورجال الجيش . وكان له بدوره نائب يُقيم معظم وقته في الحَضرَ ، ويسيرّ دفة إدارة هذا الديوان في حالة غياب العارض الذي كان يقيم معظم الوقت في المعسكرات الهامة .

ولما كان هذا الديوان أقلّ الدواوين الخمسة أهمية في البلاط السلجوقي ، فإن عارض الجيش ـ مع قوة قوّاد الجيش وأمرائه ـ لم يكن له نفوذ يذكر . ولم يترك لنا الزمن عن عارض العهد السلجوقي أكثر من بضعة أسماء . ولم يرد بين مجموعة المراسلات الرسمية التي ذكرناها آنفاً منشور يتعلّق بهذا الأمر . . يمكننا عن طريقه أن نعرف معلومات حول مهمة ديوان عرض الجيوش وصلاحيّات من يتولى هذا المنصب .


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

(كلمة موجزة حول حياة طغرل وجغري)

[36] كما ورد في مقدمة كتابنا هذا فإن أبناء ميكائيل بن سلجوق بن دقاق الثلاثة طغرل وجغري وبيغو ، قد استطاعوا في مدة قصيرة أن يسيطروا على القسم الرئيسي من خراسان ، وذلك في عهد السلطان مسعود بن محمود الغزنوي . وفي رجب من علم ٤٢٨ هـ أصبح جغري ملكاً في مرو ، وفي عام ٤٢٩ هـ أصبح طغرل بدوره ملكاً في نيشابور ـ فوضعا أساس دولة عظيمة بلغت أعلى درجات رفعتها في عهد أبناء جغري .

وفي الفترة المحصورة بين عامي ٤٢٨ و٤٥٢ هـ كانت الإدارة في القسم الشرقي من خراسان وحتى ما وراء النهر لجغري بيك ، واسمه الإسلامي داود ، وكان يتّخذ من مرو مقراً لحكمه . ولم يؤثر عن جغري أنه خرج على طاعة أخيه طغرل رئيس السلاجقة . وكانت وفاته قبل وفاة طغرل بثلاث سنوات[1] .

ومات طغرل بعد أن أوصل حدود الدولة السلجوقية من جهة الغرب إلى حدود البحر الأسود ، فآلت السلطنة إلى ألب أرسلان بن جغري بيك ؛ لأن طغرل لم يكن قد أنجب ذكراً يخلفه في الحكم . وبذلك انتقل العرش والتاج إلى أسرة ألب أرسلان ، وبقي في حوزة أفرادها حتى آخر عهد السلاجقة .

---

(١) كانت وفاة طغرل في الثامن من رمضان علم ٤٥٥ هـ=١٠٦٣م . ويرجّح ذلك أن النزاع بين سليمان وألب أرسلان كما يُفهم من كتب التاريخ لم يدم طويلاً ، وأن ألب أرسلان قد جلس على العرش علم ٤٥٥ هـ=١٠٦٣م . ولذلك فإني أرفض التاريخ الذي ذكره القزويني (٤٥٤ هـ) والتاريخ الذي ذكره السراج (٤٥١ هـ) . (المترجم) .

وزَراء جغري وطغرل

لا ندري شيئاً على وجه الدِقَّة يتعلّق بوزراء جغري بيك الذي بلغ مرتبة الإمارة فقط وكان خاضعاً لأخيه طغرل . ويرد في كتب التاريخ(٢) ذكر رجل واحد فقط هو أبو علي بن شادان ، الذي يقال إنه كان يعيش في عهد جغري بيك عميد بلخ ، وأن خواجه نظام الملك كان يعمل ـ في بداية أمره ـ كاتباً في بلخ تحت إمرته .

ويؤكد صاحب كتاب أخبار الدولة السلجوقية أن أبا علي بن شادان هذا كان يشغل منصب الوزارة لجغري أثناء انشغال هذا الأمير مع ابنه ألب أرسلان في السيطرة على ترمذ في خراسان (حوالى عام ٤٢٨ هـ) ، وأن أبا علي نفسه هو الذي اختار الخواجة لوزارة ألب أرسلان . . حين حضرته الوفاة

[37] وقد وردت أسماء وزراء طغرل ـ أوّل سلاطين الدولة السلجوقية ـ في بعض كتب التاريخ . . إلاّ أن الفترة التي قضاها كل منهم في الوزارة غير معروفة على وجه التحديد . ويمكننا بصفة إجمالية أن نقول إن الذين شغلوا منصب الوزارة في جهاز طغرل الإداري ، منذ دخوله العراق حتى وزارة عميد الملك الكندري (٤٣٦ ـ ٤٤٨ هـ) ، كانوا أربعة .

وبناء عليه يكون عدد من وزروا لطغرل ـ كما نمى إلى علمنا ـ خمسة ، بما فيهم عميد الملك أكبر وزرائه الذي يعدّ واحداً من أشهر وزراء الدولة السلجوقية . . وهذه أسماؤهم وفترات وزارتهم :

١ ـ أبو الفتح الرازي . تولى الوزارة في علم ٤٣٤ هـ .

---

(١) إبن الأثير : حوادث علم ٤٨٥ هـ ؛ أخبار الدولة السلجوقية ص ٢٧ ؛ تجارب السلف ص ٢٦٦ .

٢ ـ أبو القاسم علي بن عبد الله الجويني . وزر لطغرل في علم ٤٣٦ هـ .
٣ ـ رئيس الرؤساء أبو عبد الله حسين بن علي بن ميكال الغزنوي .
٤ ـ نظام الملك أبو محمد حسن بن محمد الدهستاني .
(وزر الثالث والرابع على التوالي فيما بين عامي ٤٣٦ و٤٤٨ هـ) .
٥ ـ عميد الملك أبو نصر منصور بن محمد الكندري . تولى منصب الوزارة منذ أواخر علم ٤٤٨ هـ وحتى وفاة طغرل علم ٤٥٥ هـ .

١ ـ أبو الفتح الرازي

ورد ذكره في تجارب السلف دون غيره ، وهذا نصّ ما جاء بشأنه في هذا الكتاب :

« ذِكر وزارة أبي الفتح الرازي : هو أول وزير لأول سلطان سلجوقي ، ونعني به أبا طالب محمد طغرل بيك بن ميكائيل بن سلجوق . كان في بداية أمره يعمل في خدمة علاء الدولة بن كاكويه صاحب أصفهان ، ثم لازم ولده فرامرز . وقد أرسله فرامرز برسالة إلى السلطان طغرل بيك ، فلما وقع بصره عليه وقع لديه موقع القبول ، وأمره بالبقاء في بلاطه ، فأبدى هو الآخر رغبته في ذلك ، فخلع عليه طغرل بيك وأسند إليه منصب الوزارة . وأغضب ذلك فرامرز فأمر بنهب قصر أبي الفتح ومصادرة أملاكه .

[38] وبعد مدة ، حاصر طغرل بيك مدينة أصفهان ، وكان بها فرامرز . وانتهى الأمر بعقد صلح بينهما ، اشترط طغرل فيه أن يدفع له فرامرز مائة ألف دينار . . وعاد طغرل إلى طبرستان وأرسل أبا الفتح إلى أصفهان ليستلم المال من فرامرز . ولما عاد أبو الفتح من مهمته وأوصل المال لخزانة السلطان ، سرَّ غاية السرور ونعته بالأمين ، وقال : لو أنه أخذ المال ولجأ إلى بعض القلاع وتحصّن بها لصعب علينا الوصول إليه .

وطلب أبو الفتح قبول استقالته من منصبه ، فوافق السلطان . وتوجَّه أبو الفتح إلى أبي كاليجار بن بويه ، وتولى منصب الوزارة لديه . ولم يمض طويل وقت حتى عزله أبو كاليجار وقبض عليه ، وذلك في شعبان سنة تسع وثلاثين وأربعمائة »[1] .

في علم ٤٣٤ هـ ، هاجم جيش طغرل مدينة أصفهان . . بعد أن أرسل مجموعة من الجند لسلبها ونهبها . وقد توجّه السلطان من الري إلى أصفهان ، لكن أبا منصور فرامرز بن علاء الدولة كاكوية فاوضه طلباً للصلح ، وتمكّن بأمواله من صرفه عن السيطرة على تلك المدينة . ثم توجّه طغرل إلى جرجان وطبرستان بعد أن استولى على همدان[2] . فتكون وزارة الرازي لطغرل ـ بناء على ذلك ـ واقعة في الفترة ما بين إحضاره رسالة فرامرز وتوجّه طغرل إلى أصفهان . . أي أنها بدأت في علم ٤٣٤ هـ .

ولم يرد ذكر أبي الفتح الرازي كوزير لطغرل في أي كتاب من كتب التواريخ . ومما أورده صاحب تجارب السلف من أخبار حول وزارته لأبي كاليجار بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة الديلمي ، وحول إلقاء أبي كاليجار القبض عليه . . يتّضح بما لا يقبل الشك أن المقصود هو ذو السعادات محمد بن جعفر بن محمد بن فسانجس الذي تولىّ منصب الوزارة في علم ٤٣٦ هـ عند دخول أبي كاليجار مدينة بغداد . وقد قبض عليه هذا السلطان علم ٤٣٩ هـ ـ طبقاً لقول هندوشاه مؤلف تجارب السلف ـ وأمر بحبسه . وظل ذو السعادات في السجن إلى أن مات في رمضان علم ٤٤٠ هـ ، أو قتل ـ بناء على بعض الأقوال ـ بأمر من أبي كاليجار . . وكان عمره آنذاك ٥١ سنة .

وكان ذو السعادات كاتباً ناجحاً ، وشاعراً تفيض أشعاره بالعذوبة . وقد

---

(١) تجارب السلف ، ص ٢٦٠ ـ ٢٦١

(٢) إبن الأثير ، حوادث سنة ٤٣٤ هـ .

[39

نقل ابن الأثير القطعة الشعرية التالية من بين منظوماته :

أودعكم وإني ذو إكتئاب	وأرحل عنكم والقلب آبي
وإن فراقكم في كل حال	لأوجع من مفارقة الشباب
أسير وما ذممت لكم جوارا	ولا ملّت منازلكم ركابي
وأشكر كلما أوطنت دارا	لياليناا القصار بلا اجتناب
وأذكركم إذا هبت جنوب	فتذكرني غرارات التصابي
لكُم مني المودَّة في اغتراب	وأنتم إلف نفسي في اقترابي[1]

وكنية هذا الشخص هي أبو الفتح ، كما يوردها صاحب تجارب السلف . أما ابن الأثير فيلقّبه تارة بأبي الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن فسانجس ، وتارة بمحمد بن جعفر بن أبي الفرج ، ويحتمل أن يكون هناك خطأ في متن أحد الكتابين فيما يتعلق بهذا الأمر.

ولما كان ذو السعادات قد تولىّ منصب الوزارة لطغرل في عام ٤٣٤هـ ، ولأبي كاليجار في رمضان عام ٤٣٦هـ ـ وكان قد أصبح سلطاناً بدلاً من جلال الدولة قبل هذا التاريخ بعام ـ فإن هذا يعني أن وزارته لطغرل لم تدم طويلاً. ويبدو أنه ـ منذ جلوس أبي كاليجار على العرش في شعبان عام ٤٣٥هـ ـ قد التحق بخدمة هذا السلطان الذي كان ينافس أبا منصور فرامرز مخدوم ذي السعادات الأول.

٢ ، ٣ ، ٤ ـ أبو القاسم الجويني ورئيس الرؤساء ميكالي والدهستاني

يذكر ابن الأثير أن أبا القاسم علي بن عبدالله الجويني هو أول وزير لطغرل . ولعل ذلك يرجع إلى عدم وجود معلومات لديه تتعلق بوزارة ذي السعادات في جهاز طغرل الإداري . أو لعلّ المدة القصيرة التي قضاها في الوزارة وانتصار وزارة الديالمة عليه قد تسبّب في أن يكون موضوع وزارته أمراً لا يستحق الذكر في نظر ابن الأثير.

---

(١) إبن الأثير ، حوادث عامي ٤٣٦ ، ٤٣٩ هـ .

ويذكر ابن الأثير أن «طغرل» قد عينّ الجويني عام ٤٣٦هـ ، فهو ـ بناء على قوله ـ قد تولى الوزارة بعد أن ترك ذو السعادات خدمة طغرل.

كما يذكر أن طغرل قد أعطى منصب الوزارة لرئيس الرؤساء أبي عبدالله حسين بن علي بن ميكال بعد أبي القاسم علي بن عبدالله الجويني هذا ، ثم أعطى المنصبَ المذكور من بعدِ أبي عبدالله لنظام الملك أبي محمد حسن بن محمد الدهستاني . . أوّل من لقّب بنظام الملك[١] .

[40]

ويعدّد مؤلف راحة الصدور وزراء طغرل ـ قبل عميد الملك ـ على النحو التالي :

أبو القاسم الكوباني وأبو أحمد الدهستاني عمروك[٢] .

ومما لا شك فيه أن أبا القاسم الكوباني هذا هو نفسه أبو القاسم علي بن عبدالله الجويني ، وأن أبا أحمد الدهستاني هو نفسه نظام الملك أبو محمد حسن بن محمد الدهستاني الذي ذكره ابن الأثير . وضبْط (الكوباني) ـ كما ورد في راحة الصدور ـ ضبط غير صحيح ، وصحّة الإسم (الگوياني) . . و(گويان) أو (گوين) هي الشكل الفارسي لكلمة (جوين) .

وأبو القاسم الجويني هذا هو نفس الشخص الملّقب (سالار بوژگان) ، وكان يشغل منصب الرئاسة في نيشابور قبل مجيىء السلاجقة إلى خراسان . ولما قدِم طغرل الأول إلى نيشابور عام ٤٢٩هـ ، التحق بخدمته ، وبلغ منصب الوزارة عام ٤٣٦هـ ، فلما عُزل عاد إلى الرياسة وعمل جابياً لأملاكه (دهقانا) ، وظل على وضعه هذا إلى نهاية عمره[٣] .

أما بداية فترة وزارة رئيس الرؤساء أبي عبدالله حسين بن علي بن ميكال الغزنوي ونهايتها فأمر غير معلوم . ويبدو مما ورد في دمية القصر أنه كان يتولى منصب رئاسة ديوان الرسائل والإنشاء للسلطان طغرل في عهد عميد الملك

---

(١) إبن الأثير، حوادث عام ٤٣٦هـ.

(٢) راحة الصدور، ص ٩٨.

(٣) أنظر دمية القصر للباخرزي، ونهاية تاريخ المسعودي لأبي الفضل البيهقي، حيث يرد ذكره مراراً.

الكندري. وقد أثبت الباخرزي اسمه في كتابه (دمية القصر) باعتباره أحد كتّاب الرسائل في ديوانه[١] .

وبالنسبة لما جاء في راحة الصدور خاصاً بأبي أحمد الدهستاني عمروك ، فإنه يبدو أن (واوا) كانت بين كلمتي (دهستاني) و(عمروك)، وأنها سقطت من النسخة ، وأن العبارة كانت: (أبا أحمد الدهستاني وعمروك). و(أبو أحمد) بالصورة الواردة في متن راحة الصدورخطأ وتحريف لأبي محمد . وأبي محمد الدهستاني هو نفسه نظام الملك أبو محمد حسن بن محمد الدهستاني الذي ذكره ابن [41] الأثير . وعمروك (أو عمرك طبقاً لما ورد في نسخة دمية القصر التي يملكها المؤلف) هو عمرك رباطي قصار المستوفي في عهد طغرل بيك . ويبدو أن الدهستاني وعمروك (أو عمرك) كانا يقومان برئاسة بقية الدواوين إبان صدارة الشيخ أبي القاسم الجويني . ومع أن رئيس الديوان كان يعني الوزير إلا أنهما لم يحصلا على الصدارة.

ويقول أبو ناصر القايد المهلبي ـ أحد شعراء العصر ـ هاجياً كبار رجال الجهاز الإداري في عهد طغرل:

إن المقابح والفضايح كلها	مستجمعات في ابن عبد الله[٢]
كلب تصدّر للوزارة وهو عن	أم العزيز وخالتيه تباهى
أضحت أمور الملك واهية به	وكذاك إن بقيت عليه كما هي

ويشكو الشاعر زمنه وأبناءه فيقول:

لله درّ عصابة نادمتهم	كانوا عصارة هذه الأعصار
فبليت بعدهم بكل مؤاجر	ما بين قصار الى عصار

وهو يقصد بقصار.. عمرك الرباطي الذي كان يشغل منصب المستوفي في

(١) دمية القصر ، نسخة خطيّة يملكها المؤلف ، ص ١١٥ ، ١٣٤ ، ١٨٤ .

(٢) المقصود بابن عبدالله.. الشيخ أبو القاسم علي بن عبدالله الجويني سالاربوزگان، وهو الذي كان يشغل منصب الصدارة لطغرل.

عهد ركن الدين طغرل بيك ، ويقصد بعصار . . أبا محمد الدهستاني الذي ملأ ظلمه وجوره خراسان والعراق ، على حد قول الباخرزي[1] .

(بقية أصحاب الديوان)

وردت في صفحات متفرقة من كتاب دمية القصر أسماء عدد آخر من أصحاب ديوان السلاجقة في عهد طغرل ، غير من ذكرناهم من الصدور والوزراء . وكان بعض أصحاب هذه الأسماء كتّاب رسائل ، وبعضهم يشغل مناصب مختلفة في الدواوين . ولما كان الحديث عنهم بالتفصيل أمراً متعذّراً فإنا نكتفي بسرد أسمائهم :

شيخ الدولة أبو الحسن علي بن محمد بن عيسى البركردزي .
أبو الفتح مسعود بن محمد بن سهل وزير الأمير يبغو .
أبو نصر أحمد بن حسن الباخرزي وزير حسن بن موسى يبغو في هرات .
[42] الشيخ أبو بكر العبدي[2] كاتب ديوان أبي القاسم الجويني .

الشيخ أبو بكر المستعين شريك الباخرزي في ديوان الميكالي ، وغيرهم .

٥ ـ أبو نصر منصور بن محمد
عميد الملك الكندري

(ولد في ٤١٥هـ ، وقتل في ذي الحجة من عام ٤٥٦هـ ، ووزر في عهد طغرل من ٤٤٨ حتى ٤٥٥هـ)

يعتبر عميد الملك الكندري أول وزير سلجوقي مشهور ، ففي فترة وزارته

(١) دمية القصر ، ص ٦٣

(٢) من كبار كتّاب العهد السلجوقي وشعرائه ، ويغلب على الظن أن ظهير الدين الفاريابي يعنيه حين يقول في هذا المصرع : «ينظم ونثري چو عبدي وصاحب عباد» ، وهو يعني بمصرعه أنه في نظمه ونثره نظير لعبدي والصاحب بن عباد .

بلغت الدولة السلجوقية منتهى اتّساعها ، ووصل طغرل بيك إلى بغداد ، وأمر الخليفة بذكر اسمه في خطبة السلطنة .

كان عميد الملك ـ طبقاً لقول صاحب تجارب السلف ـ ينتمي إلى قبيلة الجراحين الشيبانية التي كانت تقيم في هراة ، أما مولده ففي قرية كندر التابعة لنيشابور ، في عام ٤١٥هـ .

وقد أخطأ بعض المؤرخين في كتابة إسمه ، فقالوا (محمد بن منصور) بدلاً من (منصور بن محمد)[١] . . وقد حدث هذا في عنوان فصل من فصول تاريخ السلاجقة لعماد الكاتب ، وهو فصل ملحق بالكتاب على ما يبدو ، كما حدث في تجارب السلف ، وغيرهما . أما ابن الأثير في كتابه والباخرزي المعاصر لعميد الملك في دمية العصر فيكتبان الإسم على النحو التالي : (منصور بن محمد) . وقد دعاه الشاعر المشهور لا معي الجرجاني في عدد من قصائده باسم (منصور بن محمد) ، والمعروف أنه شاعره الخاص . وليس في متناول يدي قصائد هذا الشاعر لأنقل عنه تلك القصائد في نهاية حديثي عن عميد الملك .

وبينما كان طغرل بيك في نيشابور ، طلب من الإمام « الموفق هبة الله بن محمد حسين» أن يختار له شخصاً طلق اللسان في العربية والفارسية ليتخذه كاتباً خاصاً له ، فاختار له الشاب اليافع عميد الملك .

[43] ومما لا شكّ فيه ، أن التحاق عميد الملك بخدمة طغرل لا يمكن أن يكون قد تمَّ في العام الذي دخل فيه طغرل نيشابور للمرة الأولى . . أي في عام ٤٢٩هـ ، لأن ـ عميد الملك كان وقتها في الرابعة عشر أو الخامسة عشر من عمره ، ولا بد أنه التحق بديوان طغرل بعد هذا التاريخ بعدة سنوات ، خاصة وأن صاحب تجارب السلف يقول إنه (أي عميد الملك) قد عمل فترة قبل هذا التاريخ بصفته وكيلاً لضياع الموفّق[٢] . وقد رآه الباخرزي لدى الإمام الموفّق عام ٤٣٤هـ ، وكان وقتها

---

(١) تسبب عماد الكاتب في هذا الخطأ على ما يبدو، فقد كتب اسم هذا الوزير أيضاً في الخريدة على هذا النحو: أبو نصر محمد منصور الكندري (معجم الأدباء ٥ : ١٢٤).

(٢) تجارب السلف، ص ٢٦١ « في هذه الصفحة وردت كلمة الواثق بدلاً من كلمة الموفّق ».

شاباً يستحق بلوغ أعلى المناصب . وبعد التحاقه بخدمة طغرل عمل بديوان الإشراف - بناء على قول الباخرزي - ثم أوفده طغرل إلى ولاية خوارزم . وفي سفرته هذه وجّه إليه تهمة الخيانة ، وحرمه من حلية الرجولة .

وتفصّل معظم كتب التواريخ الحديث حول عميد الملك ، لهذا نترك التكرار ونكتفي بالإشارة للمسائل التي لم توضّحها تلك الكتب ، والتي نحتاجها لمعرفة بداية حياته وفترة وزارته .

كان مصرع عميد الملك في ذي الحجة من عام ٤٥٦هـ[١]. ولما كانت مدة وزارته ثمانية أعوام وبضعة أشهر[٢]. وهذا يعني أن بدايتها كانت في آخر عام ٤٤٨هـ ، وأنها تلي وزارة نظام الملك الدهستاني .

وممن ذكرهم الباخرزي من بين كتّاب ديوان عميد الملك الكندري وأمنائه المقربين ، شاعرٌ يدعى دهخدا أبا البدر مظفر بن دهخدا أبا الحسن علي بن محمد القصرى ، وقد أورد قطعات من شعره في دمية القصر وامتدح فضله وكفايته[٣] .

(١) جلس ألب أرسلان على العرش في الري دون منازع في عام ٤٥٦هـ = ١٠٦٣م ، - ووزر له الكندري ونظام الملك . واستطاع نظام الملك بدهائه أن يغيرّ مشاعر السلطان تجاه الكندري ، ودفعه إلى الشك في نواياه وإلقاء القبض عليه وقتله في نفس العام المذكور. (المترجم) .

(٢) عماد الكاتب ، ص ٢٩

(٣) الدمية ، ص ١٥٥ - ١٥٦ .

وزراء ألب أرسلان وملكشاه

(١)

السيد الكبير سيد الوزراء صدر الإسلام [46]
قوام الدين نظام الملك غياث الدولة
رضى الخليفة
أبو علي حسن بن علي بن إسحاق الطوسي(١)

(ولادته في ٤١٠هـ ، وقتله في العاشر من رمضان عام ٤٨٥هـ ، وبداية وزارته في يوم الأحد ١٣ ذي الحجة عام ٤٥٥هـ ، ومدة صدارته حوالي ثلاثين سنة)

أنت الوزير السعيد الذي بفضل كفاءتك..
رفعت دولة السلاجقة رأسها إلى عليين .

(المعزى)

خواجه أبو علي حسن بن علي بن إسحق الطوسي ، أي نظام الملك الكبير..
هو أشهر وزراء السلاجقة ، بل وواحد من أكبر الوزراء في تاريخ الشرق . جمع في يده كل مهام ممالك الدولة السلجوقية في الفترة ما بين أواخر عمر جغري بيك وشهر

(١) يرى أغلب كتاب السير أن اسمه (الحسن بن علي) ويرى البعض أن اسمه (الحسين بن علي) . وممن يرون الرأي الأخير اليافعي المكي صاحب مرآة الزمان وعبرة اليقظان ، طبع حيد آباد ١٣٢٧هـ ، حـ ٣ ص ١٣٥ . ويختلفون في نسبة ومكان ولادته ،

أنظر: إبن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر طبع مصر ج٥ ص١٣؛ الكامل طبع مصر ١٢٠٣هـ ، حـ١ ص ٨٤ ـ ٨٨؛ الذهبي: تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، مخطوط رقم ٩٨ تاريخ حـ ٢ ص٩؛ نظام الملك الطوسي : الوصايا، بمباي ١٣١٥هـ ، ص٦ من المقدمة؛ إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ١٩٠٨ ص١٢٨؛ إبن تغري بردى: النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، مصر ١٣٤٨هـ ، حـ ٥ ص١٣٦ .

واحد قبل موت السلطان ملكشاه ، وهي فترة تتجاوز الثلاثين عاماً . وكما ذكرنا في مقدمة رسالتنا هذه فإن إرساء دعائم الدولة السلجوقية وأركانها كان بفضل تدبيره وكفاءته ، أما دوامها واستمرارها فكانا بفضل جهوده وجهود إبنائه وأتباعه . والحق أن الخواجه الكبير كان له دخل كبير في كل ما حقّقه ألب أرسلان وملكشاه من تقدّم وظفر. وهذه نقطة يؤكدها المعزى أمير الشعراء في قوله :

ـ أنت الوزير السعيد الذي بفضل كفاءتك . .
رفعت دولة السلاجقة رأسها إلى عليين . . واستقر.
ـ أنت المشير الممدوح الذي صار قلمك . .
قرين سيف الملك في الفتوح والظفر.

والحديث حول حياة الخواجة مدوّن مفصل في جميع كتب التواريخ . وليس هدفنا هنا تقصي أخبار حياته فلنتجاوزها مكتفين ببعض نقاط أساسية تتّصل به وبفترة وزارته :

[47] ولد الخواجة ـ وفقاً لقول صاحب تاريخ بيهق ـ عام ٤١٠ هـ[١] ، وكان يعمل في بداية حياته ـ كما ذكرنا في حديثنا عن حياة جغرى ـ في خدمة ابن شاذان[٢] عميد بلخ ووزير جغرى . وقد أوصى ابن شاذان الخواجة بألب أرسلان بن جغرى خيراً . . وهو على فراش الموت. وقد عينّ الخواجة قبل سلطنة ألب أرسلان في الوقت الذي كان فيه أميراً على خراسان. وبعد وفاة طغرل في الثامن عشر من رمضان عام ٤٥٥ هـ . . سارع وزيره عميد الملك الكندري إلى الري حيث مات السلطان ـ وكان وقتها بعيداً عن المدينة المذكورة ـ ونصب سليمان بن جغرى سلطاناً على السلاجقة ، وكانت أمه قد تزوّجت من طغرل . وكان طغرل بدوره قد عينّ سليمان هذا خليفة له . ولم يلق هذا الإختيار قبولاً من الأمراء ولا من أقارب

(١) يذكر صاحب تجارب السلف أن ولادته كانت في يوم الجمعة الخامس عشر من ذي القعدة سنة ٤٠٨هـ ، في نوقان طوسي ، ويرى معظم المؤرخين خاصّة العرب أن مولده كان يوم الجمعة الحادي والعشرين من ذي القعدة عام ٤٠٨هـ = ١٠ ابريل ١٠١٨م (المترجم)

(٢) أبو علي بن أحمد بن شاذان ، أحد عظماء خاوران من أعمال خراسان وزر لبني ـ سامان وطال عمره فوزر للآباء والأبناء. كان يحكم من قِبَل جغري (المترجم) (القزويني آثار البلاد وأخبار العباد ، جوتنجن ١٩٤٨م مادة خاوران).

طغرل . وكان من بين المعارضين أحد الأمراء في قزوين ، وخواجه نظام الملك وزير ألب أرسلان الإبن الآخر لجغرى . وقد اختارا ابن الأمير هذا بدلاً من أخيه وناديا به سلطاناً على البلاد . ولما أحسّ عميد الملك أن الغالبية تميل إلى ألب أرسلان نادى به سلطاناً في الري ، ونادى بسليمان ولياً لعهده . وثارقتلمش بن إسرائيل - عم والد ألب أرسلان - على هذا الوضع ، فهزمه ألب أرسلان وقتله بمساعدة الخواجة ، ودخل الري في ذي الحجة عام ٤٥٥ هـ وأعلن نفسه سلطاناً . ونُصِّب الخواجة وزيراً للسلاجقة في الثالث عشر من الشهر المذكور . بصفة رسمية ، ولُقِّب بنظام الملك .

وقد ورد في كتاب سياستنامه المنسوب للخواجة قوله : كان نظام الملك أول وزير وردت كلمة (المُلك) في لقبه ، فقد لقّبوه بـ (قوام الملك)[١]

ولا ندري كيف دخل هذا الأمر في متن سياست نامه . وهو بفرض صدوره عن الخواجه لا أساس له من الصحة على الإطلاق فبالإضافة إلى عميد الملك الكندري الذي يقترن لقبه بكلمة (الملك) . . كان أبو محمد الدهستاني - كما ذكرنا - يلقَّب هو الآخر بنظام الملك . كما سبقهما إلى ذلك أحد وزراء العراق المشهورين ، ونعني به أبا غالب محمد بن علي . . وزير الوزراء الذي كان يلقَّب بفخر الملك[٢] .
[48] وقد امتدح أبو علي أحمد بن محمد الرازي - مسكويه الحكيم المؤرخ المشهور (توفي ٤٢١هـ) في إحدى قصائده العربية شخصاً يُدعى عميد الملك[٣] .

ويبدو من أشعار المعزى أنه قد أطلق على الخواجة لقب (قوام الدين نظام الملك) ولقب (قوام المُلك نظام الدين) . ولما كان اللقب الأول قد غلب على اسمه فقد اشتهر به أكثر من سواه . وكان سلاطين السلاجقة يمنحون هذه الألقاب وأمثالها (قوام الدين نظام الملك ، قوام الملك ، نظام الدين) لأبناء الخواجة وأحفاده

(١) سياست نامه ، طبع باريس ، ص ١٣٧ .
(٢) أنظر: تتمة اليتيمة للثعالبي ، حـ ١ ص١٤ ، ٨١ ، ٨٣ ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٦٨ ، إبن الأثير ، وغيرها .
(٣) تتمة اليتيمة ، حـ ١ ص٩٧ .

ممن يشغلون منصب الوزارة، بل وكانوا يمنحونهم ألقاب الخواجة الأخرى أمثال صدر الإسلام وسيد الوزراء والخواجة الكبير . . بهدف إحياء ذكراه.

وهناك بعض أبيات للمعزى يذكر فيها ألقاب الخواجة . . ففي قصيدة مطلعها:

شدست باغ پراز رشته هاى در خوشاب
شدست راغ پر ازتوده هاى عنبر ناب

يقول هذا الشاعر:

ـ أضحى السراب بحراً بفضل سيل الربيع،
والبحر أضحى سراباً بفضل جود الخواجة المهاب . .
ـ غياث دولة السلطان ، قوام دين الرسول،
نظام ملك الدنيا، سيد أولى الألباب[1].

وفي قصيدة مطلعها:

تاطليسان سبزبر افكند جويبار ديباى هفت رنگ بپوشيد كوهسار

يقول المعزى:

ـ للخلق في كل عام ربيعان . .
للأول طابع وللثاني طابع، فهما مختلفان.
ـ طابع تحدثه ألطاف الله العادل . .
وطابع تحدثه مدائح وزير أكبر ملوك العصر والأوان . .
ـ العادل، قوام الملك الأتابك نظام الدين.
شمس الكفاة سيد سادات الزمان.
ـ الصدر الأجلّ خليفة السلطان،
حسن الذي من حسن خلقه حجة إحسان خالق الأكوان[2].

---

(١) همى زسيل بهارى شود سراب چو بحر چنانكه بحر شود پيش جود خواجه سراب
غياث دولت سلطان قوام دين رسول نظام ملك جهان سيد أولو الألباب

(٢) هرسال در جهان دو بهار است خلق را طبعى بهار أول وطبعى دگر بهار
طبعى بود لطايف يزدان دادگر طبعي بود مدايح دستور شهريار =

وفي قصيدته التي مطلعها:

كنـــون كـــه خور بـتـرازو رسيـد وآمـــدتـــير
شدنـــد راســـت شب وروز چون ترازو وتير

يقول المعزى:

[49] - ثمرة رمّان مشقوقة ، كشفت عن حبات حمراء ،
كفم أعداء الوزير يوم الهيجاء . .
- قوام الدين رضي المقتدي[1] أتابك الشاه
نظام الملك حسن ، سيد الصغير والكبير على السواء[2]

وفي قصيـدة له مطلعها:

چراهمـي بگزينـــي بر وصـــال فراق چراهمي زخراسان روى بسوى عراق

يقول المعزى:

- وفاؤك وحبّك يملآن روحي . .
كما يملأ عدل رضّي الخليفة[3] الآفاق .
- نظام ملك الملك ، سيد الوزراء . .
أبي علي حسن بن علي بن إسحاق[4]

وفي قصيدة للمعزى تبدأ بهذا المطلع :

زبـــاغ وراغ بآسيب لشـــكر تشرين گرفـت راه هزيمـــت سپــاه فروردين

= عادل قوام ملك اتـابـك نظـام دين شـــمـس الكفـــاة سيد سادات روزگار
صدر أجـل خليفـة سلطـان حـــن كه هست از حـــن خلـق حجـت احســان كردگار

(١) في عام ٤٧٩هـ سافر ملكشاه برفقة نظام الملك إلى بغداد لأول مرة ، وذلك في عهد المقتـدى (٤٦٧ - ٤٨٧هـ) .

(٢) كفيده نار ودرو دانـــه هاى سرخ پديد چـــو روز رزم دهـــان مخالفـــان وزير
قوام دين رضى مقتـدى أتابـك شاه نظـــام ملك حســـن سيد صغـــير وكبير

(٣) بناء على قول جامع وصايا نظام الملك فإن الألقاب : الوزير العاقل العالم العادل نظام الملك رضي أمير المؤمنين ، قد منحت للخواجه عام ذهابه مع ملكشا ه إلى بغداد وهو العام الذي حظى فيه السلطان بمصاهرة الخليفة .

(٤) وفاومهرتـــو برجـــان من مقيم شده است چنانـــكه عدل رضى خليفـــه در آفاق
نظـــام ملك خداونـــد سيد الـــوزراء - ابـــو علي حســـن بن علي بن اسحاق

يقـــول:

- كي تنشد الاشجار في عيد الحب بذاك اللسان . .
مدحاً في حق وزير مَلِك بلاد السلجوقيين . .
- نظام الملك رضي الخليفة شمس الكفاة . .
غياث الدولة والصدر الأجل قوام الديـن
- أبو علي حسن ذلك الصاحب الذي يكفي روح صاحبه . .
أن تركن إليه يوم القيامة فتجد من حبه ما يعين[1] .

ويجمع المؤرخون على أن مصرع نظام الملك كان في غرب إيران بين همدان وكرمانشاهان (في حدود نهاوند وبروجرد) وذلك في العاشر من رمضان عام ٤٨٥هـ ، وكان عمره آنذام ٧٥ أو ٧٧عاماً . وقد تمّ الأمر على يد إسماعيلي يرتدي [50] زي الصوفية كان قد تقدّم إليه بحجّة تقديم شكوى مكتوبة . وكانت العلاقة بين نظام الملك وملكشاه يسودها الكدر منذ فترة نتيجة وشايات قام بها بعض أصحاب الديوان ، أمثال : أبي الغنايم تاج الملك مرزبان بن خسرو فيروز الشيرازي رئيس ديوان رسائل ملكشاه ، وسيد الملك عارض الجند ، وعميد الدولة وزير فارس .

وحمل أصحاب نظام الملك جثته إلى أصفهـان ، ودفنـوه في محلـة كران في موضع جميل رائع قرب مجرى مائي كبير . ويطلق الأصفهانيون على ضريحه اسم « تربت نظام »[1] .

(١) زبهـر آنـكه درختـان بدان زبـان خوانند بجشـن مهـر مديح وزير شاه زمين
نظـام ملك رضي خليفـه شمس كفاة غياث دولـت وصـدر أجـل قوام دين
أبـو علي حسـن آن صاحبـى كه در عقبى روان صاحـب كافي بمهـر أوسـت رهين

(١) من أراد الإطلاع على كل ما يتعلّق بمصرع نظام الملك، عليه أن يرجع إلى: تجارب السلف، ص ٢٨٠ - ٢٨١ ؛ الحواشي لتي بآخر الجزء الثالث من جهانگشاي جويني - من وضع ميرزا محمد خان القزويني ؛ السبكي الطبقات حـ ٢ ص ١٢٥ - ١٤٥ ؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان حـ ١ ص ٣٩٥؛ ياقوت: معجم البلدان حـ ٧ ص ٩١٩؛ المنتظم، حوادث ٤٨٥؛ الكامل، حوادث ٤٨٥هـ ؛ إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ١٢١ ؛الذهبي :دول الإسلام حـ ٢ ص٩، ١٠؛ إبن العبري: مختصر الدول (٤٨٥هـ)؛ إبن خلدون: العبر (٤٨٥هـ)؛ سرگذشت سيدنا =
اسماعيلي جزيرة هرات سنه ٩٤٥٦

وفي قصيدة للمعزى في مدح خواجه أبي المحاسن شهاب الإسلام عبد الرزاق بن عبدالله بن إسحق ، ابن أخي خواجه نظام الملك ، الذي وزر لسنجر عام ٥١١هـ ، يقول الشاعر :

ـ قال عمّه صدر الوزراء بفراسته :
إن عبد الرزاق فخر قومه وتاج أسرته .
ـ وقد تحققت فراسته وبدت في منجزات الأعمال ،
وتحقق منذ البداية ما جرى على لسان الشيخ المبارك من أقوال .

ـ يا ريح الشمال المحمّلة برائحة العنبر يا من تسرعين ،
ومن مدينة بلخ إلى نيشابور تسيرين وتعبرين . .
ـ قولي له بلساننا ، وخاطبي الصدر الفقيد :
إفتح عينيك ، وارفع رأسك لحظة من تراب قبرك السعيد .
ـ لترى ابنك ونور عينك وبهجة الأنظار . .
في حضرة سلطان العالم ذي الجاه والقدر والاقتدار .
ـ يتبختر في منصب الإمامة مرتدياً لباس الحشمة والوقار ،
ويسير في وزارته على بساط الافتخار.[1]

وتدل هذه القطعة صراحة ـ إن لم أكن مخطئاً ـ على أن خواجة نظام الملك كان مدفوناً في (خواب خوش) في نيشابور عند تعيين عبد الرزاق وزيراً لسنجر عام

= ص١٧ ، ١٨ ؛ حبيب السير، ص٢٥ ؛ دولتشاه: تذكرة الشعراء ص٩٤؛ تاريخ گزيده ص٤٤٨ ؛ ابن الجوزي حوادث ٤٧٦هـ حـ ٩ ص٦؛ السلاجقة في التاريخ والحضارة ص٤٤؛ النار تتكلم ص ١٩١ . (المترجم)

(١) عم أو صدر وزيران از فراست گفته بود — عبد رزاق است فخر دوده وتاج تبار
اين فراست بين كه در فرجام كام آمد پديد — آنچه آن پير مبارك گفت در آغازكار
اى شمال مشك بو اى رهنورد زود رو — چون ز شهر بلخ باشد برنشابورت گذار
اى زبان بندگان آن صدر ماضى رابگو — چشم بگشا وز خواب خوش زمانى سر برآر
تابينى پور خويش ونور چشم خويش را — پيش سلطان جهان باجاه وقدر واقتدار
هم خرامان در إمامات در لباس احتشام — هم گرازان در وزارت بربساط افتخار

٥١٧هـ ، أي أن قبره كان في تلك المدينة بعد ست وعشرين سنة من موته . . إذ المعروف أن تلك المدينة كانت مسقط رأس أسرته . . بينما صاحب تجارب السلف يصرِّح بأن قبر الخواجة في أصفهان.

ونحن نجد أنفسنا إزاء ذلك أمام أمرين ، إما أن نقول إن (نيشابور) الواردة في نسخ ديوان المعزى (والتي توجد منها نسختان في حوزتي) قد وردت خطأ وأن صحتها « صفا هان » . . أو أن نقول إن جثة الخواجة قد نقلت بعد مدة إلى نيشابور ، ودفنت في مقابر الأسرة . وعلى أية حال ، فإن هذه المشكلة قائمة وتحتاج إلى دراسة أكثر دقة . . لا تتيسَّر لي الآن.

[51] وبعد قتل الخواجه ، توجه ملكشاه إلى بغداد واختار للوزارة تاج الملك أبا الغنائم ليحلّ محلّ الخواجة . لكن السلطان لقي مصرعه في بغداد في شهر شوال من علم ٤٨٥هـ قبل إجراء مراسم جلوس الخواجة الجديد في منصب الوزارة[1] .

ويرى معظم المؤرخين (أمثال ابن الأثير[2] ، وصاحب تجارب السلف) أنه مات متأثراً بالحمى إثر استحمامه عقب فراغه من الصيد ، لكن المؤرخين القريبي العهد بفترة حكمه يرجعون موته إلى سم دسّ له في الشراب . ففي الكتاب الفارسي مجمل التواريخ ـ المؤلف علم ٥٢٠هـ في عهد السلطان سنجر ـ يقول المؤلف: « يقال إنهم أعطوه دواء »[3]. ويقول أبو الحسن البيهقي: « أعطوه سماً بيد أحد الخدم ، وكان السم من شحم أرنب بحري »[4] .

ولو صحت هذه المسألة[5] لما كان من المستبعد أن يكون هذا الأمر قد تمّ على

(١) مات ملكشاه ميتة غامضة عقب وصوله بغداد وإعلانه نواياه تجاه الخليفة ، وفي نفس اليوم الذي حدّده للاحتفال بتوليه تاج الملك وزيراً له ، ودفن دون أن يُصلّ عليه (المترجم).

(٢) الأمر على العكس ، فابن الأثير يرى أنه مات مقتولاً بعد نظام الملك بثلاثة وثلاثين يوما (حوادث ٤٨٥هـ) (المترجم).

(٣) صورة من نسخة باريس الورقة ٢٦٦ .

(٤) صورة من نسخة لندن، الورقة ٤٣ب .

(٥) يمثل البنداري الطائفة التي ترجح أنه مات ميتة طبيعية (تاريخ آل سلجوق ، مصر ، ص٥٨). وإني =

يد النظامية أي غلمان الخواجة وخدمه الذين أغضبهم قتل مخدومهم وإهمال السلطان له ، واختياره تاج الملك للوزارة .

وقد تسبّب موت السلطان في إعاقة تاج الملك عن تولي منصب الصدارة . وعندما أسندت إليه تركان خاتون ـ زوجة السلطان ـ هذا المنصب . . هاجمه النظامية ومزقوا جسده إربا إربا ، ونصبوا بركيا رق ـ إبن السلطان ـ سلطاناً ، وأسندوا الوزارة لعز الملك[1] أحد أبناء الخواجة . ولمّا كان عامة الناس قد آلمهم قتل الخواجة . . ولمّا كان زمام الأمور قد بات في يد سلطان جديد وأعوان جدد . . فقد اعتبروا ملكشاه مسئولاً إلى حدٍ ما ، ولهذا لم يؤثر فيهم موته على النحو المفروض . وفي ذلك يقول المعزى أمير الشعراء ، وشاعر الدولة في صراحة :

ـ لقد طوى الوزير والملك رايتهما ، وابتعدا عن دنيانا ،
فلم تحلّ بنا مصيبة أكبر من هذه وأعظم .
ـ لقد كان يكفي القلب مانا له من جراح بموت مليكه . .
لو لم يسبق موت المليك مصرع الوزير . . ويتقدم .[2]

ويقول مؤلف تجارب السلف « جاءت وفاة السلطان بعد وفاة الخواجة فأفقدها ذلك عظيم قدرها في نظر الناس[3] .

وتبلغ المدة الفاصلة ما بين موت نظام الملك (العاشر من رمضان ٤٨٥هـ)

= أرجّح وفاته مقتولاً مستنداً لبيت ورد في ديوان الأنوري شاعر السلطان سنجر ، يمتدح فيه ملكشاه بن سنجر بن ملكشاه . .أحد عظماء عصره :

ـ إذا كان مأتم سنجر قد جدّد ذكرى قتل ملكشاه
فإنك عيد ذلك المأتم وفرحه . . أيها المعظم ملكشاه .

ويعزز رأيي أن ولادة الأنوري كانت عقب مصرع ملكشاه بسنوات قليلة (٤٩٢هـ) طبقاً لما اثبتُّه في رسالتي للدكتوراه . (المترجم) .

(١) عز الملك حسين (المترجم) .

(٢) دستور وشهنشه ازجهان رايت خويش ... بردند ومصيبتي نيامد زين بيش
بس دل كه شدى زمرگ شاهنشه ريش ... گركشتن دستور نبودى درپيش

(٣) تجارب السلف ، ص ٢٨١

[52] وموت ملكشاه (١٥ شوال من نفس العلم) ٤٣ يوماً أو خمسة وأربعين يوماً[١]. غير أن صاحب تجارب السلف يرى أنها تقلّ عن شهر ويرى البيهقي - صاحب تاريخ بيهق أنها تقل عن ٤٠ يوماً ، ويؤكد عماد الكاتب أنها ٣٣ يوماً[٢] .

ويقول المعزى في رثاء ملكشاه :

- هان أمر الدولة وتعرَّضت مصلحة الشعب للخطر . .
حين فقدت الدولة وشعبها الملك العادل .
- صعب أن يقاس أثر هذه الحادثة في الشرق والغرب ،
وإن لها في البحر والبر لدويّها الهائل .
- قال الناس هاج شوال وماج واعجباه . .
ففَهِم المقصودَ ذوو القلوب الواهلة ممن يدركون هذه المسائل .
- والآن عرف المقصودُ وما يحويه في طياته من شرور . .
فموت الشاه في شوال قد أورث المُلك والدولة الاضطراب .
- لقد انتقل الوزير الشيخ إلى الفردوس الأعلى في شهر . .
وفي الشهر التالي لحق به ملكنا الشاب . .
- فهاجت الدنيا وعمّها الشرّ بذهاب وزير الشاه ،
ولا يدري أحد إلى أي حد سيبلغ الهياج والشر .
- ما كان لخبير قط أن يتوقّع هذه البلايا ،
وما كانت لتخطر في ذهن عالم من علماء البشر .
- لقد كشفت قوة الله فجأة عن عجز السلطان .
فتأمَّل قوة الله وانظر عجز السلطان .
- واأسفاه ، فذهاب مثل هذا الملك وهذا الوزير من دنيانا . .

(١) واضح من التاريخين اللذين ذكرهما المؤلف أن المدّة الفاصلة كانت ٣٥ يوماً ،ومع ذلك فإنّه يقول صراحة أنها ٤٣ أو ٤٥ يوماً ، وهذا خطأ .
(٢) عماد الكاتب ، ص ٦٢ .

قد سلب منها الحسن فجأة وأضاع الهيلمان.[1]

وهذه مرثيته التي نظمها في حق الخواجه:

ـ كيف يمكن القول بأن مُلك المَلِك قد فقد النظام،

وأن دين الرسول أضحى بلا عماد أو قوام.

ـ كيف يمكن القول بأن صدر الوزراء واراه الثرى،

وأن بدر الأرض يستره الغمام.

ـ قد ألانت قدرة الله من ألان الدهر ومهَّده،

وروَّضت عجلة الفلك من ساس الحظ وروَّضه.

ـ وانعدم العالم في لحظة ولزم مكانه وأقلم،

وبليت الأمة في لحظة وتوقفت عندما بلغته من مقام.

ـ أصبح صيد العالم من كان يصطاد العالم،

---

(1)

شغـل دولـت بي خطـر شد كارملـت باخطر

تانهـي شد دولـت وملـت زشـاه دادگر

مشـكل اسـت انـدازهٔ اين حادثـة در شرق وغرب

هايل است آوازهٔ اين واقعة در بحـر وبر.

مردمـان گفتنـد شوريده اسـت شوال اى عجـب

بود ازين معنـى دل معنـى شناسـان را خبر

شر اين معنى كنون معلوم شد از مرگ شاه

ملك ودولـت درمـه شوال شد زير وزير

رفـت دريك مه بفـردوس برين دستـور پير

شـاه برنـا از پس او رفـت در ماهـى دگر

شد جهان پرشور وشر از رفتن دستور شاه

كس نداند تاكجا خواهد رسيد اين شور وشر

اين بلاهـا هيچ زيرك رانبـد انـدر ضميـر

وين حوادث هيچ دانـا را نبـد انـدر فكر

كرد ناگه قهـر يزدان عجـز سلطـان آشكار

قهـر يزدانـى ببين وعجـز سلطـان در نگر

اى دريغا اين چنين شاه ووزيرى اين چنين

چون برفتنـد از جهـان ناگاه با آن زيب وفر

وصار في حلق العدوّ من كان العدوّ في حلقه.
- لقد نصب صيّاد الأجل شبكة في طريق بغداد..
فوقع الصيد الثمين في شبكة الصياد.
- ذاك الذي كان القلم في بنانه كالحسام.
- ذاك الذي حار الخصوم في رسالته وعجزوا عن محاكاتها..
أصابه العجز حين بلغت روحه رسالة الموت والحِمام.
- يا دنيانا يا من عدمت الوفاء، لقد جوّزت للبصر الآلام..
مذ أجزت أن يكون التطلّع إلى نور وجهه حرام.
- لقد سللت سيف الحقد من غمده لإهلاك ذاك الذي..
نشر العدل في دولته.. والسيف في غمده قد نام
- كان حلمه ترابا وجوده ماء.. وفي ظل الحزن عليه..
صار التراب يغطي مفرق الكفاة، والماء في عين الكرام.
[53] - لا يمكن للخلق قياس ما جرى بقياس الواقع،
وها هم يرون هذه العجائب، وكأنهم يرونها في المنام.
- يا وزير ملك العالم لقد حملت من العالم العِلم،
يا قوام الدين، لقد حجبك الستار عنا إلى يوم الزحام.
- يا من بأمرك ونهيك قيدت الدنيا وكبحت جماحها،
لقد كبح عزرائيل جماح عمرك فجأة وألبسه اللجام.
- الوزارة على بساط العزاء حزينة عليك،
والكفاءة تبكي غيابك.. ترتدي ثوب الإحتشام.
- ما من سرو في حديقة الظفر يماثل سروك طولا،
ولا يشرق في فلك الفضل كإشراقتك.. قمر التمام
- لقد عقد الموت حول ملكك حلقة نواح وبكاء،
وقد شملت هذه الحلقة الأنام، واستوعبت ملك الأنـام.
- إن من كان يطلق لسانه دائماً بمدحك،

قد جفّ حلقه بتأثير نار الهجر ، وأعجزته المصيبة عن الكلام .

- لقد بكاك في حسرة وألم لا حدّ لهما . .

أناس فيهم الولد والقريب والغـلام

- أناس يجمعون بين صفتي الزعفران والنيلة ؛

فوجوههم صفراء وشفاهم زرقاء يعلوها القتام .

- إن يكن عمرك في الدنيا قد انتهى ولم يكتب له الدوام ،

فسيبقى ذكر آثارك إلى يوم الحشر ويخلد بين الأنام .

- عليك التحية من حملة العرش المجيد ،

ولروحك السلام من خزنة دار السلام

- لقد مزّقت الحسرة ثوب صبر المعزى . .

ألهمه الله السلوان ما دامت الدنيا، وكتب له الصبر حي لا ينام .[1]

---

(١) النص الفارسي :

کی توان گفتن که شد ملك شهنشه بی نظام
کی توان گفتن که شد دین پیمبری قوام

کی توان گفتن که شد صدر وزیران در زمین
کی توان گفتن که شد بدر زمین زیر غمام

قهر یزدان نرم کرد آنرا که بودش دهر نرم
چرخ گردون رام کرد آنراکه بودش بخت رام

عالمی دریك زمان معدوم شد دریك مكان
امتی دریك نفس مدروس شد دریك مقام

شد شکار عالم آن کوکرد عالم را شکار
شد بکام دشمن آن کودید دشمن را بکام

دره بغداد صیاد اجل دامی نهاد
بس شگرف ومحتشم صیدی در افتادش بدام

آنکه بودی چون حسام اندر بنان أو قلم
خون همی گرید قلم در فرقت او چون حسام

آنگه خصمان در پیام أو همی عاجز شدند
گشت عاجز چون بجان او زمرگ آمد پیام =

إن شرح[1] آثار خواجه نظام الملك ، وذكر محامده ، والكلام حول المنشئات الخيرية التي أنشأها،[2] والمدارس النظامية التي أسسها[3]، ودور الكتب التي

= أي جهان بي وفا رنج بصر كردي حلال | تافروغ طلعت او بر بصر كردي حرام
آنكه تيغ عدل كرد اندر نيام دولتش | تيغ كين اندر هلاكش بركشيدي از نيام
بود حلمش خاك وجودش آب وهست اندرغمش | خاك بر فوق كفات وآب در جشم كرام
راست پنداري خلايق درنيامند ازقياس | وين شگفتيها همي بينند گوئي درنيام
اي وزير شاه عالم بردي از عالم علم | وي قوام دين شده در پرده تاروز قيام
أي بامر ونهي كرده برسر گيتي فسار | كرده عزرائيل ناگه برسر عمرت لگام
شد وزارت برتو گريان برساط تعزيت | شد كفايت بي توگريان در لباس احتشام
نه ببالدجون تودر باغ ظفر سروي بلند | نه بتايد چون تودر چرخ هنرماهي تمام
مرگ توپرگار شيون گردملك اندر كشيد | هم انام است اندرين پرگار وهم شاه أنام
آنكه پيوسته بمدح توزيان برداشتي | خشك دارد برمصيبت ز آتش هجر توكام
بادريغ وحسرت تودر غريو أفتاده أند | بي نهايت خلق أزفرزند وپيوند وغلام
زعفران ونيل بودستند گويي كزصفت | رويشان مر زعفران گون است ولبهانيل فام
گرنبود اندازة عمرت مدام اندرجهان | ذكر آثار توخواهد بود تاحشر مدام
باد شخصت رانثار از حامل عرش مجيد | باد روحت راسلام ازخازن دار السلام
دست حسرت جامة صبر معزي چاك كرد | تاجهاني را معزا كرد حي لا ينام

(١) لنظام الملك أكثر من مؤلف قيم أمثال: «سياستنامه» المؤلف في عام ٤٨٤هـ = ١٠٩١م، والوصايا الذي جمعه أحد أحفاده من بطون الكتب في القرن التاسع الهجري . . وقد يسمى باسم پند نامه أو دستور الوزراء أو النصيحة . كما ترك نظام الملك عدداً من الرسائل حفظتها لنا كتب التراجم وأمهات المصادر ، وترك عدداً من مجالس إملائه . كما ينسب اليه كتاب بعنوان «سفرنامه» وهو في أدب الرحلات، ؛ ولكن لا يمكن الجزم بأنه من مؤلفاته، كما أنه قد فقد. ويمكن الرجوع إلى كتاب «النار تتكلم» (ص ١٨٦ ـ ١٩٠) لمعرفة الكثير حول مؤلفاته ومحتوياتها (المترجم).

(٢) كان جواداً سخياً يغدق الأموال على كل ذي حاجة ، ويجري رزقه على إثني عشر ألف إنسان ، وينفق في سبيل ذلك ما يربو على ستمائة ألف مثقال من الذهب يأخذها من أموال الدولة ، إلى جانب ما ينفقه من أمواله هو ومحصولات غلاله (ذيل تاريخ دمشق ، ص١٤٠ ؛ النهرواني: الأعلام في أعلام بيت الله الحرام ، طبع القاهرة ص١٧٥) وكان المتصوفة أكبر الناس حظوة لديه ، وأكثرهم نيلاً لعطائه وإفادة من سخائه . (إبن الجوزي: المنتظم ـ حوادث ٤٨٥هـ) . (المترجم) .

(٣) أسس أثناء الوزارة مدارس في أمهات المدن وحواضر الأمصار عرفت بالمدارس النظامية ، وحرص على أن يقوم بالتدريس فيها الشافعية من الأشعرية ، وقد خرّجت العديد من رجال الفكر . ومن أقدم هذه المدارس وأهمها : نظامية بغداد، ونظامية نيشابور ، ونظامية أصبهان ، ونظامية مرو ، ونظامية عسكر مكرم ، ونظامية البصرة ، ونظامية الموصل وهراة وبلخ وآمل وطوس . وقد أدت =

بناها[1] والمدائح التي نظمها الشعراء من أجله ، والكتب التي أُلّفت باسمه[2] يمكن أن تشكّل موضوع رسالة مستقلة . وهذان البيتان للمعزى شاهدا صدق على حاله في حياته ، ففيهما يقول :

- كلما صدر عن أرباب الشعر والأدب كلام كأنه الشهد المذاب . .
كنت أنت مصنّف الشعر ومؤلف الآداب .
- فهم يجعلون من ثنائك افتتاحية للكلام . .
ويجعلون من مديحك استهلالا ومقدّمة للكتاب .[3]

وتزخردمية القصر للباخرزي وخريدة القصر لعماد الكاتب بمدائح الخواجة وذكر مادحيه . وقد جمع « أبو عامر فضل بن إسماعيل الجرجاني » مدائح الخواجة كلها في كتاب أسماه (قلائد الشرف) .

***

= الغرض من إنشائها ، وإن أُخِذ عليها الخضوع للسياسة وللمذهبين الشافعي والأشعري . لمعرفة الكثير حول هذا الموضوع إرجع إلى : النار تتكلم ص ١٧٤ - ١٧٧ ، طبقات السبكي حـ ٢ ص٧١ - ٧٥ ؛ أبو بكر الطرطوشي : سراج الملوك ، مصر ١٣٠٦هـ ، ص ٢٣٩ ؛ عبد الهادى محبوبة (دكتور) : الوزارة ونظام الملك الوزير السلجوقي ، رسالة دكتوراه ، قدّمت لآداب القاهرة عام ١٩٥٩م . (المترجم)

(١) كانت هناك خزائن للكتب تابعة للمدارس النظامية بها مخطوطات ومؤلفات نادرة ، ولها خزنة وموظفون . أنظر : القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، نشر وستنفلد ، جوتنجن ١٩٤٨ ص٢٢٧ ؛ هندوشاه : تجارب السلف ، طهران ، ملحق شيفر ص ٣٢٤

(٢) الطبقات ، حـ ٣ ص١٣٥ ، ١٣٧ .

(٣) زاهل شعر وادب هركجا نكوسخنى است / توبى مصنف شعر ومؤلف آداب
همى كنند ثناى توافتتاح كلام / همى كنند مديح توابتداى كلام

بقية وزراء الديوان وعمّاله

[54]

٢ ـ عماد الدين أبو سعد شرف الملك محمد بن منصور بن محمد الخــوارزمي

(صاحب ديوان الاستيفاء ـ وفاته في عام ٤٩٤ هـ)

شَغَل الخواجة عماد الدين أبو سعد شرف الملك محمد بن منصور المستوفى الخوارزمي منصب الإستيفاء منذ عهد السلطان ألب أرسلان . . مرؤوساً لخواجة نظام الملك . وهو من أشهر وزراء السلاجقة حسباً ونسباً ، ومن أكثرهم كرماً وخيراً وفضلاً وثروة . ويقال إنه كان يمتلك ثلاثمائة وستين رداء يلبس في كل يوم أحدها بحيث يكون متناسباً مع الأيام وفصول العام . وإذا أهدى إحداً أو خلع عليه ، أعدّ خازنه بديلاً لما أعطاه ووضع الجديد في خزانة الثياب .

وفي الثاني عشر من صفر عام ٤٥٩ هـ ، أوفد ألب أرسلان شرف الملك المستوفى إلى الخليفة في بغداد ، حيث أهدى له مصحفاً نفيساً وياقوتة حمراء ، وسلّمه رسالة السلطان . ورأى أنه قد بدىء في بناء مدرسة نظامية ببغداد بناء على أمر نظام الملك فأصدر أمره بتشييد بناء على ضريح أبي حنيفة وبناء مدرسة لأصحاب ذلك الإمام في محلة باب الطاق .

وقد كتب الشريف أبو جعفر البياضي هذين البيتين على لافته تعلو باب المدرسة :

ألـم تر هذا العلـم كان مشتتـاً فجمّعــه هذا المغيّب في اللحـد

كذلك كانــت هذه الأرض ميتــة فأنشرهـا فضـل العميد أبــي سعد[1]

وبقي شرف الملك في منصب الاستيفاء إلى ما بعد وفاة ألب أرسلان ، وكان مؤيداً لنظام الملك ومعيناً له ، لكنه استقال من منصبه قبل مقتل الخواجه وموت السلطان بفترة ، ودفع مائة ألف دينار كي يعفيه السلطان من الخدمة وقـد توفي شرف الملك في أصفهان عام ٤٩٤هـ .[2] [55]

وقد بنى (بالإضافة إلى قبر أبي حنيفة ومدرسة باب الطاق) مدرسة أخرى للحنفيين في مرو . وكان أبـو الفضـل أسعــد بن محمــد بن موسى براوستانــي (بلاساني) القمي[3] يشغل منصب النائب لشرف الملك في ديوان الاستيفاء . وقد لقب ـ بعد شرف الملك الخوارزمي ـ بمجد الملك،كما احتل منصب أستاذه في ديوان الاستيفاء. وسوف نتحدث عن حياة مجد الملك عند حديثنا عن وزراء بركيارق .

وكان شرف الملك المستوفى ممدوح أمير الشعراء المعزى ، وقد امتدحه مراراً في ديوانه . وفي قصيدة مطلعها:

گــل ومــه اســت همــان شكفته عارض يــار
كه گونـه گل ونــور مهش بود همــوار

يقول المعزّي مادحاً ومطالباً بسداد قرضه:

ـ وسوسة العشق صعبة على قلبي ، وتتعبني الأفكار. .
لكن كيف يشفى من الوسوسة قلبي ويهجر الأفكار؟
ـ وكيف تعرف الوسوسة طريقها إلى قلبٍ. .
يحوى داخله مدح سيد الأبرار؟

---

(١) عمـاد، ص٣٢، ٣٣

(٢) الكامـل ٤٩٤هـ .

(٣) النائب الأول لشرف الملك أبو غالب حسن بن موسى براوستاني القمى (عماد، ص ٦٠، الدمية، ص ١٠٥). وقد احتلّ ذلك المنصب ونال ذلك اللقب من بعده نجيب جرفادقاني، ومن بعـده مجد الملك.

- عماد الدين شرف الملك الذي بفضل شمائله . .

دائماً ما يسطع دين محمد المختار.

- إنه سر السعادة أبو السعد، الذي بفضل كفايته . .

يزداد مديحنا لملك الملوك الصيد الكبار.

- إني أعيش في جواره دون بقية الشعراء . .

فاكتب لي اللهم في جواره السعيد العزّة . . لا الهوان والصغار.

- أصبح لي من طبعي في مدحك صدف . .

أصنع منه دراً ملكياً أنثره على الحضّار.

- ينوء ظهري ورقبتي بجمل منتك فلا تسمح بأن أحمّلها قرضاً يرهقها ليل نهار.

- كنت مديناً بستمائة دينار تقريباً ،

فتمكَّنت من سداد أربعمائة دينـار .

- والآن بقيت مائتا دينار . . يجب سدادها،

[56] ولا يترك لي الغم والألم ذرة صبر، أو يقر لي قرار.

- فإذا سارت أموري على هذا النحو . .

فما لزوم الحديث عن الخمسمائة أو الألف دينار؟[1]

---

(١) اگرچـه وسوسـه بردل زعشـق دارم صعـب
دلـم زوسوسـه عشـق كى خورد تيمـار

چگونـه راه برد وسوسـه بسـوى دلى
كه حـرز خويش كنـد مـدح سيد أبـرار

عماد دين شرف الملك كزشـمـايـل أو
همـى فروزد دين محمـد مختار

سر سعـاده أبـو سعـد كز كفـايـت أو
همـى فزايـد مدح شه ملـوك شكـار

زشاعـران منـم أنـدر جـوار خدمـت أو
عـزيز دار مرا انـدرين خجسته جـوار

صدف شده اسـت مرا طبـع درستـايش تـو
همـى كنـم زصـدف در شاهـوار نثـار

كما توجد قصيدة أخرى غراء نظمها الأبيوردي في مدح شرف الملك ، يمكن الرجوع إليها في ديوانه (ص ٢٠)[1]



چوپشت وگردن من زيربار منت تست

روا مداركه بروى زقرض دارم بار

قريب ششصد دينار قرض بود مرا

گزاردم بتحمل چهار صد دينار

دويست دينار اكنون بماند وازغم ورنج

نمانده است مرا ذره اى شكيب وقرار

بدين قدر چوهمى كار من تمام شود

سخن چه بايدگفتن زپانصد وز هزار

(١) أنظر: ديوان ابيوردى، ص ٢٠ .

[57] ٣ ـ أبو الرضا فضل الله بن محمد كمال الدولة بن أبي نصر المتاح بن القاضي أحمد الزوزني

(صاحب ديوان الإنشاء والإشراف حتى عام ٤٧٦هـ)

كان كمال الدولة أبو الرضا فضل الله بن محمد ، وأبوه الشيخ أبو نصر المتاح ، وجدّه القاضي أحمد بن محمد ، وابنه كمال الدولة . . ونعني به سيد الرؤساء أبا المحاسن معين الملك محمد . . كلهم رجال شعر وأدب وترسّل وبلاغه. وكان جد كمال الدولة ـ أي القاضي احمد بن محمد ـ من كبار شعراء العصر وكتّابه ، وله ديوان شعر استشهد الباخرزي بالعديد من أبياته في كتابة دمية القصر . وهذه اربعة أبيات من نظمه كتبها لابنه أبي نصر والد كمال الدولة :

سلام وريحان وروح وراحة | على ولدي المرضيِّ عندي أبي نصر
تذكرني الأيام طلعة وجهه | وتمنعني عما أريد . . سوى الذكر
فيا ليتني ألقى صباحاً طلوعه | وغسي ونغدو سالمين من الهجر
فيا ليتني أحيى إلى وقت عوده | ويا ليته يحيى إلى آخر الدهر

وقد ردّ الشيخ أبو نصر على والده بقوله :

لعمر أبي إني كتبت وأدمعي | تسيل وتمحو ما أنمّق من صدري
وما كنت أدري قبل ذلك ما النوى | فأدرتني الأيام ما كنت لا أدري
ولكنني أرجو بيمن دعائه | من الله صنعاً يستقيم به أمري

ومن أشعار هذا القاضي ـ أحمد بن محمد ـ الموجّهة لكمال الدولة :

سقى الله أياماً لنا ولياليا | أعانق فيها جيد حالي خاليا

لقـد كنّ في صدر الزمـان بحسنها | صـدارا وفي سلك الليالي لئاليا
وكنّ لوجـه الدهـر خالا فأقبلت | حـوادث ردّتـه عن الخـال خاليا
تصرّمـت الأيام إلاّ تذكّرا | لبهجـة أيام مضـين خواليا
[58] وهذا صنيع الدهر بين أولي النهى | إذا لم يكلفهـم قلى فتقاليـا
عليّ زمـان ليس لي ليتنـي أرى | طلـوع زمـان لا عليّ ولاليـا[1]

وكان ابن القاضي أحمد ـ ونعني به الشيخ أبا نصر ـ أديباً وراوية أشعار، وقد نقل الباخرزي أشعار بعض الشعراء السابقين على عهده عن طريقه[2]

وظل كمال الدولة يعمل في ديوان الرسائل والإنشـاء حتـى عام ٤٧٦هـ ، وكان ابنه سيد الرؤساء أبو المحاسن معين الملك محمـد ينـوب عنـه . وكان سيد الرؤساء هذا أحد الكتبة المهرة في فارس ، ويرى صاحب چهار مقاله[3] أنـه من الواجب على كل كاتب أن يطالع مجالسه إلى جانب مجالس شرف الملك المستوفى . وكان أيضاً من ندماء ملكشاه وأحد المقرّبين إليه وكان السلطان يأنس إليه كثيراً ، أما خواجه نظام الملك فكان يفخر بشرف مصاهرته .

وقد اتّهم كمال الدولة وسيد الرؤساء (عام ٤٧٦هـ) بعدائهما للخواجة ؛ فسمل السلطان عيني سيد الرؤساء، ولجأ كمال الدولة خائفاً الى نظام الملك . . ومن يومها فقد الأب والابن منزلتيهما تماماً ، وأسند السلطان مهمتيهما في وزارة الرسائل إلى الخواجة شهاب الدين أبي بكر عبيدالله مؤيد الملك بن خواجه نظـام الملك . واختار مؤيد الملك ـ في البداية ـ أبا إسماعيل الطغـرائي نائباً عنه ، ثم عهد بتلك

(١) دمية القصر (النسخة الخطية المملوكة للكاتب، ص ٣٣٣ ـ ٣٣٤) .
(٢) المرجع السابق، ص ١٤٢ .
(٣) هو أحمد بن عمر بن علي النظامي العروضي السمرقندي، وقد طبع كتابه (چهار مقاله) عدة مرات لأهميتـه: في بمبـاي (١٣٢١هـ = ١٩٠٣م، ١٣٢٤هـ = ١٩٠٦م) وفي ليدن (١٣٢٧هـ = ١٩٠٩م)، وفي طهران (١٣١١هـ). وقد ترجمه إلى العربية الدكتوران عزام والخشـاب، وطبعـا الترجمة في القاهرة عام ١٩٤٨م. (المترجم).

المهمة ـ بناء على أمر السلطان ـ إلى واحد من كتّاب الرسائل المهرة التابعين لكمال الدولة ونعني به الأديب أبا جعفر محمد بن أحمد الزوزني . وقد تولىّ الأديب أبو جعفر الزوزني رياسة ديوان الرسائل السلطانية بعد استقالة مؤيد الملك ، واستقلّ بهذا المنصب ، ولُقِّب بكمال الملك كما سنرى . ثم تولىّ هذا المنصب ـ بعد كمال الملك ـ تاج الملك أبو الغنايم مرزبان الشيرازي ، وظل يشغل هذا المنصب حتى وفاة ملكشاه[1]

وبناء عليه ، فإن وزراء ديوان الرسائل في عهد ملكشاه هم على الترتيب:

١ ـ كمال الدولة أبو الرضا.

[59] ونائبه هو ولده سيد الرؤساء أبو المحاسن معين الملك[2]

٢ ـ أبو بكر عبيد الله مؤيد الملك[3]

وكان نائبه في البداية هو أبو اسماعيل الطغـرائي ، ثم تلاه الأديب أبو جعفر الزوزني.

٣ ـ كمال الملك أبو جعفر محمد بن أحمد مختار الزوزنى[4] .

٤ ـ تاج الملك أبو الغنايم مرزبان خسرو فيروز الشيرازي.

ونائبه كيا مجير الدولة أبو الفتح علي بن حسين الأردستاني[4] . وقد ظل أبو الغنائم في وظيفته إلى أن توفي ملكشاه.

وكان كمال الدولة وابنه سيد الرؤساء من مشجعي الشعراء والأدباء ، وقد

---

(١) تولىّ الوزارة فترة قصيرة لملكشاه بعد وفاة نظام الملك ، كما وزر لمحمود حين اعترف المقتدى به سلطاناً عام ٤٨٥هـ = ١٠٩٢م. وقد قتله النظامية لموقفه المعادي لسيّدهم في حياة ملكشاه . وكان مصرعه في بروجرد عام ٤٨٦هـ = ١٠٩٣م (المترجم).

(٢) كان لكمال الدولة نائب آخر في ديوان الرسائل إسمه أبو الحسن علي بن يحيى ، وقد ذكره الباخرزي في الدمية ص ٢٣٨ .

(٣) سوف نتحدث عنه عند حديثنا عن وزراء السلطان محمد.

(٤) سوف يرد الحديث عنه فيما بعد.

(٥) سوف نتحدث عنه في الفصل الخاص بوزراء سنجر.

ذكرهما المعزى كثيراً في ديوانه . ومن أشعاره التي نظمها في حق كمال الدولة نستنتج أمرين تاريخيين : -

الأول: أن اللقب الآخر لكمال الدولة هو الأمير المؤيد.

الثاني: أن والد المعزى - واسمه الأمير عبد الملك برهاني - كان يمتدح كمال الدولة في السابق . ولمّا كان برهاني قد توفي في علم ٤٦٥هـ (علم جلوس ملكشاه على العرش ، وكان يشغل منصب أمير الشعراء في جهاز ألب أرسلان . . فإن هذا يؤكد أن كمال الدولة كانت له الرئاسة في ديوان الرسائل نفسه في فترة حكم ألب أرسلان وقبل أن يجلس ملكشاه على العرش بمدة ، وكان شأنه في ذلك شأن شرف الملك المستوفى.

وقد امتدحه المعزى بقولـه :

- أقدّم جزيل شكري لدولة المؤيد ، الذي أعاد لي حبيبي المديد القامة فأعاد لنـا الوفاق.
- بعد أن هجرت مضجعي ومرقدي متأثراً بنار قلبي المشتاق وبلاء الفراق.[١]
- فإن يكن أسلوب مديحي على الورق مؤكّداً عظمة المؤيّد كبـير القـوم . . وعلـوّ مكانته . .
- فلأنه الرئيس الفرد الذي طوّع الدنيا بالحكمة ، وأخضعها لدنياه بفطنته. [60]
- لقد صار دوام خدمته سنّة مؤكدة بها خدع القضاء وبها ارتضى.
- تكتسب الدنيا نورها وتستمد ضياءها من أبي الرضا.
كما يكتسب المشهد زينته وجماله من الإملم الرضا.[٢]

---

(١) هزار شكركنم دولت مؤيـدرا — كه داد باز بمن دلبر سهى قدرا
از آتش دل مشتاق وازبلاى فراق — فرو گذاشته بودم وثاق ومرقدرا.

(٢) وگر طراز مديح من است برقرطاس — محل مجد وعلو مهتر مويّدرا
مقدمى كه جهانى است مفرد از حكمت — مطيع گشته جهان اين جهان مفردرا
مدام خدمت اوسنت مؤكد شد — قضا فريفته شد سنت مؤكدرا
زبو رضا جهانرا هميشه نور وضياء — چنانچه زينت وزيب از رضاست مشهدرا

- أنت الذي بفضل اسمك يستحق بناء الدولة العالي الكمال والمجد.
- لو أن نصر بن أحمد عاد إلى عصرك، لأخجل عبيدك نصر بن أحمد.
- ولو ضاعفت الحروف الأبجدية إلى الأبد . .
لكان نصيب الآباء زيادة الفخر، ونصيب الأجداد زيادة السؤدد[1] .

* * *

- يحتاج إلى ما يخطّه قلمك في شرق الدنيا وغربها . .
كل من يستحق أن تقرع له الطبول وتنفخ من أجله الأبواق.[2]

* * *

- أنا ذاك المعزى البرهاني الذي بفضل عظمة دولتك،
أنشر الأشعار فتجد قبولاً واستحساناً.
- وبفضل رعايتك أتمّ في العلم التالي . .
كتابة مائة مجلد تزخر بمديحك.
- وبقربى منك وخدمتي لك أبلغ منزلة تجعلك تقول:
أحضر يا غلام ذاك الأمير الأوحد.[3]

وفي قصيدة مطلعها:

جون شمردم يازده منزل زراه روزگار
منزلي ديدم مبارك وز منازل اختيار

يتخلّص المعزّى في المديحة على النحو التالي:

---

(1) تو آن كسى كه زنام تويافت استحقاق — كمال دولت عالى بناى سرمدرا
. بروزگار تو گرنصر احمد آيد باز — خجل كنند عبيد تو نصر احمدرا
حروف ابجد اگر تا ابدكنى تضعيف — فزون از آن زتوفخرست مرأب وجدرا
(2) بمد كلك تو در شرق وغرب محتاجند — هر آنكه هست سزاوار كوس ومطردرا
(3) من آن معزى برهانيم كه نشركنم — بفر دولت تو شعر هاى بى ردرا
باهتمام توسال دگر تمام كنم — نگاشته بمديح توصد مجلدرا
زخدمت تو بحدى رسم كه گوئي تو — ايا غلام بيار آن أمير أوحدرا

- الصدر الكريم كمال الدولة ملك الدنيا.
أبو الرضا المرتضى ، الذي يتخذ له من تدبير الرسول شعاراً[1] .
- وجهك وجه رضوان، وقلمك غصن الجنان،
ويفضلك أحس الفردوس في ملك السلطان
- كانت من علي ومنك معجزتا السيف والقلم . .
إلى أن أعطى الله علياً ذا الفقار، وأعطاك القلم .
- النجم الميمون في فلكه يقبِّل قلمك في كل آن . .
حين تمدّ يدك لتحرر رسالة السلطان. [2]

* * *

- أيها المولى الذي بك يشرف ولدك ، ويبدي فخره. .
أنت شجرة العز والإقبال ، وابنك الثمرة.
- لقد خلق الله محمدَين جديرين بالتهنئة والتكريم . .
أحدهما محمد الجدير بالتهنئة بالنبوة ، وثانيهما محمد الجدير بالتهنئة بالعنصر الكريم .
[61] - ذاك محمد رسول الله السعيد الطالع ،
وهذا محمد نديم السلطان. . النجم الساطع.
- ذاك ينتسب لعبدالله ، وقد أخذ عن الدين نهجه القويم .
وهذا ينتسب لفضل الله ، وقد أخذ عن الجود مسلكه العظيم .

---

(١) صدر كافى كف كمال دولت شاه جهان — بو رضاى مرتضى تدبير پيغمبر شعار
(٢)
صورت رضوان تو دارى شاخ طوبى كلك تو — وز تو بينم ملك سلطان جهان فردوس وار
از على بودست وزتو معجز تيغ وقلم — تاترا ايزدقلم داد وعلى را ذو الفقار
أختر ميمون بكلكت بوسه از گردون دهد — چون گذارد دست تو برنامهٔ سلطان نگار

- لقد وجد حسان بن ثابت عند ذاك التعظيم ،
- ويفضل هذا نال المعزى الشهرة والتكريم .
- أي صنف من صنوف الرعاية والكرم . .
لم يقلم لي لدي مثولى بين يدي ولي النعم !![1]

وفي قصيدة مطلعها :

یکی جادوست صور تگردلیل گنبد گردون
که اندر جادویی دارد نهفته گوهر مخزون

يقول المعزى :
- كمال الدولة العالي أبو الرضا . . ممدوحنا . .
لا أحد يضارعه في الفضل من عهد آدم إلى عهدنا .
- مولاي ، كيف يصل إلى جودك وهمتك وإحسانك الآخرون؟
ما أنا إلا بعوضة تهيم حائرة على ساحل جيحون .
- لقد ورثت عن أبي خدمة بلاطك وأعتابك .
وإني لأشكرك على تلك النعمة وعبد لتلك المنة . . أقف ببابك .

---

(١) ای خداوندی که فرزند تو اندر خوردتست
تو درخت عز واقبالی وفرزند توبار
دو محمد آفريد ايزد سزای تهنيت
آن محمد در نبوت وين محمد در تيار
آن محمد بود يزدان را رسول نيك بخت
وين محمد هست سلطان را نديمی بختيار
آن زعبد الله نسب كرد وز دين آورد رسم
وين ز فضل الله نسب كرد وزجود آورد كار
آن یکی كردست مرحسان ثابت بزرگ
وين همی دارد معزی را عزيز ونامدار
چيست كوبا من نكردست از كرامت وزكرم
از رعايت وز عنايت پيش تخت شهريار

- من الأفضل أن يحل الابن محل أبيه في خدمة مولاه . .
فحين يدفن الأب ينوب المعزى عن برهانى . . دون سواه .
- وأنت تعلم أكثر من أي سخي في العالم معطاء . .
كيف تكون الشاعرية وكيف ينظم الشعر الشعراء .
- فكلّ حجر لامع لا يصلح لتاج العظماء ،
وكل شعر موزون لا يليق بدفتر الشعراء .
- فأنت يلزمك شاعر مثلى . . ذو يد بيضاء . .
ينظم شعرا كجواهر خزانة قارون أغنى الأغنياء .(١)

وكان المعزى مرتبطاً بابن كمال الدولة أي بأبي المحاسن سيد الرؤساء معين الملك محمد - أكثر من سواه من الوزراء وأصحاب الديوان ، وهو الذي قدّمه للسلطان ملكشاه فمنحه إمارة الشعر، وهو الذي أفاده مراراً من الخلع والإنعامات السلطانية . . لهذا نجد المعزى يمتدحه في قصيدة مطلعها :

أيا ستاره‌ٔ خوبان خلخ ويغما بدلبرى دل مارا همى زنى يغما

---

(١) كمال دولت عالى ستوده بو رضا كورا
نبود اندر هنر ز آدم بازتا اكنون
خداوندا تويى بيچون بجود همت احسان
منم چون يشهٔ حيران دوان بر ساحل جيحون
من اين خدمت برين درگاه ميراث از پدر دارم
وزين نعمت منم شاكر درين منت منم مرهون
پسر بهتر بدين خدمت كه برجاى پدر باشد
معزى چون بود نايب ز برهانى پدر مدفون
توبه دانى زهر صراف وهر نقاد در عالم
كه شغل شاعرى چونست وكار شعر گفتن چون
نشايد تاج وافسر راكجا سنگى بود روشن
نشايد درج ودفتر راكجا شعرى بود موزون
ترا شاعر چو من بايد يد بيضا بر آورده
منظم كرده هرشعرى زگوهر خانهء قارون

ويقول في ثناياهـا:

- كل ما أوجهه إليك من غزل أيها الغزال اللطيف..

ما هو إلا مقدمة لمدح سيد الرؤساء.

- معين المُلك المَلِك أبو المحاسن المحسن الكريم..

العطر السيرة، الأعظم، السعيد الطالع، الحسن اللقاء.

[62] - السيد الشريف الحكيم الحـر..

الذي تبصر عين العقل بفضل كفايته.. حقيقة الأشياء.(١)

- بقلمك توقّع حجة الفتوح بلا ابطاء..

وبرسالتك تقضي حاجة الملوك دون عناء.

- من قلمك تكسب طغراء الملك زينتها،

ومن عطفك تكسـب الأفلاك رفعتها.(٢)

***

- منحني الملك إمارة الشعر وآلاف الخلع السنيـة

بفضل اهتمامك وحسن رعايتـك.

- فمن تراه نال آلاف الخلع السنية وإمارة الشعراء..

إلا الذي قد عاش في نور دولتك؟!(٣)

---

(١) هر آن غزل كه ترا گويم اى غزال لطيف
بود مقدمهٔ مدح سيد الرؤسا

معين ملك ملك بو المحاسن محسن
كريم خوب سير مهتر خجسته لقا

بزرگوارى آزاده آى خداوندى
كه از كفايت او چشم عقل شد بينا

(١) بخامهٔ تو شود حجت فتوح روان — بنامهٔ تو شود حاجت ملوك روا
بود زكلك تو طغراى شاه را زينت — بود زمهر تو احرام چرخ را بالا

(٢) امارت شعرا باهزار خلعت خوب — باهتمام تو داده است شهريار مرا
كه يافتست مگر بفر دولت تو — هزار خلعت خوب وامارت شعرا

وفي القصيدة التي مطلعها :

بتـى كـه قامـت أو سرورا نخـوانـد راسـت
خميـده زلف گره گير اوچـو قامـت ماست

يقول المعـزى :

- ألا تدري أني أحتمي بمولاي سيد الرؤساء وأسعى لحماه ،
وإليه ألجأ طلبا للرقى والرفعة والسؤدد والجاه.
- معين مملكة الملك ذي الخط السعيد . .
من تضيء الدولة بفضله ويبزغ نجمها السعيـد.
- أبو المحاسن الذي يكتسـب الإحسان به اسمه الكـبير. .
محمد الذي تُتِم به المحاســنُ بهاءها وحسنَهـا النضير.[1]

* * *

- أيها الممدوح ولي النعم ، يا من يستحق مادحـك -
بثنائه عليك - الجد والمديح والثناء.
- بفضل جاهك يا مـولاي وعظمتك . .
جاوزت عظمتي في صناعة الشعر الجوزاء.
- والآن يدور الحديث حول منزلتي وجاهي . .
أينما عقد مجلس في الدنيا . . يضم بين جنباته الشعراء[2]

ويبدو من أشعار المعزى أن سيد الرؤساء كان يتّخذ لقباً حكومياً آخـر هو (مجد الدولة) إذ يقول :

---

(1) مكر همـى نشـاسى كه در زيادت وجاه — پنـاه من بخـداونـد سيد الرؤساسـت
معـين مملـكت شهريـار نيك اخـتر — كه فر دولـت نيك اختـر بدو پيداست
ابـو المحاسـن كاحسـان بزرگ نام بدوست — محمـد آنـكه محامـد بدو تمـام بهـا ست

(2) ايا سـتوده ولى نعمتـى كه گاه سخن — ثنـاگر تو زبهـر تو مستحـق ثناست
بدولـت تو خداونـد در صناعـت شعـر — جـواز دولـت من بنـده برتـر از جوزاست
همـى زمنزلـت وجـاه من سخـن گويند — بهـر كجـاكه در آفـاق مجمـع الشعراسـت

- أسكرت رأسي النشوان عين ناعسة مخمورة
وسلبت من قلبي الاستقرار طرّة لا يقرّ لها قرار.
- يحقّ لقـدم حبيبي أن تمنّ على شفتي أن قبلتها،
كما يحقّ ليد سيد الأحرار أن تمنّ على شفة الأحرار.
- معين المملكة، ومجد دولة السلطان..
به يستعين الملك وتلقى الدولة المَنعة والاستقرار.
- أبو المحاسن زينة حُسن خلق الله..
محمد آية دين محمد المختار.(١)

[63] وفي قصيدة له مطلعها:

چو آفتاب ومه است آن نگار سيمين بر
كز آفتاب گل وماه سنبل آرد بر

يقول المعزى:
- أبو المحاسن، معين ملك الملك ومجد دولته..
ومن يحاكى الشمس في فعلها.. أو هو الزهرة تحلو للنظر.
- هو العظيم الذي في كفّه قلم..
يبدو به كالقضاء في قبضة القدر.(٢)
- إني ليتملكني العجب من قلمك السعيد،
فهو سهم ينشر العبير، وثعبان يلهتم الغالية.(٣)

---

(١) ربود از دلم آن زلف بيقرار قرار | نهاد برسرم آن چشم پر خمار خمار
سزد كه برلب من پاى أو نهدمنت | چو دست سيد احرار برلب احرار
معين مملكت ومجد دولت سلطان | كه ملك ودولت از او يافته است استظهار
ابو المحاسن بيرايهٔ محاسن خلق | محمد آيت دين محمد مختار
(٢) معين ملك شهنشاه ومجد دولت أو | أبو المحاسن خورشيد فعل زهره نظر
زرّگوارى كاندر كفش قلم گويى | قضا مصور گشته است درميان قدر
(٣) مراهمى عجب آيد كزكلك فرخ تو | كه تير غاليه باراست ومار غاليه خور

وفي قصيدة مطلعها :

شه ز تأثير سپهر سركش نامهربان

وصل يار مهربان چون فصل باد مهرگان

يقول المعزى :

- يا مجد الدولة وفخر الشعب وصاحب الكتاب . .

يا أبا المحاسن ، شمس الدولة صاحب القران .

- عنك تناسلت الأسرة الكمالية وسيظل نسلها إلى يوم الحشر . .

كما تناسلت عن سلطان العالم أسرة ألب أرسلان . [1]

وفي قصيدة أخرى مطلعها :

سمن برى كه دلم تنگ كرد همچو دهان

صنوبري كه تنم موي كرد همچوميان

يقول الشاعر:

- ليست كل شفة كشفتك ، وليس كل خط كخطك ،

وليس كل قلب كقلب مجد دولة السلطان .

- معين المملكة ، ملك الأقاليم السبعة . .

ومن تتيه الأفلاك السبعة الدوّارة بفضل قلمه - دلالا ، ولا تكفّ عن الدوران .

- أبو المحاسن الكافي محمد بن كمال . .

رأس الكفاية وعين المحامد والإحسان .

- كانت رسالة الدولة من قبل بلا عنوان ،

واليوم يضع قلمه لها العنوان [2] .

---

(١) مجد دولت افتخار ملت صاحب كتاب بو المحاسن آفتاب دولت صاحبقران
دوده ونسل كمالى از تو مانده بحشر همچو از سلطان عالم دوده ْ ألب أرسلان

(٢) نه هر لبى چولب تواست وهر خطى چوخطت نه هر دلي چودل مجد دولت سلطان
معين مملكت شهريار هفت اقليم كه نازد از قلمش هفت گبد گردان -
أبو المحاسن كافى محمد بن كمال سر كفايت وچشم محامد واحسان
نداشت عنوان زين پيش نامه ْ دولت همى كند قلمش نامه را كنون عنوان

ـ حققت من وراء خدمتك الشهرة والطعام ،
فأساس الرفعة والإقبال . . شهرة وطعام .
ـ بعت العالم بأسرة لأشتري هذه النعمة بأي ثمن .
فهي مباركة مناسبة . . بل ورخيصة الثمن .
ـ زيّنت قصري ، فصار كالجنة قصري . .
وبات رضوان معجبا يتغنى بوصف قصري .
ـ بفضلك نلت ما أردت من منصب واحترام ،
فتمكّنت من استضافة عظيم مثلك عالي المقام .
ـ ألفت مديـحي لك ، وأجد المتعة في مديحي ،
والشيوخ والشباب يحفظون عن ظهر قلـب مديـحي .
[64] ـ إن تُرضني ، وتنعم عشـيرتي اليـوم برضـاك ،
فسوف ننثر الروح ـ لا الورد ـ فـداك . (1)

وفي قصيـدة مطلعهـا :

نگارا ماه گردونـي سوار سرو بستـانـي
دل ازدسـت خردمنـدان بمـاه وسرو بستاني

يقول المعـزى :

ـ بجمالك ودلالك تنال من كل شخص ما تشاء
فهل نلتَ حب معين ملك السلـطان . . .وحققت الرجـاء؟
ـ السيد ولي النعم ، محمد . . مفخرة الدولة . .

---

(1) مرا زخدمـت تو نام ونـان بدسـت آمد — كه اصـل دولـت واقبـال نام باشـد ونان
فروختـم همـه عالـم خريدم اين نعمـت — كه هم مبارك وهـم در خورسـت وهـم ارزان.
بهشـت وار بياراستـى سراى مـرا — همـى سرايد وصف سراى من رضوان
هم از تويا فتـم اين پايگاه واين حشمت — كه خواستـم كه مراچـون تويى بود مهمان
مديح گوى توشـد لا جرم عشرت من — همـى مديح تواز بركننـد پير وجوان
من وعشـيرت من گر رضـا دهـى أمروز — همـه بجـاى گل افشـان كنيم جان افشان

الذي بإعجاز إقباله يتدلل المسلم ويسعى في خيـــلاء[1] .

* * *

- الكل يذكر أن أبا بكر القهستاني* . .

قد أنعم على الفرخى . . فبلغ بإنعامه الذرى .

- ولكثرة ما أنعمت على المعزى بالمال والكساء . .

واريت اسم أبي بكر القهستاني ، وأودعت ذكره الثـرى .[2]

* * *

- ولكثرة ما وصلت شاعرك** المخلص بالهبات . .

حولت فضته ذهبا ، وتبدل حاله بين الورى وعبر الزمان .

- فأغدِق عطاياك على الشاعر الذي أصطفيته . . كما يقتضي الواجب ،

فأنت فخر الجود ونبع الندى والإحسان .

- وألف شكر لك في الغد يزجيها « برهاني »

---

(١) بزبباتـى ودل بردن ترا روزى اســـت ازهركس ‏ ‏ مـــكر دارنـــده' مهـــر معـــين ملك سلطانى

خداونـــدا ولينعمـــت محمـــد مفخـــر دولت ‏ ‏ كه از اعجـــاز اقبـــالش همـــى نازد مسلمانى

(٢) زبو بكر قهستانـــى همـــى ياد اورد هركس ‏ ‏ كه يك ره فرخـى را او بنعمـــت داشـــت ارزانى

زبس سيم وزر وجامـــه كه تودادى معـــزى را ‏ ‏ بخـــاك انـــدر فكنـــدى نام بو بكر قهستانى

* المقصود به العميد أبو بكر علي بن حسن الرخجي القهستاني ، وزير الرسائل للأمير محمد بن السلطان محمود الغزنوي الذي كان من كبار كتاب عصره وشعرائه ، وكان الفرخي الشاعر المعروف من مادحيه وتابعيه ، والصلات التي وصل القهستاني بها الفرخي مضرب المثل . يقول السوزني :

فرخـــى هنـــدى غلامـــى از قهستانـــى بخواست ‏ ‏ سى غلام ترك دادش بالـــكام وباستـام

والمعنى : طلب الفرخى من القهستاني غلاماً هندياً،

فأعطاه ثلاثين عبداً تركيا . . يمتطون صهوات الجياد .

لمعرفة شيء عن حياته إرجع إلى حواشي (حدائق السحر) للمؤلف .

** يعني والد المعزى وهو خواجه عيد الملك برهاني .

لقاء ما قدمتَه لابنه من خير وإحسان.[1]

وكان اللقب الديني الذي يحمله سيد الرؤساء هو (شرف الدين) وفي قصيدة مطلعها:

چون سخن كويد يابم زدهانش خبري
چون كمر بندد بينم زميانش أثرى

يقول المعزى:

ـ رئيس ملك خراسان شرف دين الهدى،
محمد أصل الحمد، الجدير بالشهرة وبأن يكون العلم
ـ الكريم ابن الفضل، الذي أرسله مولاه لكافة البشر..
بشيراً بالأفضال والكرم[2]

وظل كمال الدولة أبو الرضا وابنه سيد الرؤساء أبو المحاسن معين الملك [65] يعملان إلى عام ٤٧٦هـ في ديوان الرسائل والطغراء في عهد ملكشاه.. أحدهما رئيس والآخر وكيل. واقترح سيد الوزراء علي ملكشاه في العلم المذكور ـ والحسد يأكل قلبه بسبب ما بلغه نظام الملك وأصحابه من جاه وثراء ـ أن يسلمه الخواجة وأتباعه، وتعهّد له بأن يأخذ منهم مبلغ مليون دينار يقدّمه له.

وبلغت الوشاية مسامع نظام الملك فاستدعى غلمانه الأتراك وعددهم عدّة آلاف، وعينً لهم المكان، فحضروا يحملون سلاحهم ويمتطون جيادهم. واستدعى السلطان، وقال له:

---

(١) زبس نعمت كه فرمودى بباب شاعر مخلص — چوسيم خاره از نقره بيرون آيد زركانى
زبهر شاعرى كورا پذير فتى وبكزيدى — قدم برداشتن بايدكه فخر جود واحسانى
ز برهانى تو را فردا هزاران آفرين باشد — بهر نيكى كه كردستى تو بافرزند برهانى

(٢) عمدة ملك خراسان شرف دين هدى — مايهٔ حمد محمد بسزا نامورى
پسرفضل كريمى كه بأفضال وكرم — از جهاندار بشيراست سوى هربشرى

(٣) إبن الأثير، حوادث سنة ٤٧٦هـ.

« أفنيت عمري في خدمتك وخدمة أبيك وجدّك ولي على هذه الدولة حق الخدمة.

لقد قال الوشاة أني آخذ عُشر أموال الدولة . . وهذا حق . . لكني أنفقها على هؤلاء الغلمان الذين جلبتهم لخدمتك ، كما أتصدق ببعض المال وأهب بعضه، وأرصد جانباً منه وقفاً يعود ثوابه على السلطان. إن أموالي وكل ممتلكاتي في يد مولاي السلطان. . إن أرادها أخذها، وسأتخذ لنفسي موقعاً وأقبع في زاوية » .

ومن مادحي أسرة كمال الدولة البلغاء ـ خاصة من كانوا يمتدحون ولده ـ شاعر مشهور يدعى مؤيد الدين الطغرائي . وقد خصّص قسماً من ديوانه لمدائح سيد الرؤساء (من صفحة ٤٣ حتى صفحة ٥٤) خاصة بعد النكبة التي تعرّض لها سيد الرؤساء. . فقد حاول التسرية عن طغرائيه وعنه وعن بقية المخلصين له ، وشبّه نكبة الأسرة الكمالية ـ ذات الفضل والكرم ـ بنكبة البرامكة . وتكفينا هذه القطعة التي نظمها بعد نكبة الأسرة شاهداً:

أتاني والأخبار سقم وصحّة ... ثنا خبر مرٍ أصم وأسمعا
فان كان حقا ما يقال فقد هوت ... نجوم المعالي وانقضى العز أجمعا
تهاوت عروض المجد فيه وثلّمت ... وأضحت ركاب الجود حسرى وظلّعا
فيا آل فضل الله هلا وقتكم ... أياديكم صرف الزمان المفجعا [66]
أمالكم من آل برمك أسوة ... أناخ بهم ريب الزمن فجعجعا
على أنكم لم تنكبوا في نفوسكم ... وجنبكم ما مس لا مسّ مصرعا
أرى بعدكم طرف المكارم خاشعا ... وخد المعالي أزبد اللون أضرعا
وقد قصرت أيدي المكارم بعدكم ... وكنتم لها بوعاً طويلا وأذرعا
ولو أنصفت حامت عليكم ودافعت ... قراع الليالي عنكم ما تدفعا
ولكنه دهر يضيّع ما دعى ... وينقض ما أوعى ويهمل ما رعى
وما هو إلاّ مثل قاطع كفه ... بكف له أخرى فأصبح أقطعا

لأترعتم الدنيا ندى فأفضتم صنائع عز لم يصادفن مصنعا

وخلفتم في الناس آثار عرفكم فصارت كمجرى السيل أصبح مرتعا

وقد زاد طيبا ذكركم مذ منحتم كذا العود إن شبّته نار تضوّعا[1]

وبعد علم ٤٧٦هـ ، وبعد أن ابتلى سيد الرؤساء بالعمى وأبعد أبوه كمال الدولة أبو الرضا عن منصبه ، لم نعد نعرف شيئاً عن أحوال هذه الأسرة.

***

(١) ديوان الطغرائي، ص ٥١، ٥٢

[67]

٤ ـ كمال الملك الأديب أبو جعفر محمد بن أحمد مختار الزوزني (رئيس ديوان الطغراء والإنشاء في عهد ملكشاه ، بعد مؤيد الملك) وأحوال الأمير عبد الملك برهاني والد أمير الشعراء معزى ناصر الدين مكرم بن العلا وزير سلاجقة كرمان[١]

ذكرنا سابقاً أن ملكشاه بعد أن سمل عيني سيد الرؤساء ، في شوال عام ٤٧٦هـ وعزل أباه كمال الدولة من وزارة الرسائل . . أسند هذا المنصب للأمير أبي بكر عبيد الله مؤيد الملك بن خواجه نظام الملك . ولم يستمر الوزير الجديد في منصبه طويلاً ، فقد عينّ في نفس العام (٤٧٦هـ) في منصب جديد كما سنرى في نهاية حديثنا عن وزراء محمد . . وكان السلطان قد أسند منصب وزارة الرسائل لأحد الكتبة الشعراء المهرة المرؤوسين لكمال الدولة ، ونعني به الأديب أبا جعفر محمد بن أحمد مختار الزوزني . . . الذي لقِّب بعد حصوله على هذا المنصب بلقب كمال الملك .

وقد اختلطت حياة هذا الأديب أبي جعفر كمال الملك محمد بن أحمد مختار الزوزني ـ كما سنذكر في شرحنا ـ بحياة أمير الشعراء عبد الملك برهاني النيشابوري

(١) سلاجقة كرمان فرع من السلاجقة ، يسمون كذلك نسبة إلى الإقليم الذي كانوا يحكمونه . ويطلق عليهم المؤرخون أيضاً «القاوردبين» نسبة إلى عماد الدين قره أرسلان قاورد بن جغرى بيك داود بن ميكائيل . . مؤسس هذا الفرع من السلاجقة . وقاورد هذا أخ لالب أرسلان (المترجم) .

والد أمير الشعراء محمد المعزى . ولكي نزيل هذا اللبس عن أذهان مطالعي تاريخ الأدب الفارسي ، نفصّل القول في هذا الموضوع بصفة خاصة على النحو التالي :

ورد في كتاب لباب الألباب لعوفى (ج٢ ص٦٨) ـ ضمن شعراء آل سلجوق ـ ذكر لشاعر ضاع القسم الأول من ترجمة حياته ـ لسوء الحظ ـ من النسخة التي تعتبر أساساً للنسخة الحالية . وقد أسماه ناشر الكتاب بالأستاذ « أبي الحسن علي البهرامي السرخسي » . وتبدأ بقية المعلومات الواردة عن حياة هذا الشاعر على النحو التالي :

[68] « . . . قام بفضل جوهر ذاتك ، ويوشك أن يودع منزل الأحباب ويسمع نداء الأجل . وقد أرسل هذا العدد من الأبيات إلى حضرتكم على يد ولده ، شعر :

ـ مضت فترة أيها الملك فاتح العالم ،
أزلت فيها الظلم من صفحة الأيام بفضل إقبالك وصنيعك .
ـ وقمت أمام ملك العرش برسم الطغراء ،
وكتابة منشور السعادة مذيّلا بتوقيعك .
ـ وقضيت من عمري ستاً وأربعين عاماً . .
خدمت خلالها أعتابك أعواماً . . خلتها مائة عام .
ـ وتركت عملي العزيز لولدي وقد أوشكت على الموت . .
بعلّة لازمتني في سفري . . عشرة أيام .
ـ ودّعت حياتي ، وها هو ولدي خلف صدق . .
استودعته مولاي ، ورب الأنام[1]

وأشعاره العربية جيدة . وكان يصحب إسماعيل بن غصن بصفة دائمة ،

---

(١) يك چند باقبال توای شاه جهانگیر — گردستم از چهره ایام ستردم
طغری نکو کاری ومنشور سعادت — پیش ملك العرش بتوقیع تو بردم
آمد چهل وشش زقضا مدت عمرم — در خدمت درگاه توصد سال شمردم
بگذ اشتم این خدمت دیرینه بفرزند — وندر سفر از علت ده روز بمردم
رفتم من وفرزند من آمد خلف صدق — اورا بخدا وبخداوند سپردم

وقد قال في مدحه بالعربيـــة :

سقانـي تحـت غصـن الـورد وردا   يكسّـبـك الصنـايـع إبـن غصـن
غزال لويبـارى البـدر أربى   على البـدر المنـير بألف حسـن

وإلى هنا ينتهي ما بقي في لباب الألباب عن هذا الشاعر ، نقلناه دون تصرّف . أما الأستاذ أبو الحسن البهرامي السرخسي فإنه من شعراء سبكتكين[1] وقد ذكره العوفي قبل هذا الموضع ضمن طبقة شعراء الملوك الغزنويين[2] ، ولهذا لم يكن هناك ما يدعوه لأن يسلكه في عداد شعراء السلاجقة يضاف إلى ذلك أنه من المستبعد أن يعيش شاعر معاصر لسبكتكين (توفي عام ٣٨٧هـ) حتى عهد السلاجقة . ولما كانت هذه الحكاية وتلك الأشعار ـ طبقاً لأدلة سوف نوردها ـ منسوبة لكمال الملك الأديب أبي جعفر مختار الزوزني ، وليست للبهرامي السرخسي ، فالواجب أن نقول إن اسم بهرامي الذي أضافه النسّاخ ووضعه الطبّاعون ـ خطأً ـ في هذا الموضع من لباب الألباب ليس في موضعه بالمرة ، والبيت الوارد في نهاية القطعة السابقة ـ طبقاً لشهادة نظامي عروضي (چهار مقاله ص٤١) الذي قال إن مؤلفه كان قد سمعه من المعزى ـ هو لوالد هذا الشاعر أي لخواجه عبد الملك برهاني النيشابوري . والبيت المذكور جزء من قطعة لقيت شهرة كبيرة في عهد نظامي السمرقندي، ولذا اكتفى نظامي من القطعة بالبيت . وكانت القطعة [69] بمثابة رسالة خاطب فيها برهاني مولاه السلطان جلال الدولة ملكشاه السلجوقي ـ عن طريق ابنه المعزى ـ عندما حضرته الوفاة في قزوين عام ٤٦٥هـ . . أي عام جلوس ملكشاه على العرش . أما بقية أبيات القطعة فإنها ليست لبرهاني إذ يبدو أن عدداً من الشعراء بعد برهاني قد نظموا قطعات تناسب الحال والموضوع ولها نفس

---

(١) سبكتكين: كان عبداً مملوكاً لألبتكين التركي قبل أن يرأس الأسرة الغزنوية عام ٣٦٦هـ ، ويعتبر المؤسس الحقيقي للدولة الغزنوية وله انتصارات عديدة بالهند وغيرها. توفي عام ٣٨٧هـ [أنظر: احمد كمال الدين (دكتور) ٣٥٠٠ عام من عمر ايران ـ حـ ١ طبع الكويت عام ١٩٧٩م ـ ص ٣٦٢] .

(٢) الجزء الثاني، ص ٥٥ ـ ٥٧ .

الوزن والقافية ، وضمّنوها بيت برهاني بحيث جعلوه في الختام . كما نقل البعض نفس القطعة السابقة على لسان الخواجة نظام الملك مع تحريف بسيط يتناسب مع وضع الخواجة ، وهذه هي القطعة المنسوبة للخواجة كما وردت في تاريخ كزيده[1] وتذكرة دولتشاه السمرقندي : [2]

- مضت أيها الملك السعيد أربعون عاماً[3] . .

محوت فيها الظلم من صفحة الأيام بفضل إقبالك وصنيعك .

- وقمت لدى ملك العرش برسم الطغراء ،

وكتابة منشور السعادة . . مزدانا بتوقيعك .

- ولما بلغت السادسة والتسعين[1] من عمري . .

توفيت في حدود نهاوند متأثراً بجرحي الأليم .

- وتركت تلك الخدمة الجليلية لولدي ،[2]

فأستودعته الله ومليكي العظيم[3]

أما الأبيات الثلاثة الواردة في لباب الألباب بالصورة التي نقلناها . . فلا يمكن أن تكون لبرهاني والد المعزى وأدلّتنا هي :

---

(١) تأليف حمد الله بن أبي بكر بن أحمد بن نصر المستوفى القزويني . طبع في طهران عام ١٣٣٩هـ وفي ليد ن عام ١٣٢٨هـ

(٢) تذكرة الشعراء لدولتشاه بن بختشاه السمرقندي. طبع في ليدن عام ١٣١٨هـ كما طبع في بمباي. (المترجم).

(٣) هذه كذبة، إذ لا تزيد فترة سلطنة ملكشاه عن ست وعشرين سنة ، ولم يتول الخواجة شئون الوزارة أكثر من ثلاثين سنة .

(١) كذبة أخرى فعمر الخواجة (على خلاف بين المصادر حول عام ولادته) كان يتراوح بين ٧٣ ، ٧٥ سنة .

(٢) كذبة ثالثة ، فوزارة السلاجقة في عهد ملكشاه . . لم تكن (بعد قتل الخواجه) من نصيب أي واحد من أبنائه .

(٣) چل سال باقبال تو اى شاه جوانبخت ... گردستم از چهرهٔ أيام سترده
طغراى نكو نامى ومنشور سعادت ... پيش ملك العرش بتوقيع تو برده
چون شد زقضا مدت عمرم نود وشش ... در حد نهاوند زيك زخم بمرده
بگذا شتم آن خدمت ديرينه بفرزند ... اورا بخدا وبخداوند سپرده

أولاً: يدور فيها الحديث عن الطغراء والمنشور والتوقيع وهذا يشير إلى أن قائلها كان من أهل الديوان ، مختصاً بالطغراء والإنشاء. ولم يؤثر عن برهاني - الذي كان يشغل منصب أمير الشعراء لألب أرسلان ، والذي مات في قزوين إبان سلطنة ملكشاه وهو يشغل نفس المنصب - أنه شغل هذه الوظيفة في الديوان واختص بالطغراء والإنشاء.

ثانياً: حددت سن قائل هذه القطعة بست وأربعين بينما يقول المعزى في رثاء أبيه صراحة:

[70] - وبلغ السادسة والخمسين من عمره وفقق حسابي . .
وذات يوم حرمت رؤيته ، وانتهى لقائي به إلى يوم الحساب. [1]

ولو أننا اتفقنا على أن عمر المعزى وقت التحاقه بخدمة ملكشاه (بعد قضائه مدة بقزوين امتدح فيها ذا السعادات شرفشاه الجعفري) كان عشرين عاماً على الأقل، ليتناسب سنّه مع أشعاره التي نظمها في تقديم نفسه للسلطان الجديد، ولو أننا افترضنا أيضاً صحّة نسبة القطعة السابقة لبرهاني. . لكان لزاماً علينا أن نسلم بأن ولادة المعزى قد تمّت ووالده في سن الرابعة عشر أو الخامسة عشر. . وهذا شيء بعيد الإحتمال.

ثالثاً : القطعة العربية التي نقلناها لكم من لباب الألباب ، والتي يذكر العوفى أنها بدورها من نظم مؤلف القطعة الفارسية المذكورة سابقاً . . ليست لبرهاني والد المعزى ، كما أن قائلها ليس مجهولاً ، فهي من نظم كمال الملك الأديب أبي جعفر محمد بن أحمد مختار الزوزني المعاصر لأبي الحسن علي بن حسن الباخرزي (المتوفي عام ٤٦٧هـ) ، والذي يعدّ من رفقائه وخاصة ندمائه . وقد ذكر الباخرزي هذا الأديب في دمية القصر ، وشهد بأنه قال هذه القطعة في مدح صديقه أبي إبراهيم إسماعيل بن غصن ، وهذه هي القطعة بأكملها:

---

(١) چند گيرم من حساب عمر او بنجاه وشش نيست ديدارش مرا روزى إلى يوم الحساب

سقاني تحت غصن الورد وردا كمسبوك النضار مع ابن غصن
غزال لويباري البدر أربى علي البدر المنير بألف حسن
فرمت وقد شربت الكاس نقلا فقال وقد ذوي شفتيه لسني

وكانت لدى صاحب تذكرة عرفات نسخة كاملة من لباب الألباب ، فنقل عن العوفي هذا القسم الناقص في النسخة المطبوعة بأكمله . ومن ملاحظه ذكرها عرفات يتأكد لنا أن هذا القسم من لباب الألباب لم يكن في شرح حال بهرامي السرخسي ولا في شرح حال برهان ، وإنما كان في شرح حال الأديب مختار الذي ذكرناه . . أي في شرح حال كمال الملك أبي جعفر محمد بن أحمد الزوزني ، بل إنه لم يرد في هذا القسم ذكر لبرهاني قط. ويبدو من ذلك أن عوفى لم يكن يعرف برهاني أصلاً ، إلى حد أنه عندما تصدّى لشرح حال ابنه لم يذكر اسمه .

يقول صاحب تذكرة عرفات في شرح حال الأديب مختار:

« نقله محمد عوفى (يقصد بيت برهاني الوارد في چهار مقاله) عن الأديب مختار ، ويغلب على ظني أن برهاني هو الأديب مختار نفسه » .

[71] ويبدو أن صاحب تذكرة عرفات أراد أن يجمع بين قول صاحب چهار مقاله (الذي أعتبر البيت المعروف لبرهاني) وبين قول عوفي (الذي ينسب البيت والقطعة كلها للأديب مختار) فجعل من برهاني ومختار شخصاً واحداً ، والحق أنهما شخصان مختلفان ، بناء على الشرح الذي سنورده .

وإليكم حياة الأديب مختار هذا :

لا يمدّنا الباخرزي بأخبار مفصّلة عن الأديب أبي جعفر محمد بن أحمد مختار الزوزني ، أي كمال الملك ، رغم أنه كان من أصدقائه المقربين وكان يعتبر في منزلة ولده . كل ما هنالك أنه روى أشعار الآخرين وحكاياتهم عنه ـ أكثر من مرة ـ وذكر قطعات من أشعاره في مدح نظام الملك واسماعيل بن غصن . . وهي التي نقلناها من قبل .

كان الأديب أبو جعفر بن مختار ـ في بداية سلطنة ملكشاه ـ أحد نوّاب كمال الدولة أبي الرضا. ولما حلّ مؤيد الملك محل كمال الدولة في ديوان الرسائل ، أحال نيابته ـ بعد فترة قصيرة ويأمر من ملكشاه ـ إلى الأديب أبي جعفر هذا . وبعد ترك مؤيد الملك منصبه ، استقلَّ الأديب أبو جعفر برئاسة ديوان الإنشاء والطغراء السلطاني ، وظل يشغل هذا المنصب حتى لقى ربه ، فآل المنصب الى تاج الملك أبي الغنائم .[1]

وفي النسخة المطبوعة الموجزة لتاريخ عماد الكاتب بقلم البغدادي الأصفهاني وردت كنية كمال الملك الزوزني في كل المواضع على الصورة التالية: « أبو المختار » ويقال إن ـ. صحتها هي: أبو (جعفر بن) المختار ، أو ابن « المختار » . . لأن المختار ـ كما يشهد بذلك الباخرزي ـ هو لقب والده أحمد . وها هو الباخرزي يقول في مدحه:

شعرك يا ابن المختار مختار يكاد حب القلوب يمتار
فراستي فيك أن تسود وان ـ ذيّل دون الغيوب أستار

وقد ذكر العوفى ـ بالإضافة إلى ما نقله صاحب تذكرة عرفات عن لباب الألباب ـ حكاية تاريخية ذات فائدة عميمة عن ابن مختار ، وذلك في كتابه الآخر [72] (جوامع الحكايات ولوامع الروايات) وهذا نصها دون تحريف: « قضى أبو الرضا سنوات عديدة يشغل منصب صاحب ديوان الرسائل في عهد السلطان ملكشاه أنار الله برهانه ، وكان يلقّب بصاحب ديوان الطغراء . ولما غضب السلطان علي أبي المحاسن أمر بسمل عينيه ، وأحال منصب الطغراء إلى مؤيد الملك بن خواجه نظام الملك ، فاكتسب المنصب جمالاً .

وفي عهد أبي المحاسن ، كان هناك رجل يدعونه أبا جعفر الزوزني ، يلقّب بالأديب مختار . . وكان يتحلّ بكمال العقل وسائر أنواع الفضائل ، جيد النثر رائق النظم عذب اللفظ لطيف الخط . وكان يشغل منصب الكاتب ـ عدة سنوات ـ

(١) عماد الكاتب ، ص ٦٠ ، ٦١ .

للسلطان الذي كان يعرفه تمام المعرفة . وعندما أصبح مؤيد الملك رئيساً لديوان الطغراء لم يتّخذ له مساعداً ، وأناب عنه الأستاذ أبا اسماعيل الكاتب الأصفهاني[1] أحد كبار العلماء والفضلاء . . وأصبح الأديب الزوزني بلا عمل ، فوسّط العديد من الأشخاص ليسند إليه مؤيد الملك عملاً . . دون جدوى . . ولما زاد أمد بطالته حركته شماته الأعداء ودفعته إلى فعل ما فعل .

يقول القاضي « مظفر الليثي » أحد العلماء الأفاضل ، وكان يعمل قاضياً للسلطان بهرام شاه :[2] كنت يوماً جالساً في معية السلطان ، فدخل الأديب مختار وطلب الإذن ـ بالمثول بين يديه ، ووقف كمن يريد شيئاً ، فقال السلطان : هل هناك ما يشغل الأديب فاستأذن وقال :

لقد خدمت في ديوان الرسائل سنوات طويلة ، وكنت نائب الطغرائي ، وبلغت منشوراتي أطراف العالم ، ورأى الصديق والعدو خطى ، ولم أرتكب جرم الخيانة طوال هذه المدة قط ، ولم يصدر عني إثم يوجب عزلي . والآن وقد ازدان هذا المنصب بمؤيد الملك . . أراه يقرر حرماني ، ويكتب على العزل دون سبب . ولو حدث والتحقت بخدمة واحد من أركان الدولة وعظمائها لتعرّضت للوم الناس وتقريعهم . فلو نظر مولاي بثاقب فكره إلى مالي من حق قديم ، ورعاه حق رعايته ، لأصدر أمره إلى مؤيد الملك بقبولي في سلك المحرّرين حتى لا أحرم تمام الحرمان .

[73] وهنا نظر السلطان إليّ وقال : إذهب أيها القاضي وقل لمؤيد الملك أن الأديب خادم قديم لنا ، ولا يجب حرمانه ، بل تجب عودته لعمله ، ولو فعلت هذا بغيره ما ضايقتنا . إن مُلكنا بحمد الله واسع يتّسع لألف كاتب يتحقق على يدهم النفع ويلقون منا الرفق والإحسان .

---

(١) هو نفسه مؤيد الدين أبو اسماعيل حسين بن علي كاتب الطغرائي الأصفهاني. صاحب لامية العجم الذي سيرد ذكره عند حديثنا عن حياة مؤيد الملك.

(٢) لمعرفة الكثير من المعلومات عنه، أنظر: السلاجقة في التاريخ والحضارة، ص١٠٣، ١٠٤ (المترجم).

قال القاضي: فاستأذنت السلطان في الانصراف ، فقال لي : إذهب أيها القاضي على الفور وأبلغه أمري ، وعد بالإجابة وسأظل في انتظارك.

قال القاضي: فذهبت وقابلت مؤيد الملك ، وأبلغته رسالة الملك ، فرضخ وقال :

أمر الملك مطاع ، غير أني كنت قد أقسمت ألا يعمل الأديب طالما أنا في منصبي هذا ، ولا يرضى الملك أن أكون خائناً حانثاً بقسمي.

قال القاضي: وقلت له إن هذا ليس بالتصرف اللائق من جانبه ، وحذّرته من التعامل مع السلطان بهذا الأسلوب وبالغت في ذكر سوء العاقبة وعزوت تصرّفه إلى استبداده. فلماّ تعذّر الأمر توجَّهت إلى السلطان ، فسألني : ماذا قال مؤيد؟. قلت أبدى الطاعة والامتثال . وظللت صامتاً ، فأدرك السلطان أن مؤيد الملك قد قال ما لا يمكن ذكره على ملأ من الناس..

فاستدعاني لعرشه ، فذهبت إليه ، ومثلت بين يديه ، وأخبرته بحديث قَسَمه . فرأيت الغضب قد بدا على قسمات وجهه والحمرة قد علت خديه ، وقال: إن يكن مؤيد قد أقسم.. فأنا لم أقسم بعد على ألا أجعل له رياسة الطغراء . ثم التفت إلى الأمير قماج صاحب الديوان وقال: لقد منحنا الأديب منصب الطغرائي ، فاصحبه إلى الخزينة ، وألبسه ملابس التشريفة المعهودة ، ثم اصحبه إلى الديوان وحدّد له موضعه.

وأدى الأديب فروض الطاعة ، وقبّل يد ملكشاه اليمني ، وهنأه الحاضرون . وفي اليوم التالي ألبسوه حلّة التشريفة الفاخرة طبقاً لأمر السلطان ، واصطُحِب إلى الديوان وأُجلِس في مكانه الجديد ، وهنأه نظام الملك ـ طوعاً أو كرهاً ـ وهشّ له وبشّ ولا شك أنه كان عاجزاً عن التحدث (إلى السلطان) بشأن ولده لإصلاح الوضع . وظلّ الأديب يشغل منصب الطغراء طوال حياته . وكان استبداد مؤيد الملك أحد أسباب نقصان حرمة نظام الملك ونفوذه »[1] .

---

(١) يرد ملخص هذه الحكاية في تاريخ نگارستان للقاضي أحمد عقاري، ص ١٧٢ ـ ١٧٣

[74] والآن وقد عرفنا من هو الأديب أبو جعفر أحمد المختار الزوزني ، الملقّب بكمال الملك ، وأي منصب كان يشغله في جهاز ملكشاه الإداري ، يتّضح لنا وضوحاً تاماً أن ما قاله عوفى في لباب الألباب ، ونسبته القطعة الفارسية المشهورة له . . أمر لا يقوم على أساس . ويتأكد ذلك من البيت القائل :

ـ حملت الطغراء المتقنة ومنشور السعادة المذيّل بتوقيعك . . إلى ملك العرش[1] .
إذ يؤكد أنه ظل حتى لحظة وفاته يشغل منصب الطغرائي وكاتب المنشورات .

ويبدو أن الأديب أبا جعفر الزوزني قد حاكى قطعة برهاني في توصية ولده المعزى ، وأورد بيتها الأخير في ختام قطعته على سبيل التضمين . . وهذا ما دعا البعض إلى نسبة هذه القطعة لبرهاني ، وما دعا غيرهم إلى اعتبار برهاني والأديب مختار شخصاً واحداً . ومن البيت الذي ورد في تلك القطعة ، والذي يقول فيه الأديب مختار الزوزني :

ـ وقضيت من عمري ستاً وأربعين عاماً . .
ومت في سفري من علّة لازمتني عشرة أيام[2] .

نشعر بأنه يشير إلى مدة عمره ، وأما عبارة « تلك الخدمة الجليلة » فهو يعني بها مهمة الكتابة التي مارسها سنوات في ديوان كمال الدولة ثم انفرد بها واستقل فيما بعد .

ولأمير الشعراء (معزى) قصيدة في مدح الزوزني ، مطلعها :
چه صورتست كه بيجان بديع رفتارست
چه پيكرست كه بيدل شگفت گفتارست

وفيها يقول مادحاً :
ـ لغة الدولة والديوان تصدر عن فم الفضل والأدب . .

---

(١) طغراى نكونگارى ومنشور سعادت — پيش ملك العرش بتوقيع تو بردم
(٢) آمد چهل وشش زقضا مدت عمرم — واندر سفر ازعلت ده روز بمردم

ما دامت رهن بنان الأديب الرئيس مختـار .
ـ محمد . . فلك محامد الفضل والأدب . .
الذي يعدّ بفضل رأيه الطاهر سماء النجم والكوكب السيّـار .[١]

* * *

ـ كل نقش يصـــدره قلمه . .
حلية لمملكة مولاي مالك الدنيا وزينة بهيّة .
ـ وإني لأتوقع أن يزيّن منشوري ويجمّله . .
بتلك العبارة الحلوة البليغة التي تضارع الدرّة الملكية .
ـ إن كتابته منشوري أفضل لدى من خِلعةٍ أنالها ،
فإن درجاً يغص بالجواهر وكنزاً من الدنانير . . يفضلان الخلعة السنيّة[٢]

[75] وفيما يتعلق بعدم إشارة المعزى إلى وزارته وألقابه قط، فإنه يبدو أن مرجع ذلك هو أن هذه الأشعار قد نظمت وقت أن كان الأديب مختار يعمل تحت رئاسة كمال الدولة وابنه سيد الرؤساء .

وبالنسبة للمنشور الذي كان يتوقّعه المعزى . . فهـو على الأرجـح منشـور إمارة الشعراء وكان سيد الرؤساء قد أخذه من ملكشاه مع خلعة سنية لتوصيلها إليه .

* * *

---

(١) زبـان دولـت ودين اسـت در دهـان هنر — چـو در بنـان أديب رئيس مختـار است
محمـد آنـكه سپهـر محامـد هنراسـت — بـراى پاك سماى نجـوم وسيارست

(٢) هر آن نگاركه پيدا شود زخامـه' أو — طراز مملـكت خسرو جهانـدار است
توقـع اسـت كه منشـور من بيارايد — بـدان عبـارت شـيرين كه در شهوارست
مرانوشتـن منشـور من به از خلعت — كه درج پرگهرسـت او وگـنج دينارست

[76] أحوال أمير الشعراء الخواجه عبد الملك برهاني النيشابوري والد الأمير المعـزى

(٤٠٩ ـ ٤٦٥هـ)

بمناسبة ما ذكرناه في هذا الفصل عن خواجه عبد الملك النيشابوري والـد الأمير معزى نجد من المناسب هنا أن نذكر الأخبار التي جمعناها حول حياة هذا الشاعر الذي كانت له يوماً إمارة الشعراء في عهد ألب أرسلان ، وكان من كبـار متحدثي العصر.

ولكي ندرس حياته نجد أنفسنا مضطرين إلى اللجوء للإشارات التي وردت في قصائد المعزى ، فالمصادر التي بين أيدينا خالية من أية أخبار مقنعة تتعلق بحياة برهاني . . باستثناء ما ورد في كتاب چهار مقاله لنظامي عروضي (من صفحة ٤٠ حتى صفحة ٤٢)، ونعنى به التقرير الذي أدلى به المعزى لنظامي عروضي في علم ٥١٠هـ . ولم يعد هناك شك في صحة الأخبار التي أوردها نظامـي . . بدلالـة الموضوعات التي تستنبط من قصائد المعزى نفسها . وهذا نص ما قالـه المعـزى لنظامي عروضي خاصاً بوالده ، ننقله عن چهار مقاله :

«غادر والدي أمير الشعراء برهاني رحمه الله عالم الفناء إلى دار البقـاء في بداية حكم ملكشـاه ، وكانـت وفاتـه في مدينـة قزوين . وفي قطعتـه الذائعـة الصيت ، قدّمني للسلطان في هذا البيت يستودعني اياه .

ـ ذهبت وجاء ولدي خلف صدق . . وقد استودعته الله ومولاي .

ثم أُعطيت مرتّب أبـي وأُسنـدت إليّ مهامـه ، وصرت شاعـر ملكشـاه ،

[77] وقضيت عاماً في خدمة ملك الزمان لم أتمكن خلاله من رؤيته لأكثر من فترة قصيرة. . على البعد . . وكان أبي جلداً شهماً، له باعه في هذه الصناعة (يعني نظم الشعر)، وكان سيد الدنيا الشهيد ألب أرسلان يثق به ويعتقد فيه . . . الخ » ومن هذا النص نستنتج المعلومات التالية : ـ

١ ـ كان برهاني يلقى في خدمة ألب أرسلان (٤٥٥ ـ ٤٦٥هـ)[١] العزّة والاحترام وكان يشغل في جهازه منصب أمير الشعراء.

٢ ـ مات برهاني في بداية حكم ملكشاه الذي جلس مكان والده على عرش البلاد في عام ٤٦٥هـ [٢]

٣ ـ توفي برهاني في مدينة قزوين.

وهذه الأمور الثلاثة نفسها تتضح من قصائد المعزى ، ففي قصيدة مطلعها:

چون نماز شام پروين نور زد بر آسمان
ساربان از بهر رفتن بانگ زد كاروان

يقول هذا الشعر في مدح أبي سهل عبد الرحيم رئيس الري:

ـ عن طريق توفيق ملكشاه وحسن حظه نلت توفيقي وحظي. .
كما عظم شأن برهاني بفضل عظمة الملك ألب أرسلان.[٣]

---

(١) في عام ٤٥٥ هـ = ١٠٦٣م انتهت الفتن واستقر الأمر لألب أرسلان، أما جلوسه على العرش في الري دون منازع فكان في العالم التالي. وفي عام ٤٦٥هـ = ١٠٧٢م قتله قائد قلعة في ما وراء النهر، يدعى يوسف الخوارزمي (أو البرزمي) بخنجره. وفي ربيع الأول من العام المذكور دفن في مرو. (المترجم) للكثير من المعلومات في هذا الشأن أنظر:
السلاجقة في التاريخ والحضارة ص٣٦؛ البنداري: مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، طبع مصر، ص٤٤، ٤٥؛ يحيى القزويني: لب التواريخ،طهران، ص١٠٦.

(٢) جلس ملكشاه على العرش في نيسابور أولا ثم في الري وساعده وزيره نظام الملك مساعدة فعّالة (المترجم).

(٣) من باقبال ملكشاه چنين مقبل شدم همچو برهانى بفر پادشه الب ارسلان.

وفي قصيدة أخرى يمتدح فيها السيد « أبي هاشم العلوى الحسنى » رئيس همدان ، ويبدؤها بالبيت التالي :

هركس كه دل بـــرآن صنم دلستــــــــان نهـــاد

جـان در بلا فكنــد وتــن انــدر هــوان نهـــاد

يقول المعزى :

ـ بقبولك نال هذا الحكيم الشاب القبـــول ،

وفرش الحظ أمامه الطريقَ وعبَّد الدرب .

ـ وما يتوقع منك هو أن تعلى قدر الابن وترفعه . .

كما رفع ألب أرسلان يوما قدر الأب .

كما يقول المعزى في مدح القائد « قطب الدين عماد الدولة ساوتگين » أحد قادة جيش ألب أرسلان ، وهو الذي أطلق عليه ملكشاه بعد جلوسه على العرش لقب عماد الدولة ، واختاره لحكم البلاد التي كانت تحت إمرة عمه « قاورد » (أي فارس وكرمان وقسم من العراق) :

ـ كان الزمن رسالة بلا عنوان . .

فخط الفلك على تلك الرسالة اسم ساوتگين .

ـ المدوح الممجد سيف الإسلام وأمير العراق . .

عماد الدولة ، صاحب القران وقطب الدين .

ـ مولاي ، لقد أظلمت الدنيا في عيني لفراق أبي ،

فانظر إليّ بعين مضيئة ، وكن لي نعم المعين .

ـ لقد طلب مني أن ألتحق بخدمتك وأقترب من أعتابك ،

ثم فارقت روحه جسده في قزوين .

[78] ـ لقد حظي من لدن الملك في مدينة نيشابور بالقبول ،

وبفضله نال الرفعة والمنشور والخلعة والتمكين .

- وأنا الذي جئت إلى الملك نائبا عن والدي . .

أغوص في مرج العلم كما يغوص الأسد في العرين .

- لقد بز الإبن أباه في خدمة مولاه ،

فنثر من صنوف المديح على بساطك الدر الثمين

- وهو الآن في حاجة إلى جودك وجاهك وقبولك . .

كما يحتاج الظمآن إلى كأس دهاق وماء معين . [1]

وحين يمتدح المعزى ملكشاه في نيشابور ، نجده يقول :

- أهالي نيشابور في النعمة يرفلون ، وبها يتمتعون . .

لأنك سلطان خيرٌ سخي معطاء .

- وفي كل لحظة تنزل من السماء رسالة جبريل . .

أن يا نيشابور إنك أسعد من جنّة عدن ، وأنت مقرّ السعداء .

- مولاي الملك إن يكن عمر ، برهاني قد انتهى . .

فأنت وارث عمر تابعك هذا إلى يوم القيامة والجزاء .

- هذه روحه تهتف بي كل ساعة أن يا بني . .

إن لي على السلطان حقاً أنت صاحبه . . ولك يكون الوفاء . [2]

وقد ذكر بعض كتّاب التراجم أمثال « تقي الدين الكاشي » أن المعزى ووالده

---

(١) خدايگانا يكچند از فراق پدر   زمانه تار بديدم بچشم روشن بين
مرا بخدمت درگاه خواست پيوستن   اجل زكالبدش جان گسست در قزوين
ملك بشهر نشابور شاه را فرمود   قبول وحشمت ومنشور وخلعت وتمكين
منم كه پيش شهنشاه نايب پدرم   بمرغزار علوم اندرون چوشير عرين
پسر بجاى پدر بهتر اندرين خدمت   برين بساط زمدحت فشانده درّ ثمين
بجود، جاه وقبول تو آرزومندست   چنانكه تشنه بكاس دهاق وماء معين

(٢) خلق نيشابور در نعمت همى تن پرورند   زانكه سلطان نكوكار رهى پرورتوئى
هرزمان در آسمان آيد پيام جبرئيل   كاى نشابور از بهشت عدن خرمتر توئي
خسروا شاها گرامد عمر برهانى بسر   تاقيامت وارث عمر چنان چاكر توئي
جان أوهر ساعتى گويدكه اى فرزند من   پيش سلطان جهان حق مرا حقوق توئي

برهان كانا من أهالي سمرقند . وذكر آخرون ـ أمثال دولتشاه ـ أنهما كانا من أهل نسا (ولعل هذا تحريف لنيشابور) . . غير أن الصحيح ما قاله صاحب لباب الألباب من أن المعزى نيشابوري . بل إن أشعاره تشير إلى أنه وعشيرته كانوا من أهالي نيشابور ـ

فهو القائل : ـ

ـ وداعاً فقد حان الآن وقت انصرافي وذهابي . .
وانفصال القلب عن نيشابور ، ومفارقة أصحابي وأحبابي .[1]

ويقول مخاطباً ملكشاه :

ـ منذ تحركت رايتك المنصورة . . أيها الملك المنصور . .
في طريقها من مدينة الري إلى نيشابور . .
ـ أصبح من اللازم أن يكون لك في كل مدينة تملكها . .
في طول الدنيا وعرضها ـ تابع مشهور .
ـ وأن ينال تابعك المخلص في هذه المدينة الإقبال . .
بفضل تشرّفه بخدمتك ، ويكون بين أهلها البارز والمنظور[2]

ويقول ممتدحاً خواجه فخر الملك :

ـ دعاء أهالي نيشابور لك بمثابة جيش . .
لا ينفصل فرد فيه عن غيره في أي ساعة من الساعات .
ـ وكما تحفظ عشيرتي « قل هو الله والحمد » عن ظهر قلب
فإنها تحفظ ـ وأنا معها ـ ما يخصّك من دعوات[3]

---

(١) وداع كن كه هم اكنون كه من بخواهم رفت / گسسته دل ز نشابور وصحبت احباب
(٢) تارايت منصور تو اى خسرو منصور / از رى حركت سوى شهر نشابور
گيتى است همه شهر وبهر شهر تودارى / شايسته وبايسته يكى چاكر مشهور
اين چاكر مخلص كه تراهست درين شهر / هست ازشوف خدمت تو مقبل ومنظور
(٣) دعاى خلق نشابور لشكريست تورا / كه نگسلدش همى ساعتى نفر زنفر
يكى منم كه دعاها ى توعشيرت من / چو« قل هو الله والحمد» كرده اند زبر

وينقل نظامي عروضي عن المعزى ما يفيد أنه حين قضى عاماً في جهاز
[79] ملكشاه دون أن يحظى بالقبول ، وظل مبعداً عن مولاه . . تحدث إلى الأمير علاء الدولة علي بن فرامرز كاكويه[1] قائلاً : « أطلب لي الإذن بالعودة الى نيشابور للوفاء بديني وتدبير أمري بما يتبقى » .

ويمتدح مختاري الغزنوي طبعه قائلاً :

ـ يزيد طبعه في شعره . . على طبع المعزى الخراساني[2] .

وكان المعزى مع والده في قزوين حين حضرته الوفاة . . فلما مات بها ، أخذ يتجول في المدينة في فصل الخريف أو أواخر الصيف ، ولجأ إلى حاكم قزوين ورئيسها ذي السعادات فخر المعالي أبي على شرفشاه الجعفري أحد ممدوحي أبيه . وهو يقول في هذا الصدد :

ـ هب لي يا مولاي قسطاً وجانباً . .
مما وهبه رأيك لمئات آلاف الأشخاص .
ـ فحين توارى خليل حضرتك تحت الثرى . .
اشتعلت نار النمرود في روحي .
ـ ولفرط ألمي بسبب غياب جسده في باطن الثرى . .
دمي قلبي ، وذرفت عيني الدمع السخين .
ـ لقد حلّ فصل البرودة وانقضى فصل الحرارة ،
ونفذ صبري وزادت احتياجاتي .
ـ لقد أغمض البلبل عينه متأثراً بريح شهريور . .
فلماذا لم يهبني الحاكم ما تغمض بفضله ليلةً عيني؟
ـ لقد أزالت ريح الخريف عن المرج الحسرة والعناء . .

---

(١) حفيد علاء الدولة كاكوية الذي توفي عام ٤٣٣هـ . أنظر ٣٥٠٠ عام من عمر ايران ص ٣٠٧ (المترجم) .

(٢) در شعر همى زيادتى جويد بر طبع معزى خراسانى

فلماذا لم يزل نسيم جودك عني العناء؟
ـ لقد حصد كل شخص زرعه من أرضه . .
فلماذا لم تحصد همتك غصن حسرتي وتعبي؟
ـ أنا غريب مدينتك فاسمع قصتي،
فقد استمع المصطفى ـ كرماً منه ـ لقصة غريب .
ـ عليّ أن أمضي، فإن لم أفعل . .
فسوف يأخذونني هذا الأسبوع يلم كافة أقاربي .
ـ إني أحاول إرضاء أمي وأبي،
فبذلك أمرني الله في كتابه العزيز.
ـ فإن نلت موافقة الملك في وقت قريب . .
فسوف يرضى عني أبي وأمي معاً.
ـ فارع يا مولاي حق نعمة أبي،
فقد امتدحك من صميم روحه . . لفرط حبّه لك . .
ـ وإني لأستحلفك بحقّ خدمة برهاني وحجّته .
أن تسارع خلال هذا الاسبوع بإنجاز مطلبي . [1]

---

(۱) خدايگانا بخشايش آر بر تن من — از آنكه راى تو بر صد هزار تن بخشود
چو زير خاك نهان شد خليل حضرت تو — ميان جان من افروخت آتش نمرود
زدرد آنكه بيالود زير خاك تنش — دلم چو خون شد واز ديدگان فرو پالود
رسيد نوبت سرما وفصل گرما رفت — شتاب صبر من وسردى هوابفزود
غنود ديده بلبل زباد شهريور — ز شهريار چراچشم من شبى نغنود
ربود حسرت وتيمار راغ بادخزان — نسيم جود تو تيمار من چرا نربود
درود گشت زمين هركسى وهمت تو — نهال حسرت وبيماريم چرا نـدرود
غريب شهر توأم بشنواز من اين قصه — كه مصطفى بكرم قصه غريب شنود
روم كه گر نروم باشم اندرين هفته — بخون جملهٔ خويشان خويشتن مأخوذ
رضاى مادر وخشنودى پدر جويم — كه در كتاب خود ايزدمرا چنين فرمود
اگر بزودى يابم زشاه دستورى — شوند جمله ز من مادر وپدر خشنود
نگاه دار شها حق نعمت پدرم — كه از كمال محبّت ترا بجان بستود
بحق خدمت برهانى وبحجت او — كه شغل بنده بدين هفته بر گذارى زود

وفي قصيدة يصف فيها الخريف ويمتدح شرفشاه الجعفري أيضاً، يقول المعزى:

ـ ما دام جودك في قزوين فلن يكون بها سائل فقير،
وما دام عدلك في قزوين فلن يكون بها منزل خرب.
ـ كل من يدخل قزوين بعصاة وكيس..
يغادرها بجوال مملوء بالجواهر وصندوق يغص بالذهب.
ـ كنت في حياة أبي أرفل في النعيم، ويهنئني الناس حيثما ذهبت..
والآن بعد وفاته تحل بي المصائب، ويعزيني الناس في المجالس.
[80] ـ كنت هنا غريباً وصلت المكان لتوي.. وفجأة..
نعب الغراب على الغريب الوافد لتوه.
ـ ظهري مقوس كظهر كل يتيم فقد أباه.
وعيني تسكب الدمع كأي غريب وافد لتوه.
ـ لقد تسبب في وفاته القضاء والقدر..
وليس لأحد الحق في أن يحارب القضاء ويعاتب القدر.
ـ لقد بلغ السادسة والخمسين من عمره،
ولن أراه بعد اليوم.. إلى يوم الحساب.
ـ إن أردت، فإني أقوم بخدمتك كما فعل أبي،
فأفضل خلفٍ للأب.. ابنه
ـ لقد حُرِمت رؤية طلعتك الملكيّة فترة..
فدمت عيني واحترق في صدري قلبي.
ـ وكنت إذا قصدتك للقاء.. قال الحارس: لا لقاء،
وإذا أرسلت رسولاً، لا أفوز من خدمك بجواب[1].

---

(١) تابجود تو بقزوين نيست يك سائل فقير — تاز عدل تو بقزوين نيست يك مسكن خراب
باجوال گوهر وصندوق زر بيرون شود — هركه أو آيد بقزوين باعصا وباجراب
باپدر بودم بهر بقعت مهناء ومصيب — بى پدر گشتم بهر مجلس معزاء ومصاب =

ويستمرّ المعزى قائلاً:

- لقد بات دمع خدي لصفرته كالذهب . .

لأنّي لم أحظ بغير الحرمان في إيابي وذهابي.

- ولطالما دعوت كل ليلة أن أراك . .

إلى أن استجاب الله تعالى ليلة الأمس دعائي.

- وما دمت حيا أقيم في بلاطك الرفيع ، فسوف أستخرج من بحار فكري . .

درراً سنيّة . . أنثرها على صفحة الزمن.

- وأقول للمجد الخالد آمراً: « أسجد واقترب » . .

إذا ما جئت، وحظيت بالسير على بساط الإقتراب. (1)

ويغلب على الظن أن يكون تخلص برهاني مأخوذاً من لقب ألب أرسلان ، ونعنى به برهان أمير المؤمنين . وكان الخليفة « القائم » (2) قد منح السلطان هذا اللقب إلى جانب لقب عضد الدين . ويشير « لامعي الجرجاني » أحدشعراء ألب

= خسروا بودم دراين بقعت غريب ونو سفر   بر غريب نو سفر ناگاه غران شد غراب
يشت چون پشت يتيم بى پدر با انكسار   چشم چون چشم غريب نو سفر باانسكاب
بر وفاتش بود دعوى از قضا واز قدر   نيست كس را باقضاوبا قدر جنگ وعتاب
چند گيرم من حساب عمر او پنجاه وشش   نيست ديدارش مرا روزي إلى يوم الحساب
گر بسندى پيش تو خدمت كنم همچون پدر   كز پدر فرزندرا نيكوتر آيد انتساب
من رهى دور از همايون طلعت تو مدتى   ديده اندر چشم خون گشت ودل اندر كباب
گر بخدمت قصد كردم گفت دربان بار نيست   ورفرستادم يكى خدمت ندادندم جواب

(1) اشك رخسارم بزردى بود مانند ذهب   زانكه جز حرمان نديدم در اياب ودر ذهاب
بر اميد ديدن تو هرشبى كردم دعا   آن دعارا دوش كرد ايزد تعالى مستجاب
تاكه جان دارم خداوندا بدين عالى بساط   آرم از درياى خاطر بر زمان در خوشاب
دولت باينده را گويم كه «اسجد واقترب»   كر بيايم اختصاصي بربساط اقتراب

(2) هو الخليفة القائم بأمر الله ، أبو جعفر عبدالله . بدأ حكمه عام ٤٢٢هـ = ١٠٣١م، وانتهى عام ٤٦٧هـ = ١٠٨٥م. حدث أول خلاف بين السلاجقة والخلافة في عهده حين قبض طغرليك على الملك الرحيم البويهي عقب دخوله بغداد، وأطلق جند السلاجقة أيديهم بالسلب والنهب في عاصمة الخلافة. ولضعف الخليفة آنذاك لم يستطع مواجهة طغرل . ثم ذاب الخلاف بزواجه من أرسلان خاتون إبنة داود أخي طغرل. (المترجم).

أرسلان الخصوصيين ـ إلى هذا اللقب في أشعاره ، فيقول ضمن ما يقول :

ـ الملك لازم لمثل هذا الملك ، الملك لازم لمثل هذا السلطان . .
ذاك الذي يثير الرعب في مصر حينا ، ويرسل جيشه الى الصين في بعض الأحيان .
ـ يبلغ طول جيشه ما بين حدود غزنين وحدود انطاكية . .
ويبلغ طول موكبه ما بين حدود اوغان وحدود ما فارقين .
ـ أي ملك في دنيانا الآن يضارع كهف الأنام . .
أبا شجاع ألب أرسلان برهاني أمير المؤمنين؟(١)

ويغلب على الظن أن يكون ألب أرسلان قد أطلق لقبه (برهاني) على أمير شعرائه ، كما أطلق ابنه معز الدين والدنيا ملكشته لقبه (العزى) على ابن برهاني .

ويتّضح من أشعار المعزى أن والده برهاني كان يمتدح عدداً من رجال البلاط والأمراء من معاصري ألب أرسلان ، وأنه (أي المعزى) كان يمتدحهم بدوره أسوة بأبيه وإحياء لذكرى خدمته لهم .

[81]

وهؤلاء العظماء هم :

١ ـ الأمير ضياء الملك أبو يعقوب يوسف بن باجر ، الذي يقول المعزى في مدحه :

ـ يا شمس إيران . . ضياء الملك . .
يا أبا يعقوب يوسف بن باجر .
ـ لقد كان لسان عبدك برهاني . .
لا يكف عن مدحك والثناء عليك .

---

(١) ملك راشاهنشه وسلطان چنين بايد چنين | كه نهيب او بمصر وكه سياه او بچين
از حد غزنينش لشكر تا حد انطاكيه | ازحد اوغانش موكب تاحد ما فارقين
درجهان ايدون كدامين شاه جز كهف الأنام | بو شجاع الب أرسلان برهان مير مؤمنين

ـ وها هو قلبي يا فخر إيران . .
يمجِّد على مدى الأعوام قهرك وسطوتك .
ـ لقد هاجرت تاركاً مدينتي . .
غير أني لن أهجر مدى الحياة خدمتك .[1]

* * *

ـ أبغي القبول والرضا من خدمتي . .
وبلوغ ما أرجو، أراه من عظيم النِعَم .[2]

ويبدو أن هذا الشخص الذي كان من قادة جنود السلاجقة . . هو « ابن باجري » الذي اختلف المؤرخون في صحّة اسمه بين : فاجر وتارج وبيجر. وكان هذا الشخص يشغل منصب قائد العسكر في عهد جغري[3] . وهو نفسه الذي كان الخواجة نظام الملك يعمل كاتباً له قبل أن يلتحق بخدمة جغري .

وكان لابن هذا الأمير ـ ويدعى مسعود ـ دخلٌ في تمرّد تكش على ملكشاه في علم ٤٧٧هـ ، وفي تمرّد أرسلان أرغو على بركيارق . . في حوادث خراسان .[4]

٢ ـ « كمال الدولة أبو الرضا » وابنه « سيد الرؤساء » اللذان سبق لنا الحديث عنهما ، ووردت أشعار المعزى بخصوصهما .

---

(١) ضياء الملك خورشيد ايران ابو يعوقب يوسف ابن باجر
زبان بنده برهانى هميشه بمدح وآفرينت بود ذاكر
دل من بنده نيز اى فخر ايران همه ساله زقهر تست شاكر
مهاجر گشتم ازشهر وبر خويش نخواهم گشت از اين خدمت مهاجر

(٢) مرا مقصود ازين خدمت قبولت رسم زان پس بخدمتهاى فاخر

(٣) إبن الأثير، عام ٤٩٠هـ ، عماد، ص ٥٦

(٤) ابن الأثير، ٤٧٧هـ ؛ عماد، ص٢٥٧ ؛ أخبار الدولة السلجوقية ، ص ٨٥. عينّ ملكشاه أخاه تاج الدين تتش على الشام عام ٤٧٠ هـ = ١٠٧٧م، وثارتتش عام ٤٧٩هـ = ١٠٨٦م ثم أظهر ولاءه لملكشاه. واصطدم تتش ببركيارق عام ٤٨٧هـ = ١٠٩٤م وأخيراً قتله بركيارق قرب الري عام ٤٨٨هـ = ١٠٩٥م. أما أرسلان أرغو فقد قتله أحد غلمانه عام ٤٩٠هـ = ١٠٩٧م قبل أن يصله جيش سنجر وقماج وبركيارق للقضاء على فتنته (المترجم) .

٣ ـ « ثقة الملك أبو مسلم سروشياري »، رئيس الري وصهر خواجه نظام الملك . كان يحكم الري قبل علم ٤٦٤هـ . وقد جاء الداعية الإسماعيلي المعروف « عبد الملك بن عطاش » إلى الري في ذلك التاريخ ، واختار الحسن بن الصباح نائباً له ، وظل الحسن في الري حتى علم ٤٦٧هـ، ثم اصطدم بخواجه نظام الملك ، وهاجمه أبو مسلم ففر إلى أصفهان. [1]

وفي علم ٤٨٥هـ حين نادى غلمان نظام الملك ببركيارق سلطاناً ، وعملوا على تسهيل فراره من أصفهان وإحضاره إلى الري . . علّق أبو مسلم تاجاً مرصعاً على رأسه (بركيا رق)[2] . وبقي أبو مسلم في رياسة الري إلى أن قتله فدائي إسماعيلي يدعى خداداد علم ٤٩٤ هـ بضربة من خنجره. [3]

[82]

وهذه أشعار المعزى في مدح هذا الشخص والإشارة إلى خدمة أبيه برهاني لديه قديماً :

ـ ما أسرع ما يطلّ الربيع الجديد برأسه من الأرض
لتجتليه عينا ثقة الملك الحاكم القديم . .
ـ صدر العراقيين وسيد الرازيين . .
أبو مسلم الممجّد الرئيس الكبير.
ـ إن نسل سروشيار موزّع في أنحاء الدنيا.
وأبو مسلم سيد هذا النسل وأعظم أفراده.
ـ فإن يكن أبوه قد أبعده عنه في طفولته . .
فإن الحظ يضمّه إليه ، ويدلله ، وينشر أمجاده. [4]

---

(١) لمعرفة الكثير عن هذه الشخصيات وعن الإسماعيلية بصفة عامة ، يمكن الرجوع إلى السلاجقة في التاريخ والحضارة، ص ١٦٧ ـ ١٨٧ (المترجم).

(٢) تولى بركيارق وعمره ١٣ عاماً، فعلّقوا التاج على العرش فوق رأسه لثقله . . إشفاقاً عليه كما يقول ابن هشلم (سيرة ابن هشلم، طبع وستنفلد، ص ٤٢). (المترجم).

(٣) إبن الأثير، ٤٩٤هـ ، زبده التواريخ لأبي القاسم الكاشي ،راحة الصدور ص ١٤٠ ـ ١٤١، عماد، ص ٩٣ حواشي القزويني على جهانگشا.

(٤) زوداكه نوبهار آرد سراز زمين گردد بدولت ثقة الملك آشكار =

- كان في مجلسك شاعر عزيز ، ترك من خلفه « المعزى » ليخلّد ذكراه
- لقد نلت من الحاكم خلعة ومنشوراً . . صرت بفضلهما صاحب الحظ الذي تراه .
- أعرف أن أبي قد فضّل خدمتك ، وأنا أسايره ، فعلى الولد أن يتبع أباه .
- عشرة أيام أكون فيها عبد بساطك ، بعدها أصبح خادم سلطان العصر وأخلص رعاياه .[1]

٤ ـ سيد أبو طاهر مطهر بن علي ذو الفخرين[2] . يقول المعزى في مدحه :
- فخر أمة الرسول ، سيد السادات ، ذو الفخرين ، تاج الأصفياء . . كن له الفدا .
- قِبلة الإقبال أبو طاهر المطهر بن علي ، الإمام بن الإمام ، المرتضى بن المرتضى[3] .

* * *

- أخلص برهاني أول عهد بخدمتك . .
فنال رضاك ، وحقّق مبتغاه ، وتوفّرت له الحماية .
- وسوف أخلص في خدمتك كأبي سواء بسواء . .
لأكون بفضل رضاك محظوظاً منذ البداية[4] .

ويبدو أن المقصود بهذا الشخص هو السيد المرتضى ذو الفخر بن المطهر بن

= صدر عراقيان وخداوند رازيان | بو مسلم ستوده رئيس بزرگوار
نسل سروشيار براكنده در جهان | بو مسلم است سيد نسل سروشيار
گرگاه كودكى پدر ازوى كناره شد | بختش بعز وناز بپرورد دركنار

(١) در مجلس تو بود يكى شاعر عزيز | زان شاعر عزيز معزى است يادگار
از شهريار خلعت ومنشور يافتم | مقبل شدم بخلعت ومنشور شهريار
دانم كه اختيار پدر خدمت تو بود | من نيز چون پدر كنم اين خدمت اختيار
ده روز بندگى بكنم بربساط تو | زان پس شوم بخدمت سلطان روزگار

(٢) في آخر العهد كان الأستاذ أبو مسلم يكتب (ثقة الملك) والسيد مرتضى القمي (ذو الفخرين) . (بعض فضائح النواصب ، ص١٧)

(٣) خدمت آن كن كه فخر امت پيغمبراست | سيد السادات ذو الفخرين وتاج اصفيا
قبله ٔ اقبال بو طاهر مطهر بن علي | الإمام بن الإمام المرتضى بن المرتضى

(٤) كرد برهانى بأول خدمت تو مخلصى | يافت او اقبال توهم مرتجاهم ملتجا
كرد خواهم خدمت تو مخلصا همچون پدر | تا باقبال تو گردم مقبل اندر مبتدا

علي العلوي ،[1] نقيب العلويين في الري . وقد قابله الباخرزي في تلك المدينة عام ٤٣٤هـ كما ورد ذكره في فهرست أسماء مشايخ الشيعة لمنتجب الدين القمي . وهو من أبناء « عبد الله الباهر بن الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب » . وقد أستمرّت نقابة الري في أسرته إلى أن وجّه السلطان تكش خوارزمشاه » حملته إلى الري في عام ٥٩١هـ .[2]

[83]

٥ ـ الأمير عضد الدين شمس الملوك علاء الدولة علي بن الأمير شمس الملوك ظهير الدين أبي منصور فرامرز بن كاكويه الأمير علاء الدولة أبي جعفر عضد الدين محمد بن دشمنزيار رستم بن مرزبان الديلمي .

هو ابن الأمير أبي منصورفرامرز وحفيد علاء الدولة كاكويه ، المعاصر للشيخ الرئيس أبي علي سينا[3] . اختاره طغرل عام ٤٤٣هـ ليكون حاكماً علي يزد بعد وفاة أبيه ، وكان نديماً لملكشاه . وفي علم ٤٦٩هـ ، زوّجه السلطان إبنةَ جغرى بيك . . وهي الزوجة السابقة للخليفة القائم . وظل في خدمة ملكشاه بلا انقطاع . . إلى أن قتل في الحرب التي دارت بين تتش بن ألب أرسلان وبين بركيارق . وهو نفس الشخص الذي أستعطف ملكشاه من أجل المعزى ـ بناءا على شهادة نظامي عروضي ـ وحصل له على مخصصات والده . ويشير المعزى بنفسه إلى هذه النعم السابقة ، ويمتدح الأمير علاء الدولة ، فيقول :

ـ يكفيك فخراً أن أصفك في حفل شمس الملوك عضد الدين . .

ـ الملك الحر . . علي بن فرامرز ، ظهير الجيش ومؤنس سلطان السلاطين .

(١) قلت يوماً للمرتضى المطهّر بن علي العلوي . . (السمعاني 348 a)

(٢) عمدة الطالب ، ص ٢٤٤ ؛ تجارب السلف ، ص ٣٣٣ ؛ إبن الاثير ، حوادث عام ٥٩١هـ ، مقدّمة عالم العلماء لابن شهر آشوب (طبع المؤلف) .

(٣) أنظر: ٣٥٠٠ عام من عمر إيران ، ص ٣٠٧ . (المترجم) .

ـ لقد كان لقبا جده وأبيه عضداً وشمساً ، ومنه حظى اللقبان بالرونق والتزيين .[1]

وفي قصيدة أخرى يقـول :

ـ الأمير الأجلّ علي فرامرز الخسروي . . من له تقاليد رستم ومعاني معن وهيئة سلم المغواري .

ـ لقد صعد نجم سعدى بفضل مناقب العليْيَنْ،
ورقَّ طبعي بمديحي للعليْيَنْ وأكثرت الكلام والحوار.

ـ لقد أدخلا السرور على قلب الرسول المختار،
وسر جغرى بك بهما وأحس بالفخار.

ـ وإني لأعلم أنك سمعت يا مولاي عن حالي ،
وأن جسدي قد ضعف عندما غادر أبي هذه الدار.

[84] ـ وأني كنت أسيرٌ بين الخلق حائراً محطماً . .
وأدور كالمجانين . . حول المدينة والديار.

ـ فأعلنت لقب المعزى، واستمَعَ لشعري . .
عندما شهد لساني ينثر الجواهر عند المديح . . في صورة أشعار.

ـ إني نائب عن والدي في خدمتك . .
الجدّ في الشمائل والحدّ في اللسان .

ـ إن يكن بستان الشعر قد هجره بلبله ،
فاستمع إلى تغريد صغير البلبل في البستان .

ـ لقد حقق بلاط سيف الدولة للمتنبي سعادته . .
كما أدخل الجغانيون على قلب الحكيم الدقيقي الحبور.

ـ وعاد عليّ بساطك بالفرحة والبهجة . . .

---

(١) اين فخـر ترابس كه همـى وصف تو كويم — در بزمـگه شمس ملـوكان عضـد الديـن
شهـزاده آزاده علي بن فرامـرز — پشـت سپـه ومـونس سلطـان سلاطـين
جد وپـدرش را عضـد وشـمس لقـب بـود — وين هر دو لقـب يافـت ازو رونـق وتزيـين

فعندك وجدت السعادة والشرف والعمر الطويل والسرور.

ـ فقدّمني إلى مولاي وقرّبني منه . . فإنك إن تفعل . .

أحصل في ظل جاهك على كافة كنوز المناجم والبحور.[1]

٦ ـ ذو السعادات فخر المعالي أبو علي شرفشاه العلوي الجعفري، رئيس قزوين الذي أوردنا أشعاراً قالها المعزى في حقّه. ولم يترك لنا برهاني غير منظومة مطوّلة واحدة وهي قصيدة في التشبيب، أوردها محمد بن بدر الجاجرمي في كتابه مؤنس الأحرار وذكر أنها كانت تشتمل على مديح موجّه لذي السعادات:

ـ كل يوم أقضيه في الخرابات . . أتدلل كموسى في المناجاة.

ـ كل يوم أقضيه في الثمل والشراب، تصبح مباركة فيه أيامي والساعات.

ـ عندما أغيب عن نفسي أكون أفضل مني الآن . . لا أقرأ القرآن ولا أبدي الطاعات.

ـ فحين أتحرّر من قيد العقل . . أرتاح من تهديد العبادات

ـ يأمرني موسى بمراعاة ما جاء بالتوراة . . لأني راعيت حق فرعون كل المراعاة.

ـ تقول لي كيف ترتضي لباسك هذا؟! ماذا يعرف رواد الخرابات غير هذه الملبوسات؟

ـ أحياناً يكون سجودي أملم معشوق، وأحياناً يكون أملم مطرب ما أقرأه من التحيات.

---

(١) مير اجلّ على فرامرزى خسروى
گشت از مناقب دو علی بخت من بلند
پیغمبر گزیده بدو بود شاد دل
دانم شنیده ای تو خداوند حال من
بودم میان خلق جو آشفتگان تباه
دادم لقب معزی وبشنید شعر من
مرا منم بخدمت تو نایب پدر
گرگلستان شعر زبلبل تهی شده است
فرخنده بود بر متبی بساط سیف
فرخنده شد بساط تو برمن که یافتم
گرپیش شهریار مراحشمتی نبی

رستم رسوم ومعن معانی وسام سان
شدبر مدایح دو علی طبع من روان
جعفری بك ستوده بدین هست شادمان
كز فرقت پدر تن من بود ناتوان
بودم بگرد شهر چو دیوانگان نوان
چون دید در مدیح زبانم گهرفشان
الجد في الشمائل والحد في اللسان
بشنو نوای بچه بلبل زگلستان
چونانکه برحکیم دقیقی چغانیان ـ
ازتو سعادت وشرف وعمر جاودان ـ
حاصل کنم بدولت توهمه گنج بحر وکان

- أحياناً أقول أيها الساقي . . خذ قدحي . . وأحياناً أقول : أيها المطرب . . غزلك هات .

- لكثرة ما أعب من الخمر أصرخ من ثملي ، فيأتي صراخي وكأنه صادر من حجرة في السماوات .

- لقد رأى والدي دِنّ خمري ، وسهّلت أمي طريقي إلى الخرابات .

- أنا حر مستهتر لا أبالي ، أفخر بوقوفي في صف المعربدين ، وأقولها في مباهاة .

[85] - وما دمت تعرف أني أميل إلى الترهات ، فلا تقرئني السلام أيها السيد . . هيهات

- إن ما أقوله خرافات خرابات ، فأنا لا دراية لي بغير الهزل والخرافات .

- إني أتحدث عن الملك الجعفري ، أصل السيادة والجود ، طيّب الذات .

وقد ضاع القسم الذي يتعلق بالمديح في هذه القصيدة . ومن المؤكد أن برهان قد اختار القافية (ات) لكي يتمكن من إيراد لقب شرفشاه ، ونعني به ذا السعادات .

٧ - شرف الملك . يقول المعزى في مدحه :

- إلى متى يلاحقني بلاء خراسان ! !

إن كل ما أصابني قد جاءني من خراسان . . مهما اختلف .

---

(١) هران روزی که باشم در خرابات — همی نازم چو موسی در مناجات
هرآن روزی که در مستی گزارم — مبارك باشدم ایام وساعات
مرا بی خویشتن بهترکه باشم — نه قرآنی نمایم من نه طاعات
چو از بند خرد آزاد کردم — بر آسایم ز تهدید عبادات
مرا موسی بفرماید به توراة — چو کردم حق فرعونی مراعات
مرا گوئی لباسات تو تاکی — خراباتی چه داند جز لباسات
گهی اندر سجودم پیش معشوق — گهی پیش مغنی در تحیات
گهی گویم که ای ساقی قدم: خذ — گهی گویم که ای مطرب غزل: هات
من وباره کشیدن تاز مستی — کشم نعره ز حجره در سماوات
پدر برخم خمرم وقف کرده است — سبیلم کرد مادر بر خرابات
یکی آزاد مردم لا ابالی — کنم در صف قلاشان مباهات
چو دانستی که مرد ترهاتم — مکن برمن سلام ای خواجه هیات
خرافات خراباتی چه گویم — ندانم من بجز هزل وخرافات
سخن گویم زشاهی جعفری أصل — خداوندی جوادی نیکوی ذات

- إني في طريقي إلى العراق لأكون في خدمتك . .

أسير نحو سيد العراقين . . يا من أنت للملك شرف .

- يا مفخر الكفاة ، ويا سيد الذي . .

مدح الموحّدين له ليس يختلف .

- بقدوم البرهاني إليك وقربه منك . .

ذاع صيته وبلغت آثاره كل طَرَف .

- هو غائب ، وأنا نائبه ووالده ،

وقد أحضرت لك من بنات أفكاري أحسن الطرف .[1]

ويبدو أن المقصود بشرف الملك هذا هو شرف الملك محمود بن منصور بن محمد - المستوفى الخوارزمي الذي مرّ ذكره . . خاصة وأن شرف الملك المستوفي - طبقاًلشرحنا السابق - كان يشغل منصب الاستيفاء في المملكة السلجوقية قبل جلوس ملكشاه بفترة ، ولا بد والحال هكذا أن يكون البرهاني قد امتدحه في عهد ألب أرسلان .

وقد ذكرنا أنه ليس في يدنا من أشعار للبرهاني غير التشبيب الذي سجّلناه . غير أنه توجد في دفتر خطي بحوزتي قطعة قصيرة منسوبة إلى الخواجة عبد الملك السمرقندي ، الذي يغلب على الظن أن يكون هو نفسه الخواجة عبد الملك البرهاني . . وكنا قد ذكرنا آنفاً أن البعض قد اعتبره السمرقندي . . من باب الخطأ .

وهذا نص القطعة التي تفيض رقة ولطفاً :

- يا إنسان أعيننا لا تبتعد عن أنظارنا ، يا عمرنا الغالي لا تفارق صدرنا .

- يا روحنا العزيزة لا تفارقي الجسد المُعَنّى ، ويا ظل الرحمة لا تنحسر عن رأسنا .

---

(١) تابكى من از بلاد خراسان بلاكشم ... اين آمد از بلاد خراسان مرابكف

در خدمت ركاب تو آيم سوى عراق ... تاسيد العراقين اى ملك شرف

يا مفخر الكفاة ويا سيد الذي ... مدح الموحدين له ليس يختلف

برهانى از شمار قدم بود پيش تو ... مشهور بود نام ونشانش بهر طرف

أو غايب است ونايب وفرزند أو منم ... واورده أم زخاطر خويش احسن الطرف

ـ يا نقش خيال خط روح الأرواح ، لا تغب عن لوح سواد بصرنا .[1]

[86] وقد ضمَّن المعزى بيتين من أشعار والده البرهاني في إحدى قصائده ، فقال :

ـ هذان بيتان قالهما خواجه برهاني يليقان بك ، ففيهما لك البرهان :

ـ « بحق أفضل إنسان وحق ذلك الوجه الـذي نزلـت فيه سورة : هل أتـى على الإنسان . .

ـ أن اسمك ونسلك باقيان إلى الساعة التي يتحقق فيها قوله تعالى كل من عليها فان[2] .

---

(1) أي مردم چشـم از نظـر ما مرو آخر — وي عمـر گرامـي زبـر ما مرو آخر
أي جان عزيز ازتـن رنجـور مشـو دور — وي سايهٔ رحمـت زسرمـا مرو آخر
أي نقش خيال خط جان پرور جانان — از لوح سواد بصرمـا مرو آخر

(2) دوبيت شعـر زگفتـار خواجـه برهاني — تـرا سزد كه توبـى هر دوبيت رابرهان
« بحـق افضـل انسـان وحـق آن صورت — كه هست سورت أو : هل أتـى على الإنسان
كه نلم ونسـل تو باقيسـت تابـدان ساعت — كه آشـكار شود كل من عليهـا فان » .

[87]

ناصر الدين أبو عبدالله مكرم بن العلاء مجير الدولة وزير سلاجقة كرمان[1]

يذكر « محمد بن ابراهيم » صاحب تاريخ سلاجقة كرمان مكرم بن العلاء في كتابه (ص ١٨) ضمن من يذكرهم من المادحين الذين ارتبطوا بالشعراء بصلات كبيرة متشعبّة فاقت حدّ المألوف . ويذكر قصته المعروفة مع أبي إسحق ابراهيم بن عثمان الغزي (٤٤١ - ٥٢٤ هـ) ، وشبل الدولة أبي الهيجاء مقاتل بن عطية البكري (ت ٥٠٥ هـ) . وإلى جانب الغزي والعباسي ذكر الكاتب اسم البرهاني والمعزي ، وقال إن ديوان هؤلاء الشعراء المبرزين شاهد صدق على حسن آثارهم وكمال عظمتهم .

وقد وردت في ديوان أمير الشعراء قصيدة واحدة فقط في مدح مكرم بن العلاء ، امتدحه في مطلعها بقوله :

- أي بحر في الدنيا ذاك الذي بسبب حركته يجري النيل وسيحون ،
ويجري الفرات ودجلة وجيحون ؟[2]

وامتدحه في ثناياها بقوله :

---

(١) يسمى سلاجقة كرمان بالقاوردين نسبة إلى قاورد أخي ألب أرسلان الذي اتصل بكرمان علم ٤٣٣ هـ = ١٠٤١م بصفة حاكماً من قِبَل عمّه طغرلبك ، أو توجّه لفتحها علم ٤٤٢ = ١٠٥٠م بأمر من عمه طغرل ، وانتزعها من يد الديالمة . . وأرى أن التاريخ الأول هو الصحيح . وفي علم ٥٨٣ هـ = ١١٨٧م استولى الملك دينار الغزي على حكومتهم وممتلكاتهم ، فانتهت دولتهم (المترجم) انظر : حمد الله مستوفي القزويني : تاريخ كزيدة ، ص ٤٧١ ، حبيب السير حـ ٢ ص ٥٣٧ ، زمباور : معجم الأنساب ص ٣٣٥ ، ذبيح الله صفا : تاريخ أبيات درايران حـ ٢ ص ١٨ .

(٢) چيست آن درياكه هست ازجنبش أو درجهان نيل وسيحون وفرات ودجله وجيحون روان

ـ صاحب الجاه مجير الدولة وصدر الكفاة . .
ناصر الدين تابع كسرى ، فاتح الدنيا وبطل الزمان .

ـ سيّد الوزراء وتاجهم المكرم . .
المنعّم في كل حال ، الموفّق في كل شأن[١]

***

ـ كأني بأذنه تسمع دون وساطة أخبارَ كرمان ،
وتلتقط صرخات الفقراء من كل البلدان .

ـ يعيش في كرمان ، وله من جوده في كل إقليم . .
منّة على العظماء . . ونعمة في كل مكان .[٢]

***

ـ ذاك اسمه الصاحب[٣] . . وقد كان للملك وزيراً . .
وصار بفضل مناقبه قصة تروي في الري وأصفهان .

ـ وهذا اسمه الصاحب . .[٤] وهو وزير ملك إيران . .
وهو قصّة من قصص الفضائل في إيران وتوران .

[88] ـ قال ذاك الصاحب بزلة واحدة يكون الخلود في سقر . .
ويقول هذا الصاحب : بطاعة واحدة يكون الخلود في الجنان

---

(١) صاحب دولت مجير دولت وصدر كفاة ناصر دين كدخداي خسروكيتي ستان
سيد وتاج وزيران مكرم آنكه هست منعم في كل حال مقبل في كل شان

(٢) گوش أو گوئي بكرمان بشنود بيواسطة هركجادر كشوري آيد زدرويشي فغان
أو بكرمان است واز جودش بهر اقليم هست منتي بر هرمكين ونعمتي در هرمكان

(٣) يعنى الصاحب إسماعيل بن عباد وزير الملك فخر الدولة الديلمي .

(٤) ايران شاه بن تورانشاه (٤٩٠ ـ ٤٩٥ هـ) من سلاجقة كرمان .

- كان ذاك يغالي حين يقول إن فساد الشرع سببه الأسرة . .
بينما يرى هذا أن علوّ الأسرة سرّ صلاح الخلق والإنسان .

- كان ذاك يرى أن الشرّ من الشيطان والخير من الله . .
بينما يرى هذا أن الشرّ والخير من الله المنّان .

- وإذا كانت أخبار عطاء ذلك قد ملأت الآذان . .
فبفضل عطاء هذا زال الإبصار وأضاءت العينان .

- وإذا كانت هناك نسخة من توقيعات ذاك في الرسائل . .
فإن توقيعاته تعد حشواً بالنسبة لتوقيعات وزير العصر والأوان .[1]

ومن البيت الذي يقول فيه المعزي :

- ولو رأيت مجلسك العالي ليلة في منامي . .
لرأيت رأي العين أقصى ما يمكن تخيّله من الجنان .

يفهم أنه قد أرسل هذا القصيدة لبلاطه ، ولم يكن المعزي آنذاك في كرمان . ويتّضح من القصيدة أن المعزي قد امتدحه إبان سلطنة إيرانشاه بن تورانشاه (٤٩٠ ـ ٤٩٥ هـ) . ولما كان صاحب تاريخ سلاجقة كرمان يعتبره من الوزراء السابقين على تورانشاه (٤٧٧ ـ ٤٩٠ هـ)[2] ، فإن ذلك يعني أن مكرم بن العلاء كان وزيراً على كرمان قبل علم ٤٧٧ هـ على أقل تقدير ، أي منذ بداية

---

(١) نلم آن صاحب كه شاهنشاه رادستور بود — از مناقب داستان شد درري ودراصفهان
نلم اين صاحب كه دستوراست ايرانشاه را — از فضايل هست در ايران وتوران داستان
گفت آن صاحب بيك زلت خلود اندرسفر — گويد اين صاحب بيك طاعت خلود اندرجنان
الخ

(٢) توفي سلطان شاه بن قاورد علم ٤٧٧ هـ = ١٠٨٤ م (على خلاف بين المؤرخين) فجلس على العرش تورانشاه بن قاورد ، وكان يلقب بمحيي الدين عماد الدولة . ومات علم ٤٨٩ هـ = ١٠٩٥ م (على خلاف بين المؤرخين) .

سلطنة تورانشاه ـ وحتى علم ٤٩٠ هـ الذي تولى فيه إيرانشاه[١] . وهناك قرائن أخرى تؤكد أنه كان يشغل منصب الوزارة إبان سلطنة قاورت (٤٤٧ ـ ٤٤٦ هـ مؤسس دولة سلاجقة كرمان[٢] ، وهذه هي القرائن :

جاء في تاريخ كرمان المضاف إلى زبدة التواريخ لأبي القاسم الكاشي أن قلعة بردسير قد بناها الصاحب « مكرم بن العلاء » . وبرد سير هي التي أتخذ منها قاورت وأولاده عاصمة لهم . وقد استولى عليها قاورت علم ٤٤٧ هـ فخرّب القلعة . وفي علم ٤٦٧ هـ ـ بعد قتل قاورت بعام واحد ـ عَمُرت القلعة من جديد ، ووقع اختيار شلطانشاه ـ خليفة قاورت ـ عليها ، فتحصّن فيها ضد جنود ملكشاه[٣] . وبناء عليه فقد تمّ تشييد قلعة كرمان على يد مكرم بن العلاء قبل عام ٤٦٧هـ ، وذلك في عهد قاورت على الأرجح . [89]

ويتحدّث الشاعر غزّي ـ في قصيدة له سنقوم بنقلها ـ عن فتوحات مكرم بن العلاء . . ومن بينها فتح عمان الذي تمّ في فترة حكم قاورت .

ويقول ابن الأثير في حوادث علم ٤٥٩ هـ تعليقاً على تمرّد قاورت على ألب أرسلان[٤] أن وزير قاورت كان رجلاً جاهلاً ، وينسب إليه الاستبداد والطغيان .

---

(١) جلس على العرش بعد أبيه تورانشاه ، وكان يلقّب ببهاء الدين . كان فاسقاً ظالماً لاهياً لا يهتم بالرعية ويعطف على الإسماعيلية ، لذا خرج عليه أهل كرمان وقتلوه علم ٤٩٤ هـ = ١١٠٠م (المترجم) . لمعرفة الكثير عن سلطان شاه وتورانشاه ، أنظر : تاريخ كزبده ، ص ٤٧٢ ، حبيب السير حـ ٢ ص ٥٣٧ ، معجم الأنساب ص ٣٣٥ ، تاريخ أدبيات در إيران ، حـ ٢ ص ١٨ ، براون ، تاريخ الأدب في إيران (بالعربية) حـ ٢ ص ٣٨٠ .

(٢) لما كان البرهاني قد توفي علم ٤٦٥ هـ تقريباً ، فإن مدائحه التي نظمها من أجل الوزير مكرم بن العلاء ـ الذي كان وفقاً لكلام صاحب تاريخ السلاجقة ممدوحاً لبرهاني هو الآخر ـ تكون قد نظمت قبل العلم الذي توفي فيه برهاني ـ بداهة ـ أي قبل علم ٤٦٥ هـ . وهذا يدل على أن وزارة مكرم بن العلاء كانت سابقة على التاريخ المذكور آنفاً . . أي في عهد قاورد .

(٣) تولى علم ٤٦٥ هـ = ١٠٧٢م وتوفي علم ٤٧٧ هـ = ١٠٨٤م (المترجم) .

(٤) وأحس قاورد بقوته وعظيم سطوته فعصى أخاه ألب أرسلان . وحين أحسّ خطره ولمس قوته وبطشه عاد إلى طاعته (المترجم) أنظر : محمد بن إبراهيم : تاريخ سلجوقيان كرمان ليدن ١٨٨٦م ص ١٣ ، راحة الصدور ، ليدن ص ١٢٦ ـ ١٢٧ ؛ حبيب السير حـ ٢ ص ٥٣٧ . ويقال إنه لم يعص ملكشاه وإنما عاد لعصيان ألب أرسلان علم ٤٦٥ هـ = ١٠٧٢ ، فقتله الأخير بالسم . (المترجم) .

ولا شك أن الشخص الذي كان يشغل منصب الوزارة لقاورت عام ٤٥٩ هـ شخص آخر غير مكرم بن العلاء أحد مشاهير ذلك العهد ولعله القاضي فزاري ، الذي لم يورد صاحب تاريخ سلاجقة كرمان ذكره بوضوح . ومن مشاهير شعراء عهد ملكشاه وسنجر في خراسان والعراق . . أبوإسحق ابراهيم بن عثمان بن محمد الكلبي الغزي (٤٤١ - ٥٢٤ هـ) وكان يختص بمدح مكرم بن العلاء وله قصائد عديدة في مدح مكرم وشرح فتوحاته في حدود بحر عمان،والحديث حول محاربته للخوارج المقيمين بتلك الحدود . وتبدأ احدى قصائده بالمطلع التالي :

ورود ركاب الدمع يكفي الركائبا وشمّ تراب الربع يشفي الترائبا

والبيتان التاليان من أشهر أبيات القصيدة ، وقد أوردهما ابن خلكان في أحوال الغزي :

حملنا من الأيام مالا نطيقه كما حمل العظم الكسير العصائبا
وليل رجونا أن يدب عذاره فما اختط حتى صار بالفجر شائبا

ويقول في مديحة له يذكر فيها فتح عمان :

سوابح كالنيتان تحسب أنني مسخت المطايا إذ مسحت السباسبا
تنسّمن من كرمان عَرفاً عرفته فهن يلاعبن النشاط لواغبا
[90] نبسم ثغر الدهر منه بصاحب إذا جدّ لم يصحب سوى العزم صاحبا
ولم ير ليثا حاذراً قبل مكرم ينافس في العليا ويعطي الرغائبا

***

ثني نحو شمطاء الوزارة طرفه فصارت بأدنى لحظة منه كاعبا
فتحت اللها يا ناصر الدين باللهي وفاتحها يدعى الخطيب المخاطبا

***

ويوم العمانيين ماجوا وفوقهم ... سماء قسى يرسل النبل حاصبا
أشرت من التدبير والبحر بينكم ... بنجم رآه الجيش في البر ثاقبا

***

بدا بك وجه الدين أبيض مشرقا ... ووجه عدو الله أسود شاحبا

وقد طبعت هذه القصيدة بأكملها في مصر ضمن ديوان أبي المظفر الأبيوردي ، بطريق الخطأ ، شأنها شأن الكثير من قصائد الغزي ، ونسبها جامع الديوان أو طابعه إلى الأبيوردي . وإذا رجعنا لنسخة ديوان الغزي القديمة الموجودة في مكتبه باريس (تحت رقم Arabe 316) نجد القصيدة المذكورة واردة تحت عنوان :

« مدح أبي عبد الله مكرم بن العلاء بكرمان ، وذكر ما جرى بينه وبين الخوارج في الحرب التي دارت في البحر ، وظفر فيها بهم » .

وفي قصيدة أخرى للغزي يمتدح فيها مكرم بن العلاء[1] يرد لقب مكرم بنفس الصورة التي ورد فيها لدى المعزي أي مجير الدولة ، فيقول الشاعر :

فلله صدر كاتب سلمت له ... على السير دون ابن العميد رسائل
كأن المعاني في محاريب كتبه ... قناديل ليل والسطور سلاسل
كواكب عجم في أهلة أحرف ... بدور المعاني بينهن كوامل
إليك مجير الدولة انجردت بنا ... رواجل من آمالنا ورواحل
[91] ومن لم يساعده المنى فهو خائب ... ومن لم يفرّسه الغنى فهو راجل
محياك بدر والملوك كواكب ... وكفّك بحر والأكف جداول
قصدتك لا بالشعر من أرض غزة ... ولكن بقولي إنني لك آمل

(١) ديوان أبيوردي ، ص ٢٧٦ ـ ٢٧٩ .

وآخر بيت في القصيدة وهو :

بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله   وهذا دعاء للبرية شامل

من الأبيات الشهيرة ، وغالباً ما استخدمه الأدباء بعد الغزي .

***



[92] ٥ ـ أبو المعالي عضد الدين سديد الملك مفضل بن عبد الرزاق بن عمر[١]
(عارض جند ملكشاه ورئيس ديوان إشراف بركيارق).

***

كان هذا الشخص يشغل منصب عارض الجند في الفترة الأخيرة من سلطنة ملكشاه فلما شُغِل تاج الملك الشيرازي في البلاط السلطاني بالصراع مع خواجه نظام الملك . . إتخذ منه (أي من سديد الملك العارض) معيناً وظهيراً[٢] . وبعد موت ملكشاه ومصرع تاج الملك تعرّض سديد الملك لفترة حيرة وضياع ـ شأنه شأن غالبية أصحاب الديوان السلطاني ـ إلى أن استقر الحكم للسلطان غياث الدين محمد ، وزال وزيره مؤيد الملك من مسرح الأحداث ، فانضم (سديد الملك) إلى جهازه الإداري .

وفي علم ٤٩٥ هـ ، أوفد السلطان محمد سديدَ الملك إلى بغداد في مهمة ضريبية ، فاختاره المستظهر في نفس العلم ليكون وزيراً له . وفي العلم التالي تمّ عزله وحبسه ، فلما خرج من محبسه فرّ إلى حلّة سيفية ، ثم قصد بركيا رق ، فمنحه هذا السلطان منصب الإشراف في ممالكه .[٣]

وقد ذكر الشاعر المعروف أبو المعالي النحاس الرازي أبا المعالي سديد الملك في

(١) عميد الدولة سديد الملك أبو المعالي المفضل بن عبد الرزاق الأصفهاني الوزير (معجم الألقاب) .
(٢) عماد الكاتب ، ص ٦٢ .
(٣) إبن الأثير ، حوادث عامي ٤٩٥ ، ٤٩٦ هـ .

قطعة له مشهورة . . قالها في حق ملكشاه . والعجيب أن بعض مؤلفي كتب التراجم ـ أمثال صاحب هفت إقليم وصاحب مجمع الفصحاء[1] قد أخطأوا بالنسبة لأبي المعالي سديد الملك وأبي المعالي نحاس الشاعر ، وخلطوا بين حياة هذا وحياة ذاك[2] .



(١) صاحب تذكرة هفت إقليم هو أمين أحمد الرازي ، تمّ طبعه في كلكته ١٣٥٨ هـ = ١٩٣٩ م .
(٢) أنظر : حواشي حدائق السحر في أحوال أبي المعالي الرازي .

[93] ٦ ـ أبو الغنائم جمال الدين تاج الملك مرزبان بن خسرو فيروز الشيرازي

(رئيس ديوان الطغراء والإنشاء ، مصرعه في محرم عام ٤٨٦ هـ) .

***

كما سبق أن ذكرنا في أحوال كمال الدولة أبي الرضا ، وكمال الملك الأديب أبي جعفر المختار الزوزني . . فإن السلطان ملكشاه قد أسند رياسة ديوان الرسائل أي وزارة الإنشاء والطغراء ـ بعد موت الأديب الزوزني ـ لأبي الغنائم تاج الملك الشيرازي .

ولد تاج الملك في فارس عام ٤٣٨ هـ من أب كان يشغل منصب الوزارة في عهود ملوك هذه الدولة ، وعن هذا الأب تعلم تاج الملك آداب الكتابة .

وفي بداية حكم القائد « قطب الدين عماد الدولة ساوتكين » لكرمان وفارس والعراق (في العلم الأول لسلطنة ملكشاه) . . التحق أبو الغنايم تاج الملك بخدمته ، وحظى باهتمامه ورعايته . وظل يزاول عمله إلى أن قدّمه ساوتكين إلى السلطان ملكشاه على أنه كفء لأعمال الديوان ، فقبله في جهازه الإداري ، ووكل إليه وزارة بعض أولاده . . الذين صاروا سلاطين فيما بعد (ناصر الدين محمد أو أبو شجاع أحمد أو كلاهما) .

كما أودع بين يديه بيوته وخزائنه الخاصة ، وكلّفه بالاتصالات والمهام

العسكرية ، وجعل ديوان الإنشاء وطغرائه في عهدته .[١]

وكان تاج الملك رجلاً فصيحاً ماهراً سخياً شهماً ، لكن حبّه للجاه ورغبته في نيل منصب الصدارة جعلاه متلّونا . . فهو يوقّر الخواجة نظام الملك ويعظّمه غاية التعظيم بينما يشوّه صورته لدى السلطـان . وكان يظاهـره في ذلك : مجـد الملك القمّي صاحب ديوان الاستيفاء ، وأبو المعالي سديد الملك العـارض. وأفلحـت وشاياتهم أخيراً في تغيير نظرة ملكشاه لنظام الملك. وكان تاج الملك ومجـد الملك واسطتي ملكشاه إلى نظام الملك، فهما اللـذان أبلغـاه رسالـة السلطـان الخشنـة القاسية[٢]. وقد اجتهدت هذه الجماعة ـ وعلى رأسها تاج الملك ـ في إبعاد الخواجة [94] المسنّ عن الوزارة وأفلحت في ذلك،وأمسك تاج الملك ومجد الملك وسديد الملك بزملم أمور الديوان، واستولوا على أموال الدولة وأعمال المملكة وباتـوا يصرفـون شئونها كيف شاءوا. ويبدو أنهم شاركوا في قتل الخواجه، وربمـا يكون لملكشـاه ضلع في هذه المؤامرة رغبة منـه في التخلّص من سيطـرة الخواجـه وسطـوة أبنائـه وأتباعه. ويمكننا بمراجعة تاريخ السلاجقة أن نضع يدنا على أمثلة من هذا القبيل تنسب للسلاطـين والأمـراء والـوزراء في أكثـر من مناسبـة ، خاصـة إبـان فتـن الفدائيين، ومهاجمتهم عظماء الدولة واغتيال كبرائها. إذ نجد أن جرائم القتـل ـ التي ظل المحرّضون عليها مجهولـين وظلـت دوافعهـا خافية ـ كانـت تنسـب إلى الإسماعيلية. وعلى أية حال فإن اعتقاد النظامية اعتقاداً جازماً بأن قتل الخواجة قد تمّ بتحريض من تاج الملك وموافقة من ملكشاه. . قد جوّز لهم تمزيق جسدْ تاج الملك. وتشير أشعار المعزى ـ التي ذكرناها آنفاً غند حديثنا عن الخواجة ـ إلى هذا الموضوع نفسه ، أي علاقة ملكشاه بقتل وزيره . . خاصة هذا البيت :

ـ ما أكثر القلوب التي كان يدميها موت ملك الملوك ،

(١) عماد الكاتب ، ص ٦١ .

(٢) لمعرفة مضمون الرسالة انظر : السلاجقة في التاريخ والحضارة ص ٤٣ (المترجم) .

لو لم يسبق موتَه مصرعُ الوزير[1] .

وفي تاريخ گزيده وجامع التواريخ ، وزبدة التواريخ ، وردت هذه القطعة المرتبطة بالسيد الأجلّ :

ـ لا تعجب إذا ما تحوّل وجه المروءة الأبيض إلى اللون الأسود . .
نتيجة مقتل نظام الملك . .

ـ فالأعجب أن يجيز قاتلوه قتله . .
على أمل أن يؤول إليهم المال ويستقر لهم الملك .

ـ لكنهم أخطأوا إذفاتهم أن السيف يصلصل حين يترك غمده .

ـ وفاتهم أنه تلزم آلاف السنين ليتمكّن عاقل من أهل الدراية والكفاية . .
من أن يصبح ذا شأن كنظام الملك[2] .

[95] والبيت الثاني من أبيات هذه القطعة يؤكدّ صراحة أن مصرع الخواجة كان بناء على موافقة أشخاص استولوا على الملك والمال ، ونعني بهم أعيان بلاط ملكشاه .

ويقول صاحب تجارب السلف (ص ٢٨١) :

« بعد أن استشهد الخواجة : وكان تاج الملك أبو الغنايم قد رشح للوزارة ، كان الجميع يقولون إنه الوزير .

وحين وصل السلطان إلى بغداد أمر المنجمين باختيار يوم يجلس فيه تاج الملك أبو الغنايم على مسند الوزارة . ووقع اختيار المنجمين على يوم الجمعة من

---

(١) بس دل كه شدي زمرگ شاهنشه ريش   گركشتن دستور نيودي دريش

(٢) عجب مداركه ازكشتن نظام ملك   سفيد روي مروت سياه فلم شود
عجب تر آنكه روا داشتند كشتن أو   بدان اميد كشان ملك ومال رام شود
بزرگ سهوي آن قاعده ندانستند   كه تيغ زنگ بر اردچو بي نيلم شود
هزار سال ببايدكه تا خردمندي   ميان اهل كفايت چو أو نظام شود

منتصف شوال سنة خمس وثمانين وأربعمائة . وخرج السلطان ملكشاه يوم الأربعاء للصيد ، وأصابته الحمّى في متصيّده فتوجّه إلى بغداد ، وأجرى عملية حجام فقد على إثرها قوّته . وفي يوم الجمعة الذي وقع عليه الاختيار لتنصيب أبي الغنايم وزيراً . . مات ملكشاه .

وبعد موت ملكشاه ، نادى تاج الملك ـ الذي كان يشغل أيضاً منصب الوزير لتركان خاتون زوجة السلطان ـ[2] بابن مخدومته (واسمه محمود) سلطاناً ، وأطلق عليه لقب ناصر الدنيا والدين (كان عمر محمود آنذاك ـ بناء على قول ابن الأثير ـ أربع سنوات وبضعة أشهر) . وأخفى تاج الملك وتركان خاتون موت السلطان ، وأرسلا شخصاً إلى أصفهان . . قبض على بركيارق الإبن الأكبر للسلطان الراحل ، وقاما بحبسه . وثار النظامية ـ وكانوا يوقنون من أن تاج الملك هو المحرض على قتل مخدومهم ـ وخلّصوا بركيارق من سجنه ، ونقلوه من أصفهان إلى الري ، وتوجّهوا به إلى أبي مسلم سروشياري رئيس المدينة وصهر خواجه نظام الملك . وتوجّه تاج الملك ومحمود وتركان خاتون إلى أصفهان ، وبعد أن جمعوا الجيوش . . ساروا لصد بركيارق . والتقوا بجيشه في بروجرد في أواخر ذي الحجة من عام ٤٨٥ هـ ، فلما هُزموا كرّوا عائدين إلى أصفهان . .

وفرض بركيارق الحصار على تلك المدينة ، فتقدّم إليه تاج الملك مُظهراً الخضوع والطاعة ، وكان قد فرّ من موقعة بروجرد ، وألقى القبض عليه بعد فراره بمدة قصيرة . وأراد بركيارق ـ بادىء الأمر ـ أن يقلّده منصب الوزارة ، وكان تاج الملك مستعداً لدفع مائتي ألف دينار بصفة تعويض . . لكن النظامية الذين كانوا يكنّون له حقداً شديداً ويرغبون في أن تظل الوزارة محصورة في أسرة الخواجة ، ثاروا على هذا الوضع ، وأخبروا بركيارق بأنهم لا يقنعون بغير رأس تاج الملك . [96]

وانتهى الأمر بأن هجموا عليه في الثاني عشر من محرم عام ٤٨٦ هـ ، ومزّقوا

(١) راحة الصدور ، ص ١٣٣ .

جسده إرباً إرباً وهو في السابعة والأربعين من عمره[1] .

وكان تاج الملك ـ كسائر أعيان بلاط ملكشاه ـ ممدوح كبار شعراء عصره . وقد أمتدحه المعزى والقاضي أرجاني في شعرهما ، بينما أطلق البعض ألسنتهم بهجائه ونسبوا إليه افتعال الزهد واتبّاع الرياء ، مستندين إلى أنه بعد أن أثر عنه أنه كان يصوم الدهر ويميل إلى التديّن والتصوّف ويجمع الكثير من الناس عند الإفطار . . قد هجر ذلك كله حين احتلّ منصب الوزارة . وفي هذا الصدد يقول ابن الهبارية :

قد كان صوم الدهر يجمعنا فالآن فرّق بيننا الدهر
وتمكنت منهم مكيدته فمضى النفاق وأمكن الجهر[2]

وكان أحد شعراء عصره ـ ممن ينظمون بالفارسية ـ قد نظم قطعة حول موضوع الصوم هذا ، وقام عماد الكاتب بترجمتها إلى العربية ، فجاءت على النحو التالي :

يا صائما مذ لم يزل من كل شر صائما
لا زال ملكك بالسعو د إلى القيامة قائما
لا زال طرف الدهر عنـ ك أبا الغنائم نائما[3]

وقد نظم المعزى أمير الشعراء أربع قصائد في مدح تاج الملك ، يمكننا أن

---

(١) أنظر تفاصيل هذه النقطة وما سبقها من نقاط في كتاب السلاجقة في التاريخ والحضارة ص ٤٦ ، ٤٧ (المترجم) ، وانظر : تجارب السلف ، إبن الأثير وقائع علم ٤٨٦ هـ . ويرد في (بعض مثالب النواصب) ما يلي : « تاج الملك لقب المرزبان الذي كان أساس الإلحاد والفتنة في العالم ، وخليفة حسن الصباح وظهيره . وهو من السبعة المبايعين الأوائل . كان من المشبهة والجبرية وقد قتل آخر الأمر لإلحاده » .

(٢) تجارب السلف ، ص ٢٨١ .

(٣) كه زبي شرمي نهد برسوسن آزاده باي كه زبي آبي نهد بر لاله' سيراب سر
كه زمشك وغاليه برسيم سازد ساحري همچو كلك تاج ملك شهريار دادگر
صدر دنيا بو الغنائم كز سعادتهاي چزح سوى دركا هش غنيمتهاي فتح است وظفر

نقف منها على اسمه وألقابه وبعض الإشارات التاريخية المتعلقة بحياته . ففي قصيدة مطلعها :

[97] عاشق آنم كه عنايش همي بارد شكر فتنهٔ آنم كه سنجايش همي بوشد حجر

يقول الشاعر :

ـ تارة يطأ بقدمه بلا خجل سوسنة حرة . .
وتارة لافتقاره إلى الماء ، يضع على اللعل الندى رأسه المتثاقل .

ـ وتارة يضع على الوجه لمسات سحرية . . مستخدماً المسك والغالية ،
فيفعل ما يفعله قلم تاج الملك الملك العادل .

ـ صدر الدنيا أبي الغنائم الذي – بفضل سعادات الفلك ـ
تتجه إلى أعتابه غنائم الفتوح . . والظفر المتكامل .[١]

***

ـ في كل ساعة يزداد لدى السلطان جاهك .
فلا عجب أن يزداد قدرك في المملكة والدولة وعن أبنائها لا يغيب .

ـ فأنت المتصرّف في بيت الملك المحروس ،
وأنت الوزير الشهير لابنه العزيز الحبيب .

ـ من جلالك ينال العظماء الثلاثة الشرف والجلال ،
ومن جمالك تكتسب الدواوين الثلاثة الخطر[١] ويكسوها رداء قشيب .[٢]

---

(١) يعني ديوان السلطان وولده وزوجته .

(٢) بيش سلطان هست جاهت بيشتر هر ساعتي — لا جرم در ملك ودولت هست جايت بيشتر
خانهٔ محروس وفرزند عزيز شاه را — كد خداي نامداري ووزير نامور
ازجلال توسه حضرت راجلال است وشرف — واز جمال توسه ديوانرا جمالست وخطر

ـ مذ صار القلم في يدك . . صارت تقبض على مفتاح الفتوح ،[1]
وصار للملك في كل عام جديد فتح جديد ونصر مؤزر .

ـ فتارة تجتاح جيوشه الشام وانطاكية ،
وتارة يثير موكبه الغبار في خلج وكاشغر .

ـ لقد صار رأيك في الشرق والغرب . . بطل ملكه ،
وصار قلمك في البحر والبر . . ترجمان سيفه المظفر .

ـ المنزل والكنز والإبن . . مما يعز الملوك
وأنت لدى الملك تاج المنزل والكنز والإبن . . وأكثر[2] .

ـ عهدك مناسب للأب والإبن معاً .
فكلاهما يتدلّل بفضل عهدك وبه يزهو ويفخر[3] .

٢ ـ وفي قصيدة لهذا الشاعر مطلعها :

أي پر نگار گشته بتو دوَر روزگار   وز دور آسمان تن توگشته پرنگار

يقول :

ـ أنت تاج المملكة في مفرق الزمان ،
وفي يد تاج الملك ملك العصر والأوان .

ـ السيد أبو الغنايم الذي تعدّ خدمته بالنسبة لأحرار البلاد . .
غنائم وجاه وفخار وضمان .

---

(١) إشارة إلى رياسته لديوان الرسائل السلطانية .

(٢) إشارة إلى أن ملكشاه كان يأتمنه على خزانته وحريمه وولده .

(٣) تاقلم گشته است دردست تو مفتاح فتوح   هست هرسال نوى اين شاه را فتحي دكر
گاه جوش لشكرش درشلم ودر انطاكيه   گاه كرد موكبش در خلخ ودر كاشغر
قهرمان ملك او شد راي تودر شرق وغرب   ترجمان تيغ أو شد كلك تودر بحر وبر
خسروان را خانه وگنج وپسر باشد عزيز   شاه را هستي تو تاج خانه وگنج وپسر
روز گار تو پسر را وپدر را در خوراست   هم پسر نازدهمي از روزگارت هم پدر

- الصدر الذي من جواهر إقبال دولته . .

عقد يزين جيد الأرومة إلى يوم القيامة وآخر الزمان .

[98] - فإذا كان الدرهم يشتهر بنقوشه البديعة ،

والحرم الشريف يشتهر بما يسوده من أمان . .

- فإن نقوش الدرهم قد صنعها قلمه . .

وأمن الحرم الشريف قد استعار من منزله الأمان(١) .

- على الرغم من وقوع تلك الحادثة التي ألمت لها المملكة . .

وتحول بسببها الدهر إلى مأتم للعزاء وإظهار الحسرة . .(٢)

- لم ينقص جاهك في صدر المملكة . .

بل إن قبول الملك لك قد تضاعف ألف مرة .

- أنت حامي الشريعة ، فليكن حاميك رب العالمين . .

أنت عون الحقيقة ، فليكن السلطان لك المعين . .

- اليوم عزّزت وضعك ومكانتك بصورة أكبر . .

وفي عامنا هذا زادت حشمتك عنها في العام الماضي وزاد التمكين .

---

(١) برفرق روزگار تويى تاج ملك بخش — در دست تاج ملك شهنشاه روزگار
فرخنده بو الغنايم كأحرار ملك را — از خدمتش غنايم وجاه است وافتخار
صدرى كه از جواهر اقبال دولتش — عقد است تا قيامت دركردن تيار
گرجه درم زنقش بديعست نامور — ورچه حرم زامن شريف است نامدار
نفش درم زخامهٔ أو هست مسترق — امن حرم زخانهٔ أو هست مستعار

(٢) يبدو أن المعزى يقصد موت أحد أبناء ملكشاه ، وكان أقرب الجميع إلى قلبه ونعنى به أبا شجاع أحمد الملقب بملك الملوك عضد الدولة تاج الملة عدة أمير المؤمنين . وكان ملكشاه قد اختاره في علم ٤٨٠ هـ ليكون ولياً للعهد ، لكنه مات علم ٤٨١ هـ وهو في الحادية عشر من عمره . ويغلب على الظن أن تاج الملك كان وزيره . . كما لمح بذلك عماد الكاتب والمعزى . ويؤيد هذا الأمر أن لقب تاج الملك مأخوذ ، على الأرجح ، من تاج الملّة ، وهو أحد ألقاب أبي شجاع . ولو صحّ هذا الاستنباط لتأكّد لنا أن هذه القصيدة قد نظمها المعزى في السنة التي توفى فيها أحمد ، أي في حدود علم ٤٨١ هـ .

- إنك لِطغراء المملكة وكنز الملك ، بفضل قلمك ويدك . .
بمثابة قرط الأذن والحارس الأمين .[1]

٣ - وفي قصيدة مطلعها :

عاشـــق بَدْرى شدم كزعشـــق أو گشتـــم هلال
فتنهٔ سروى شدم كـز هجر أو گشتم خلال

يقول المعزى :

- ما ضر لو زالت شمس وصله ؟
فعين سيدى شمس بلا زوال .
- أبو الغنايم مرزبان ، الذي يرفع كل المرازبة فوق الفلك
- بفضل خدمتهم له - راية العز والإجلال .
- لقد منحه السلطان لقب التاج لأن في قلمه . . جواهر . .
لا نظير لها في البحار أو الجبال .
- إذا كانت الملوك تعزّ التاج لما يشتمل عليه من جواهر . .
فإن هذه الجواهر تعتز بالتاج ، فهو تاج ليس يدركه الخيال .
- إن جواهر تيجان الملوك إذا ما قورنت بجوهره . .
لأشبه بزجاج أملم ياقوته أو خزف أملم فيروزة رائعة الجمال[2] .

---

(١) زان واقعـة كه ملك بدو گشـت درد مند / زان حادثـه كه دهـر بدو گشـت سوگوار
ناقص نگشـت جاه تودر صدر مملكت / لا بل كه يك قبـول تو ازشـاه شد هزار
پشـت شريعتـي تو ويزدانـت بادپشت / يار حقيقتـي تو وسلطانـت باد يار
امـروز هسـت مايهٔ تو بيشتـر زدى / وامسـال . ـت حشمـت تو بيشتـر زپار
طغـراي دار مملـكت وگـنج شاه را / هستـى بكلك ودسـت نگهـدار وگوشوار

(٢) آفتـاب وصـل اوراگر زوال آمـد چه شد / هسـت ديدار خداونـد آفتـاب بي زوال
بو الغنـايم مرزبـان كز خدمتش هر مرزبان / بـر فلك دارد كشيده رايت عز وجلال
تاج از آن دادش لقب سلطان كه دارد درقلم / گوهرى كش نيست همتا در بحار ودر جبال
گر بنـزد بادشاهـان عز تاج از گوهراست / عز اين گوهر بتاج است اينت تاجى بي همال
گوهـر تاج شهـان دربيش اين گوهـر بود / پيش ياقـوت ابگينـه پيش پـيروزه سفال

[99] - زملم الحل والعقد في يدك بأمر ولي النِعَم . .
وبأمر من ذاك الحميد الخصال أُذِن لأقلامك أن تحصى النِعَم .

- فصارت الأقاليم السبعة كواكب سبعة صغيرة . .
في سماء دولتك العالية حين أمسكت القلم .

- ترسم الطغراء بالمنشور حين تمسك القلم . .
فيجمع بين غصن الرحمة ونقش مانى ود ووصال .

- طوبى لمن يراك دوماً في الديوان . .
ممسكا غصن الرحمة باليمين ونقش مانى بالشمال .

- يثنى الفرخى في مواضع عديدة على أبي بكر القهستاني . .
ويشكره في شعره الذي يشبه الماء الزلال .

- وأنا لا أدّعى أني الفرخّى . . لكنني . .
أراك تضارع مائة من أمثال القهستاني في النوال .

- وأنا لا أدعى أني الفرخى . . لأنه بميزان العقل . .
في مدائحك . . يكون مدحى لك ضرب من المحال[١] .

٤ - وفي قصيدة أخرى مطلعها :

كيميا دارد مگر ياخويشتـــن بادخزان   زر ندارد چون همـي زرين كند بادخزان

يقول المعزى :

- أمزج العشق بالمديح ليليق العشق ببدر الدنيا . .
ويليق المديح بصدر الزمان .

---

(١) شكر بوبــكر قهستانــي بگويد چنــد جاي   فرخـى در شعرهــاي خويش چون آب زلال
من نخوانــم خويشتـــن را فرخـــى ليكن ترا   صـــد جو بوبـــكر قهستانـــي شمارم در نوال
خويشتن را زان نخوانم فرخى كز روى عقل   در مديح توهـــم از من مدح توباشـــد محال

- تاج الملك ، روح الآفاق ، جمال دين الحق . .
أصل الفتح والغنائم ، أبو الغنايم مرزبان .

- ذاك الذي - بفضل سيرته وآثاره . .
تضيء أمة صاحب الكتاب ، ودولة صاحب القرآن[1] .

***

- في كل لحظة يزداد تفانياً في خدمة دولة السلطان . .
فلا غرو أن يزيد السلطان من إعزازه وتقريبه من حضرته[2] .

***

- أنت للملك تاج ، وأثمن تيجان الكنوز تراب لأقدام همّتك الساميه .

- مهما عظمت قيمة تاج الحور ، فلن يكون لحورية تاج كتاجك في الجنان العاليه .

[100] - يا فلك الفضل ومصطفى رب الفلك ، ودنيا العقل ومقصود سيد الدنيا الكريم .

- مائدتك أصل العقل وقانون الشرف ، والشاعر السعيد من يمتدح خوانك العظيم .

- صار يومي سعيداً كعيد الربيع حين امتدحتك في عيدي المهرجان .

- وقدمت لك هاتين الهديتين إظهاراً لعبوديتي . . إحداهما بسرقند والأخرى[3] بأصفهان .

---

(١) عشق ومدح اندرهم آميزم كه خوب آيدهمى — عشق بربدر زمين ومدح بر صدر زمان
تاج ملك وجان آفاق وجمال دين حق — عمده ٔ فتح وغنايم بو الغنايم مرزبان
آن كه بفروزد همي از سيرت وآثار أو — ملت صاحب كتاب ودولت صاحب قران

(٢) هر زمان در دولت سلطان فزايد عقل أو — لاجرم سلطان در اقبالش فزايد هر زمان

(٣) ملك را تاجى وزبيد خاك پاي همتت — تا جهاي قيمتي در گنجهاي شايگان =

ويبدو من البيت الذي يقول فيه المعزى : « إحداهما في سمرقند والأخرى في أصفهان » أنه يعنى سفرة ملكشاه الأخيرة إلى ما وراء النهر علم ٤٨٢ هـ ، وفتحه سمرقند وقمعه أحمد بن خضر خان ايلكي . والمعلوم أن تاج الملك كان برفقة السلطان في هذا السفر ، وأنه كلَّفه بإخضاع يعقوب ـ شقيق ملك كاشغر ، فأدّى المهَّمة وعاد إلى خراسان ومنها إلى أصفهان ، حيث مثل بين يدي السلطان[1]

وفي القصيدة نفسها يقول المعزي

ـ وصل شكر إنعامك إلى ما بين الختن وقندهار ،

وبلغ خطّ أقلامك ما بين الحبشة والقيروان[2] .

ويقول القاضي أرجاني في مدحه :

أو ليس تاج الملك من آدابه	أن لا يطاع على السماح عذول
وهو الإمام المقتدي بفعاله	وهو الهمام المتقى المأمول
إن كان جاد به الزمان فإنه	بجواد آخر مثله لبخيل
قل في الورى طراً إذا استثنيته	القول جم والفعال قليل
أمصرّف الأقلام وهي ضعيفة	يكفي بهن الخطب وهو جليل
وتنال مهما شئت وهي قصيرة	ما لا ينال الرمح وهو طويل

***

أأبا الغنايم دعوة من خادم	لو كان يدنيه اليك قبول[3]

***

= تاج حور اندر جنان گر قيمتي دارد عظيم	مثل توتاجي ندارد هيچ حورا درجنان
اي سپهر فضل ومختار خداوند سپهر	أي جهان عقل ومقصود خداوندجهان
خوان تو سرمايهٔ عقل است وقانون شرف	فرخ آن شاعر كه برخوان تو باشد مدح خوان
روز من فرخنده شد مانند جشن نوبهار	تا ترا گفتم مديحت در دو جشن مهرگان
عرض كردم هر دو خدمت رابشرط بندگي	آن يكى اندر سمرقند آن دگر در اصفهان

(١) إبن الأثير ، حوادث علم ٤٨٢ هـ .

(٢) شكر إنعامت رسيده است از ختن تاقندهار
نقش اقلامت رسيده است از حبش تاقيروان

(٣) ديوان أرجاني ، ص ٣٣٣ ـ ٣٣٥ .

[101]

٦ ـ عميد الدولة جمشيد بن بهمنيار وزير فارس
(أصيب بالعمى عام ٤٧٦ هـ)

أحد الوزراء المرؤوسين لسيد الرؤساء النائب وابن كمال الدولة أبي الرضا . كان يشغل منصب الوزير أول الأمر لأمير فارس ، وأطلق عليه لقب عميد الدولة بن بهمنيار . وكان هذا القائد الهمام بمثابة اليد اليمنى لسيد الرؤساء ، فلما أخفق سيد الرؤساء في مؤامرته ضد الخواجه عام ٤٧٦ هـ ـ كما ذكرنا سابقاً ـ وسملت عيناه . . لقى بدوره نفس المصير[1] .

وليس في يدنا غير هذه المعلومات عن حياته ، غير أن هناك قصيدتين لشاعرين معاصرين نظماهما في حقه ، وهما المعزى وأبو المظفر الأبيوردي . وقد نظم المعزى قصيدته أيام أن كان عميد الدولة وزيراً في أصفهان وفارس ، ونظمها الأبيوردي عام ٤٧٦ هـ بعد إصابته بالعمى . وقد ورد اسمه في قصيدة المعزى على هذه الصورة (جمشيد) ، وجاء في عنوان قصيدة الأبيوردي على هذه الصورة (جهنشياد) ، وهو على ما يبدو تحريف لجمشاد الذي يعتبر شكلاً آخر من أشكال جمشيد .

وتبدأ قصيدة المعزى بقوله :

بر آمد ساج گون ابرى زروى ساج گون دريا
بخار مركز خاكي نقاب قبهٔ خضرا

ويقول فيها :

ـ أبدى النيروز حزنه خوف سطوة الرياح ،

(١) عماد الكاتب ، ص ٦٥ .

كما أراق العدو دمعه خوف غضبة مولانا . . وأكثر البكاء .

ـ عميد الدولة العالي ، وجمشيد الدولة القوي . .
الفاضل الذي به يفخر نسل آدم وحواء .[٢]

***

ـ قد اختاره من بين الأعيان ـ لجوده وهمّته العاليه . .
معز الدين والدنيا ، سيد الملوك الغرر .

ـ سعدت به أصفهان كحديقة أسعدها جمال فروردين . .
فالبلح الآن بلا شوك والشوك الآن بلا ثمر .

[102] ـ لا يضارعه كل والٍ في كفاية كفه وعدل قلبه . .
فليس كل بيت كعبه ولا كلّ جبل سيناء .

ـ ألا يا أيها العظيم السعيد الحظ ، العميد الذي طالعه المشتري ،
يا من يتمنّى عطارد أن يجلس أمامك للاستيفاء .

***

(١) نمـايد تـيره وگريان زبيم باد نوروزي   چو چشم دشمن دولت زبيم خشم مولانا
عميد دولـت عالى وجمشيد قوى دولت   هنر مندى كزو نازند أصل (نسـل) آدم حوا

(٢) زاعيان برگزيده أو بجود وهمت عالى   خداوند همه شاهان معز الـدين والدنيا
صفاهـان گشـت از او خرم چو باغ از فر فروردين
كنـون خر ملي بيخـار است   وباشـد خار بيخرما
نه هر والى چو أو باشـد بكف كاف بدل عادل
نـه هر بيتـى بود كعبـه نه هر طورى بودسينا

(٣) ألا يا مهتـر مقبـل عميد مشتـرى طالع   عطـارد پيش تو خواهـد كه بنشينـد باستيفا

(٤) إرجع إلى ديوان أبيوردي ، ص ١١٦ ـ ١١٨ .

وعلى النحو التالي تبدأ قصيدة الأبيوردي :

الله جارك والـنبـي الهـادى يـا من يوالى فيهمـا ويعادى

ويفهم مما ورد فيها أن عميد الدولة كان له دوره في قلع قلاع الإسماعيلية وقمعهم[1] .



وزراء ديوان السلطان ركن الدين
بركيا رق
وأصحاب هذا الديوان
(٤٨٥ ـ ٤٩٨ هـ)

(موجز لسلطنة بركيارق)

[104] هو السلطان أبو المظفر ركن الدين بركيا رق ، إبن زبيدة خاتون ، وهو أكبر أبناء السلطان ملكشاه الأربعة الذين تركهم من خلفه[1] . وقد أجلسه النظامية على عرش السلطنة في أصفهان ـ كما رأينا ـ رغم أنف تاج الملك وتركان خاتون . . زوجة السلطان ، فقد كانا يريدان إحلال أصغر أبناء ملكشاه ـ أي محمود بن تركان خاتون ـ محل أبيه . وفي شهر ذي الحجة من علم ٤٨٥ هـ ، تمكّن بركيا رق ـ بمساعدة النظامية ـ من هزيمة جيوش تركان خاتون في بروجرد ، ثم السيطرة على عاصمة أبيه (أصفهان)[2] ، وبذلك أصبح السلطان الفعلي للبلاد ، واتخّذ من أبي عبد الله عز الملك حسين بن خواجه نظام الملك وزيراً له .

وفي فترة حكم بركيارق ، ثار عليه عمه « تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان » وتمكّن من هزيمته علم ٤٨٧ هـ . غير أن بركيارق عاد فهزمه قرب الري في صفر من علم ٤٨٨ هـ ، ثم قتله[3] . وكان وزير بركيارق آنذاك هو شهاب الدين أبو بكر

---

(١) الأبناء هم : بركيارق ومحمد ومحمود وسنجر . (المترجم) .

(٢) تجمع أكثر المصادر على أن ملكشاه قد جلس على العرش في نيسابور أولا ثم في الرَي (المترجم) .

(٣) قتل تتش في معركة طاحنة دارت عند قرية داشلو قرب الري (المترجم) .

عبيد الله مؤيد الملك ـ شقيق عز الملك ـ وكان يشتهر بكفايته وعظيم خبرته . وقد اختاره بركيارق لهذا المنصب في ذي الحجة من علم ٤٨٧ هـ ، بعد أن توفي عز الملك .

وبعد أن استراح بركيا رق من شرتتش ، عمد إلى عزل « مؤيد الملك » وأحلّ مكانه شقيقه « أبا الفتح المظفر فخر الملك » . وقد فعل ما فعل بتحريض من أمه زبيدة خاتون ووزيرها شمس الدين أبي الفضل أسعد بن محمد بن موسى مجد الملك القمي . فلجأ مؤيد الملك إلى رجالات العراق وهمدان وأصفهان ، وقضى بينهم فترة يحرضهم على عصيان بركيارق . وهبّ محمد يطالب بالسلطنة ، واتّخذ من مؤيد الملك وزيراً . وفي شوال من علم ٤٩٢ هـ ، غادر كنجة قاصداً الري ، مستهدفاً فتح العراق وإخضاع بركيارق ، وكان بركيارق قد عَزَل أثناء ذلك فخرَ الملك وأسند منصب الوزارة لمجد الملك القمّي محققاً بذلك أكبر آماله ، ثم توجّه إلى خراسان ليخمد ثورات نشبت بها .

[105] وبسبب النزاع على كرسي السلطنة ، نشبت بين بركيارق ومحمد خمس معارك في الفترة ما بين عامي ٤٩٢ ، ٤٩٧ هـ[١] كما سيرد عند حديثنا عن سلطنة محمد وأحوال وزرائه .

ـــ وقد قُتل مجد الملك القمي وزير بركيارق (علم ٤٩٢ هـ) أثناء الصراع ، وذلك على يد جماعة من القادة العسكريين الموالين لمؤيد الملك . كما تمكّن بركيارق في علم ٤٩٤هـ. من القضاء على مؤيد الملك وزير محمد ، وانتهى الأمر بصلح بين الأخوين في ربيع الآخر من علم ٤٩٧ هـ[٢] وظلا يحترمان المعاهدة التي قبلا

---

(١) يذكر ابن الأثير أن بركيا رق هزم في أول معركة ، ويذكر الراوندى أنه أنتصر في أربع معارك وهزم في الخامسة (ولعلّ الراوندى لا يقصد الترتيب) . وتواريخ المعارك هي ٤٩٣ هـ = ١١٠٠ م ، ٤٩٤ هـ = ١١٠١ م ، ٤٩٥ هـ = ١١٠٢ م ، ٤٩٧ هـ = ١١٠٣ م ـ وقد تصالح الأخوان بعد المعركة الثالثة ، غير أنهما عادا فاستانفا الحرب في نفس العلم (المترجم) . أنظر : الكامل ، حوادث سنة ٤٩٣ هـ ، راحة الصدور (بالعربية) ، ص ٢٢٨ .

(٢) تصالح الأخوان بعد المعركة الثالثة بشروط وحلف كل منهما لصاحبه ثم خلفا الوعود ووقعت المعركة =

شروطها إلى أن توفى بركيارق في الثاني عشر من ربيع الآخر علم ٤٩٨ هـ ، فاستقل محمد بالسلطنة وحلّ محل ملكشاه .

وبعد مقتل مجد الملك ، أسند بركيارق منصب الوزارة لنظام الدين أبي المحاسن عبد الجليل الأعز بن محمد الدهستاني . وحين قتل أحد الإسماعيلية هذا الوزير بطعنة خنجر ، في الثاني عشر من ذي الحجة علم ٤٩٥ هـ ، انتقلت الوزارة إلى أبي منصور محمد بن حسين خطير الملك الميبدي . .

أحد وزراء السلطان محمد السابقين ، فظل يشغل منصبه حتى وفاة بركيارق .

وبناء على هذا يكون ترتيب وزراء بركيارق على النحو التالي :

١ ـ أبو عبد الله عز الملك حسين بن خواجه نظام الملك .
٢ ـ أبو بكر عبيد الله مؤيد الملك .
٣ ـ أبو الفتح مظفر فخر الملك .
٤ ـ أبو الفضل أسعد مجد الملك القمي .
٥ ـ أبو المحاسن عبد الجليل أعز الدهستاني .
٦ ـ أبو منصور محمد خطير الملك المنيبدى .

وسوف نورد ذكراً لحياة كل من خواجه أبي بكر عبيد الله مؤيد المُلك وخطير الملك في نهاية حديثنا عن وزراء السلطان محمد ، كما سنورد ذكراً لحياة فخر الملك ضمن حديثنا عن وزراء السلطان سنجر . . لهذا سنكتفي هنا بإثبات أحوال كل من :

= الرابعة في نفس العلم وكذلك الخامسة . وفي علم ٤٩٧ هـ = ١١٠٣ م تصالحا بصفة نهائية (المترجم) .

لمعرفة شروط الصلح في كل مرة ، إرجع إلى : السلاجقة في التاريخ والحضارة ، ص ٥٠ ، ٥١ .

عـز الملك بن نظـام الملك ، ومجـد الملك القمّـى ، وعبـد الجليل الأعــز الدهستاني .

كما أننا في آخر هذا الفصل سوف نتحدّث ضمنا عن عماد الملك . . أحد أبناء خواجه نظام الملك .

***



وزراء بركيارق

[106] أبو عبد الله حسين عز الملك بن خواجه نظام الملك
(وزارته من أوائل عام ٤٨٦ هـ وحتى ذي الحجة من عام ٤٨٧ هـ)

بعد أن قتل غلمان النظامية أبا الغنائم تاج الملك في الثاني عشر من شهر المحرم من عام ٤٨٦ هـ ، وكان هذا الوزير وقتها في أسر بركيارق ، أراد هذا السلطان أن يرضى النظامية ، فمنح وزارته لواحد من أبناء الخواجة نظام الملك . . هو عز الملك الذي كان يقيم في أصفهان بعد قتل أبيه ملكشاه ، وكان يصرف وقته في الشرب . وعز الملك هذا هو الأخ الأصغر لأخويه الشهيرين :

مؤيد الملك وفخر الملك اللذين كانا يقيمان وقتها خارج أصفهان . ولما كان هذا الرجل غير كفء لمنصبه فانه لم ينجز أمراً ذا بال ـ بعكس ما كان يتوقّع العامة ـ ولم يصلح الخلل الذي أصاب شئون السلطة والمملكة بعد موت ملكشاه . . بل لقد ازدادت الأمور سوءاً بمرور الأيام .

وبعد أن أحتلّ عز الملك منصب الوزارة ، أسند منصب رئاسة ديوان الطغراء لأخيه الأصغر عبد الرحيم . . المكنّى والملقب بأبي الفتح بهاء الملك ، وأسند منصب رئاسة ديوان الاستيفاء إلى الأستاذ علي بن أبي علي القمي . وكان الأستاذ على القمي ـ الذي كان يشغل وظيفة المربىّ لبركيارق إبان وزارة كمشتكين ـ ذا كفاءة بصفة عامة . وإذا كان هناك ثمّة أمر قد أنجز في عهد بركيارق وأثناء وزارة عز الملك فإن ذلك كان بفضل وزير الاستيفاء الجديد .

وفي السابع عشر من ذي القعدة عام ٤٨٦ هـ حلّ بركيارق ببغداد في خلافة المقتدي ـ وبرفقته وزراؤه : عز الملك وشقيقه أبو الفتح عبد الرحيم بهاء الملك

والأستاذ علي بن أبي علي القمي . ونمى إلى علم بركيارق في ذلك التاريخ أن عمّه [107] تاج الدولة قد ثار عليه ، وأنه قام بقتل أميرين سلجوقيين يدينان بالطاعة لبركيارق ، وهما قسيم الدولة آق سنقر وبوزان . وبدلاً من أن يستعّد وزراء بركيارق لدفع فتنة تتش شغلوا باللهو واللعب .

وفي المحرم من عام ٤٨٧ هـ ، مات الخليفة المقتدى وحلّ المستظهر محلّه وبايعه بركيارق ووزراؤه . ثم توجه بركيارق لصدّعمه تتش ، لكنّه منى بالهزيمة وكرّ عائداً إلى الموصل . وتوفى عز الملك في الموصل في شهر ذي الحجة من عام ٤٨٧ هـ ، وكان في معية السلطان ، ونقلت جثته إلى بغداد ، ودفن في النظامية .

وكان عز الملك في حياة أبيه أميراً وحاكماً على خوارزم ، وكانت جميع شئون حكومة خوارزم في يده . وقد ظل يشغل منصبه هذا إلى ما قبل مصرع والده بفترة قصيرة . وكان مجيئه إلى أصفهان في حياة السلطان ملكشاه والخواجة يرجع إلى رغبته في إنجاز إحدى المهام ، فلما ماتا أقام بأصفهان إلى أن وزر لبركيارق . وقد امتدح المعزى عز الملك وقت أن كان أميراً . . وذلك في حياة والده وحياة السلطان ملكشاه .

وتبدأ قصيدته التي نظمها في ذلك الغرض بالبيت التالي :

بتى كه أو نسب از لعبتان چين دارد   بروز پاك زشب صد هزار چين دارد

وفيها يقول مادحاً

- كما يمتلك الأمير عز الدين حسين بن رضى أمير المؤمنين أصول السخاء والكرم .

- فإن بلاط مولاي يماثله ، إذ يمتلك يوم الحضرة عظمة المستعين وجمال المعتصم[1] .

***

---

(١) چنانكه أصل سخاوت أمير عز الملك   حسين بن رضى مير مؤمنين دارد
بزرگ بار خدايى كه روز مجلس وبار   جمال معتصم وفر مستعين دارد

- أيها العظيم ، لقد جعل منك الفلك . .

نجم نسل قوام الدين ، وحباك رفعة الجاه والشرف(١) .

***

- أرجو أن يعزّز الله مكانتك وشرفك ،

ويمنحك الجاه والحظ السعيد

- وفي ظل عدالة معز دين الله . .

تظل رفعتك وحشمتك إلى يوم الوعيد(٢) .

[108] ويفهم من هذه القصيدة التي يلقب فيها عز الملك بالأمير ، ويرجو له فيها الرفعة في ظل معز الدين أي السلطان ملكشاه ، ولا يذكر فيها اسم وزارته قط . . أنها نظمت أيام أن كان أميراً (على خوارزم فيما يبدو) . يضاف إلى ذلك أن المعزى كان في خراسان في فترة وزارة عز الملك التي استغرقت عاماً - كما سيرد في حديثنا عن الأمير حبشي - ولم يدرك فترة وزارته في العراق .

يقول أبو المظفر الأبيوردي في جلوس عز الملك على كرسي الوزارة :

أمـا وتجنـى طيفهـا المتأوب ليالـى روّحنـا المطـايـا يغـرب(٣)

***

وأودى قوام الـدين حـتـى تولعت صروف الليالي بـي فرنقـن مشربى

---

* كان عز الملك يشتهر في عهده بملاحة الوجه والجمال (إبن الأثير) .

(١) بزرگوارا گردون بقـدر جاه وشرف تـرا ستاره‌ء نسـل قوام دين دارد

(٢) من از خداي بخواهـم كه در مكان وشرف تـرا بـدولت ونيـك اختـرى مكـين دارد

بزير سايه عدل معـز دين خداي قبـول وحشمـت تو تابـروز دين دارد

(٣) ديوان أبيوردى ، ص ٢٢ .

سأذكره للركب كلّت مطيهم وللسفر إذ أعياهم وجه مطلب
ولولا نظام الدين كانت لحومنا وإن كرمت نهبى نسور وأذؤب
ولا زال من أبناء إسحاق كوكب يلوح إذا ولى الزمان بكوكب

***

إذا كنت جاراً للحسين فلا تبل رضى المتجنى واترك الدهر يغضب[1]



(١) نفس المرجع والصفحة .

[109] شمس الدين أبو الفضل أسعد بن محمد بن موسى مجد الملك البراوستاني القمي مشيد الدولة

(مستوفى السلطان ملكشاه وزير بركيارق في ٤٩٠ هـ حتى تاريخ قتله في ١٨ شوال ٤٩٢هـ) .

كان مجد الملك القمّي من أهالي براوستان إحدى الأماكن المعمورة المعروفة ، وقد أثبت البعض اسمه « بلاساني » كما فعل ابن الأثير . وكما رأينا أثناء حديثنا عن شرف الملك الخوارزمي المستوفي العام لممالك ملكشاه ، فقد كان مجد الملك نائبه في ديوان الاستيفاء . وبعد أن ترك شرف الملك منصبه . . استقل هو بمنصب المستوفى العام في جهاز ملكشاه الإداري .

وبعد وفاة كمال الملك الأديب أبي جعفر الزوزني ورياسة أبي الغنايم تاج الملك الشيرازي لديوان الانشاء والطغراء . . إتحّد الشابان الماهران المحنكان ـ مجد الملك وتاج الملك ـ وقرّرا سراً أن يقاوما السيطرة العجيبة التي يفرضها الخواجة الشيخ نظام الملك والتي ينتهجها أتباعه . ثم ما لبثا أن ضماً إليهما أبا المعالي المفضل بن عبد الرزاق سديد الملك عارض الجند . وهكذا تضافر أقوى الوزراء وأشدهم نفوذاً وأفضلهم مهارة وتفوّقا ونعني بهم رئيس ديوان الرسائل ورئيس ديوان الاستيفاء وعارض الجيش ـ وتمكّنوا آخر الأمر من تغيير نظرة السلطان إلى نظام الملك ، وأستطاعوا أن يمسكوا هم بزمام الأمور . وبعد مصرع الخواجه وموت السلطان أقام مجد الملك المستوفى في أصفهان . وكان ينتمي إلى الحزب المعادي للخواجه والموالي لتاج الملك . ولما غربت شمس رفعه تاج الملك واستتب الأمر للنظامية . . لم يتمكّن مجد الملك من إقحام نفسه في جهاز الدولة الجديد ، فظلّ

عاطلاً إلى أن مات عز الملك وآل منصب الوزارة إلى أخيه أبي بكر عبيد الله مؤيد الملك .

وكان مؤيد الملك قد فرّ إلى أصفهان حين نشبت فتنة خراسان ودبّ النزاع بين أرسلان أرغو وبورى برس . . فلما مات أخوه عز الدين إختاره بركيارق للوزارة . ورغم ما كان بين مجد الملك وأسرة مؤيد الملك من عداء فإن هذا الرجل [110] الذي يعتبر من أكفأ وزراء ـ السلاجقة بعد نظام الملك قد اختار مجد الملك لكفاءته وصلاحيته ليعمل في خدمته . . غير أن مجد الملك فضّل الاعتزال لشعوره بأن بقاءه تحت رئاسة مؤيد الملك ـ الذي ينعم بالاستقلال والسيطرة ـ لن يحقّق أطماعه في بلوغ الوزارة . وتمكّن مؤيد الملك خلال الفترة القصيرة التي وزر فيها لبركيارق (من ذي الحجة ٤٨٧ هـ حتى صفر ٤٨٨ هـ) من هزيمة أكبر أعداء السلطان ، ونعني به عمه تتش ، وقتله في موضع يبعد ١٢ فرسخاً عن الري،وأحكم أساس الدولة بعد أن تزلزل كلية في عهد أخيه عز الملك . غير أن بركيارق لم يقدر خدمته حقّ قدرها ولم يرعها حقّ رعايتها . وترك مجدُ الملك الري إلى أصفهان بعد مصرع تتش مباشرة واتّحد مع زبيدة خاتون ـ أم بركيارق ـ التي لم تكن ترتاح إلى مؤيد الملك ، وتمكّنا-كما سنرى عند حديثنا عن فخر الملك ـ من تحريض بركيارق ودفعه إلى عزل مؤيد الملك ، مستعينين في ذلك بالرشاوى التي قدّمها فخر الملك للسلطان ولأعداء مؤيد الملك . واختير فخر الملك ـ الشقيق الأكبر ـ ليكون وزيراً . ولم تكن لفخر الملك كفاءة مؤيد الملك ودرايته ولم يكن إسناد المنصب إليه عام ٤٨٨ هـ إلاّ لاستخدامه كآلة لتنفيذ مخططاتهما وتحقيق أهدافهما .

وطوال فترة وزارة فخر الملك (٤٨٨ ـ ٤٩٠ هـ) كان مجد الملك بمثابة الوزير الفعلي لبركيارق ، رغم أنه كان يشغل منصب الوزارة لزبيدة خاتون ، ومنصب الرئاسة في ديوان الاستيفاء للسلطان . وهكذا يمكن القول بأن فخر الملك كان اسماً بلا مسمّى وصورة بلا معنى . وانتهى الأمر بأن عزله بركيارق عام ٤٩٠ هـ أثناء توجههما إلى خراسان ـ برفقه مجد الملك وسنجر ـ لإخماد فتنة نشبت بها .

وأسند بركيارق المنصب لمجد الملك ، وتوجّه فخر الملك ـ كما سيرد عند حديثنا عنه ـ إلى ديار سنجر حيث تولىّ منصب الوزارة مكان كياجير الدولة الأردستاني .

[111] ووزر مجد الملك القمي لبركيارق مدة تقرب من عامين (من ٤٩٠ هـ حتى شوال ٤٩٢ هـ تصرّف خلالها في كل شئون المملكة بالاتفاق مع زبيدة خاتون . غير أن عدوهما القديم مؤيد الملك كرّس جهده للانتقام منهما مذ عزل عام ٤٨٨ هـ بتحريضهما . ووفِّق آخر الأمر ـ كما سير في حديثنا عن وزراء السلطان محمد ـ في قتل مجد الملك في زنجان في الثامن عشر من شوال عام ٤٩٢ هـ ، كما تمكّن في نفس الشهر من حبس زبيدة في الري وقتلها . وسوف ننقل واقعة قتل مجد الملك أثناء حديثنا عن مؤيد الملك .

ويؤكد أنو شيروان بن خالد أن مجد الملك كان من أفضل المستوفين وأمهرهم في عهده ، ولم يكن هناك نظيرٌ له في حفظ القوانين وتدبير الدواوين وضبط الحسابات . يضاف إلى ذلك أنه كان كريماً فاضلاً يكرم الفضلاء والشعراء ، مما جعلهم يزينون دواوينهم بمناقبه . ومن جملة من امتدحوه بقصائد غراء : المعزى ومؤيد الدين الطغرائي . . وسوف نشير إلى بعض منظوماتهم في هذا الصدد .

فللمعزى ثلاث قصائد في مدح مجد الملك ، وتركيب بند واحد في نفس الغرض وهو يبدأ قصيدته الأولى بقوله :

زهى خجسته وفرخنده باد فروردين بفرخى وخوشى آمدى زخلد برين

ثم يمتدحه بعد ذلك في تخلّصه ، بعد انتهائه من مدح علي بن أبي طالب فيقول :

ـ هو في المدينة العلم ، وبالمناقب العلم ،
وفي تلافيف العقل يسكن رأي شمس الدين .

ـ مجد الملك الأجلّ ، وسيد الدولة الممتدح ،

بشير خلق الزمان ، ومستشار ملك البلاد الأمين .

ـ أساس الفضائل أبو الفضل الذي مهما اجتهدت كواكب الفلك . .
لا تأتي قراناتها العديدة بشبيه له أو قرين[١] .

ـ حين اقترن رأيك براية السلطان . .
رفعت رايته العالية رأسها إلى عليين .

ـ وخلت العراق وخراسان برمتها . .
من الظالمين ومثيري الفتنة وملاعين المفسدين .

ـ صار المَلِك ـ بفضل تدبيرك ورأيك ـ كأبيه . .
ممدوح السيرة ، طيب الخصال ، ظهيراً للدين[٢] .

[112] وقد أنشئت هذه القصيدة في حضرة بركيارق إبان وزارة مجد الملك ، ووردت فيها إشارة إلى تخليص العراق من يدتتش والأمير أنر قائد الجيش ، وتخليص خراسان من يد أرسلان أرغو وغيره .

وهذا مطلع قصيدته الثانية :

تا بسلامت بحلّه آمده سلمى   حلـه شد از خرّمى جنّت مأوى

وفيها يقول مادحاً :

ـ ولا يحمل القلب هماً . . حين تشهد العين .
بلاط مجد الملك سيد الدنيا . . وتراه .

---

(١) در مدينه علمست ودر مناقب أو   در خزانهٔ عقل است راي شمس الدين
أجل وسيد دولت ستوده مجد الملك   بشير خلق زمان ومشير شاه زمين
سر فضايل أبو الفضل كاختران سپهر   بصد هزار قرانش نياورند قرين

(٢) چوگشت راي تو پيوند رايت سلطان   كشيد رايت عاليش سر بعليين
همه عراق وخراسان بجمله خالى گشت   زظالمان بلاجوى ومفسدان لعين
شده است شاه بتدبير وراي تو چو پدر   ستوده سيرت ونيكو خصال ونيك آئين

ـ بدر المملكة ، شمس الملك ، ومؤيد الدولة . .
أسعد محمد موسى . . صدر الزمان ومبتغاه .

ـ إن ما ناله من مولاه بفضل طالع سعده من عظمه ورفعة .
هو كل ما كان يرجوه من زمانه ويتمنّاه[١] .

***

ـ أزال العدوّ من مملكة الشاه . . كما أزال النبي من الكعبة اللات والعزي . [٢]

ـ أيها الصاحب الذي تعطي كل راغب يأتيك دون سواك[٣] . .

ـ لقد استقرت قاعدة الملك بفضل صواب رأيك . .
وصار رأيك حجة تشهد بصدق دعواك .

ـ قلمك ضعيف نحيف لكن المُلك محكم . .
والخزينة عامرة . . وبفضلك تمّ هذا وذاك[٤] .

***

(١) دل نكشد بارغم جو ديده ببيند ... بارگه مجد ملك سيد دنى
بدر زمين شمس دين مؤيد دولت* ... صدر زمان اسعد محمد موسى
بار خدايى كه از سعادت أو يافت ... هرچه همى از زمانه كرد تمنى
* ورد اللقب (مؤيد الدولة) في النسخة ، ويبدو أن صحته (مشيد الدولة) وهو لقب آخر من ألقاب مجد الملك . . فالبيهقي يسميه في تاريخ بيهق (مجد الملك مشيد الدولة أسعد بن محمد بن موسى القمي) (ورقة 30 b ـ صورة من نسخة لندن) .
(٢) مملكت شاه را ز خصم تهى كرد ... همچو بنى كعبه را زلات وزعزى

(٣) أي بسزا صاحبي كه هركه برغبت ... پيش تو آيد زديگران كند ابرى
(٤) قاعده‌ٔ ملك شد براي تو محكم ... راي توچون حجت آمده است بدعوى
خامه‌ٔ توسست ولا غراست وليكن ... ملك وخزانه بتوست محكم وفربى

ـ إيها الملك الكبير ، إن مدحك بعد السلطان . .
وذكر اسمك بعد اسمه . . لا شكّ أولى .

ـ لقد صار نثر البلغاء في وصفك منحة يمنحونها للدنيـا ،
وبلغ الشعر في وصفك الشعري .

ـ وبات شأن المعزي في ظل دولتك . . بالنسبة للعجم . .
شأن كبار الشعراء بالنسبة للعرب ، أمثال جرير والأخطل والأعشى[1] .

ويقول المعزى في مطلع قصيدته الثالثة التي نظمها في مدح مجد الملك :

خط است گرد عارض أن ماه دلستان
ياسنبـل اسـت ريختـه برطـرف گلستان

ثم يقول :

ـ أؤدب روحي بمدح الصاحب ومصادقته ،
فهو مؤدب ملك الملوك العظماء .

ـ السعيد مجد الملك والممدوح شمس الدين . .
تاج الأرومة وواسطة عقد أسرة الشرفاء .

ـ أبو الفضل مجد الذي بفضل إقباله واسمه . .
نسخ اسم قدامى الكبراء[2] .

ـ قلمه الطويل يخط ما يمليه عقله الحكيم . .

---

(١) بار خدايا پس از مدايح سلطان — هست همه مدحها بنام تو اولى
در صفت تو سخنوران جهانرا — نثر بنثره رسيد وشعر بشعرى
هست معزى بدولت تو عجم را — همچو عرب را جرير وأخطل وأعشى

(٢) جان پرورم بدوستي ومدح صاحبي — كوهست پرورندهٔ ملك خدايگان
فرخنده مجد ملك ويسنديده شمس دين — تاج تبارو واسطهٔ عقد دودمان
بو الفضل مجد انكه زاقبال ونام أو — منسوخ گشت نام بزرگان باستان

ومن فضله كنز مملكة صاحب القرآن ، وجيشها العظيم[1] .

وعلى النحو التالي يبدأ التركيب بند الذي نظمه المعزى في مدح مجد الملك ، والذي يشتمل على تسعة بنود :

عاشق شدم بأن بت عيار چون كنم

صعب است كار چاره اين كار چون كنم

والبيت المكرر هو :

فرخنده مجد ملك وپسنديده دين
دارندهٔ زمان وفرازندهٔ زمين[2] .

وفيه يقول مادحاً :

- أبو الفضل الذي نال المُلك من فضائله شهرتَه . .
أسعد الذي نال الحظ من سعادته توفيقَه .

- الصاحب الذي نال الحظوة التامة لدى الله وملكه العظيم . .
بفضل طهارة عقيدته وصفاء طريقه .

- منذ أن تصدى لشئون الدولة والشعب .
عرفت الدولة النظام وازدهي الشعب برونقه وبريقه[3] .

ويقول أيضاً :

---

(١) دارد بزير كلك دراز عقل واز هنر   گنج وسپاه مملكت صاحب القرآن
(٢) الترجمة العربية :
السعيد مجد الملك ، والممدوح شمس الدين ، ملك الزمان وفاتح البلدان .
(٣) بو الفضل كز فضايل أو ملك نلم يافت   اسعدكه از سعادت أو بخت كلم يافت
ان صاحبي كه پيش خداي وخدايگان   از اعتقاد پاك قبولى تملم يافت
تا أو بكار دولت وملت بايستاد   ملت گرفت رونق ودولت نظلم يافت

- رفع إقبالك العلم إلى العالم العلوى . .
وكتب على صحيفة الدولة في فخار .

- وما أن شمل قلمك ملك شهريار . .
حتى شطب الفلك بقلمه اسم أعداء شهريار[١] .

- بفضل دولته وسعادته حل السرور يمن . .
قاسى نحس أيام الغم النحسات .

- وبفضل عدله ارتاحت العراق وخراسان ،
ومن لقى الظلم فيهما وحلت به النكبات[٢]

ولمؤيد الدين الطغرائي الأصفهاني ثماني قصائد وقطعة ، يمكن الرجوع إليها في ديوانه (ص ٣٤ ـ ٤٣) .

[114] وإذا كان هناك من بين الشعراء من وصف مجد الملك القمي بالاحسان والكرم ، فإن موفق الدولة أبا طاهر حسين بن خاتوني ـ أحد كتاب الديوان وعماله في ذلك العهد قد وصفه بالبخل ، ونظم في هجائه القطعة المشهورة :

من تازد ببخل مجد الملك . . . الخ .

كما نظم ابن الهبارية تفاصيل قتله في كتاب الصادح والباغم[٣] .

(١) اقبال تو بعالم علوى علم كشيد — وز فخر بر صحيفهٔ دولت رقم كشيد
تابر گرفت زير قلم ملك شهريار — برنام بدسگالش گردون قلم كشيد
(٢) ازدولت وسعادت أو شادمانه شد — آن كس كه أو نحوست أيام غم كشيد
آسوده شد عراق وخراسان بعدل أو — وآن كس كه در عراق وخراسان ستم كشيد
(٣) كان مجد الملك متدينًا متمسكا بمذهبه ، وما زالت آثاره الخيرّة بادية في حرمى مكة والمدينة ، وآثار إحسانه ظاهرة في مشاهد الأئمة العلويين والسادات الفاطميين من أوقاف واشعال شموع . وما زال العظماء يقتدون به في الخط والتوقيع والرسوم والقواعد . وبسبب عظمته ورفعة قدره لم يلقب احد إلى الآن بلقبه ، واقتصر لقب « مجد الملك » عليه . كان يبدى احترامه لأبي بكر وعمر وعثمان ، وللشيعى والسني . وكان لديه سبعمائة غلام تركي . . من بينهم الحنفي والشيعي والسني . . وما كان يقدّمه للصوفية وحكماء السنّة والأحناف من ألوان الرعاية أشهر من الشمس . وقد أمر ببناء قبة =

= الحسن بن علي وقبر عثمان بن عفان في البقيع . . وقبر مجد الملك متصل بقبر الحسين بن علي ومشهده . (بعض مثالب النواصب) .

كان مجد الملك أبو الفضل أسعد بن محمدين موسى البراوستاني قدّس سره شيعياً مذهبياً عالماً عادلاً . غير أن بلوغه مرتبة المستشار في السلطنة ونجاحه في الوزارة والقيادة على النحو الذي أرادته أم السلطان بركيارق ، وامتلاكه كنوز العالم ، وسيطرته على جيوش الدنيا من حدود الروم إلى بلاد الترك والصين وما وراء الصين ، جعل الأمراء وأعيان الدولة يحسدونه ، وجعل الغوغاء من أفراد الجيش يقتلونه . (بعض مثالب النواصب)

ظل أثير الملك أبو المجد سعد بن محمد بن موسى شقيق مجد الملك ينعم ـ بعد قتل أخيه ـ باحترام السلطان . . إلى أن أدركته الوفاة ، وكان يلقب برئيس العراقيين . ولما توفي نقل لعظمته ورفعة قدره من أرض قم ودفن بالمشهد المقدس الذي يحوي جثمان علي بن موسى الرضا عليه السلام . (بعض مثالب النواصب) .

قدم الوزير السعيد الشهيد مجد الملك أسعد بن محمد بن موسى البراوستاني القمّي قدّس الله روحَه ـ بفضل عظمته ورفعه قدره وجلاله الكثير من الخيرات . . كإنشاء قبّة الإمام الحسن بن علي وزين العابدين ومحمد الباقر وجعفر الصادق عليهم السلام . . . حيث يوجد هؤلاء المعصومون الأربعة في مدفن واحد ، وهناك أيضاً مدفن العباس بن عبد المطلب . كما امتدت خيراته إلى مقبرة البقيع بمدينة الرسول ، وإلى مشهد موسى الكاظم ومحمد التقي عليهما السلام في مقابر قريش . وفي بغداد ومشهد ، أجرى الأوقاف على مشهد السيد عبد العظيم حسني والعديد من مشاهد السادات العلويين والأشراف الفاطميين ، وأمدها بالعدد والآلات والشموع . . مما يثبت صفاء نيته وخلوص عقيدته . وقد دفن في مقابل قبر الحسين بن علي عليهما السلام في كربلاء . ومن المشهور أنه دفع ألف دينار ذهبية سرخشية لقاء قصيدة المعزى اليائية التي ألقاها عليه (صفحة ١٣٧) .

لا بدّ أنه يقصد القصيدة اليائية التي مطلعها :

تابسلامت بحله آمد سلمى ... خلد بشد از خرمى چو جنت مأوى

إلى أن يقول :

دل نكشد بار غم چو باز ببيند ... بارگه مجد ملك سيد دنيى

بدر زمين شمس دين مؤيد دولت ... صدر زمان اسعد محمد موسى



[115] نظام الدين أبو المحاسن عبد الجليل أعز بن محمد الدهستاني (وزير بركيارق من صفر عام ٤٩٣ هـ حتى مصرعه في ١٢ ذي الحجة عام ٤٩٥ هـ)

بعد مصرع مجد الملك ، وهزيمة بركيارق وفراره في أواخر عام ٤٩٢ هـ وأوائل عام ٤٩٣ هـ لم ينصّب هذا السلطان أحداً للصدارة . فلما وفد إلى بغداد في أوائل عام ٤٩٣ هـ إختار نظام الدين أبا المحاسن الأعز بن محمد وزيراً ، وهو شقيق كمال الملك الدهستاني[1] الذي كان عميداً على العراق في عام ٤٨٢ هـ . وظل الدهستاني يعمل وزيراً لبركيارق حتى الثاني عشر من صفر عام ٤٩٥ هـ ، أي لمدة سنتين كاملتين .

وكان بركيارق على العكس من أخيه محمد الذي كان يكن للباطنية كراهية عميقة[2] ، إذ كان بركيارق « يُعنَى بهم ويصادقهم ويعجب بحسن خلقهم وسيرتهم . وكان يستخدم أتباعهم أمثال كيا فخر آور الأسد آبادى الذي كان يبثّ دعوته بين الناس . وقد أمر الوزير الدهستاني بقتله هو وحشد من أنصاره دون إذن من السلطان . . فتمّ ذلك في معسكر الجنود . . . » .

---

(١) كان كمال الملك الدهستاني عميداً للعراق من قبل ملكشاه قبل عام ٤٧٩ هـ ، وقد عزل عام ٤٨٢ هـ ، واحتلّ أخوه عبد الجليل مكانه ، وتوفى عام ٤٨٧ هـ .

(٢) ولد محمد بن ملكشاه في شعبان سنة ٤٧٤ هـ وامتد ملكه ثلاث عشرة سنة وبلغ عمره سبعاً وثلاثين سنة وأربعة أشهر وستة أيام . وقد قام بكفاح مرير ضد الباطنية ، وحاصر قلعة شاهدز الواقعة قرب أصفهان عام ٥٠٠ هـ = ١١٠٦ م ، وقتل قائدها أحمد بن عبد الملك عطاش في العام التالي ، وأصدر أمراً بقتل أبنائه . كما قتل وزيره سعد الدولة لاتصاله بالإسماعيلية . (المترجم) . أنظر : راحة الصدور (بالعربية) ص ٢٣٤ ، الكامل ، ص ١٨٥ ، السلاجقة في التاريخ والحضارة ، ص ٥٢ ، ٥٣ .

(زبدة التواريخ لأبي القاسم الكشاشي - ص ٧٨ ، إبن الأثير - حوادث ٤٩٥ هـ) .

وسوف نورد شرحاً لحياة الدهستاني أيام شغله لمنصب الوزارة ، كما سنورد تحقيقاً لتاريخ قتله عند حديثنا عن خليفته خطير الملك الميبدى . . وذلك في ختام حديثنا عن وزراء السلطان محمد .

ولا يعرف لقب الدهستاني الوزاري ، ويكتبه ابن الأثير (الوزير الأعز) ، ويكتبه صاحب راحة الصدور (أعز الملك) . ويرد اللقب بالفارسية في زبدة التواريخ (در دانه) دون فهم للعلّة .

[116] وقد خلّف لنا القاضي الأرجاني قصيدتين في مدح هذا الوزير ، ذكر فيهما لقبه الإسلامي (نظام الدين)[1] . وقد أشار في إحداهما إلى محاربة الدهستاني للملاحدة . يقول الأرجاني :

يخرّ الناظرون له سجودا ... إذا أبدى عن الخد الأسيل
كما نظر الملوك إلى كتاب ... على عنوانه عبد الجليل

***

وزير الدولتين دعاء راج ... لصدق مقاله حسن القبول
أعدت نظام هذا الدين لما ... تطرف نجمه أفق الأفول
وملت على بني الإلحاد حتى ... تركت جموعهم جزر الفصول
بيوم عزّ دين الله فيه ... وحلّ الكفر منزلة الذليل
غسلت اديم تلك الأرض منهم ... بغيث من دمائهم هطول

ويشير الأرجاني إليه مرة أخرى عندما يهجو خلفه (خطير الملك الميبدى على

---

(١) ديوان الأرجاني ، ص ١٧٣ ، ٣١٢ .

ما يبدو) فيقول في ديوانه (ص ٣٢٩) :

هـذا الـوزيـر الأجـلّ مـا فـي مطـاويـه غـلّ
الـشرّ فيـه قـليـل والخـير فيـه أقـلّ
وإنـه لـو علمـتم بعـد الأعـز أذلّ

ولا نجد لدى المعزى مدحاً في الوزير الأعز عبد الجليل الدهستاني . ولعلّ ذلك يرجع إلى أن الدهستاني كان ـ قبل أن يزر لبركيارق ـ يقضي معظم أيامه في بغداد والعراق بصفة عامة ، فلما وزر له . . كان المعزى يعيش في خراسان ، وذلك في عهد الملك سنجر ووزيره الخواجه فخر الملك .

[118

موجز لسلطنة محمد بن ملكشاه

ولادته : ولد في عام ٤٧٤ هـ ، وهو ثالث أبناء ملكشاه ، أكبر من سنجر ومحمود وأصغر من بركيارق .

أمه : تاج الدين خاتون سفريه ، وهي أيضاً أم سنجر ، فسنجر ومحمد إذاً من أم - واحدة ، بينما بركيارق من زوجة أخرى من زوجات ملكشاه ، ومثله محمود .

سلطنته : أرسله بركيارق إلى إمارة كنجة في عام ٤٨٦ هـ ليحكمها من قِبَلِه . وفي عام ٤٩٢ هـ - نتيجة غواية مؤيد الملك بن نظام الملك له[1] - عصى أخاه ونادى بنفسه سلطاناً على البلاد ، فتسبّب النزاع حول هذا المنصب في وقوع خمسة حروب بينهما فيما بين عامي ٤٩٣ هـ ، ٤٩٦ هـ ، تغلّب محمد في بعضها ومنى بالهزيمة في بعضها الآخر[2] وانتهى الأمر بين الأخوين بالصلح في عام ٤٩٧ هـ ، واتفقا على أن يمتلك محمد الممالك الواقعة شمالي سيبد رودكيلان حتى باب الأبواب . . أي آذربايجان واران وديار بكر والجزيرة والموصل والشام ، وأن تكون العراق وأصفهان وبلاد آل مزيد في العراق العربي من نصيب بركيارق .

ولما توفى بركيارق في ربيع الآخر من عام ٤٩٨ هـ لقَّب محمد نفسه في الخطبة رسمياً بلقب (السلطان) ، وجلس على عرش أبيه السلطان جلال الدولة

(١) كان بركيارق قد عزل وزيره هذا من الوزارة ، فاتصل بمحمد وأقنعه باتخاذه وزيراً له في آذربيجان ، كما أغراه بالاستيلاء على العرش وانتزاعه من يد أخيه (المترجم) .
(٢) لم ينتصر محمد علي بركيارق إلاّ في المعركة الأولى . (المترجم) .

ملكشاه ، واعترف له بالسيادة أخوه سنجر[1] ، حاكم خراسان وما وراء النهر من عام ٤٩٠ هـ .

(١) كان سنجر أخاً شقيقاً لمحمد . وتذكر كتب التاريخ أن ملكشاه قد اقترن بثلاث زوجات ، الأولى خاتون سفرية وقد أنجب منها سنجر ومحمداً ، والثانية : زبيدة خاتون وقد أنجبت له بركيارق ، والثالثة : تركان خاتون أم ناصر الدين محمود . . (وربما تكون أم أبي شجاع تاج الملك أحمد الذي توفي عام ٤٨١ هـ) (المترجم) .

مقدمة

ولد السلطان أبو شجاع غياث الدين محمد بن جلال الدولة ملكشاه السلجوقي في الرابع عشر من شهر شعبان عام ٤٧٤ هـ . أمه تاج الدين خاتون سفريّة ، وهو وسنجر من أم واحدة . ومحمد هو الابن الثالث في الترتيب بالنسبة لأبناء ملكشاه ، فقد كانت ولادته بعد بركيارق وأحمد . وقد مات الأخير قبل ولادة محمد بثلاث سنوات أي في عام ٤٨١ هـ ، وكان عمره عند وفاته أحد عشر عاماً . هذا ، ويكبر محمد أخويه سنجر ومحموداً .

وحين توفى ملكشاه في بغداد عام ٤٨٥ هـ كان محمد في الحادية عشر من عمره ، فأخذته تركان خاتون معها إلى أصفهان ليكون تحت رقابتها . وتركان خاتون هي احدى زوجات ملكشاه وأم ولده الأصغر محمود . وقد صحبت معها أيضاً إبنها الصغير محموداً الذي كانت تريد إحلاله محلّ أبيه السلطان ملكشاه . فلما حاصر بركيارق ـ الابن الأرشد لملكشاه ـ أصفهان ، تسلّل محمد خفية ، ولحق بأمه تاج الدين التي كانت في معسكر بركيارق . وفي عام ٤٨٦ هـ عاد إلى بغداد في معية أخيه ، وتولّى من قِبَلِه حكم ولاية گنجة وتوابعها . وبعد قليل ، استقلّ بولاية أران وانتزعها من قبضة فضلون بن أبي الأسوار الروادي[1] وذلك بفضل المساعدة

(١) وردت كلمة (روادي) مشددة في نسخة الكتاب الأصلية ، وهذا خطأ ، لأن أبا المظفر فضلون بن أبي السوار (وليس أبا الأسوار) كان من أسرة شدادي گنجة الذين ينحدرون من أصل كردي ، والذين يسمون أيضاً بالروادبة دون تشديد) ، وهم أيضاً قسم من الروادين العرب الذين كانوا يحكمون في آذربايجان . وهناك ملاحظة أخرى هي أن انتزاع أران من يد فضلون الشدادي المذكور ومنحها للقائد ساوتگين قد تمّ قبل ذلك التاريخ بعدّة سنوات ، وعلى يد السلطان ملكشاه ـ السلجوقي . وقد توفى فضلون ـ كما صرّح ابن الأثير في كامل التواريخ ـ في بغداد عام ٤٨٤ هـ . ويمكن الرجوع في ذلك إلى كتاب شهرياران گمنام ، بخش ٢ ، ص ٢٢ وبخش ٣ ص ٥١ ي ـ لذكاء .

التي قدمها له أتابكته[1] وأمراء جنده .

وفي عام ٤٩٢ هـ ـ كما سنورد في حديثنا عن مؤيد الملك ـ توجه الوزير (مؤيد الملك) إلى كنجة لاجئاً ، وتلاقى مع محمد ، وحرّضه كي يخرج على أخيه . وكان هذا الوزير الكبير قد أبعد عن وزارة بركيارق منذ أربع سنوات ، وامتلأ قلبه [120] بالكراهية للسلطان بركيارق ووزيره مجد الملك وأمه زبيدة خاتون . واحضر مؤيد الملك محمداً معه إلى الري حيث نادى به سلطاناً ، واصبح وزيره . وفي هذه المدينة نفسها قبض على أم بركيارق ـ وحبسها أول الأمر ، ثم أمر بها فخنقت .

وكان بركيارق وقتها بالري هو الآخر ، فلما وجد نفسه عاجزاً عن مقاومة جيوش محمد ومؤيد الملك تركها إلى أصفهان . . لكن أهلها لم يفتحوا أبوابها في وجهه مما اضطره إلى اللجوء إلى خورستان ومنها إلى بغداد . فلما وصلها في ١٧ صفر عام ٤٩٣ وقعت الحرب الأولى بين بركيارق ومحمد على شاطىء سفيد رود ، على بعد عدة فراسخ من هذان ، وكان وزير كل سلطان برفقه جنده . وهزم بركيارق واسر وزيره أبو المحاسن الدهستاني ، فاحترمه مؤيد الملك إلى حد كبير ، وأرسل إلى بغداد مطالباً بأن تكون الخطبة باسم محمد .

وسلك بركيارق ـ بعد هزيمته ـ طريق الري قاصداً اسفراين ويرفقته خمسون فارساً ، وطلب المدد من الأمير أبي شجاع حبشي بن التونتاق ، وكان وقتها قد

---

(١) الأتابكة أو الأتابيك ، لقب كان يطلق في أوائل العهد السلجوقي على من يعهد إليهم بتربية الأمراء ومراقبتهم وتصريف أمورهم وحمايتهم . وكانت طبيعة عملهم تتيح لهم التدخُّل في أخص شئون سادتهم . وقد وصل بعض الأكفاء منهم إلى مناصب الحكم وسيطروا على ممالك الإسلام ، خاصة بعد وفاة ملكشاه . ومن أشهر سلسلات الأتابكة : أتابكة آذربيجان والعراق ، الأتابكة السلغرية أو أتابكة فارس ، وأتابكة الموصل والشام وديار بكر (المترجم) .
لمعرفة الكثير عن الأتابكة أنظر : راحة الصدور ، ليدن ص ١٤٠ وغيرها ، خواندمير : حبيب السير ، حـ ٢ ص ٢٥١ وغيرها ؛ كتاب النقض ، طهران ١٣٣١ هـ ، ص ٢٣ ؛ ابن الوردى : تاريخ ابن الوردى ، ص ٨١ ؛ لب التواريخ ، ص ١٢٣ ، ١٢٤ ، أخبار الدولة السلجوقية ، ص ١٧٢ ، تاريخ أدبيات درايران ، حـ ٢ ص ٢٨ ، ٢٩ ، الكامل حـ ١٢ ص ١٥٦ ، تاريخ كزبده ، ص ٥٠٣ ، السلاجقة في التاريخ والحضارة ، ص ١٤٧ ـ ١٥٧ .

أحكم قبضته على ولاية قومس وقسم من جرجان وخراسان ، فلبى طلبة واتفقا على اللقاء في نيشابور للاستعداد لمواجهة جنود سنجر القادمين من بلخ لقمع الأمير حبشي .

وفي بوژجان(بوزجان) ذلك المكان العامر بين نيشابور وهراة ـ تمكّن سنجر من هزيمة الأمير داد والسلطان بركيارق وخمسة آلاف من المشاه أتباع الأمير إسماعيل بن أبي الحسن الكيلكي ، أمير طبس الباطني ، الذي كان قد جاء لتعزيز قواتهما . وفرّ حبشي ، وتوجّه بركيارق مهزوماً إلى دامغان ، واتخّذ سبيله في الصحراء نحو حدود اصفهان . ولما كان محمد قد سبقه إليها ، فقد اضطر إلى سلوك طريق خوزستان ، ـ حيث جمع الجيوش واستمال بعض أمراء محمد ثم توجّه إلى همدان .

[121

ودارت المعركة الثانية بين بركيارق ومحمد في الثالث من جمادى الآخرة عام ٤٩٤ هـ قرب همدان ، وفيها هُزم محمد . ووقع مؤيد الملك في أسر بركيارق فضرب عنقه بيده ليثأر لأمه .

وتوجّه محمد عقب هزيمته إلى خراسان ، ولجأ إلى أخيه سنجر الذي أسرع للقائه ، واستقبله في سرادق عظيم أقامه في جرجان . وسافر الأخوان معاً إلى بغداد ، ودخلا دار الخلافة في السابع والعشرين من ذي الحجة .

وكان بركيارق قد جاء إلى بغداد يدوره في السابع عشر من ذي القعدة بعد أن تركه أصدقاؤه في العراق .

وكان عند وصول الأخوين يمر بفترة ضيق وقلق ويعاني من مرض شديد يكاد يودي بحياته . ولما كان رجال بلاط الخليفة المستظهر قد لحق بهم الكثير من الأذى على أيدي أتباع بركيارق ، فقد رحبوا بالأخوين ، وأعطاهما الخليفة المنشور واللواء ، وألقيت الخطبة باسم محمد . وحمل أبو المحاسن الدهستاني وأمراء بركيارق السلطان المريض إلى واسط وهناك تحسّنت صحته .

وفي بغداد ، اختار محمد لوزارته خطير الملك أبا منصور محمد بن حسين

الميدى الذي يعدّ ثاني وزراء محمد بعد مؤيد الملك . فرغم أن السلطان محمد قد اختار نصير الملك محمد بن مؤيد الملك لوزارة أبنائه بعد قتل مؤيد الملك ، فعمل في أجهزة الدولة وفاء لخدمات أبيه ، إلاّ أنه لم يختر لنفسه وزيراً بصفة رسمية في الفترة ما بين مصرع مؤيد الملك ودخوله (أي السلطان محمد) إلى بغداد . . والسبب في ذلك هو عدم انتظام أمور السلطنة لصالحه ، واستقلاله بها .

وفي صفر من عام ٤٩٥ هـ دارت الحرب للمرة الثالثة بين محمد وبركيارق ، لكن أمراء الفريقين تمكّنوا بعد يومين اثنين - من إقرار الصلح . وتقرّر بموجب الصلح أن يكون بركيارق سلطاناً ومحمد ملكاً ، وأن يقسّم بينهما القسم الغربي من ممالك أبيهما فأصفهان والري والعراق لبركيارق ، والبلاد من سفيدرود - أي من [122] بداية جنوب بلادزنجان - حتى باب الأبواب لمحمد . . وهي مساحة تشتمل على آذربايجان وكنجة واران والموصل وديار بكر والشام[١] .

ولم تكد تمض فترة قصيرة حتى نقض محمد الصلح ، وقدم إلى الري في جمادي الأولى من عام ٤٩٥ هـ ، فلما هزمه أخوه تركها إلى أصفهان ، وأغلق أبوابها في وجه بركيارق ، فحاصرها هذا مدة ولما أحسّ محمد بعجزة عن المقاومة لجأ إلى الفرار ، كما فر خطير الملك إلى ميبد .

ودارت المعركة الخامسة بين محمد وبركيارق خارج مدينة خوي في الثامن من جمادي الآخرة عام ٤٩٦ هـ ، وهزم محمد مرة أخرى . وتصالح الأخوان في ربيع الثاني من عام ٤٩٧ هـ[٢] وقرّرا تنفيذ شروط الصلح السابق . وظل الصلح قائماً

---

(١) تصالحا على أن يكون بركيارق هوالسلطان ومحمد الملك ، ويضرب له ثلاث نوب وتكون له (جنزة) وأعمالها ، وآذربيجان وديار بكر والجزيرة والموصل ، وأن يمدّ السلطان بركيارق بالعساكر حتى يفتح ما يمتنع عليه منها . (المترجم) .

(٢) تصالحا على الا يعترض بركيارق أخاه محمداً في الطبل ، والا يذكر معه على سائر البلاد التي صارت له ، والا يكتُب أحدهما للآخر بل تكون المكاتبة عن طريق الوزيرين ، ولا يعارض أحد من العسكر في قصد أيهما شاء . وأن يكون لمحمد من النهر المعروف بسبيد رود إلى باب الأبواب وديار بكر والجزيرة والموصل والشام ، ويكون له من العراق بلاد سيف الدولة صدقة . وتسلّم =

إلى أن مات بركيارق في الثاني عشر من ربيع الثاني عام ٤٩٨ هـ .

وبعد أن تصالح الأخوان ، وبسبب فرار خطير الملك إلى مبيد ، ثم أسره على يد جنود بركيارق ، وتنصيبه وزيراً له عقب مصرع أبي الحسن الدهستاني بيد الباطنية . . إختار محمدٌ لوزارته أبا المحاسن سعد الملك سعد بن محمد الآبي ، ثم غاد تبريز إلى الموصل لفتحها . لكنّه غادرها إلى بغداد على جناح السرعة حين سمع بموت أخيه بركيا رق وعلم بتدخّل الأمير إياز ـ أحد أمراء بركيارق ـ وسعيه لإجلاس ابن السلطان المتوفي (أي ملكشاه بن بركيارق) على العرش .

ووصل محمد إلى بغداد يوم الجمعة لثمان بقين من جمادي الآخرة عام ٤٩٨ هـ ، وصالحه إياز فعفا عنه[1] ، واستقلّ بعرش أبيه وأخيه ، وصار سلطاناً على كل الممالك السلجوقية ، وظل سنجر على ولائه له كما كان الحال من قبل .

وفي عام ٥٠٠ هـ شنق محمد سعد الملك الآبي في أصفهان بتهمة التعاون مع الباطنية ، وعين مكانه الخواجه أحمد بن الخواجه نظام الملك وزيراً . وولى الوزارة من بعده خطير الملك الميبدى ، ثم ربيب الدولة ابن أبي شجاع الوزير الهمداني . وبناء عليه يكون وزراء محمد ـ إبتداء من عام ٤٩٢ هـ عندما جلس في الري سلطاناً بفضل مساعدة مؤيد الملك وحتى عام ٥١١ هـ عندما أدركته الوفاة ـ بالترتيب التالي :

= بركيارق أصفهان وتبادلا الهدايا . . وصارت الأقاليم الشمالية (آذربيجان ، بلاد الأرمن ، بلاد الروم ، الموصل ، الشام) من نصيب محمد ، والجنوبية (بلاد الجبل ، العراق العربي) من نصيب بركيارق (المترجم) .

(١) أوصى بركيارق قبل وفاته بتنصيب ابنه « ملكشاه الثاني » على عرش السلاجقة ، فلما مات كان عمر ملكشاه أقل من خمس سنوات ، فحمله الأتابك (إياز) الوصي عليه إلى بغداد ، وحصل من الخليفة العباسي على اعتراف بسلطنته . وسارع محمد بالتوجه إلى بغداد ، واستمال إياز إلى جانبه ، واتخذه وزيراً له ، فسلم إليه عرش السلطنة دون نزاع ، ولم يعد هناك من ينافسه عليه . وكان ملكشاه الثاني قد جلس على العرش بضعة أشهر فخُلِع عنه وسُمِلت عيناه كما كانوا يفعلون عادة بمن يريدون إقصاءه عن العرش . (المترجم) .

[123] ١ـ الخواجة الكبير عماد الدين أبو بكر عبيد الله مؤيد الملك بن خواجه نظام الملك الطوسى (٤٩٢ ـ ٤٩٤ هـ) .

٢ ـ نصير الملك محمد بن مؤيد الملك بن خواجه نظام الملك (في عام ٤٩٤ هـ) .

٣ ـ أبو منصور محمد بن حسين خطير الملك الميبدى (لأول مرة ، ٤٩٤ ـ ٤٩٥ هـ) .

٤ ـ نصير الدين أبو المحاسن سعد الملك سعد بن محمد الآبي (٤٩٨ ـ ٥٠٠هـ) .

٥ ـ الخواجة الكبير صدر الإسلام قوام الدين أحمد نظام الملك بن خواجه نظام الملك (٥٠٠ ـ ٥٠٤ هـ) .

٦ ـ خطير الملك الميبدى ، السابق الذكر (للمرة الثانية ، من ٥٠٤ ـ ٥١١هـ) .

٧ ـ عماد الملك أبو منصور محمد بن حسين بن حسين ، الملقّب بربيب الدولة . (قضى في الوزارة خمسة وأربعين يوماً . . من أيام عام ٥١١ هـ) .

***



وزراء محمد

(أ) الصدارة

١ ـ عماد الدين ، شهاب الدين ، ظهير الدولة ، نصير المِلَّة ، الخواجة الكبير أبو بكر عبيد الله مؤيد الملك بن خواجه نظام الملك (ولادته في حدود عام ٤٤٤ هـ ، وقتله في عام ٤٩٤ هـ) .

***

ـ نسل نظام الملك بمثابة دفتر . .
أخذ الإقبال منه كل النقاط .

ـ لكن ما أخذه عن طريق رأيك الصائب .
كان أفضل وأجمل ما أخذه من تلك النقاط .[١]

(المعزى أمير الشعراء)

يعدّ خواجه أبو بكر عبيد الله مؤيد الملك بن خواجه نظام الملك أشهر أبناء الخواجه بعد فخر الملك . ويقول عماد الكاتب ـ استناداً إلى قول معاصره أنو شروان بن خالد الذي كان يعمل في جهاز ذلك الوزير ـ أن مؤيد الملك كان عديم النظير بين أقرانه ، وكان نادرة زمانه ذكاء وحياء ورأياً ولطفاً وظرفاً ورحمة وعطفاً ، ووحيد عصره في البلاغة والنظم والنثر ، كما كان أكفأ أبناء الخواجة[٢] .

---

(١) النص الفارسي

نسل نظام ملك بكردار دفتريست
كاقبال نكته ها همه زان دفتر آورد
ليكن بودنتيجهءرأي صواب تو
هرنكته كان نكوتر وزيباتر آورد .

(٢) عماد الكاتب ، ص ٨٨ ـ ٨٩ ، ٨٥ .

ولد مؤيد الملك في حدود عام ٤٤٤ هـ ، فقد ذُكِر أن سِنَّهُ عند مصرعه كان يناهز الخمسين ، وهو بهـذا يصغُـر أخـاه فخـر الملك (٤٣٤ ـ ٥٠٠ هـ) بعشر سنوات تقريباً . ويبدو أنه ثاني أبناء خواجه نظام الملك فقد كان برفقة أبيه مع أخيه فخر الملك منذ التحق الخواجة بخدمة الأمير باجر (بيجر) القائم بشئون بلخ ، وحين ذهب بعد ذلك بفترة قصـيرة إلى مرو ليعمـل في خدمـة جغـرى بيك داود السلجوقي والد ألب أرسلان[1] .

[125] وحين أراد نظام الملك الفرار من بلخ إلى مرو ، وترك خدمة الأمير باجر إلى خدمة جغرى بيك ، عمد إلى إخفاء فخر الملك ومؤيد الملك اللذين كانا برفقته قبل فراره[2] .

وواضح أن الخواجة لم يكن له آنذاك ولد يكبر فخـر الملك ومـؤيد الملك سناً ، وأن قول عماد الكاتب (ص ٧٣) بأن جمال الملك هو أكبر أبناء نظام الملك قول خاطىء . ويؤكد ابن الأثير أن فخر الملك هو أكبر أبناء الخواجة ، وأن مولده كان في حدود عام ٤٣٤ هـ .

وحتى عام ٤٦٦ هـ ـ أي إلى ما بعد جلوس ملكشاه على العرش بعام واحد ، واستقرار نظام الملك في منصب الصدارة بأمر من السلطان الجديد ـ لا نجد ذكراً لمؤيد الملك في أي كتاب من كتب التواريخ ولا أي خبـر عن تدخلـه في الشئـون الحكومية . . ويبدو أنه لم ينفرد بعمل حتى ذلك التاريخ لأنه كان ما زال شاباً .

وفي عام ٤٦٦ هـ أوفد مؤيد الملك ـ من قِبَلِ السلطان وأبيه ـ إلى بغداد ـ لإنجاز إحدى المهام . وصادف وصوله إلى دار الخلافة فيضان دجلة وغرق بغداد ،

---

(١) استولى جغرى بيك على مرو وقرئت الخطبة باسمه في الجمعة الأولى من رجب عام ٤٢٨ هـ ، وتوفى في صفر من عام ٤٥٢ هـ . وبناء على ما جاء في كتب التواريخ من أن الخواجة حين قرر الالتحاق بخدمة جغرى بيك أخفى ولديه فخر الملك ومؤيد الملك ، وفر من بلخ إلى مرو حيث التحق بخدمة جغرى بيك . . يصبح من المعلوم أن الخواجه قد ذهب إليه فيما بين عام ٤٤٤ هـ (عام ولادة مؤيد الملك) وعام ٤٥٢ هـ .

(٢) إبن الأثير ، حوادث سنة ٤٨٥ هـ .

ولهذا لم يتمكن الخليفة القائم ورجال بلاطه من استقباله ، مما أغضبه وجعله يتصوّر أن الخليفة قد تعمّد الامتناع عن استقباله .

وأرسل الخليفة من يعتذرون عنه ويوضّحون السبب ، وأرسل أكثر من خلعة إلى داره . وبعد فترة قصيرة ـ وكان وزير الخليفة قد عاد إلى بغداد بعد لقائه مع السلطان ـ أصدر الخليفة أمره بعدم استقباله . . أسوة بمؤيد الملك .

ومنذ ذلك التاريخ ، أعدّ مؤيد الملك لنفسه مسكناً في بغداد لإقامته ، وأصبح يقضي معظم أيامه في بغداد والجزيرة ، ويشغل منصب الرياسة والإمارة ، والحقّ أن شئون العراق والجزيرة كان يديرها ـ رغماً عن الخليفة ووزيره ـ شخصان : سعد الدولة گوهر آئين شحنة السلطان ملكشاه ، وخواجة مؤيد الملك نائب خواجه نظام الملك . وبفضل بلاغة مؤيد الملك وحُسن تربيته كانت له في العراق والجزيرة ـ مع حداثة سِنّه ـ ما لأبيه نظام الملك من قوة وكفاءة سياسية ، [126] وكان في بلاط الخليفة العباسي بمثابة الوزير . وحين اعتلى المقتدي مسند الخلافة مكان القائم عام ٤٦٧ هـ ، كان مؤيد الملك ضمن مبايعيه شأنه شأن وزير الخليفة ونقيب النقباء وقاضي القضاة .

وعاد مؤيد الملك إلى بغداد عام ٤٧٠ هـ ، ونزل في داره المجاورة للمدرسة النظامية . وصحب دخوله بغداد وقوع نزاع مذهبي بين جماعة تسكن السوق المجاورة للمدرسة وأخرى تسكن سوقاً آخر على مقربة منه . وحاول مؤيد الملك جاهداً أن يخمد الفتنة دون طائل . ولما بلغ الخبر نظام الملك أرسل شخصاً إلى بغداد ، وطلب من الخليفة عزل وزيره لتقصيره . وفي عام ٤٧٣ هـ ، توجّه مؤيد الملك على رأس حملة لمحاربة مهرباط صاحب قلعة تكريت . وبعد أن استولى على القلعة توجّه إلى أصفهان ليكون في خدمة ملكشاه وخدمة أبيه . وفي جمادي الأولى من عام ٤٧٥ هـ ، عاد إلى بغداد ، فسارع عميد الدولة بن جهير ـ وزير الخليفة وصهر نظام الملك ـ باستقباله ، ودخل دار الخلافة محاطاً بكافة مظاهر الاحترام . وأصدر الوزير أمره بقرع الطبول أمام منزله وقت الصلاة من كل يوم . وقد أنفق

مؤيد الملك مالاً وفيراً لوقف هذا الأمر ، وأرسل الطبول إلى تكريت , وفي شعبان من نفس العام بلغ بغداد خبرُ مصرع أخيه جمال الدين ، فجلس مؤيد الملك للعزاء[1] .

وفي عام ٤٧٦ هـ ـ كما ذكرنا في حديثنا عن كمال الملك أبي جعفر الأديب مختار الزوزني ـ احتل مؤيد الملك منصب الوزارة بأمر من ملكشاه . . بعد أن سُملت عينا أبي المحاسن سيد الرؤساء محمد بن كمال الدولة ، وعُزل أبوه من ديوان الطغراء والانشاء ، وتحولت رتبة إمارة مؤيد الملك إلى صاحب الديوان والوزير والطغرائي . وقد تمّ تعيين مؤيد الملك بعد انقضاء شهر شوال من عام ٤٧٦ هـ لأن ملكشاه سمل عيني سيد الرؤساء في هذا التاريخ . . وكان مؤيد الملك [127] يقيم في بغداد حتى جمادي الآخرة من العام المذكور ، وقد شارك في عزاء الشيخ أبي إسحاق الشيرازي وفي تعيين خليفته[1] .

ولم يُكتب الدوامُ لوزارة الإنشاء برياسة مؤيد الملك في عهد ملكشاه ، إذ سرعان ما ترك هذا العمل وحلّ محلّه كمال الملك أبو جعفر الزوزني . وفي العام التالي (٤٧٧ هـ) ، أوفده السلطان إلى شرف الدولة مسلم بن قريش المرواني يدعوه لطاعته ، بعد أن فرّخوفاً منه . . فذهب إليه في الجزيرة وطمأنه وأحضره إلى السلطان .

ولا يوجد ذِكر لمؤيد الملك في كتب التاريخ في الفترة ما بين عام ٤٧٧ ، ٤٨٧ هـ. ويغلب على الظن أنه كان يؤدي ـ خلال هذه المدة ـ مهاماً خارج نطاق العراق وايران الغربية فلو كان يعمل في نطاقهما لورد ذلك ولا شك في كتب التواريخ المعروفة في تلك الأماكن أمثال تاريخ ابن الأثير . وربما كان مكلّفاً في تلك الفترة ـ كما يرد في بعض مدائح المعزى ـ بقيادة بعض الحملات في حدود سيستان وهراة .

---

(١) عماد الكاتب : ص ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٥ ، إبن الأثير ، حوادث ـ السنين المذكورة .

(١) إبن الأثير ، حوادث عام ٤٧٦ هـ .

وفي عام ٤٨٧ هـ ـ كما ورد في حديثنا عن بركيارق ـ كان مؤيد الملك في خراسان ، فلما ثارت الفتنة بين أرسلان أرغو وبورى برس . . فرّ هذا الوزير إلى أصفهان . ولما كان أخوه عز الملك أبو عبد الله حسين قد توفى قبل تلك الأحداث بقليل ، فقد اختاره بركيارق وزيراً في ذي الحجة من نفس العام ، لكنه لم يستمر في منصبه أكثر من شهرين وبضعة أيام (من ذي الحجة عام ٤٨٧ هـ حتى صفر عام ٤٨٨ هـ) ، استطاع فيها بحسن تدبيره وقوة نفوذه أن يثبّت بركيارق على عرش أبيه رغم تعدّد من كانوا يدّعون أحقيّتهم بالعرش ، واستطاع أن يوقع الهزيمة بأكبر أعدائه ونعني به عمّه تاج الدولة تتش ، فقد هزمه في السابع عشر من صفر عام ٤٨٨ هـ على بعد ١٢ فرسخاً من الري ، كما تمكّن من قتله في المعركة ، وبذا خلا جو السلطنة لبركيارق ، وبات يقبض على زمام الأمور دون منازع .

وبعد أن أُبعد مؤيد الملك عن الوزارة بتحريض من مجد الملك القمى وزبيدة خاتون أم بركيارق . . يعاونهما فخر الملك شقيق مؤيد الملك . . حُبس بناء على أمر السلطان . فلما تخلّص من سجنه ـ بعد فترة قصيرة ـ سافر إلى بغداد معتزماً تسوية الشئون الخاصة بأملاكه ومساكنه . . تلك الأملاك والمساكن التي كان يمتلكها في عهد أبيه ، والتفرّغ للعبادة وإهمال الشئون الدنيوية . . إلاّ أن فكرة الانتقام من مجد الملك وزبيدة خاتون ظلت تسيطر عليه . كما أن المدة الطويلة التي قضاها في إدارة شئون المملكة جعلته لا يطيق الجلوس دون حركة ، والابتعاد مرة واحدة عن التدخّل في إدارة هذا الجهاز العظيم الذي يعدّ القسم الأكبر منه صنيعة يد أبيه الماهرة الخلاّقة . لهذا فإنه كان طوال مدة إقامته في بغداد ـ لا يكفّ عن البحث عن طريقة تمكّنه من إدارة دفّة الأمور في جهاز أعداء بركيارق ، ليتمكّن من الانتقام بسبب ما حاق به من حيف وظلم .

[128]

وتوجّه مؤيد الملك بادىء الأمر من بغداد إلى الحلّة قاصداً الأمير صدقة بن دبيس المزيدي ، فأكرمه ورحّب به أجمل ترحيب اعترافاً بأفضاله السابقة وخدماته إبان نفوذه في العراق . لكن عجز صدقة عن الاصطدام ببركيارق جعل مؤيد الملك

لا يعوّل عليه في إنجاز مطلبه . فلما توجّه بركيارق إلى خراسان برفقة أخيه سنجر والأمير حبشي لإخماد فتنة قامت بها ، وشُغل في النزاعات الدائرة (٤٩٠ هـ ـ ٤٩٢ هـ) ، وشُغل الأمير أنر وإلى العراق الجديد بحاربة الإسماعيلية في أصفهان بناء على أمر السلطان . . وجد مؤيد الملك أن الفرصة باتت سانحة للتوجّه لإيران ، فسارع بالسفر من الحلة إلى أصفهان وحرص الأمير أنر على التمرّد ضدّ بركيارق ، وقال له : « أتراك أقلّ من محمود بن تركان خاتون ؟ . . فيم تقلّ عنه ؟ لقد كان السلطان ملكشاه يحبّك أكثر من كل أبنائه ويناديك بابنه . إن هيبتك وعظمتك ورهبتك في القلوب أكبر من هيبة كل الملوك وعظمتهم ورهبتهم وإنك لتفوقهم فضلاً ، ويميل إليك الجيش والرعية . . فاجلس على كرسي السلطنة . . وإن فتحا واحداً تفتحه لكفيل بأن يخضع الدنيا لك[1] .

ورفع أنر علم العصيان ضد السلطان بركيارق متأثراً بتحريض مؤيد الملك ، وادّعى أحقية بالسلطنة ، وترك الري إلى أصفهان ، وأرسل رسالة إلى بركيارق ـ وكان ما زال بخراسان ـ تعهّد له فيها بالطاعة بشرط أن يسلّمه مجد [129] الملك ، فإذا لم يفعل فسوف يواصل عصيانه . وكان مؤيد الملك وراء هذا المطلب ، إذ كان يريد بكل السبل أن يضع يده على عدوه ويهلكه . . غير أن بعض الغلمان قتلوا « أنر » في غمار تلك الأحداث[1] . وخاف مؤيد الملك بطش مجد الملك وبركيارق وزبيدة خاتون ، ولم يعرف لمن يلجأ في العراق وخراسان ، ففرّ إلى گنجة وعمل في خدمة محمد بن ملكشاه ، فلقى الإعزاز والاحترام لدى هذا الأمير الذي كان بمثابة السلطان على گنجة وأران ، وكان لا يرتاح إلى بركيارق ، ويتمنّى في قرارة نفسه أن يحل محله .

وسيطر مؤيد الملك بسرعة على عقل محمد وارتاحت نفسه إليه كثيراً ، فأخذ يحثّه على حذف اسم بركيارق من الخطبة في بلاد أران وگنجة ، واعلان سلطنته ،

---

(١) راحة الصدور ، ص ١٤٧ ، ١٤٨ .

(١) قتله الإسماعيلية في أصفهان غيلة (المترجم) .

والتوجه لفتح العراق والسيطرة على أصفهان وبغداد ـ عاصمتي أبيه ملكشاه . وتقبّل محمد توجيهات مؤيد الملك ، وأعدّ جيشاً ، وغادر گنجة إلى الري برفقه هذا الرجل ، وكان قد اتخذه وزيراً في شوال من عام ٤٩٢ هـ[١] .

وكان بركيارق (الذي كان يخمد فتنة أنر) قد أسرع إلى الري سالكاً طريق قهستان ، تاركاً خراسان لأخيه سنجر والأميرداد حبشي بن آلتون تاق . فلما سمع بقتل أنر وفرار مؤيد الملك إلى گنجة ، ثم نمى إليه أمر تمرّد أخيه محمد عليه بتحريض من مؤيد الملك ، وتحرّكه نحو العراق . . قام بجمع الجنود وتوجّه من الري إلى زنجان . غير أن قسماً من جيشه المرابط في مدينة سجاس تمرّد عليه ، وراسله الجند يطالبونه بتسليم الوزير مجد الملك إليهم ليقتلوه . وعلّة ذلك الأمر أن الإسماعيلية ـ الذين قتلوا عدداً من عظماء دولة بركيارق ـ قد ألصقوا تلك التهمة بمجد الملك ، وأشاعوا أنه المحرّك .

وأصر أمراء بركيارق على تسليم مجد الملك لهم لينتقموا منه في مقابل دم العظماء الذين قُتلوا . ورفض بركيارق مطلبهم ، فهاجموا خيمة الوزير وسلبوا متاعه . وفرَّ الوزير إلى خيمة السلطان ، فاندفع الأمراء المتمردون إلى المخدع السلطاني ـ دون مراعاة لحرمة السلطان ومقامه ـ ونهبوا الاصطبل والخزانة ، وأخرجوا مجد الملك ومزّقوه تمزيقاً[٢] ، وأرسلوا رأسه إلى مؤيد الملك الذي قدِم إلى همدان والري برفقه السلطان محمد ، وانضمّت إلى الثائرين جماعة من جيش بركيارق في خرقان ، ودخل الجميع في طاعة محمد والتحقوا بمعسكره .

وكان مصرع مجد الملك في يوم الأربعاء الثامن عشر من شوال عام ٤٩٢ هـ[٣] . وقد حقّق مصرعه آمالاً عزيزة كانت تراود مؤيد الملك منذ مدة . وتسببت هذه الحادثة في تمزيق التماسك والوحدة في صفوف جيش بركيارق تماماً ، مما جعله ـ

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٤٧ .

(٢) المرجع السابق والصفحة السابقة .

(٣) النسخة الأصلية لكتاب زبدة النصرة ونخبة العصرة لعماد الكاتب ـ نسخة مكتبة باريس الوطنية (ورقة 76 b) .

بعد الحادثة ، وبعد تمرّد معظم أمراء جيشه ـ يترك الري فاراً إلى أصفهان . ولما رفض شحنة أصفهان السماح له بدخولها . . توجّه إلى خوزستان فبغداد . وفي خرقان قرب همدان ، قرعت لمحمد طبول النوبات الخمس السلطانية . . بصفة رسمية ، وأعلن نفسه سلطاناً ومؤيد الملك وزيراً[٣] ، ودخل الري في الثاني من ذي القعدة عام ٤٩٢ هـ . ولما علم الخليفة بهزيمة بركيارق وانتصار محمد ، أمر سعد الدولة گوهر آئين ـ شحنة بغداد ـ بالتوجّه لخدمته ، على أن يصحب معه صاحب الموصل والجزيرة وكنگاور . كما أصدر الخليفة أمره بأن يدرج اسم السلطان محمد في خطبة السلطنة ببغداد في السابع عشر من ذي الحجة عام ٤٩٢ هـ ، وأطلق عليه لقب غياث الدنيا والدين .

وعندما دخل مؤيد الملك مدينة الري . . ألقى القبض على زبيدة خاتون أم بركيارق التي لم تتمكّن من الفرار ، وحبسها أول الأمر في إحدى القلاع ، وجعلها تكتب إقراراً تتعهّد فيه بدفع خمسة آلاف دينار ، ثم قرّر قتلها .

ولم يثنه عن عزمه ما سمعه من أصدقائه عن سوء العاقبة ، فقد كان الحقد يأكل قلبه بسبب موالاة تلك المرأة لمجد الملك . . وأصدر أمره بخنقها ، فكان مسلكه هذا إلى جانب تعهّدها الذي وجده بركيارق ضمن أوراق الوزير سبباً رئيسياً في تغيره على مؤيد الملك ، ولهذا قام بنفسه بضرب عنقه .

[131] وبعد أن فرّ بركيارق من الري ـ كما قلنا ـ سلك طريق خوزستان إلى بغداد ، وأجبر الخليفة على إعادة اسمه إلى الخطبة في السابع عشر من صفر عام ٤٩٣ هـ . وهناك إتخذ من أبي المحاسن عبد الجليل الأعز الدهستاني وزيراً له ، وأخذ في جمع الجنود ودعوة الأنصار . ولم يمض طويل وقت حتى كان أصحاب الموصل والحلّة والجزيرة وكنگاور قد انضموا إليه وصاروا من جملة أنصاره ، كما قدّم له الخليفة مساعدته . وتوجّه بركيارق برفقة أعوانه الجدد ورفقة گوهر آئين

---

(١) راحة الصدور ، ص ١٤٨ .

شحنة بغداد إلى همدان على رأس ـ جيش عظيم . وسارع السلطان محمد بالخروج من أصفهان للتصدي لهم ، يرافقه مؤيد الملك وشحنة أصفهان وعدد آخر من أمراء بركيارق السابقين . وفي الرابع من رجب عام ٤٩٣ هـ تمّ النصر لمحمد وأعوانه عند سبيدرود على بعد عدة فراسخ من همدان ، وقتل گوهر آئين في الحرب ووقع أبو المحاسن ـ وزير بركيارق ـ أسيراً ، وتمكّن بركيارق من الفرار . وأبدى مؤيد الملك احترامه الفائق لأبي المحاسن ونقله إلى بغداد وأعيدت الخطبة باسم محمد مرة أخرى .

ولجأ بركيارق إلى قومس وجرجان محتمياً بالأمير حبشي ، كما سيرد في حديثنا عن هذا الأمير . وبعد أن هُزم في معركة بوزگان على يد سنجر وأتباعه ، توجّه إلى أصفهان عن طريق كوير ، لكنّه لم يستطع دخول المدينة بعد أن استولى عليها السلطان محمد ، فتوجّه إلى خوزستان حيث انضم إليه جمع من أمرائه السابقين ، كما انضمّ إليه الأمير إياز ـ أحد كبار أمراء السلطان محمد ـ لعدم رضائه عن مؤيد الملك . . وبذلك زادت قوة بركيارق كثيراً ، وبلغ عدد أفراد جيشه خمسين ألفاً . . توجّه بهم إلى همدان . وسارع محمد ومؤيد الملك بالتصدّي لهجومه في خمسة عشر ألف جندي ، ولهذا منى جيش محمد بهزيمة منكرة قرب همدان في الثالث من جمادي الآخرة عام ٤٩٤ هـ . وتمكّن أحد غلمان مجد الملك من أسر مؤيد الملك فحمله إلى بركيارق .

[132] ووضعه بركيارق تحت رقابته عدة أيام ، فأرسل إليه رسالة يعرض عليه فيها تقديم مبلغ مائة ألف دينار وقبول منصب الوزارة إذا قبل العفو عنه . وقبل بركيارق العرض وأخذ مؤيد الملك من جانبه في إعداد المال ، وشغل بتوصيله لعمّال الخزانة . . غير أنه أغلظ القول لعمّال الديوان أثناء مناقشاته معهم . كما أن « الطشت دار » ـ أحد خدم بركيارق ـ قد نقل إلى مسامعه شيئاً عن مظالم مؤيد الملك ومواقفه السيئة تجاه السلطان وأمه . . في الفترة السابقة ، مما أثار غضبه ودفعه إلى إحضار مؤيد الملك وإغلاظ القول له . وهكذا عاتبه بركيارق طويلاً ، وعدّد له

آثامه ، وأراه مكتوب أمه الذي وجده في أوراقه ، ثم قام بعد ذلك بضرب عنقه[١] .

وحينما قيدوه بالحبال وغطوا عينيه بقطعة من القماش ، لم يُبدِ جزعاً ولم يتذلل أو يشكو . . كل ما هنالك أنه كان يردد كلمة الشهادة .

وكما نظّم مؤيد الملك شئون سلطنة بركيارق خلال فترة قصيرة ، فقد تمكّن السلطان محمد من تحقيق تقدم كبير على يديه خلال عام وبعض عام من وزارته له (من شوال ٤٩٢ هـ حتى أوائل جمادي الآخرة عام ٤٩٤ هـ) . كما أن مؤيد الملك هو الذي وضع لمحمد أساس السلطنة المستقلّة التي نعم بها بعد وفاة بركيارق خلال السنوات الأربعة التي اعقبت مصرع هذا الوزير . وهو الذي رفع ذكر دولة محمد واسمها في خراسان والعراق ، وعظّم شأن الدولة في عين الخليفة ، وجعلهاصنواً لدولة أخيه بركيارق في كل شيء .

وقد كان مؤيد الملك ـ طبقاً لرواية أنو شروان بن خالد . . أحد معاصريه ـ يمتاز بالكفاءة ورجاحة العقل والفصاحة والبلاغة ، يجيد النثر والنظم باللسانيين الفارسي والعربي ، ويبدى في ذلك بلاغة وطلاقة . وقد ذكره العوفي في لباب الألباب ،[٢] ووضعه في مصاف كبارناظمي الشعر باللغة الفارسية ، ونقل من منظوماته ثلاث رباعيات . . صدّرها بالشرح التالي : ـ

[133] « حين قدّم الصك الى خازن أبيه تعلل الخازن بعدم وضوح توقيع مخدومه المبارك ، فأنشأ الرباعي التالي وأرسله إلى الوزارة :

ـ يا من رأيك المسيطر على كل الممالك ،

وينطبق على أعدائك قوله تعلى : « كل شيء هالك » .

(١) راحة الصدور ، ص ١٤٨ ، إبن الأثير ، حوادث عام ٤٩٤ هـ ، عماد الكاتب ، ص ٨٨ . كان ذلك في جمادي الآخرة عام ٤٩٤ هـ ، كما يرد في دمية القصر عند الحديث عن الطغرائي الذي رثاه بمرثية .

(٢) لباب الألباب ، ج ١ ص ٦٧ ، ٦٨ .

ـ لقد كتبت هذا الكتاب لخازنك ،

فوقع عليه بقولك : « صحيح ذلك »[1] .

رباعي

ـ بُشِّرت الليلة الماضية بوصالك . . فظللت أرقب الصباح . . على أمل .

ـ وغاب القمر وطلعت الشمس . . فإذا بالنهار الأبيض كالليل الأسود . . لا يُحتمل[2] .

رباعي

ـ ذهبت إلى مكان الوداع ملبياً طلبه ، بعد أن قاسيت الكثير وعانيت . .

ـ فصدرت عن شفقه الشبيهة بالرطب صرخة . . تدعوني إلى قبلة أضعها ، فلبيت .[3]

كان أنو شروان بن خالد قد أورد في كتابه « نفثة المصدور » ـ الذي يعتبر القسم الأساسي من زبدة النصرة لعماد الكاتب بمثابة ترجمة عربية له ـ بعض أبيات فارسية لمؤيد الملك ، لكنها ضاعت مع ضياع نفثة المصدر لسوء الحظ ، وبقيت لنا الترجمة العربية لبيتين فقط نظمهما عماد الكاتب وأدرجهما في زبدة النصرة . والبيتان بمثابة خطاب لفخر الملك ، قالهما مؤيد الملك عندما انتزع أخوه منه الوزارة في عهد بركيارق متأثراً بغواية مجد الملك القمي .

---

(١) أي راي تو بركل ممالك مالك   أعداي تراست كل شيء هالك
اين بنده خطى نوشت خازن تو   آراي بتوقيع : صحيح ذلك

(٢) دوشم بوصال خويشتن داد نويد   تاروز بلم نشسته دل پر زاميد
چون ماه فروشد وبرا مدخورشيد   برمن چوشب سيه شد آن روزسپيد

(٣) رفتم بوداعگاه كردم طلبش   زان پس كه بسى كشپده بودم تعبش
فرياد برآمد ازلب چون رطبش   فرياد ببوسه در شكستم بلبش

وهذان هما البيتان :

ماذا أقول عن امرىء جمع المعاير والمعايب
عادت مناقب والدي من شؤم منصبه مثالب[٤]

وقد دوّن أبو القاسم الكاشي رباعية فارسية في القسم الخاص بتاريخ السلاجقة في كتابه « زبدة التواريخ » . وقد نظم مؤيد الملك الرباعية المذكورة وهو في السجن . ويغلب على الظن أن الكاشي قد نقلها عن سلجوقنامه لظهيري النيشابوري ، فقد نقل القسم التاريخي المتعلّق بالسلاجقة في كتابه « زبدة التواريخ » عن « سلجوقنامه » بنصّه دون تحريف . ويبدو أن ظهيري قد نقل هذه الرباعية ـ كما نقل الكثير من أقسام كتابه ـ عن « نفثة المصدور » لأنوشروان بن [134] خالد ، وهو أفضل وأدقّ كتاب في تاريخ السلاجقة . وكان مؤيد الملك ـ أيام إمارته وفي فترة صدارته ووزارته ـ ملاذ أهل الشعر والأدب . وقد امتدحه أربعة من أفضل شعراء الفارسية والعربية بالعديد من القصائد ، وخلّدوا اسمه في دواوينهم الخالدة ، وهم : المعزي . . أمير الشعراء ، والقاضي ناصح الدين الأرجاني ، وأبو المظفر الأبيوردي ، ومؤيد الدين أبو إسماعيل الطغرائي الأصفهاني .

وترجع مدائح المعزي إلى فترة إمارة مؤيد الملك ورئاسته لوزارة الإنشاء والطغراء في عهد ملكشاه ، وإلى فترة صدارته للجهاز الإداري في عهد السلطان غياث الدين محمد بن ملكشاه . ولهذا الشاعر المعروف ثلاث عشرة قصيدة في مدح مؤيد الملك ، يشير في بعضها ـ كما ذكرنا ـ إلى فتحه إحدى قلاع سيستان ، وفي واحدة إلى إقامته في هراة . وهذه مطالع القصائد ويمكن استنباط ما يتصل بالوزير . . من خلال بعض الأبيات :

١ ـ ازگل همى نكارم سنبل بر آورد هر گز گلى كه ديد كه سنبل بر آورد

وهو يقول في نهاية غزله :

---

(٤) عماد الكاتب ، ص ٨٦ .

ـ الآن ، اعتقد أنه يأتي من الجنة ، والشفة الحمراء تأتي بخمر كخمر الكوثر .

ـ أو أن الحور تقدّم لنصير أمة الرسول شراباً رقيقافي عقيق أحمر .

ـ الأمير الأجلّ مؤيد الملك الذي تجتذب دولته النجـم ـ إن شاء ـ من الفلك إلى الأرض ، فيُقهر .

ـ السعيد شهاب الدين الذي يلقى الظفر في حربه ، ولو اصطدم بمائة جيش . . وأكثر[1] .

***

ـ نسل نظام الملك بمثابة دفتر . . أخذ الإقبال عنه كل النقاط.

ـ لكن ما يأخذه عن رأيك الصائب هو أفضل ما في تلك النقاط.

ـ يضربون المثل بقلعة خيبر ، ويدور حديثهم في المثل عن حيدر.

ـ يحكون عنك في الحرب ما يحكون عن حيدر ، ويتحدثون في سيستان حديثهم عن خيبر[2] .

٢ ـ وفي قصيدة أخرى مطلعها :

برديم ماه روزبنيك اختــرى بسر	بــرياد عيد روزه قدح بركن اي پسر

---

(١) ايدون گمان برم كه همـى آيد از بهشت — وآن سرخ لبـى مى چومـى كوثـر آورد
يا حور در عقيق همـى شربتـي دقيق — پيش نصـير ملـت پيغمبـر آورد ـ
مـير اجـل مؤيد ملك آنـكه دولتش — گر خواهـد از فلك بزمـين اخترآورد
فرخ شهـاب دين كه مظفـر شود برزم ـ — گر روز رزم روى بصـد لشـكر آورد ـ

(٢) نسـل نظـلم ملك بكردار دفتريست — كاقبـال نكتـه ها همـه زان دفتـر آورد
ليكن بود نتيجـة رأي صواب تو — هـر نكتـه كان نكوتـر وزيباتـر آورد
آنـكو هى بقلعهٔ خيبـر زنـد مثل — ونـدر مثـل همـى سخـن از حيدر آورد
از توهمـه حكايت حيدر كنـد بجنگ — درسيستـان همـى خبـر ازخيبـر آورد

[135] يقول المعزى :

ـ يبدو حفل ظهير دولة السلطان العادل في هذه الحديقة . .
وكأنه الربيع في شهر دي . . فيه متعة للنظر.

ـ الأمير الأجلّ مؤيد الملك وشهاب الدين أبو بكر . .
الذي هو في عدله وتديّنه كعُمَر.(١)

* * *

ـ منذ أن حللت كالخضر في مدينة الإسكندر .
اخضرَّت هذه المدينة وكأنها جنة المأوى .

ـ لو أن جاهك وحظك خبَّرك لعرفت . .
أنك إسكندر ذلك العصر . . الذي وضع قدمه في هراة .

ـ لقد أحلت طبيعة ترابها إلى عبير . .
وأحللت فيها الجواهر محل الأحجار(٢) .

* * *

ـ أذكر يوم أن كنت آتي كالعبيد . .
أتلمَّس بساط مجلسك وأقف بأعتابك . . في ترقّب وانتظار .

ـ أنظر كما ينظر الرهبان في حب إلى الصليب ،
وأقبِّل ، كما يقبِّل الحجّاجُ الحجرَ في فخار .

---

(١) زين باغ چون بهار نمايد بماه دي ـ بزم ظهير دولت سلطان دادگر
مير اجل مؤيد ملك وشهاب دين بوبكر كوبداد وبدين هست چون عمر

(٢) تاچون خضر به شهر سكندر نشسته اي اين شهر همچو جنّت مأوى است ازخضر
اسكندرآن زمان كه هرى را نهاد پي گرداشتى زدولت واقبال تو خبر
دروى بجاي خاك سرشتي همه عبير دروى بجاي سنگ نشاندى همه گهر

ـ راجياً أن أنال بفضل سعادتك المساعدة . .
فتكون الهديّة مشبعة للروح ممتعة للأبصار[١] .

ويفهم من هذه الأبيات أن المعزى قد أرسل هذه الأشعار إلى مؤيد الملك في هراة . ٣ ، ٤ ، وفي قصيدتين أخريين يشير المعزي إلى رئاسته لديوان الطغراء والإنشاء في عهد ملكشاه ، وهذا مطلع إحداهما :

أى دورخ توپروين وى دولب تو مرجان
پروينت بلاى دل مرجانت شفاى جان

وفيها يقول مادحاً :

ـ الخط البديع على دائرة فضيَّة . . يشبه خط شهاب الدين في مملكة السلطان .

ـ النجم العالي أبو بكر ، الممدوح ، راعى الأدباء . .
جمشيد كل العسكر ، وشمس كل إيوان .

ـ الصدر الذي ندعو الله ألا يحيق به مكروه ما دامت الدنيا ،
والبدر الذي ندعو الله ـ ما دام الفلك ـ ألا يتعرَّض للنقصان .

ـ من مديحه زُيِنَّت الحضرة . .
ومن رأيه الرفيع زُيِّن الديوان[٢] .

***

(١) آن روزكى بودكه من آيم چو بندگان برفرش مجلس تو وبر آستان در
ديده نهم زمهر چو رهبان برصليب بوسه دهم زفخر چو حجاج بر حجر
ارجو كه باشلم بسعادت مساعدت تاتحفه از روان كنم وهديه ازبصر

(٢) خطى است بديع اين بر دايره سيمين چون خط شهاب الدين در مملكت سلطان
ممدوح هنر پرور بوبكر بلند أختر جمشيد همه لشكر خورشيد همه ايوان
صدرى كه مباد اورا تادهر بود آفت بدرى كه مباد اورا تاچرخ بود نقصان
از رسم مديح او اراسته شد حضرت وز راي رفيع او آراسته شد ديوان

- يا من يراك عزُّ الدين[1] صاحب جاه ونفوذ . .
ويراك قوامُ الدين[2] ذا قوةٍ وخطر جسيم .

[136] - يزيد هذا كل يوم في ظل قدرتك وإمكاناتك . .
ويزيد ذاك كل يوم في ظل حشمتك ونفوذك العظيم[3] .

***

- قلمُك الذي يأخذ من الحظّ لقبه . . منوط به تدبير الدولة العامرة . .
سواء أرسم قلمك هذا صورة أم رسم دائرة[4] .

وفي قصيدة أخرى مطلعها :

گشاده روى وميان بسته بامـداد پگاه   فرو گذشت بگويم بتى بروى چوماه

يقول المعزى :

- أن يك قلبي ضلَّ الطريقَ بهجر حبيبه وجفاه .
فسوف يجد طريقه بفضل ثناء مولاه .

- سيد الدنيا العظيم مؤيد الملك .
شهاب الدين رأس أحرار عبيد الله .

- المفسرٌ الذي تفسرٌ به آية العقل .

---

(١) يعنى السلطان معز الدين ملكشاه .
(٢) خواجه قوام الدين نظام الملك والد مؤيد الملك .
(٣) اي پيش معز الدين باحشمت وباتمكين   وى پيش قوام الدين باقدرت وباإمكان
در قدرت وامكانت هر روز فزايد اين   در حشمت وتمكينت هر روز فزايد آن
(٤) آباد برآن كلكت كز بخت لقب دارد   تدبير گر دولت تصوير گر دوران -
(يبدو أنه إشارة إلى دائرة الطغراء) .

والمؤيَّد الذي تؤيَّد به دولةُ الملك[1] .

***

٥ ـ ومن أشعار المعزى ومن الأبيات التي سننقلها يتَّضح أن لقب مؤيد الملك الديني قد كان (شهاب الدين) ، خاصة وأن المعزى له ثلاث قصائد بائية في مدحه ، إختار فيها تلك القافية لتستوعب هذا اللقب ، إحداها تبدأ بالمطلع التالي :

برماه لاله داري وبر لاله مشك ناب
در مشك حلقه داري وبر حلقة پيچ وتاب

وفيها يقول مادحاً :

ـ تركت طريق العشق وسددت سبيل الخطأ ،
وطفقت امتدح الأمير فاتحا باب الصواب .
ـ الأمير العظيم عبيد الله المؤيد في ملك الملك .
والذي هو في دين الله الشهاب[2] .

والثانية مطلعها :

چوآتش فلكى شد نهفته زير حجاب زدود بست فلك بررخ زمانه نقاب

[137

ويقول في المدح :

ـ حين رأى أن قلبي فلك . . لم يمر أمامه .
وكف عن العبور حين لمس أن مديح شهابٍ في قلبي . . شهاب

---

(١) اگر زهجر جفا جوى گره است ودلم بآفرين خداوند باز يابد راه
بزرگ بار خداي جهان مؤيد ملك شهاب دين سر آزادگان عبيد الله
مفسرى كه مفسر بدوست آيت عقل مؤيدي كه مؤيد بدوست دولت شاه

(٢) جَستم زراه عشق وببستم ره خطا جُستم مديح مير وگشادم در صواب
مير بزرگوار عبيد الله آن كه هست در ملك شه مؤيد ودر دين حق شهاب

ـ شهاب دين الله المقتدي مؤيّد الملك
ظهير الدولة ، وزينة أولى الألباب[1] .
والثالثة مطلعها :
أفتابى راهمى ماند رخش عنبر نقاب
هيچكس ديده است عنبر رانقاب زآفتاب

ويقول فيها :
ـ لو تحوّل لون الدمع في عيني إلى لون اللعل الأحمر . . فلا ضير ولا وَجَل . .
فمدح مولاي في قلبي كالدرِّ الرطْب المستطاب .
ـ نصير أمير المؤمنين ، ملك الملك والدين . .
المؤيد لملك السلطان ، ومن هو لدين الله شهاب[2] .
وفي قصيدة أخرى مطلعها :
آمد آن ماه دو هفته باقباي رنگ رنگ
زلف پربند وشكنج وچشم بر نيرنگ ورنگ
يقول مشيراً إلى لقبه :
ـ لملك السلطان مؤيد ، ولدين الله شهاب . .
شمس العقل والعلم ، وأصل المعرفة والذكاء .[3]
٩ ، ١٠ ـ وفي قصيدتين أخريين يدعو المعزى مؤيد الملك بلقب شهاب الدين ،
وإحدى القصيدتين تبدأ بالبيت التالي :

---

(١) كذر نكرد بپيش دلم چو ديدكه هست ولم سپهر وشهاب اندرو مديح شهاب
شهاب دين خدا مقتدى مؤيد ملك ظهير دولت وپيرايهٔ أولو الألباب
(٢) گر بچشم اندر سرشكم لعل گون شد باك نيست
در دلم مدح خداوند است چون در خوشاب
نصير مير المؤمنين پروردگار ملك ودين
ملك سلطان را مؤيد دين يزدان را شهاب
(٣) ملك سلطان را مؤيد دين يزدان را شهاب
آفتاب عقل وعلم ومايه فرهنگ وهنگ

أي ماه لالــه روى من أي سرو سيم تن

از دل ترافلك كنـم ازجـان تراچمن

وهو يقول في المدح :

ـ يودُّ الجمع أن يشاهد طلعتك . . إذا ما حدَّثَ الشمسَ قمرُك ونجمُك الساطع . .

ـ أيها الأمير الأجلّ ، مؤيد الملك وشهاب الدين ، ظهير الدولة أبو بكر بن حسن ، السعيد الطالع[1] .

وأخرى مطلعها :

سمـن برى كه فسونـگر شده اسـت بمهـر أو

همـى خُلـد دل زمـن عبهـر فسونـكر أو

[138] وأخرى مطلعها :

عزيز كرد مرادر محـل عز وقبول   ظهير دولت شاه وشهـاب دين رسول

چنـان شنيد زمـن شعـر كأحمـد مختار   شنيد مدح روح الأمين بوقت نزول[2]

وهكذا يتضح من قراءة هذه الأشعار ومن بعض قصائد الطغرائي أن لقب مؤيد الملك الديني ـ الذي لُقِّب به أيام إمارته ورئاسته لوزارة الطغراء والانشاء ـ هو (شهاب الدين) . وكان له لقب حكومي آخر ـ غير مؤيد الملك اللقب الخاص الذي اشتهر به أكثر من سواه ـ وهو (ظهير الدولة) . وكان المعزى يدعوه في كل ما ذكرنا من قصائد بالأمير والأمير الأجلّ . ولم يشر لوزارته إلاّ في قصيدتين تحدَّث فيهما عن صدارته لديوان الإنشاء ورياسته للديوان . وقد صرّح المعزى بذلك في

---

(١) خواهـان ديدن تو شود گرخـير رسـد
از ماه وانجـم تو بخـورشيد انجمن
ميراجـل مويـد ملك وشـهـاب ديـن
فـرخ ظهـير دولـت أبـو بكر بن حسن

(٢) ـ أعزّني وكرّمني ووضعني موضع العزّ والقبول . .
ظهير دولة الشاه وشهاب دين الرسول .
ـ فكان أن استمع منى إلى شعر . .
أشبه بالمدح الذي استمع إليه أحمد المختار من الروح الأمين . . وقت النزول .

حياة أبيه نظام الملك وأبان سلطنة ملكشاه ، أي مع بداية علم ٤٧٦ هـ إلى ما بعده بقليل ، كما أسلفنا القول .

١١ ، ١٢ ـ للمعزى قصيدتان أخريان في مدح مؤيد الملك ترتبطان بفترة وزارته للسلطان أبي شجاع غياث الدين محمد بن جلال الدين ملكشاه ، أي فيما بين عامي ٤٩٢ و ٤٩٤ هـ (شوال ٤٩٢ هـ ـ أوائل جمادي الآخرة علم ٤٩٤ هـ) .

وقد نظم المعزى إحداهما في الري علم ٤٩٢ هـ مهنئاً مؤيد الملك بالوزارة . وقد لقَّبه فيها بلقب ديني آخر هو (عماد الدين) . . إلى جانب لقبه الحكومي (نظام الدولة) وكان الأبيوردي والطغرائي والأرجاني يلقبونه أيضاً في فترة صدارته ـ بعماد الدين . ويفهم من هذا أنه حين بلغ منصب الصدارة (في عهد بركيا رق علم ٤٨٧ هـ أو في عهد السلطان محمد علم ٤٩٢ هـ) أضاف ـ بأمر السلطان ـ لقبَى (عماد الدين ونظام الدولة) إلى لقبيه السابقين : (شهاب الدين وظهير الدولة) ، وربما يكون قد استبدل الجديدين بالقديمين .

[139] وتبدأ قصيدة المعزى التي يهنىء فيها مؤيد الملك بالوزارة ويتحدث فيها عن مصرع مجد الملك القمى وعن إحضار السلطان محمد من گنجة إلى الري بمساعدة مؤيد الملك (كان دخول مؤيد الملك والسلطان محمد مدينة الري في الثاني من ذي القعدة علم ٤٩٢ هـ) . . على النحو التالي :

ـ إكتسى صدر الوزارة . . بفضل تديّن وزير ملك الملوك . .

وبفضل علمه وعدله . . بالجمال والحشمة والجاه .

ـ نظام الدولة وصدر العالم ، مؤيد الملك . .

عماد دين الله الحق . . عبيد الله .

ـ العالي الهمة ، القصير اليد . . الوزير . .

الذي يصغر قدر الفلك العالي أمام قدره ورفعته . . ولا يبلغ مداه .

ـ المقدَّس المنزَّه عن العيب والعار . .

كما تنزّه الرسل عن الكذب والملائكة عن الآثام وما يرتكبه الجناه .

ـ صحيفة فضله بحر لا ساحل له . .

لا يمكن للوهم أن يتجاوزه إلى أبعد من الشفاه .

ـ قد خطَّت همَّته على وجه العالم . . بخط العدل والسياسة :

كان هذا ميتاً فأحييناه .

ـ بين بادية القهر ، في ليل البدعة . .

كان الزمان في عجلة من أمره ، قد هجر الطريق وسلاه .

ـ فلما أشرق قمر دولته عن سماء ملكه . .

عاد الزمان إلى الطريق ، مسترشداً بنور القمر وضياه .

ـ يُقبِّل الفلكُ جباهَ المشاهير . .

الذين يضعون رؤوسهم على الأرض أمامه . . ويحنون كلهم الجباه

ـ فهم يخدمونه الآن . رغبة وطواعية . .

متحررين من وطأة الضرورة والاكراه .

ـ بعد أن تخلّصوا من المعارض المتلوِّن كالدراج ،

والمتمرِّد المراوغ كالثعلب . . الذي تفوق حِيَلُه سواه .

ـ أين صار الآن من كان وحيداً لا ينازعه أحد . .

تعال وانظر إليه ، تجده فريسة الأبيض من الصقور والأسْوَد من أُسْد الفلاه .

ـ يا من في كفاءتك الدليل على هدايتك . .

ويا من تشهد شمائلك بفضلك اللامتناه .

ـ لقد بُشِّرَ ركبُ الشاه وبُشِّرَت رايتُه بالظفر .

حين واكب رأيت ركبَ الشاه واقترن براية الشاه .

ـ حين غادر گنجة مولياً وجهه في سعادة شطر الري . .

سلّمه الفلكُ المالَ والملكَ والتاجَ والجاه .

ـ وعقدت العنايةُ الأبدية الحزامَ حول وسطها . . في خدمته . .

ووضعت السعادةُ الأزليَّة قبعتَها على رأسها . . وأقبلت ترعاه[1] .

---

(1) كرفت صدر وزارت جمال وحشمت وجاه بدين ودانش وداد وزير شاهنشاه
نظام دولت وصدر جهان مؤيد ملك عماد دين خداوند حق عبيد الله =

- إن من ينصب فخاً يطبق الفخ عليه ويؤذيه[1] . .
إن من يحفر بئراً بعد آنٍ يقع فيه .

[140] - فما بالك بمن يتهاون في حق الخلق في حياته ويهز أبهم . .
هل يجد مثل هذا الشخص ما يرضيه ؟

- إنه حين يتعرّض في النهاية للنكال بين الناس . .
لا يجد من بينهم من يأسف عليه ، أو يتـأوه من أجله أو يرثيه[2] .

***

- إن عناية المحمَّدَيْن بترعاك في دنياك وآخرتك . .

= بلندهمـت وكوتـاه دسـت دستوري | كه قدر چرخ بلنـد اسـت پيش أو كوتاه
مقـدس اسـت ومنـزه زعيب وعـار چنانك | پيمـيران زدروغ وفرشتـگان زگناه
صحيفـة هنـرش بي كرانـه دريائيست | كه وهـم ازو نتوانـد گذشـت جز بشفاه
بخـط عدل وسياسـت بروى عالـم بر | نوشـت همّـت أو ميتـا فاحييناه
ميان باديه' قهـر در شب بدعت | زمانـه بود سراسيمـه وفتـاد زراه -
چو ماه دولـت او زآسمان ملك بتافت | زمانـه بازره آمـد بروشنائـي ماه
جبـاه نامـوران همـى ببوسـد جرخ | كه پيش أو بزمـين بر نهنـد جملـه جباه
همـى كننـد كنـون خدمتـى برغبـت وطوع | نجـات يافتـه انـد از ضرورت واكراه
مخالفـى* كه همـه رنـگ بود چون دراج | منازعـي كه همـه حيلـه بود چون روباه
كجاشـده اسـت كنـون كويكى بيابنگر | شـكار كردن باز سفيد وشـير سياه
ايا كفـايت توبـر هدايت تو دليل | ويا شمايل تو بر فضـايل تو گواه
ركاب ورايت شاه از ظفـر بشـارت يافت | چوگشـت راي تو جفـت ركاب ورايت شاه
زگنجـه چون بسعـادت نهـاد روى برى | فلك سـبرد بدوگـنج وملك وافـر وگاه
عنـايت ابـدى بر ميانش بسـت كمر | سعـادت ازلى بر سرش نهـاد كلاه

* إشارة إلى مجد الملك القمى وزير بركيارق الذي قُتل على يد أمراء بركيارق في حدود زنجان يوم الأربعاء ١٨ شوال علم ٤٩٢ هـ .

(١) هذه الأبيات تتعلّق بمجد الملك القمى - وزير بركيارق - وكان قد قُتِل .

(٢) همان كه دام همى ساخت بسته كشت بدام | همان كه جاه همـى كنـد در فتـاد بجاه
چگونـه باشـد حال كسى كه كاه حيات | بجشـم طنـز وتهـاون كنـد بخلـق نگاه
بعاقبـت چو نكالى شود ميانـه' خلق | دريغ أو نخـورد بك تن ونـگويد آه

فقد وفَّيت الدين حقه ورعيت المملكة .

- فمحمد ذاك شفيعك يوم الحساب ،
ومحمد هذا ملاذك يوم المعركة[1] .

وهذا مطلع القصيدة الأخرى التي قالها المعزى إبان صدارة مؤيد الملك :

اين منم يافته مقصود ومراد دل خويش
از حوادث شده بيگانه وبادولت خويش
وين منم ديده ودل كرده پس از چندين سال
روشن وشاد بديدار ولي نعمت خويش
صدر إسلام عماد الدين بوبكر كه هست
چون قوام الدين نيكو نيت ونيك انديش
آن وزيرى كه جهان شد همه ازدست سه بار
باز دست امد چون پاي نهاد اندربيش

والظاهر أن المعزى يشير بقوله : « جهان شد همه ازدست سه بار » إلى عزل مؤيد الملك من الوزارة . . أولاً من الوزارة وديوان الإنشاء والطغراء في عهد ملكشاه ، وثانياً من صدارة بركيارق ، وثالثاً من وزارة الأمير أنر . . كما ذكرنا بالتفصيل .

ويقول المعزى في آخر هذه القصيدة متحدثاً عن نفسه :

- أنا العبد الذي صار إحسانك مرهمى . .
بعد أن جرحت قلبي سهامُ الحوادث الدامية .

- لم أعد اذكر شيئاً عن الهجوم والسلب اللذين تعرضت لهما . .
فقد كانت مركبتي حماراً أعرجَ وملابسي عتيقة باليه .

(١) عنايت دو محمد بتوست در دو جهان   كه داشتى بهردين وملك هردو نگاه
ترا بروز شمار آن محمد است شفيع   ترا بروز نبرد اين محمد است پناه

ـ أشكرك على عطيتك فبفضل إحسانك . . وبتوفيق الله . .
قلَّ تعبي ، وأصبحت زيادة راحتي ظاهرة بادية[1] .

١٣ ـ وينظم المعزى قصيدة أخرى في مدح مؤيد الملك وفي حادثة قتل مجد الملك وحادثة النهب التي تعرض هُوَلها . . فيقول :

ـ المنّة لله . . ففي ظل إقبال مولاي نال الغريب والقريب حظهما من السرور .

ـ المنّة لله . . إذ قيّض لي أن أكون في كل وقت بجانب مولاي أؤنسه في مجلسه .

ـ المنّة لله . . ففي النهاية أثمرت بذرة الصبر التي بذرها عماد الدين .

ـ المنّة لله أن يحسّ قوام الدين بالسرور في جنة الخلد لأن له ابناً كعماد الدين .

[141] ـ إن أولاد قوام الدين في حديقة الوزارة سروٌ سامق وأشجار قوية .

ـ أما الشجرة الغريبة الدخيلة على تلك الحديقة . . .
فقد أسقطتها يد الأجل ، واجتثتها من جذورها .

ـ فأرسلت عليها صاعقة في زنجان ، أصلها بروجرد ونهاوند .

ـ فعلِقت بفخ طالما نصبته ، ووقعَت ببئرٍ طالما حفرته .

ـ فأضحى خرافةً ذلك الرجل المعوِّق . .
الذي عقَّد أمورَ كل الناس وقيّدها وكبلها .

ـ وذيل العود الذي كانت رائحته النتنة . .
تنتشر في أرجاء الدولة وبين أفراد الشعب .

ـ إن كلَّ ما في هذه القصة . . حكمة بالغة ،

---

(١) منم آن بنده كه احسان توشد مرهم من | چون شد ازتير حوادث دل من خسته ريش
نكنم ياد زتاراج ونينديشم زانك | مركيم بود خرلنگ ولياسم فرغيش
شكر انعلم توگويم كه بتوفيق خداي | رنج من كم شد از احسان تو وراحت بيش

وفيها من العظة ما يكفي إلى يوم الحشر والحساب .

- أيها الملِك الكبير الذي لا تجد بين الناس . .
من يناظرك في الملوكية والسيادة . .

- إن الفلك لا يعرف وسيلة لقياس عقلك .
والأيام لا تدري كيف تعدّ أفضالك .

- لقد عقد القضاء معك ميثاق انتصار ،
وأقسم القدر لك أن يحيطك بالسعادة .

- بك السلطان مسرور والابن فخور ، ومعك يفرح الجند وتفرح الرعية[1] .

ويقول :

---

(1) المنه لله كه باقبال خداوند — شادند چه بيگانه وچه خويش وچه پيوند
المنه لله كه مرا زهرهء انست — كآيم كه وبيگاه بنزديك خداوند
المنه لله كه هم آخر ببر آمد — تخمى كه عماد الدين از صبرپر اگند
المنه لله كه قوام الدين در خلد — شاد است كه دارد چو عماد الدين فرزند
اولاد قوام الدين در باغ وزارت - — سروان بلندند ودرختان برومند
بيگانه درختى كه ازان باغ سر افراشت* — گردونش بدست اجل از پاى برافگند
باريد برو صاعقه اي كزدر زنگان** — پايش بورو گرد رسيد وبنهاوند
آو يخت بدام اندر اكر دام همى ساخت — وافتاد بچاه اندر اگرچاه همى كند
افسانه شد آن مرد معوق كه ازويود — بركار همه خلق فتاده گره وبند
ناچيز شد آن عود مطرا كه ازوبود — در دولت وملت بدل بوى شما گند
سر تاسر اين قصة همه حكمت وبند است — تا حشر كفايت كند اين موعظه وپند
اي بارخدايى كه ندارى زخلايق — درحد خدايى وخداوندى مانند
گردون نشناسد كه قياس خردت چون — أيام نداندكه شمار هنرت چند
كرده است قضا باتو بپيروزى پيمان — خورده است قدر باتو بيهروزى سوگند
سلطان بتوشاد است وبرادر بتوخرم*** — لشكر زتو خشنود ورعيت زتو خرسند

* يعنى حديقة الوزارة ، ويقصد من عبارة (بيكانه درخت) مجد الملك القمى .

** وردت في أصل النسخة (امكان) وليس لها على هذا النحو أي معنى . ولا شك أن (زنگان) تعنى مدينة زنجان التي مُزّق فيها جسد مجد الملك إربا إرباً .

*** يشير إلى السلطان محمد ، وإلى الخواجه أبي الفتح المظفر فخر الملك الذي كان يتولى وزارة سنجر في خراسان آنذاك .

ـ لقد وضَعَت يدُ الأجل قيدها في قدم العدو ، فافرح . .
وتناول الخمرَ من يد المعشوق الفاتن الجميل ، وامرح[1] .

ويقول متحدثاً عن نفسه :

ـ أضاع السلب والغارة من يدي مالي ، وملأ قلبي بالأفكار بعد أن كان شاغراً .

ـ وجرح شوك الأحداث كبدي وأذاقني الفلك طعم السم ذات مرة . . مجبراً .

ـ لكني حين رأيت وجهك وسمعت لفظك . . صارت كل الأشواك ورداً والسموم سكَّرا[2] .

١٤ ـ وربما تكون قصيدة المعزى الغرّاء التي يبدؤها بقوله :

[142] ـ يا طرّة حبيبي الحافلة بالعقد كوعده أحياناً، وبالتجعيدات والانحناءات كظهري أحياناً [3] .

قد نظمت في مدح مؤيد الملك إبان توليته وزارة الطغراء والانشاء ، إذ يقول في بيتين من أبياتها :

ـ تخُطّ بالمسك المذاب على الفضة الخالصة . .
وكأنه سن قلم أبي بكر بن حسنى . . نافث السحرِ .

ـ كافى الكفاة الذي يملك كفا سخياً كالغمام . .
صافى القلب الذي يملك قلباً غنياً كالبحر[4] .

---

(١) درپاى عدو دست اجل بند نهاده است — شادى كن ومى خواه زدست بت دلبند
(٢) تادست ودلم حادثهء غارت وتاراج — از مال تهى كرد وز تيمار بياگند
گرخار حوادث جگر بنده بخاريد — ور زهر چشانيد مرا گردون بك چند
چون طلعت تو ديدم ولفظ تو شنيدم — آن خار همه گل شد وآن زهر همه قند
(٣) أي زلف دلبر من پر بند وپر شكنى — گاهى چو وعدهٔ أو گاهى چوپيشت منى
(٤) ازمشك سوده كشى برسيم ساده رقم — گوبى سر قلم بو بكر بن حسنى
كاف كفى كه كفش چون ابر هست سخى — صاف دلى كه دلش چون بحر هست غنى

كما أن أبا المظفر محمد بن العباس الأبيوردي ، الشاعر المشهور الذي اختصَّ بمدح أسرة نظام الملك (توفى بأصفهان عام ٥٠٧ هـ) . . يشير في أشعاره إلى فتوحات مؤيد الملك ، وازالته عظمة مجد الملك ودولته . . ومما قاله في قطعة له :

فزرت عماد الدين[1] معتصماً به   اسوّر سؤر الليث في وثباته
فثب يا عبيد الله وثبة ماجد   أعير مضاء السيف من عزماته

***

ويبقى لديك الانتصار من امرء   إذا عُدَّ مجدٌ كان في أُخرياته
وآباؤه من تعرفون من الورى   ولو التقى عرفتكم أمهاته

ويهنىء الأبيوردي مؤيد الملك بفتحه في قصيدة غراء ، تبدأ بقوله :

علوت فدونك السبع الشداد   وأنت لكل مكرمة عماد
ودان لك العدى فلهم خضوع   ولولا الرعب لجَّ بهم عناد
وعزّوا حين غبت فهم أسود   وذلّوا إذ حضرت فهم نقاد

ويقول مشيراً إلى مجد الملك :

وغرهم بك المطوى كشحا   على إحن يغض بها الفؤاد
وكيف يروم شأوك في المعالي   وشسعك فوق عاتقه نجاد
يضج الدست من حنق عليه   ويبصق في محيّاه الوساد
فأخلد من غوايتهم إليهم   وبان له بهلكهم الرشاد
وسوّل بالمنى لهم أمورا   أعاروها جماجمهم فبادوا
ودبّرها فدمّرها براي   تجانبه الإصابة والسداد[2]

(١) في نسخة ديوان الأبيوردي المطبوعة (ص ٦٤ ، ٦٥) : عصام الدين . . وبالنسخة المذكورة كثير من الأخطاء ، ونصف ما طبع بها من قصائد ليس لأبيوردي بل لشاعر غزى معروف .
(٢) ديوان الأبيوردي ، ص ٩٩ ، ١٠٠ .

وهناك قصيدة أخرى في ديوان أبيوردى[1] يمتدح فيها مؤيد الملك ، هذا مطلعها :

لك المجد لا ما تدَّعيه الأوائل ... وما في مقال بعد مدحك طائل

وللقاضي ناصح الدين أبي بكر أحمد بن محمد بن الحسين الأجاني (٤٦٠ - ٥٤٤هـ) الشاعر العراقي الكبير ، قصيدتان في تهنئة مؤيد الملك بالفتح وانتصاره على مجد الملك ، والترحيب بدخوله أصفهان مع السلطان محمد . وتبدأ أولاهما بالبيت التالي :

وأرقب من طيف النحيلة موعدا ... وهان عليها أن أبيت مسهَّدا

ويقول في المدح :

فليس يبالي بالملام متيّم ... إذا كان من يهواه بالوصل مُسعدا
كما لا يخاف الدهر مُلك غدا له ... ولي أمير المؤمنين مؤيدا
أعز ملوك الأرض نفساً ومعشرا ... وأعظم أهل الأرض مجداً وسؤددا
ترى منه ملكاً عظّم الله شأنه ... فعصيانه غيٌّ وطاعته هدى

***

هنيئاً لك الفتح الذي سار ذكره ... فغار بآفاق البلاد وأنجدا
تركت به شمل العداة مفرقا ... وعهد المنايا بالعصاة مجددا
[144] سمالك من صحن العراق زعيمهم ... يقود جموعاً تملأ الأرض حشَّدا
وقد فرق الكتب اللطاف مواعدا ... وروع بالجيش الكثيف مواعدا
فما كذب الأقلام هادم دولة ... بناها لكم صدق السيوف وشيّدا
ولا جمع أهل الأرض ينفعهم إذا ... بنصركم رب السماء تفرّدا

---

(١) أنظر ، الديوان ، ص ٢٤٧ - ٢٤٩ .

طلعـت أمـلم الجيش في ظل رايـة ... نظـامية يغـدو بهـا الملك أسعـدا
معـوّدة أن لا تزال بنجمهـا ... رجيما إذا شيطـان شغـب تمـرّدا
فلـم تلـق حربـا منـذ أول عقدها ... فعـادت ولـم تمـلأ من الظفـر اليدا
فلما التقـى الخيلان أمرحـت نحوهم ... خطـا كل طيـار القـوايم جـرّدا

***

فتىً كان أشقى الناس أن كنت خصمه ... وإن غلـط المسمـى فسماه أسعدا[1]
فبينـا يسـوس النـاس ملـكا معظّما ... تحـول حتـى صار شلـوا مقددا[2]

***

فحتـى متـى يصلى ببأسـك خائن ... مـن الجهـل في آيات ملـكك ألحدا
يداوى له كسرا بكسر ضلالة ... كفـى وغـدا للنـار بالنـار مخمدا
ويجمـع طول العـلم شمـلاً لعسكـر ... وتجعلـه فـي ساعـة متبـددا
قدمـت مع الشهـر الشريف مظفرًا[3] ... فهنئـت عهـدى قادمـين تجـدّدا
فكل فم للنسـك صلم مـن الورى ... وكـل فـؤادٍ للمسـرة عيّـدا
نصرت غياث الـدين[4] بالهمّـة التي ... كفـاه بهـا للنصر جنـدا مجنّـدا
[145] وأصبحـت سداً عاليا دون ملكـه ... وأصبـح ملك لسـت اركانـه سدى
لذا الملك كانت ذي الوزارة تقتنـي ـ ... وإن غاظ اعـداء فثـاروا وحسدًا
قضى الله هذا الأمـر يوم اصطحبتما ... فكنـت أبـا بكر[5] وكان محمدا[6]

---

(١) إشارة إلى اسم مجد الملك ، وهو (أسعد) .
(٢) إشارة إلى تمزيقه إرباً إرباً .
(٣) يفهم من هذا البيت أن دخول مؤيد الملك ومحمد إلى أصفهان كان في شهر رمضان ، ولا بدّ أن يكون في رمضان علم ٤٩٣ هـ . . أي بعد شهرين من انتصارهما على بركيارق في مدينة الري .
(٤) لقب السلطان محمد .
(٥) كنية مؤيد الملك .
(٦) إسم السلطان .

ولا زال يجلو ناظر الدهر منكما سنا فرقدٍ آخى من الليل فرْقدا
ولا زال للمولى الشهيد تحية من الله ما نام الحمامُ وغرّدا[1]

والقصيدة الثانية مطلعها :

بعد الصباح الذي ودّعتكم فيه لم الق للدهر صبحا في لياليه

ثم يقول :

يزهى على البعد طرفى حين يطرقه من عند أحبابه طيف يوافيه
كما زهت أصفهان إذ ألمّ بها مؤيد الملك فاهتزت من التيه
بعارض يسبق الايماض وابله إذا تعرّض للمعروف راجيه

***

حتى إذا تمّ ذاك الفتح من يده للملك أصغى إلى ما قال واشيه

***

يأبى ضياء شهاب الدين حين بدا أن لا يضيىء سبيل الرشد هاديه

***

بقيت يا ابن نظام الملك تخلفه في مجده وأعاليه فتحييه
ودمت والإخوة الزهر الكرام معا كالبدر والشهب يعنيها وتعنيه[2]

[146] ويلاحظ في هذه القصيدة أن الأرجاني قد أطلق على مؤيد الملك في عهد صدارته لقب شهاب الدين . وللأرجاني أيضاً قطعة تتعلّق بمؤيد الملك ، نظمها

(١) ديوان أرجاني ، ص ٩٧ ـ ١٠٠ .
(٢) المصدر السابق ص ٤٣٤ ـ ٤٣٧ .

بمناسبة عزله من وزارة بركيارق ، وهذه هي :

قلـت للحاسـد لما ... علمـت فيـه البشاره

والـولايات جميعـا ... عنـد أهليهـا معـاره

ما عبيد الله ممن ... نـال بالعـزل الخساره

هو لم يعـزل ولكن ... عزلـت عنـه الوزاره

وكأنـي بالليالـي ... ولقد تكفى الإشـاره[1]

ولمؤيد الدين أبي اسماعيل الحسين بن علي الطغرائي الأصفهاني (المقتول علم ٥١٤ هـ) ثمان قصائد طويلة وقصيرة ، يتحدّث فيها عن مؤيد الملك قبل صدارته وبعدها[2] . ومن بينها قصيدة في رثائه نظمها بعد حادثة الثالث من جمادي الآخرة عام ٤٩٤ هـ . ويشير الطغرائي في بعض هذه القصائد إلى انتصار مؤيد الملك على مجد الملك . ومن غرر هذه القصائد قصيدة مطلعها :

إذا لم يعـن قول النصيح قبول ... فـإن معـاريض الـكلام فضول

وفي هذا الموضع يقول :

فقـل للـذين استعذبـوا الغـدر مشربا ... رويداً فمرعـى الغـادرين وبيـل

أديروا كؤوس الـراح إن وراءها ... كؤوسـا من السـم الزعـاف تفـول

***

فعزمـا غياث الدولـة اليوم إنهم ... فـرائس منهـم مقعس وأكيـل

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٨٣ ، ١٨٤ .

(٢) ديوان الطغرائي ، ص ١٨ ـ ٣٤ .

والطغرائي هو العميد فخر الكتاب مؤيد الدين أبو إسماعيل الحسين بن علي . ينسب إلى « الطغرة » وهي الطرّة التي تكتب في أعلى الرسائل . ولد في أصفهان ، وبرع في الشعر والنثر والخط . خدم الملك ألب أرسلان السلجوقي . ويذكر أحمد حسن الزيات في كتابه (تاريخ الأدب العربي ، طبع مصر ، ص ١١٦) أن وفاته كانت في علم ٥١٥ هـ . (المترجم) .

ولاذوا بأكراد البوادي وعزّهم فمن كل جيد أمة وقبيل
وأدركت ثار الدين من متمرد طغى وهو شخت المنصبين ضئيل
[147] تقرّ وتمحو الملك كيف تريده وأنت مديل مرة ومذيل
تميل إلى ذي دولة فتقرّها وتعدل عن ذي دولة فتزيل

***

إليك عماد الدين غراء طلقة تنافس فيها أعين وعقول

والقصيدة التي نظمها الطغرائي في رثاء مؤيد الملك تبدأ على هذا النحو :

ما بعد يومك للحزين الموجع غير العويل وأنّه المتفجّع
يوم أصيب الدين فيه وعطّلت أحكامه فكأنه لم يشرع
واشتط أحكلم الردى وتطاولت أيدي المنون إلى السنام الأرفع
أنحى الكسوف على الهلال المجتلى وأجر شقشقة الخطيب المصقع
ومضى الذي كنا نروع بذكره نوب الزمان فما له من مرجع

***



[148] ٢ ـ نصير الملك محمد بن مؤيد الملك

بعد أن لحقت الهزيمة بالسلطان غياث الدين محمد في الثالث من جمادي الآخرة عام ٤٩٤ هـ في شرّاه (ما بين همدان وملاير) على يد أخيه السلطان ركن الدين بركيارق ، وبعد أن أسر مؤيد الملك ثم قُتل على يد بركيارق . . إختار (السلطان محمد) ـ رعاية لحق وزيره السابق الذي اشتهر بالحكمة والتدبير ـ إبنَه محمداً الملقّب بنصير الملك ليكون وزيراً لأبنائه[1] .

وكان يظن أن هذا الابن قد ورث قسطاً من كفاءة أبيه ، إلاّ أنه ـ طبقاً لقول أنو شروان بن خالد ـ كان بخيلاً يفتقر إلى الكفاءة ، يقضي معظم وقته مشتغلاً في علوم الأوائل (الكيمياء والنجوم) . . لهذا لم ينجز شيئاً . وقد ألف الأستاذ معين الملك موفق الدولة أبو طاهر حسين بن حيدر الخاتوني ـ وهو واحد من أشهر بلغاء وشعراء ومستوفي العهد السلجوقي ـ كتاباً في مثالب نصير الملك ، يسير وفق ترتيب حروف المعجم ، وأسماه (تنزير الوزير الزير الخنزير) .

وبعد أن تنازع السلطان محمد مع أخيه بركيارق في تبريز (في ربيع الآخر عام ٤٩٧ هـ) ، واختار نصير الدين أبا المحاسن سعد الملك سعد بن محمد آبى لوزارته . . أسند رياسة ديوان الإنشاء لنصير الملك بن مؤيد الملك الذي كان يعمل في جهاز السلطان محمد الاداري بعد قتل أبيه . ورغم أن نصير الملك لم يكن صاحب فضل إلاّ أن شهرة أسرته وما كان لها في النفوس من احترام . . تسبّبا في أن

(١) كان نصير الملك يقيم في بغداد في حياة أبيه ، فلما اشتكى الأهالي منه لمؤيد الملك كتب الأخير لگوهر آئين ليقبض على نصير الملك ، فلجأ نصير الملك إلى دار الخلافة . وفي علم ٤٩٢ هـ ـ وكان والده قد توجّه إلى گنجة ـ التحق بمجد الملك القمّي وزير بركيارق . ولما قتل هذا الوزير توجّه إلى أبيه (إبن الأثير) .

تضفي رياسته على ديوان السلطان محمد رونقاً وبهاء[٢] .

وظل نصير الملك يشغل هذا المنصب حتى عام ٥٠٠ هـ ، ففي العام المذكور منح سعد الملك هذا المنصب ـ قبل قتل مخدومه بقليل ـ لمختصِّ الملك أبي نصر أحمد ابن فضل الكاشي ، وترك نصير الملك وزارة إنشاء السلطان محمد[٣] .

[149] وقد طبع اسم نصير الملك في كتاب أخبار الدولة السلجوقية على هذا النحو (نصر بن مؤيد الملك)[١] .

ولعلّ هذا تحريف لنصر بن مؤيد الملك ، أي نفس نصير الملك هذا . ويسمّيه عماد الكاتب ـ نقلاً عن معاصره أنوشروان بن خالد ـ نصير الملك محمد .

وفي حوادث عام ٥٢٤ هـ ، يذكر ابن الأثير أحد أبناء مؤيد الملك ، ويسمّيه نصير الدين محمود ، ويقول إنه مات في بغداد في شعبان من العام المذكور . ولا نعرف ما إذا كان هذا الشخص هو نفسه نصير الملك محمد أو أحد إخوته .

ولم تصلنا أشعار لشعراء معاصرين في مدح نصير الملك والحديث حوله ، بل إن كتاب تنزير الوزير لأبي طاهر الخاتوني قد ضاعت نسخه جميعها . ويبدو أن بعض فقرات هذا الكتاب قد بقيت في كتاب آثار الوزراء للعقيلي ، لكني لعجلتي لم أحصل على هذا الكتاب .

***

---

(٢) عماد الكاتب ص ٨٩ ، ٩٣ .

(٣) نفس المرجع ، ص ٩٤ ـ ٩٥ .

(١) أخبار الدولة السلجوقية ، ص ٨٢ .

[150]

٣ ـ أبو منصور خطير الملك محمد بن حسين الميبدي
وزير السلطان محمد ، في المرة الأولى من ذي الحجة ٤٩٤ هـ حتى ذي الحجة ٤٩٥ هـ .
في المرة الثانية من ٥٠٤ هـ ـ ٥١١ هـ ، أي إلى ما قبل وفاة السلطان بخمس وأربعين يوماً .
ووزير بركيارق ، من ذي الحجة ٤٩٥ هـ حتى ربيع الآخر ٤٩٨ هـ

بعد قتل مؤيد الملك ومجيء السلطان محمد مع أخيه سنجر إلى بغداد (من جمادي الآخرة عام ٤٩٤ هـ حتى ذي الحجة من نفس العام) بعد أن فرّ ولجأ إليه ، لم يختر السلطان لنفسه وزيراً بصفة رسمية ، وكان نصير الملك محمد بن مؤيد الملك هو الذي يشغل هذا المنصب في واقع الأمر . وحين دخل هذا السلطان بغداد مع سنجر ـ أي في السابع والعشرين من ذي الحجة عام ٤٩٤ هـ ـ وأمر السلطان بذكر اسمه في الخطبة ، قرّر أن يعينٍّ شخصاً في منصب الصدارة خليفة لمؤيد الملك ، فوقع اختياره في بغداد نفسها على أبي منصور خطير الملك محمد بن حسين الميبدي .

وقد وزر خطير الملك لمحمد في المرة الأولى مدة تقرب من العام (من ذي الحجة ٤٩٤ هـ حتى ذي الحجة ٤٩٥ هـ) وكان السلطان محمد في نزاع مع أخيه بركيارق على السلطنة أكثر أيام الفترة المذكورة ، ففي صفر من عام ٤٩٥ هـ ـ كما ذكرنا ـ كانت المعركة الثالثة بينهما . . لكن أمراء الطرفين توصلوا إلى صلح قبل أن يهزم أحدهما ، فتصالح السلطانان محمد وبركيارق في الرابع من ربيع الأول من العام المذكور ، وتوجَّه كل منهما إلى ممالكه السابقة . لكن هذا الصلح لم يستمر

لأن السلطان محمد بعد أن ترك نهر راور ـ حيث دارت المعركة ـ وعاد إلى قزوين . . إتهم الأمراء الذين سعوا في الصلح بالخيانة . ورغم قبوله ـ منذ شهر مضى ـ أن تكون السيادة لأخيه إلى جانب الأولوية في السلطنة . . فقد نقض [151] عهده ، وتوجَّه إلى الري لمحاربة بركيارق . ودارت الحرب الرابعة بينهما قرب الري في التاسع من جمادي الأولى عام ٤٩٥ هـ ، وهُزم جيش محمد وفرَّ معظم أفراده إلى قزوين وطبرستان . وتوجَّه محمد برفقة سبعين فارساً وفي معيَّته وزيره خطير الملك إلى أصفهان ، وسدَّها في وجه بركيارق وأمر بتجهيز قلعتها بالمؤن والعتاد ، وحفر حولها خندقاً ، وأوكل أمر كل قلعة من قلاع المدينة لواحد من أمرائه وطائفة من رجاله ، كما ترك إحدى هذه القلاع لرعاية خطير الملك .

وحاصر بركيارق أصفهان ، وظل السلطان محمد يقاوم حتى العاشر من ذي الحجة ، فلما أحسّ بعجزه عن المقاومة . . ترك مهمَّة حماية الأسوار ـ ورعاية القلاع لأمرائه وغادر المدينة لإعداد جيش يطرد به بركيارق بعيداً عنها .

وفي غيبة السلطان محمد عن أصفهان ، فرَّ خطير الملك ليلاً إلى ميبد ـ مسقط رأسه ـ بحجة إعداد المال للجيوش المحاصرة . وفي ميبد ، تحصَّن هذا الوزير بالقلعة تاركاً وزارة السلطان محمد . ولما علم بركيارق بفراره أرسل وراءه جماعة من أتباعه للقبض عليه ، فنزل خطير الملك من قلعة ميبد وطلب الأمان ، فأركبوه بغلاً وتوجَّهوا به إلى أصفهان . ثم علموا وهم في طريقهم أن غلاماً باطنياً قد قتل وزير بركيارق ـ أبا المحاسن الأعز الدهستاني ـ في الثامن عشر من ذي الحجة عام ٤٩٥ هـ[1] ، وبات منصبه شاغراً ، وأن السلطان قد أرسل مكتوباً بإسناد الوزارة لخطير

(١) جاء في متن ابن الأثير المطبوع أن مصرع الأعز الدهستاني كان في الثاني عشر من صفر عام ٤٩٥ هـ . وهذا خطأ ولا شك لأن مصرعه ـ بناء على تصريح المؤرخ ـ نفسه ـ كان أثناء محاصرة أصفهان ، أي بعد الحرب الرابعة بين محمد وبركيارق ، وبعد إعلان هزيمة محمد في الري وفراره إلى أصفهان . . أي بعد التاسع من جمادي الأولى عام ٤٩٥ هـ . وقد استمر الحصار حتى ذي الحجة من نفس العام . وقد ترك محمد أصفهان في الشهر المذكور . وبعد ذهابه فرَّ خطير الملك إلى ميبد ، وبعد أسره سمع في الطريق خبر قتل الوزير الأعز ، أي في شهر ذي الحجة نفسه . لهذا فإن (صفر) الذي أورده ابن الأثير تاريخ خاطىء ، فإما أن يكون الحادث في ذي الحجة من عام ٤٩٥ هـ أو في صفر من العام التالي (٤٩٦ هـ) وكان على ابن الأثير أن يورده ضمن أحداث العام التالي .

152] الملك . وقد سرّ خطير الملك لهذا كثيراً . وحين وصل إلى أصفهان أسند إليه بركيارق الصدارة ، فشَغَل هذا المنصب من أواخر عام ٤٩٥ هـ (أو من أوائل عام ٤٩٦ هـ) حتى ربيع الآخر عام ٤٩٨ هـ ، وهو عام وفاة بركيارق . فلما مات هذا السلطان وحلّ محمد مكانه بصفة رسمية عُزِل خطير الملك من الوزارة ولا يُعرف كنه المنصب الذي كان يشغله في الفترة ما بين العام المذكور وعام ٥٠٠ هـ . . وهو العام الذي صلب فيه سعد الملك آبى وزير السلطان محمد . وكل ما هو معروف أنه كان في فارس وقت أن شُنِق سعد الملك . وكان له أنصار في أصفهان فاستدعوه آنذاك لإجلاسه مكان سعد الملك . لكن أتباع أبي نصر أحمد أي نظام الملك بن نظام الملك انتصروا كما أسلفنا القول ـ وانحاز السلطان محمد إليهم ، فمنح الصدارة لنظام الملك الثاني ، واختار خطير الملك لرياسة ديوان الاستيفاء . وهكذا صار شريكاً لنظام الملك في تصريف شئون الوزارة .

وفي عام ٥٠٤ هـ عزل السلطان محمدٌ نظامَ الملك الثاني من الوزارة وحبسه ، واستقلّ خطير الملك بالصدارة . وظل يشغل منصبه هذا حوالي سبع سنوات (منذ عام ٥٠٤ هـ حتى ذي القعدة عام ٥١١ هـ أي إلى ما قبل وفاة السلطان محمد بخمسة وأربعين يوماً) . وفي التاريخ الأخير غضب السلطان على معظم أرباب المناصب ، فعزل الوزير خطير الملك في جملة من عزل وقام بحبسه ، وأسند منصبه إلى ربيب الدولة .

وعندما اشتد المرض بالسلطان محمد ، وأخذت حدّته في التزايد يوماً بعد يوم . . زاد أعيان بلاطه من نشاطهم في محاربة بعضهم البعض ، كما اتهموا الأستاذ أبا إسماعيل الطغرائي رئيس ديوان الطغراء بالسحر ، وأفهموا السلطان أن مرضه يعود إلى سِحْر أبي اسماعيل الطغرائي ، فعزله من منصبه . وأبدى خطير الملك قبوله لشغل منصب رياسة ديوان الطغراء بحيث يكون مرؤوساً لربيب الدولة ، مع أنه كان ـ قبل ذلك بفترة قصيرة ـ يشغل منصب الصدارة ـ وظل يشغل هذا المنصب إلى ما بعد وفاة السلطان محمد ، أي إلى بداية عهد ولده السلطان

[153] مغيث الدين أبي القاسم محمود . ولما كان الأمراء التابعون لمحمود لا يرتاحون إلى حضوره إلى الديوان السلطاني . . فقد أبعدوه في عام ٥١٢ هـ عن منصب الطغرائي ، وأرسلوه إلى فارس بصفته وزيراً للأمير سلجوقشاه بن محمد ملك فارس آنذاك . . بهدف أبعاده عن بلاط السلطان كما قلنا . ومنذ هذا التاريخ ونحن لا نعرف شيئاً عن أخبار خطير الملك .

ويؤكد لنا أنو شروان بن خالد أن خطير الملك كان جاهلاً غير كفء لمنصبه عارياً عن حلية الأدب ، لا يعرف العربية . وقد نظم أبو طاهر الخاتوني بيتين بالفارسية في هجائه . . سجّلهما أنو شروان بن خالد في كتابه « نفثة المصدور » ، وقام عماد الكاتب بترجمتها للعربية في هذين البيتين :

كان حماراً وزيرُناومضى فما بملك السلطان من خلل
لكنما في صدور دولتنا ليس لهذا الحمار من بَدَل(١)

ولم يبق عن شعراء العهد السلجوقي شعرٌ يتعلق بخطير الملك ، اللهم إلاّ ما نظمه القاضي ناصح الدين الأرجاني(٢) . وتبدأ قصيدته التي قالها في مدحه إبان وزارته للسلطان محمود . . على النحو التالي :

طلعت نجوم الدين فوق الفرقد بمحمد ومحمد(٣) ومحمد(٤)
بنبيّنا الهادى وسلطان الورى ووزيره القرم الكريم المحتد
سعدان للأفلاك يكتنفانها والدين تكنفه ثلاثة اسعد
هو قد بنى وهما معاً قد شيّدا وتمام كل مؤسس بمشيّد
بكتاب ذا وبسيف ذا وبراى ذا . . نظمت أمور الدين بعد تبدّد
بدلائل ومناصل وشمائل وردت بها الآمال أعذب مورد

ـ الحادث في ذي الحجة من عام ٤٩٥هـ أو في صفر من العام التالي (٤٩٦هـ) وكان على ابن الأثير ان يورده ضمن أحداث العام التالي.

(١) عماد الكاتب، ص ١١٣ .

(٢) ديوان الأرجاني، ص ٢٦ ، ١٠٠ ، ١٨٦ ،

(٣) يعنى السلطان محمد.

(٤) يعنى خطير الملك، فقد كان اسمه محمدا .

154] حجج ثـلاث للشريعـة أصبحـت يهـدى إليهـا كل من لم يهتد

***

والأرض لا يغـدى خطـير ملوكها إلاّ المخاطـر في الملـمّ المؤبد

***



٤ ـ نصير الدين أبو المحاسن سعد الملك سعد بن محمد آبى
(من عام ٤٩٨ هـ حتى عام ٥٠٠ هـ)

[155]

ذكرنا في حديثنا عن خطير الملك ووزارته الأولى في جهاز السلطان محمد ، أنه أقيل في ذي الحجة من عام ٤٩٥ هـ وأنه فرّ من أصفهان إلى ميبد ، ثم بعد قليل (في نفس الشهر من عام ٤٩٥ هـ أو في أوائل عام ٤٩٦ هـ) عُيِنٌ وزيراً لبركيارق . ومنذ هذا التاريخ وحتى وصول السلطان محمد إلى تبريز إثر صلحه النهائي مع أخيه بركيارق . . (في ربيع الآخر عام ٤٩٧ هـ) بل وبعد ذلك بقليل . . لا يعرف أحد لمن كانت وزارة السلطان محمد . . وكل ما هو معروف أن نصير الملك محمد بن مؤيد الملك ـ الذي وزر لأبناء السلطان محمد بعد قتل والده (والد الوزير) ـ كان له نفوذ كبير في الديوان السلطاني ، وأنه كان في معسكر محمد خلال الحرب الخامسة التي دارت بينه وبين بركيارق في الثامن من جمادي الآخرة عام ٤٩٦ هـ قرب خوى[1] .

وبعد أن تصالح محمد وبركيارق ، ووقّع رسل بركيارق معاهدة الصلح مع السلطان محمد قرب مراغة في ربيع الآخر عام ٤٩٧ هـ ، جاء السلطان محمد إلى تبريز . ولما كان قد تنازل بموجب هذا الصلح عن أصفهان التي كانت خاضعة له وكان أصحابه ما زالوا بها ، فقد أصدر أمره إلى أعوانه بالحضور إلى آذربيجان بعد

---

(١) حين كان السلطان محمد محاصراً في أصفهان (من جمادي الأولى إلى ذي الحجة من علم ٤٩٥ هـ ، توجّه قائد معسكره في أران وگنجة ـ ونعني به غزا وغلى إلى اصفهان لنصرته يرافقه الأمير منصور بن نظام الملك وابن أخيه نصير الملك محمد بن مؤيد الملك ، فبلغوا الري في العشرين من ذي الحجة . ولما وجدوا السلطان قد ترك أصفهان لحقوا به في همدان ، فكانوا في ركابه في الثامن من جمادي الآخرة علم ٤٩٦ هـ في موقعة خوى . (إبن الأثير ، حوادث سنة ٤٩٦ هـ) .

تسليمها ، وظل هو في تبريز ينتظر وصولهم .

ومن بين أصحاب السلطان محمد ، كان هناك شخص قد أبدى الكثير من الكفاءة وحسن التدبير في المحافظة على أصفهان ، وهو نصير الدين أبو المحاسن سعد الملك سعد بن محمد الآبي أحد عظماء بلاط ملكشاه ، الذي كان يعمل مستوفياً للسلطان محمد . . فلما وصل إلى تبريز في المحرم من عام ٤٩٨ هـ اختاره السلطان محمد للصدارة[١] ، كما أسند ديوان الإنشاء لنصير الملك بن مؤيد الملك[٢] .

[156]

وسعد الملك الآبي هو في الحقيقة أول وزير للسلطان محمد بعد إستقلاله إثر موت أخيه بركيارق . وكان يمتاز بالكفاءة والتديُّن وحب الخير وحسن التفكير والدراية . وهو الذي عبَّد طريق السلطنة لمحمد بعد موت بركيارق . والواقع أنه قام في هذه المرحلة بما قام به مؤيد الملك بعد موت ملكشاه من إقرار السلطنة لبركيارق ، أو تدعيم أركان الدولة عام ٤٩٢ هـ في بداية نفوذ السلطان محمد .

وفي فترة وزارة سعد الملك (من المحرم عام ٤٩٨ هـ حتى شوال عام ٥٠٠ هـ . . أي خلال عامين وتسعة أشهر) قام بما يلي :

أولاً : بعد أن مات بركيارق ، نادى قائد جيوشه الأمير إياز بابنه الصغير ملكشاه سلطاناً ، فأثناه سعد الملك عن العصيان بالحيلة والتدبير ، ثم قتله .

ثانياً : حقّق انتصارات وفتوحات مظفرّه في أنحاءْ أصفهان خلال حروبه ضد الاسماعيلية ، وتمكّن من السيطرة على عدد كبير من قلاعهم الحصينة ، ولهذا نال شهرة فائقة في عهده . وبعد أن سمع السلطان محمد خبر موت أخيه ، ترك آذربايجان إلى بغداد فوصلها في يوم الجمعة لثمانية أيام بقين من جمادي الأولى عام ٤٩٨ هـ . وكان الأمير إياز قائد بركيارق وبعض الأمراء

(١) المرجع السابق ، حوادث عام ٤٩٨ هـ .
(٢) عماد الكاتب ، ص ٩٣ .

التابعين لبركيارق في بغداد آنذاك ، فنادوا بملكشاه بن بركيارق سلطاناً ، واستعدّوا لملاقاة السلطان محمد وقتاله . لكن أبا المحاسن صفى الهمداني وزير الأمير إياز نصحه بعقد صلح مع السلطان ، وقبل إياز النصيحة ، وأرسله إلى سعد الملك آبى وزير السلطان محمد لطلب الصلح . وأعطى السلطان الأمان بدوره للأمراء المتمرّدين ـ بإيعاز من وزيره ـ وتوجّه سعد الملك بنفسه لمقابلة إياز ، واستطاع بالحيلة أن يحضره لمقابلة السلطان .

وعفا السلطان عن جميع المتمرّدين لكنه بعد فترة قصيرة ـ أي في ١٣ جمادي الآخرة عام ٤٩٨ هـ ـ قتل إياز بحجة من الحجج ، كما قتل أبو المحاسن صفى الهمداني في رمضان من نفس العام . وسمل محمد بيده عيني ملكشاه بن بركيارق . [157]

ومن الأحداث الهامة إبان سلطنة السلطان محمد ووزارة سعد الملك آبى المعارك التي دارت بين السلطان ووزيره ضد الاسماعيلية المقيمين قرب أصفهان ، إذ أنه لم يعد في الإمكان السكوت على أفعالهم بعد أن قتلوا العديد من العظماء ، وألحقوا الأذى بالناس ، وزادوا من سخط السلطان محمد الذي كان يكنُّ لهم عداوة شديدة وحقداً دفيناً .

وقد قرّر محمد في عام ٥٠٠ هـ أن يجتث جذور شرّهم من أصفهان ، وأن ينتزع من أيديهم قلاعهم الهامة الواقعة في أطراف البلاد ، فاختار لذلك الأمر وزيره سعد الملك آبى الذي كان يبغضهم بدوره بغضاً شديداً .

وكانت من بين قلاع الاسماعيلية الهامة قلعة في أصفهان تسمى قلعة شاهدز أو قلعة جلالي ، وهي التي أنشأها جلال الدين ملكشاه على جبل آتشكاه في أصفهان . . ولم يكن لها وجود قبله . ومن المعروف أن ملكشاه خرج يوماً للصيد مع رئيس رومى كان قد أسلم والتحق بخدمة السلطان ، ففر أحد كلاب الصيد المملوكة للسلطان وارتقى جبل آتشكاه ، فصعد السلطان والرومى وراءه وبلغا

المكان الذي بلغه . ولما رأى الرومى ذلك الموضع أشار على السلطان ببناء حصن محكم فيه يستفاد منه وقت الحاجة . ورغم تحذير نظام الملك للسلطان فقد أقام قلعة في هذا الموضع ، وأوكل أمرها إلى من يحرسها . وحين مات السلطان واستولت زوجته تركان خاتون أم محمود ـ على أصفهان . . عزلت الحارس وعيّنت غيره قائداً للقلعة . وكان القائد الجديد رجلاً ديلمياً يدعى زيار . ولما مات زيار حلّ محلّه رجل من أهل خوزستان[1] .

وكان بين أحمد بن عبد الملك العطاش (رئيس باطنية أصفهان) وقائد القلعة صداقة ، فلما خلت من قائدها استولى أحمد عليها[2] ووضع يده على كنوز السلطان وضمّ إليه جواريه وغلمانه .

[158] وقد أبدى باطنية أصفهان سرورهم لذلك ، وجمعوا له في القلعة مالاً وفيراً . وكان السلاطين في شغل عنه . وأثناء الخلاف بين الأخوين محمد وبركيارق عَمُرت القلعة بالخزائن والذخائر . ولما صفت السلطنة لمحمد توجّه لفتح القلعة ، وحاصرها بجيشه الكبير الذي كان أشبه بدائرة حول نقطة . فلما اشتدّ الأمر على أحمد[3] أرسل فتوى مضمونها :

ما هو رأي علماء الدين في طائفة تؤمن بوحدانية الله وتقرّها ، وتعترف ببعث رسول الله محمد العربي ، وبكتبه وسائر رسله ؟ إن هذه الطائفة تختلف حول الإمام ، وربما أجاز أئمتهم الحاليون السلطان الذي يهادنهم ويقبل طاعتهم ويقيهم الأحداث .

---

(١) إبن ايثير ، حوادث علم ٤٩٤ هـ .

(٢) في علم ٤٨٨ هـ .

(٣) كان والد أحمد ونعني به عبد الملك أديباً بليغاً حسن الخط عفيفاً . وقد بذل جهوداً كبيرة في نصرة مذهب الباطنية . وقد توجّه حسن الصباح إلى الري علم ٤٦٤ هـ ليكون في خدمته باعتباره داعية العراق ، فأنابه عبد الملك في هذا التاريخ . . عنه في الدعوة وحثه على الذهاب إلى مصر . . فكان حسن ـ لقاء ما وجده لدى عبد الملك من رفعة ـ يعظم ابنه أحمد ويحترمه ، رغم أنه كان رجلاً جاهلاً لا دراية عنده . (زبدة التواريخ لأبي القاسم الكاشي ؛ جهانكشا ، ج٣ ؛ إبن الأثير حوادث عام ٥٠٠هـ) .

وقال أبو الحسن علي بن عبد الرحمن السمنجاني[١] الشافعي أنه لا يجوز قبولهم لمجرد نطقهم بالشهادتين . وقال إن الامام الذي يتمسكون به قد أباح لهم كل ما هو حرام ، وهذا ما نهى عنه الشرع ، وإلاّ فليعِدّوا أنفسهم لنناقشهم .

واتفق السلطان والأئمة على إيفاد القاضي أبي العلاء الحنفي (صاعد بن يحيى) إلى القلعة لمناظرتهم . واستعد القاضي للنقاش ، بينما هم لم يعدوا أمرهم . . إذ كانوا يستهدفون كسب الوقت . واحتار السلطان لدى سماعه هذا الخبر . وقال الرفاق : إذا كان الوفاق متعذّراً فإنا على استعداد لتسليم القلعة بشرط أن نُعطى قلعة أخرى بدلها . وكان السلطان يعرف هو الآخر أنه لا فائدة ترجى من وراء الحصار ، فأعطاهم قلعة خان لنجان الواقعة على بعد خمسة فراسخ[٢] من أصفهان ، وأمنّهم على حياتهم وأغلظ لهم الايمان ثم تراجع بعد تأكيد عهده ، ولم يف بوعده ، وأمر بالتقدم إلى سيدنا وتخريب قلعة الموت . وقبضوا على أحمد [159] العطاش ، وطافوا به سوق أصفهان ومحلاّتها ، وسلخوا جلده فلم تصدر عن فمه آهة ، ثم قتلوه هو وابنه ، وأرسلوا رأسيهما إلى بغداد . وحطّمت زوجته كل الجواهر النفيسة وأضاعتها ، وقذفت بنفسها من فوق القلعة . وكانت مدّة إقامة أحمد العطاش في القلعة إثني عشر عاماً[٣] .

كما فتح سعد الملك الآبى قلعة خان لنجان بعد فتح قلعة جلالى (أي شاهدز) ، وقتل أحمد بن عبد الملك العطّاش ، وزاد نفوذه وعلا قدره . لكن رئيس أصفهان ونعنى به قاضي القضاة أبا إسماعيل عبيد الله[٤] بن علي الخطيبي الذي كان رجلاً جاهلاً يخشى سعد الملك . . إتّهمه لدى السلطان محمد بميله

---

(١) هكذا ورد الاسم لدى ابن الأثير ، أما في نسخة زبدة التواريخ فهو : السليماني .

(٢) كانت القلعة وفقاً لما قاله ابن الأثير ـ تقع على بعد سبعة فراسخ من أصفهان .

(٣) زبدة التواريخ لأبي القاسم الكاشي نقلاً عن ابن الأثير (حوادث علم ٥٥٥ هـ) . . بطريق الترجمة .

(٤) ورد اسمه في موجز عماد الكاتب (ص ٩١) خطأ : عبد الله ، أما النسخة الأصليّة لعماد الكاتب الموجودة بمكتبه باريس الوطنية وكتاب راحة الصدور . . فيرد فيهما الاسم على هذا النحو : عبيد الله . ويسميه الأبيوردي حين يمتدحه (عبيد الله) (ديوان أبيوردي ص ١٦٥ = ١٦٧) وكذلك يفعل ابن الأثير (نهاية حوادث علم ٥٠٢ هـ) ، فقد قتل في تلك السنة على يد الباطنية .

للباطنية . . فقام السلطان بحبس سعد الملك أول الأمر ، ثم شنقه على باب أصفهان بعد أن ثار العوام وشاع إلحاده . كما قتل أربعة أشخاص من كبار رجال الديوان والأعيان وذلك في نفس الشهر أي في شوال من عام، ٥٠٠هـ . وهكذا هلك ذلك الوزير المدبّر نتيجة وشاية الخطيبي المُغرِض(١) .

[160 وقد امتدحه من شعراء السلاجقة المعزى والقاضي أرجاني . ويعود مدح المعزى إلى الأيام التي كان فيها سعد الملك آبى مرؤوساً لأبي الغنايم تاج الملك رئيس ديوان الطغراءوالإنشاء لدى ملكشاه . . في نهاية عهد هذا السلطان ، فقد كان المعزى أثناء وزارة سعد الملك ـ أي في الفترة المحصورة ما بين عامي ٤٩٨ هـ و ٥٠٠ هـ يعيش في خراسان ويعمل في خدمة سنجر ووزيره فخر الملك . وتبدأ قصيدة المعزى بقوله :

ـ القمر في الفلك يمتدح ذاك الخد ،
والسرو في الخميلة يعبد ذاك القد(٢) .

ويقول في المدح :

---

(١) شرف الدولة محمد بن عز الملك الكافي : لقيته بأصفهان شيخاً بهياً ، وبلغ أمره درجة الوزارة في عهد السلطان محمد بن ملكشاه ، وقتل مع سعد الملك الوزير ، وبرز أبوه هذا في الفضائل كلها وبلغ الغايات وفروع ذوي الدرجات . . وكان طبقة في الشطرنج لم يكن بأصفهان من يقاومه ، وقد كان في أيام الشبيبة ممدوح الغزى . (بعض مثالب النواصب) أما سعد الملك الرازي ـ رحمة الله عليه ـ فكان شيعياً إمامياً أصولياً . وحين طعن سادة الدولة فيه واتهموه غضب عليه السلطان السعيد محمد ـ نوّر الله مرقده ـ وشنقه . ثم ندم على فعلته فلم يعط الإذن بالدخول عليه مدة ثلاثة أيام . وفي اليوم الرابع جلس على العرش فخاف كل من سعوا بالوشاية في حق سعد الملك . وكان الشاعر شمس الرازي في حضرة السلطان ، فوقف وتلا القطعة التالية على مسامعه بصوت مرتفع :

ترا سعد وبو سعد بودند يار چو تاج از بر سردر اويختى
در آويخت بايست آن هردورا توان هر دوان را بر آويختى

وكان يعنى بسعد (سعد الملك) وبأبى سعد (زين الملك) . . فبكى السلطان ومنح الشاعر مالا وخلعة ، وأمر بأن يدفن سعد الملك بما يليق به من إجلال وتكريم (بعض مثالب النواصب) .

(٢) ماه كند برفلك ستايش آن خد سرو كند در چمن پرستش آن قد

ـ لقد أضاف مدح الأجلّ سعد الملك .
إلى صفاتك الرفعة والتقدم والسؤدد[1] .

***

ـ يا من أنت بالعظمة جدير ، ويا من مجدك دائماً إلى جوار مجد سعد يتجدد .

ـ أنت أوحد عصرك الملقب بالأجلّ ، يناصرك الأجلّ والأوحد .

ـ أنت جامع الفضل المفرد في الكفاية ، فأين نظيرك في الدنيا . . من جامع ومفـرد ؟

ـ زيّن رسمك دولة السلطان ، وهدى رأيك ملّة أحمد[2] .

***

ـ ليكن السعد طالعك . . كلقبك واسمك ،
وليكن بختك مسعوداً وفألك أسعد[3] .

وللقاضي ناصح الدين الأرجاني قصيدة في فتح قلعة شاهدز على يد سعد الملك ، مطلعها :

شفتـه تحيـات الـعيون العلائـل   وأحيتـه ألحـاظ الحسـان القواتـل

ويقول في المدح :

ومـا عاب راج راحـة ابـن محمد   بـأن خلقـت بعـد الغيوث الهواطل

---

(1) برصفـت تو گرفـت بيشى وبيشى   مـدح أجـل سعـد ملك سعـد محمد

(2) أي بسـزا مهتـرى كه مجـد تو هرروز ـ   هسـت بنـزديك مجـد سعـد مجدد

اوحـد عصرى ودر خطـاب اجلّ   گشـت نصـير توهـم اجـل وهـم أوحد

جامـع فضل ومفـردى بكفايـت   چـون تو بگيتـى كجاسـت جامـع ومفرد

رسـم تو آراستـه اسـت دولـت سلطان   راي تو افروختـه اسـت ملـت أحمد

(3) طالـع تو سعـد باد چون لقـب ونلم   بخـت تو مسعـود باد وفـال تو اسعد

بقيت نصير الدين في ظل دولة وجدّ لأقصى كل ما رمت نائل

[161] وأفكرت في حصن تمنّع مشكل وثيق له في الامتناع مشاكل

فألقيت ذا من فوق أقود شامخ وأعليت ذا من قعر أخضر هائل

ولما عصى حصن الجلالى(١) ربّه وآوى من الأعداء أهل الغوائل

سموت إليها بالجياد كأنها وقد طلعت خزراً خفاف أجادل

فما أصبحت إلاّ من الجيش خالياً له الجيد في يوم من الشمس عاطل

***

ولما جعلت الأرض وهي فسيحة على شيعة الإلحاد(٢) كفة حابل

وأشبه حرف الراء مأمن ملحد وأشبه وجه الأرض خطبة واصل(٣)

أذاعوا أماناً فيه عاجل مخلص وفي الدهر ما يقضي عليهم بآجل

ولو لم يلوذوا بالنزول ورمتهم لحطّهم منها صروف النوازل

سموا كطغاة الجن حين تسنّموا مكان استراق السمع أعلى المنازل

فأتبعتهم قذفاً بشهب ثواقب من الرأي ردتهم لأسفل سافل

قلعت بتلك القلعة اليوم شوكة بها الملك دهراً كان دامى الشواكل

***

ولم تك إلاّ للقلاع كبيرة ففي كلها اليوم احتراق النواكل(٤)

[162] وللأرجاني قصائد أخرى نظمها في مدح سعد الملك آبى ، نجدها في ديوانه (ص ١٠٣ ، ١٣٣ ، ٢٤٣ ، ٢٦٧) وهذا مطلع إحداها :

---

(١) يعنى قلعة شاهدز التي بناها جلال الدولة ملكشاه .

(٢) يعنى الملاحدة الباطنية .

(٣) إشارة إلى واصل بن عطاء المعتزلى الذي كان يعجز عن نطق حرف الراء .

(٤) ديوان الأرجاني ، ص ٣٠٩ ـ ٣١٣ .

سلا حادى الأظعان أين يريد وهذا وقد كل المطى زرود

ويقول في هذه القصيدة :

إذا زرت بي باب الوزير وألقيت بمنتجع الآمال عنك قتود
وقام نصير الدين ضامن نصره على حين شيطان الضلال مريد
وأصبح هذا الملك من بعد عطله زماناً وملء الجيد منه عقود
يدبره سعد وأثبت قائم على الدهر أمر دبرته سعود

وقد وردت الحكاية التالية في كتاب « تجارب السلف » فيما يتعلق بسعد الملك آبى :

« ذات مرة ترك أبو المعالي هبة الله محمد بن مطلب البغدادي دار الخلافة إلى أصفهان ـ قبل أن يصبح وزيراً ـ حاملاً رسالة للسلطان أبي شجاع محمد . وحين بات على أبواب أصفهان . . جاء سعد الملك أبو المحاسن سعد بن (محمد بن) على الآبى ـ وزير السلطان ـ لاستقباله . وأراد أبو المعالي أن يرى الناس أن وزير السلطان قد ترجّل في حضرته ، فقال فور أن وقعت عيناه على الآبى الوزير : أمير المؤمنين يبلغلك السلام .

وحين سمع الوزير إهداء السلام من لدن الخليفة ترجّل في الحال ، وقبل الأرض . ولما بلغ أصفهان شُغل سعد الملك آبى بالشراب ، وأهمل أبا المعالي ، فكتب الأخير إليه هذين البيتين :

من كان حارس دنيا إنه قمن أن لا ينام وكل الناس نوّام
وكيف يرقد عينا من تضيفه همان من أمره حل وابرام

فلما قرأهما آبى ذهب إليه واعتذر ، ورافقه إلى السلطان وقضى له حاجته[1] .

---

(۱) تجارب السلف ، طبع المؤلف ، ص ۲۹۱ ـ ۲۹۲ .
هذا الكتاب من مؤلفات هندوشاه بن سنجر ، وقد تمّ طبعه في طهران ، علم ١٣٤٤ هـ . ش . (المترجم) .

[163]

٥ ـ قوام الدين صدر الإسلام الخواجة الكبير ضياء الملك نظام الملك أحمد بن خواجه نظام الملك
(وزير السلطان محمد من شوال عام ٥٠٠ هـ حتى ٥٠٤ هـ .)
(ووزير الخليفة المسترشد من عام ٥١٦ هـ حتى ٥١٧ هـ .)

ولد الأمير أبو نصر أحمد بن خواجه نظام الملك في بلخ ، وتربى في أصفهان . ولما مات أبوه وأنتهت دولته ـ انزوى الأمير أبو نصر بمنزله بهمدان ، وظل حتى عام ٥٠٠ هـ لا يزاول أي عمل حكومي . وفي العام المذكور ، توجّه إلى بلاط السلطان محمد ليشكو إليه من تصرّف رئيس همدان . . أي الشريف المرتضى السيد أبو هاشم زيد العلوى الحسنى ، إبن أخت الصاحب بن عباد ، وكان هذا الرجل قد نال رياسة همدان منذ عام ٤٥٥ هـ ، كما كان ذا جاه ونفوذ وثروة . وبينما كان الأمير أبو نصر في طريقه إلى أصفهان ، قام السلطان محمد ـ كما قلنا ـ بحبس سعد الملك الآبى . وفي الوقت الذي وصل فيه الأمير أبو نصر أحمد إلى أصفهان . . كان أعوان خطير الملك الميبدى يودون إسناد الوزارة لمخدومهم . . فقال السلطان : إن لآبائنا على خواجه نظام الملك حق النعمة ، وقد تربّى أبناؤه على مائدة كرمنا وليس من المروءة أن نحيد عنهم . ولهذا نصب أبا نصر أحمد ـ الذي جاء إلى أصفهان شاكياً ـ وزيراً له ، ولقّبه بألقاب أبيه .. أي قوام الدين وصدر الإسلام ونظام الملك[١] .

ويبدو أن الأمير أحمد كان يلقّب ـ قبل تنصيبه وزيراً للسلطان محمد ـ بلقب ضياء الدين . وقد دعاه معاصره صاحب مجمل التواريخ[٢] بضياء الدين وكذلك

---

(١) إبن الأثير ، حوادث سنة ٥٠٠ هـ .

(٢) ألف كتاب مجمل التواريخ في عام ٥٢٠ هـ .
هذا الكتاب مجهول المؤلف ، وقد طبع في طهران بإشراف ملك الشعراء بهار (المترجم) .

فعل معاصره أنو شروان بن خالد صاحب نفثة الصدور . أما ابن الأثير والجويني [164] (في كتابه جهانگشا) والأرجاني والأبيوردي (في شعرهما) والراوندي (في كتابه راحة الصدور) فيسمّونه نظام الملك .

ولم يذكر بعض المؤرخين ـ أمثال مؤلفي تجارب السلف وزبدة التواريخ وتاريخ بيهق ـ أي لقب من هذين اللقبين ، ودعوه بأبي نصر قوام الدين أحمد بن نظام الملك ، .

وقد ظل قوام الدين أبو نصر أي نظام الملك الثاني يشغل منصب الوزارة مدة تقرب من أربع سنوات . ولما كان رجلاً ودوداً هادىء الطبع ، فقد أغرى ذلك الوزراء الآخرين وكبار رجال البلاط بالتدخّل في شئون الصدارة ، ولهذا لم ينجز أمراً . وقد عزله السلطان محمد في عام ٥٠٤ هـ ، وأسند الصدارة لخطير الملك الميبدى .

وترجع شهرة نظام الملك الثاني التي نالها في وزارته للسلطان محمد إلى موقعتين شارك فيهما ، أولاهما : موقعة النعمانية في ١٩ رجب عام ٥٠١ هـ ، وقد أنتهت بقتل الأمير سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس المزيدي . وثانيهما حملة السلطان على قلعة الموت في عام ٥٠٣ هـ .

موقعه النعمانيه

وفي عام ٥٠٠ هـ نمى إلى سمع محمد أن الأمير سيف الدولة صدقة المزيدي الملقّب بملك العرب يسلك طريق البغي والطغيان ويحيد عن طاعته ، فتوجّه إلى العراق في آخر شهر ربيع الأول عام ٥٠١ هـ لقمعه وردعه . وقد حاول استمالته في بادىء الأمر ، فأرسل إليه أبا سعد زين الإسلام محمداً بن نصر بن منصور قاضي القضاة الهروى ، وطلب منه الحضور إليه . . لكن صدقة لم يذهب . وفي العشرين من ربيع الآخر وصل السلطان ووزيره نظام الملك إلى بغداد . ولما لحق به جنوده توجّه لحرب صدقة وتغلّب عليه في التاسع عشر من رجب عام ٥٠١ هـ في النعمانية ، رغم كثرة جنوده . وسقط صدقة نتيجة سهم أصابه في قدمه . وعقب

هذا النصر ،ضم السلطان محمد ولايات صدقة إلى ممالكه ، وعاد إلى بغداد منتصراً .

وقد نظم أبو المظفر الأبيوردي قصيدة في مدح نظام الملك وهزيمة صدقة بدأها بقوله :

جلالك وجهه الفتح المبين ومدّ بطبعك السبب المتين

ثم تحدّث عن سيف الدولة صدقة بن منصور قائلاً :

أقام بأرض بابل مستبداً يراسله الأمير فما يدين
[165] ويوسعه غياث الدين حلماً[1] وغير مثقفٍ مالا يلين
سرى ورمى الفرات وراء ظهر فنوناً جمة كان الجنون
فأقبل وهو لاسم أبيه ضد[2] وأدبر والبوار له قرين

***

دعاء الخلق للسلطان فرض لأن الشرع وهو الماء نون
كأن ركابه الأفلاك تجرى ومن حركاتها حصل السكون
فلا برح المظفر ما أديرت كؤوس طلى ودار المنجنون
ولا عدم الوزير علوَّ حدٍ فإن مكان رتبته مكين
أبو نصر نظام الملك دامت له العلياء ما وخدت أمون
أعيد لنا نظام الملك[3] حيا بأحمد بعد ما خف القطين[4]

وفي المحرم من عام ٥٠٣ هـ ونتيجة لشكاوى الأهالي العديدة من إسماعيلية

(١) يعنى السلطان غياث الدين محمد .
(٢) إشارة إلى اسم والد صدقة وهو منصور ، وضده مغلوب ، وقد صار هذا مصيره .
(٣) يعنى نظام الملك الكبير والد نظام الملك الثاني .
(٤) ديوان أبيوردي ، ص ٣٥٨ ـ ٣٦٠ .

الموت ، سيّر السلطان محمد وزيره نظام الملك ـ يرافقه الأمير جاولى سقاوو ـ إلى حدود الموت ليأخذ بثأر أبيه . وشغل نظام الملك بمحاصرة الموت وقلعة أخرى تجاورها تسمى أستاوند ، تقع على شاطىء آندَ جرود[1] « وأقام السلطان بنفسه في جرفادقان ينتظر أخبار الفتح والظفر . وحاصر أحمد قلعة الموت من بداية الربيع إلى حلول الخريف ، وأحرق غلال الاسماعيلية وأهلك دوابهم دون فائدة . . ولم يقع شيء مما في القلعة بيده . فلما حلّ الشتاء وانهمرت الأمطار ، وزاد الضرر ، وسقط الثلج ، عاد مهزوماً »[2] .

[166] وللقاضي أرجاني قصيدة غراء في مدح نظام الملك أحمد وحَمْلَتُه على « الموت » . . وهو يشير فيها إلى الإسماعيلية وعقائدهم ، وهذا مطلعها :

قلب المشوق بأن يساعد أجدر	فإذا عصاه فالأحبة أغدر

ثم يأتي بعد ذلك قوله :

ما زالت الأيام حتى أعقبت	يوماً ذنوب الدهر فيه تُغفر
يوم أغر مشهّر في صدره	أحيى الورى مولى أغرّ مشهّر
فكأن آمال الخلايق كلها	رمم مفّرقة أتاها المحشر

***

وعلى النظام بن النظام مهابة	تنهى عيون الناظرين وتأمر

***

وعليه من سيما أبيه شواهد	ودلائل تبدو عليه وتظهر
ولئن تأخّر في الوزارة عصره	فلكل أمر غاية تتأخر

---

(١) جهانكشا ، ج ٣ ، ص ١١ .

(٢) زبدة التواريخ للكاشي ، النسخة الخطية ، ص ٨٠ .

وتيمّن السلطان منه بصاحب | ندب يهّم بما يروم فيظفر
لما رأى فتح الدواة بكفه | وأفاه فتح القلعة المتعذّر
فتفاخر الفتحان حتى لم يبن | للناس أيهما أجل وأكبر
ما كان إلاّ مِن نهار ساعة | حتى جرت بها دماً من يفجر
لله أية ليلة في صبحها | تبع اللواء إلى الجهاد العسكر
سمت الجنود إليهم حتى إذا | طلعوا الثنّية بالبنود وكبّروا

***

مطروا عليهم بالسهام ولم تكن | من قبل نهضتهم سماء تمطر

ثم يقول فيما يتعلق بالإسماعيلية

قد قدَّروا للمسلمين عجائبا | والله قدَّر غير ما قد قدروا
كم خوفوا سنة القران وخيلوا | أنّا سنخرج عند ذاك ونظهر
[167] أرواحهم خرجت وهم لم يخرجوا | وهناتهم ظهرت وهم لم يظهروا
تالله ما فتحوا البلاد وإنما | فتحوا العيون فأبصروا ما أبصروا
تلك الأحاديث الملفّقة التي | عزّوا بها شيع الضلال وغرروا
بلغت بهم سلخ الجلود كما رأوا | والسلخ عندهم البلاغ الأكبر
فأسأل بني العباس عماشا هدوا | زمن البساسيرى هل هي تذكر
لم يكف قاتلهم إذا ما قايسوا | ما قد كفى في هذه المستظهر
كلا ولا ارتجع الخلافة طغرل | مثل ارتجاع محمد لو فكّروا
بيمينه آلى يميناً سيفه | أن لا يغادر بالهدى من يغدر
فعداه أن طلبوا الفرار تعجلوا | حتفاً وإن طلبو القرار تحيروا
يمسون أمّاليلهم فيريهم | قتلاً وأما صبهم فينفّر
يا ماجداً رويت بسجل نواله | كل الورى باديهم والحضرّ
يكفي الممالك أن يدير بكفّه | قلماً له الفلك المدار مسخّر
يملى وأيدي القطر ينسخ جوده | ولما يقوتك يا قطار الأكثر

فغدا كفكر وهي ماء سماحة   قوم إذا ورد العفاة استحجروا
قدروا وما سدوا بخير خلّة   بصنيعة فكأنهم لم يقدروا
وتصدّروا من غير فضل عطية   فالصدر من مِنهُ العطايا تصدر
إن يشكر السلطان غرّ فضائل   وشمائل لك فالرعيّة أشكر
أو كان ملك محمد بك عامراً   فافخر فدين محمد بك أعمر[1]

وهذه القصيدة مصدر من أقدم المصادر التي تناولت حياة حسن بن الصباح ، وقد ورد فيها ذكر الاسماعيلية وإشارات لعقائدهم .

ولأبي إسماعيل مؤيد الدين الطغرائي الأصفهاني (المعاصر للأرجاني) قصيدة هو الآخر في مدح السلطان محمد ، وإشارة لحروبه ضد الاسماعيلية ، يقول فيها فيما يتعلق بهذه الطائفة :

أيدت دين الهاشمي فلم يضع   لبني الشريعة عند سيفك ثار
وهتكت ستر الباطنية بعدما   لطّت وراء غيوبها أستار
ملكوا قلاع الأرض واتسعت لهم   حيل تضلُّ لمثلها الأغمار
غرّتهم الأقدار إذ أملت لهم   فتكامل الآثام والأوزار
حكمّت سيفك فيهم فصدعتهم   صدع الزجاجة صكها الأحجار
وأخذت ثأر الدين منهم بعدما   شاط الدماء وضاعت الأوتار
دبّوا الضراء مخاتلين وأعملوا   أفكارهم في الفتك وهي سرار[2]

وفي ديوان الأبيوردي[3] غير ما نظم قصيدة في مدح نظام الملك بمناسبة فتح بلاد المزيدية . كما أن للأرجاني ثلاث قصائد[4] ـ غير التي نقلنا قسماً منها ـ نظمها في مدح نظام الملك . . وهو يقول في إحداها :

بسطت قوام دين الله كفاً   تمنُّ على العفاة بلا امتنان

(١) ديوان الأرجاني ، ص ١٧٨ ـ ١٨٢ .
(٢) ديوان الطغرائي ، ص ٣ ـ ٥ .
(٣) ديوان الأبيوردي ، ص ٢٥ ـ ٢٧ .
(٤) الصفحات ٢٩٥ ، ٣١٩ ، ٤٠٣ من الديوان ، وقد ذكر جامع الديوان ـ خطأ ـ أن بعض الأبيات في مدح سعد الملك .

وتـأتـى أسـطـر التـوقيع منهـا ... وقـد أوتـين مـن سحـر البيان

بأحسـن مـن خطـوط للـغوالـى ... لـوائـح فـي خـدود للغوانـى

ألا يـا أشرف الـوزراء طـرا ... إذا عُدَّ الأقـاصـى والأدانـى

خلقـت مـؤيـدا بعلـو شأن ... يذل مـن الـورى لك كل شاني

إذا شُنَّـت سطـاك علـى عدو ... فـلا ينجـو بقعقعـة السنان

ولا بنـزال أرعـن ذي جيـاد ... ولا بنـزول أجيـد ذي رعـان

رميت بهـا بنـى الإلحـاد حـتى ... تركتهـم بمـدرجـة الـتفانـى

رجوا حكـم القران ورحـت فيهـم ... بسيف ممضيـا حكـم القـران

ليُهنِـكَ مـوقف أظهـرت فيـه ... لـدين الله إعـزاز المكـان[1]

[169] بعد أن عزل السلطان محمد نظام الملك أحمد في عام ٥٠٤ هـ ، أقام في مازندران مدة ١٢ سنة لم يعرف أحد فيها عِلَّة بقائه بتلك المدينة كما يقول عماد الكاتب . وهذه المدة هي المحصورة بين ٥٠٤ ، ٥١٦ هـ[2] . ولما كان قبل عزله بعام قد قام بدور كبير في مذبحة إسماعيلية الموت ، فقد سعت هذه الطائفة في اغتياله . وأخيراً تمكّن أحد فدائييها واسمه حسين القهستاني من طعنه بخنجره في جامع بغداد، في شهر شعبان من عام ٥٠٣ هـ ، لكن جرحه لم يكن مميتاً. ويقول الجويني أنه شُلّ نتيجة إصابته، ويقول ابن الأثير أنه جُرِح في رقبته ومرض مدة ثم شفى[3] .

وحين حبس الخليفة المسترشد وزيره جلال الدين بن صدقة في جمادي الأولى من عام ٥١٦ هـ ، اقترح السلطان مغيث الدين محمود بن محمد علي الخليفة اختيار خواجه قوام الدين أبو نصر أحمد نظام الملك وزيراً . ويبدو أن السلطان قد كلّف الخواجه شمس الملك عثمان بن نظام الملك ـ أخي نظام الملك الثاني ـ بنقل هذا

عمل الوزير

(١) ديوان الأرجاني ، ص ٤٠٣ ـ ٤٠٧ .

(٢) عماد الكاتب ، ص ١٠٢ . ويقول ابن الأثير (حوادث عام ٥١٦ هـ) أن نظام الملك جاء إلى بغداد بعد عزله ، وأقام في بيت كان قد بناه .

(٣) زبدة التواريخ ـ النسخة الخطية ، ص ٨٥ ، جهانگشا ، حـ ٣ ص ٦ ، إبن الأثير حوادث سنة ٥٠٣ هـ .

الاقتراح للخليفة ، وكان شمس الملك يشغل آنذاك منصب الوزارة للسلطان محمود ، وقبل الخليفة اقتراح السلطان ، وأسند وزارته لنظام الملك الثاني في شعبان من عام ٥١٦ هـ[١] .

وظل نظام الملك أحمد في وزارة المسترشد حتى عام ٥١٧ هـ ، وشارك الخليفة في الحرب ضد دبيس بن صدقة . فلما قتل السلطان محمود أخاه شمس الملك في الثاني من جمادي الآخرة من هذا العام . . طرده الخليفة من وزارته مغتنماً هذه الفرصة ، إذ أنه ـ على ما يبدو ـ كان قد قبل وزارته على غير رغبته . وأقام نظام الملك أحمد في بغداد ولزم إحدى زوايا مدرسة أبيه النظامية[٢] . « أراد المسترشد إبان وزارته أن يقسِّم على الشعب مبلغ خمسة عشر ديناراً[٣] لإصلاح سور بغداد ، فدفع أبو نصر هذا المبلغ من ماله الخاص ، ولم يرض بإرهاق الرعيّة »[٤] .

[170] ولم يحُم نظام الملك الثاني ثانية حول شئون الحكم بعد تركه وزارة المسترشد وإقامته في المدرسة النظامية ، إذ أن اسمه لم يعد يشاهد . . مع أنه عاش إلى ما بعد عام ٥١٧ هـ بمدة طويلة ، فقد كانت وفاته في عام ٥٤٤ هـ[٥] .

***



(١) يقول صاحب تجارب السلف أن ذلك كان في ١٨ رمضان (تجارب السلف ص ٣٠١) .
(٢) إبن الأثير ، حوادث علم ٥١٧ هـ .
(٣) هنا خطأ في النقل ، صحته : خمسة عشر ألف دينار . (المترجم) .
(٤) تجارب السلف ، ص ٣٠١ ، إبن الأثير ، حوادث علم ٥١٧ هـ .
(٥) إبن الأثير ، حوادث العلم المذكور .

[171]

٦ ـ عماد الدين أبو منصور ربيب الدولة
حسين بن محمد بن حسين الهمداني .
(تولى الوزارة مدة ٤٥ يوما تقريبا ، من أواسط
ذي القعدة حتى ٢٤ من ذي الحجة عام ٥١١ هـ) .

هو عماد الدين أبو منصور ربيب الدولة ابن ظهير الدين أبي شجاع محمد بن حسين الهمداني ، أبي ابن الوزير الذي تولىّ الوزارة مدة طويلة في فترتي خلافة القائم والمقتدى ، وكان رجلا فاضلاً متدينا ورعا . وأبو شجاع هو الذي ذيّل كتاب تجارب الأمم لأبي مسكويه الذي طبع في مصر . وفي علم ٤٨١هـ ـ إبان وزارة أبي شجاع للمقتدى ـ خرج من بغداد للحـج ، وأناب عنه في الوزارة ابنه أبا منصور ربيب الدولة يعاونه نقيب النقباء طراد بن محمد الزينبي . ومنذ هذا التـاريخ نال ربيب الدولة منزلة سامية في ديوان الخليفة .

ولم يكن أبو شجاع ـ والد ربيب الدولة ـ يخلص لنظام الملك الكبير، بل وكان يحطّ من قدر أعماله من الناحية الشرعيّة ، ويعتبرها ضد الدين . وانتهى الأمر بأن أوعز نظام الملك إلى السلطان ملكشاه ـ إثر شكوى گوهر آئين شحنة بغداد ـ بأن يطلب من الخليفة عزل الوزير أبي شجاع ، فخلعه الخليفـة في ربيع الأول علم ٤٨٤هـ بناء على أمر السلطان ، وألزمه داره . وتوجَّه أبو شجاع في آخر عمره إلى المدينة ، وأقام بها إلى أن مات في جمادى الآخرة علم ٤٨٨هـ .

وفي علم ٥٠٧هـ ، وبعد وفاة أبي القاسـم علي بن محمـد بن جهـير وزير الخليفة المستظهر ، إختار الخليفة المذكور أبا منصور ربيب الدولة بن أبي شجاع وزيرا ، وظل يشغل هذا المنصب إلى أن استدعاه السلطان محمد من بغداد لتوليّ منصب الوزارة لديه ، وذلك قبل موته بخمسة وأربعين يوماً .

[172]

وبعد أن عزل السلطان محمد قوام الدين أحمد نظام الملك ـ كما ذكرنا آنفا ـ أعطى منصب الصدارة لخطير الملك الذي كان يشغل منصب الاستيفاء . وظل خطير الملك في منصبه إلى ما قبل وفاة السلطان بعدّة أشهر . . في علم ٥١١ هـ فقد عزله السلطان في هذا التاريخ من منصب الصدارة ، وأصدر أمره إلى شرف الملك أنوشروان بن خالد الذي كان ينوب عن خطير الملك في أيامه الأخيرة بالوزارة ـ بأن يسيرٍ شؤون الديوان .

ولما أشتد المرض بالسلطان ، وقطع الأمل في حياته ، فكّر في اختيار وزير يعهد إليه بالقبض على زمام الأمور ، ويجعل ولي عهده تحت إدارته وإشرافه . . لهذا استدعى ربيب الدولة من بغداد ويقال إنه منحه منصب الصدارة قبل موته بشهرين[1] ، ويقال إنه منحه إياه قبل وفاته بأربعين أو خمسين يوماً[2] .

ولما كانت وفاة السلطان محمد قد وقعت في الرابع والعشرين من ذي الحجة علم ٥١١هـ، فإن بداية تسلّم ربيب الدولة مهلم الوزارة قد يرجع إلى أوائل ذي القعدة أو إلى اليوم العشرين من هذا الشهر تقريباً . وبقي ربيب الدولة في منصبه إلى ما بعد وفاة السلطان محمد وجلوس ابنه السلطان مغيث الدين أبي القاسم محمود على العرش، غير أنه مات عام ٥١٣هـ قبل أن تبدأ الحرب بين السلطان محمود والسلطان سنجر بثلاثة أيام[3] ، وكانت وفاة ربيب الدولة بهمدان . . وقد احتلّ مكانه كمال الملك أبو الحسن علي بن أحمد السميرمي، بناء على اختيار السلطان محمود[4]

وتوجد في ديوان أبي المظفر قصيدة في مدح ربيب الدولة ، كما توجد أخرى

---

(١) هذا ما قاله صاحب أخبار الدولة السلجوقية .

(٢) هذا ما قاله عماد الكاتب .

عماد الدين الكاتب هو محمد بن محمد بن حامد الكاتب . ولد بأصبهان ونشأ بها ، ثم قدم بغداد وتفقّه على المذهب الشافعي . خرج إلى الشام وتولىّ الكتابة لصلاح الدين وهوصاحب خريدة القصر وجريدة العصر . توفي سنة ٥٩٧ هـ (المترجم) .

(٣) يشير إلى معركة (ساوه) التي وقعت في الثاني من جمادى الأولى علم ٥١٣هـ .

(٤) إبن الأثير ، حوادث سنة ٥١٢هـ عماد الكاتب، ص ١٢٦ .

لدى الأرجاني . ويبدأ أبيوردي قصيدته بالمطلع التالي :

فصمتم عقود الفضل حتى تبدّدا   وخفتم شهود الدمع لما تورّدا

[17

ويقول في المدح :

رأيت العلى دقّ الورى عن طلابها   فجلّ عماد الدين[1] عن تركها سدى

ونصر أبي منصور الفضل مذهب   تليد تمادى لا طريف تجددا

لئن كان قد أحيا الحسينَ محمدٌ[2]   قديما فقد أحيا الحسينُ محمدا[3]

أرانا ظهير الدين في الدست نجله   تناسبت العلياء فخرا ومحتدا

وزير يشد الأزر والورد إنما   مزّيته في أن يبلّ بي الصدا

***

نظمت ربيب الدولة المجد بالجدى   ولم ينتج إلا بلحمته السدى

***

يمدّ أمير المؤمنين ظلاله   بلغت من الآمال قاصية المدى

***

فلما تيّممت السرير الذي له   تخر ملوك الشرق والغرب سجدّا

تلقّاك سلطان الهدى وغياثه[4]   بأطيب ما يلقى به الروضة الندى[5]

وكما يبدوّ من القسم الأخير من هذه القصيدة فإنها قد قيلت في نفس الأيام التي طلبه فيها السلطان غياث الدين محمد من بلاط الخليفة ليشغل منصب

---

(١) اللقب الإسلامي لربيب الدولة كما ذكره ابن الأثير هو نظام الدين (حوادث ٥١٢هـ)، وقد أطلق عليه الأرجاني لقب نظام الدين عندما كان وزيراً للمستظهر (الديوان ، ص ٢٥٠) . ولما كان لقبه الإسلامي في قصيدة أبيوردي هو عماد الدين ؛ فإن هذا يدلّ على أنه قد لقّب بهذا اللقب الجديد بعد أن نال منصب الوزارة للسلطان محمد .

(٢) يقصد بالحسين هنا جد ربيب الدولة والد أبي شجاع .

(٣) يقصد بالحسين هنا ربيب الدولة . ومحمد هو اسم أبي شجاع الوزير ، وظهير الدين لقبه .

(٤) يعني السلطان غياث الدين محمد ، ويقصد بأمير المؤمنين الخليفة المستظهر .

(٥) ديوان أبيوردي ، ص ١١٨ ـ ١٢٠ .

الصدارة له . بينما ترجع قصيدة الأرجاني إلى الأيام التي كان فيها ربيب الدولة وزيرا في جهاز الخليفة المستظهر ، وهي مسطورة في الصفحات من ٢٤٨ إلى ٢٥٢ .

[174] أما القصيدة التي نقلنا قسماً منها ، والتي طبعت في ديوان أبيوردي ، فيحتمل ألا تكون لهذا الشاعر . . . لأن أبيوردي مات في علم ٥٠٧ هـ قبل أن يعتلي ربيب الدولة مسند الوزارة للسلطان محمد بخمس سنوات تقريبا . ويحتمل أن تكون القصيدة للشاعر المشهور أبي اسحاق إبراهيم بن عثمان بن محمد الكلبي الغزّى (٤٤١ - ٥٢٤هـ)(١) ، شأنها شأن الكثير من قصائده التي دخلت ديوان أبيوردي بطريق الخطأ . . فقد كان الغزّى أحد مادحي الوزير ربيب الدولة ، وفي يدنا مدائح له تؤكد هذا الأمر(٢) .



(١) يشتهر هذا الشاعر بالأديب الغزّى . ولد في غزة من بلاد الشام سنة ٤٤١هـ ، ثم انتقل إلى العراق وخراسان وأصفهان وكرمان ، ومات في بلخ علم ٥٢٤هـ . له شعر رائع في عصره ، وفضل في المنثور والمنظوم . (المترجم) .

أنظر : جريدة القصر ، قسم الشام : ١/ ٣ ، وفيات الأعيان : ١/ ٢٤ .

(٢) ديوان الغزّى ، نسخة مكتبة باريس الوطنية ، تحت رقم ٣١٢٦ عربي ، الورقة 128b.

ب ـ الاستيفاء

تأتي أهمية منصب الاستيفاء ـ كما قلنا ـ تالية لأهمية الصدارة في ديوان السلاجقة ويعدّ مستوفى علم المملكة صاحب أول وأكبر مقلم بعد الخواجة العظيم . . . أي صدر الوزارة .

وكانت مهمة الاستيفاء في ديوان السلطان أبي شجاع غياث الدين محمد بن ملكشاه وفي عهد وزرائه الخمسة الذين سبق الحديث عنهم . . في يد الأشخاص التالية أسماؤهم :

١ ـ سعد الملك سعد بن محمد الآبى .

إبان وزارة مؤيد الملك ، [وأول وزارة لخطير الملك (٤٩٢ ـ ٤٩٥هـ)] .

٢ ـ زين الملك أبو سعد بن هندو .

إبان وزارة سعد الملك سعد بن محمد الآبي (٤٩٨ ـ ٥٠٠هـ) .

٣ ـ خطير الملك الميبدي[١] .

إبان وزارة قوام الدين أبو نصر أحمد نظام الملك (٥٠٠ ـ ٥٠٤هـ) .

٤ ـ معين الدين مختص الملك الكاشي .

إبان الوزارة الثانية لخطير الملك الميبدي (٥٠٤ ـ ٥١١هـ) .

٥ ـ كمال الملك السميرمي .

إبان وزارة ربيب الدولة الهمداني (في علم ٥١١هـ) .

---

(١) مما ذكره عماد الكاتب في كتابه (ص٩٩) يتّضح أن خطير الملك كان وكيلاً لصفي القمى في ديوان الاستيفاء .

وقد سبق لنا أن تحدثنا عن سعد الملك الآبي وعن خطير الملك الميبدي ، كما أن الحديث عن مختص الملك الكاشي سوف يأتي عند حديثنا عن وزراء السلطان سنجر ، وسوف نتعرض فيما بعد لذكر أحوال السميرمي . . لهـذا نكتفـي فيما يلي بالحديث عن زين الملك .



[176]

شمس الدين أبو سعد زين الملك هندوين محمد بن هندو المستوفى القمّى[1]
(كان مصرعه في عام ٥٠٦هـ)

***

بعد أن رقّي السلطان محمد، مستوفى ديوانه أي سعد الملك آبى (في تبريز) إلى مقام الصدارة عام ٤٩٨هـ، أسند منصب الاستيفاء إلى شمس الدين أبي سعد هندو بن محمد بن هندو القمّى، الملقّب بزين الملك.

وكان زين الملك ـ بناء على قول أنو شروان بن خالد ـ رجلا خامل الذكر مسرفا، يسلك سبلا عديدة في جمع المال. فلما قتل سعد الملك عام ٥٠٠هـ، عزله السلطان وحبسه إثر شكاوى الأهالي، وتعرضت أمواله ومنازله للسلب والنهب[2].

وقبل عزل قوام الدين أحمد نظام الملك وجلوس خطير الملك الميبدي مكانه بزمن قصير، أي في عام ٥٠٤هـ، تخلّص زين الملك من الحبس، واختاره السلطان لرياسة ديوان الاستيفاء.

وينقل أنو شروان حكاية تؤكد جهل زين الملك، فيقول إنه أعطى قرارا ليوقعّ عليه، فكتب في حاشيته:

« كذا الاستقر» بالألف واللام بدلاً من « استقر»[3]

---

(١) أسماه صاحب « جهار مقاله» بالأصفهاني، أما القمّى فإنها تسمية ابن الأثير.

(٢) عماد الكاتب، ص ٩٣.

(٣) نفس المرجع، ص١٠١.

وفي عام ٥٠٦هـ ، بعد أن وصل السلطان محمد إلى أصفهان تاركاً بغداد ـ إتهم عظماء البلاط زين الملك بكثرة أخذ الأموال وجمع الثروة والإساءة إلى السلطان والخليفة بالقول ، وأبدوا استعدادهم لنقل ٢٠٠٠,٠٠٠ دينار من أمواله إلى الخزانة السلطانية . فأصدر السلطان أمره بالقبض عليه وتسليمه إل الأمير آلتون تاش كاميار . وقلم هذا الأمير بنقله من أصفهان إلى الري . ولما كان يناصبه العداء فقد اتّبع الحيلة في جمع الأموال الطائلة من أصحابه ، ثم شنقه في ساوة يوم الجمعة بالشارع العام . وبعد أن انتهت حياة هذا الرجل المسكين على هذا النحو نهبت أمواله[1] .

[177] ولم تصلنا أخبار عن حياة زين الملك المستوفى قبل شغله منصب الاستيفاء في ديوان السلطان محمد . وكلّ ما نعرفه أنه كان أحد ممدوحي المعزّي المفضّلين . وقد أورد صاحب چهار مقاله حكاية تتّصل به وبالمعزي . وهذا مطلع قصيدة للمعزى في مدحه :

دوچشم توهستند فتّان وجادو   دل ودين نگه داشت بايد زهردو

ويقول في التخلص والمدح :

ـ فصاحتي لا تثير العجب ، فبمدح مولاي أغدو فصيحاً . . بنظمي أشدو . .
ـ المصطفى شمس الدين زين ملك السلاطين ، الأجلّ سعد الدولة أبو السعد هندو .

ـ العظيم الذي تعترف الآفاق والأفلاك والأنجم بعظمته ، فتقرّ الحق ولا تعدو[2] .

---

(١) إبن الأثير ، حوادث علم ٥٠٦هـ ، عماد الكاتب ، ص١٠٥
في عهد السلطان السعيد محمود ، أمر قوام الدين أنسا بادى بشنق تاج الدول الديلمي الذي قلم بشنق أبي سعد هندو (بعض مثالب النواصب) .

(٢)

عجب نيست خوشگوئى من كه باشم   بمدح خداوند مداح خوشگو
گزين شمس دين زين ملك سلاطين   أجل سعد دولت أبو سعد هندو
بزرگى كه آفاق وأفلاك وأنجم   بجاه وبزرگيش هستند خستو

- النـاس تأتـي لجـودك تهجـر الوطنا　　　فالجـود داع وخـير النـاس يأتيك
- أما المعزى فيملك فكراً طاهـراً وله　　　مـن فكره فيض مدح كلّـه فيك[1]

***

- من اسمك «هندو» ربيع الدولة والشباب . .
وأنا بين يديك . . شيخ هندي يلزم الأعتاب[2] .

***

- إن ما رأيته منك لم أره من مائة وزير . .
في عصر ملكشاه وزمن أرغو الخطير[3] .

ويقول نظامى عروضى صاحب چهار مقاله[4] (ص٣٤) :

طلب زين الملك أبو سعد هندو بن محمد بن هندو الأصفهاني من المعزى أن يحاكي قصيدة الرودكي المعروفة[5] ، فقال له : لا أستطيع . فلما ألح عليه قال عدة أبيات من بينها البيت التالي :

---

(١)
بياينـد خلـق از وطنهـا بجودت　　　كه جود تو داعـى شد وخلـق مدعو
يكى خاطـرى پاك دارد معزى　　　بمـدح تو مملـو بشكرتـو محشو

(٢)
جوان دولـت أو چو هندواسـت نامت　　　منـم پيش تو چون يكى پير هندو

(٣)
زهـر خواجـه آنچ ازتـو ديدم نديدم　　　بعصر ملكشـاه وأيلم أرغو

(٤) نظامى عروضى هو أحمد بن عمر بن علي النظامي العروضي السمرقندي . نظراً لقيمة مؤلفه فقد تمّ طبعه أكثر من مرة ، ومن أشهر طبعاته : طبعة بمباى (١٣٢١هـ = ١٩٠٣) ، وطبعة ليدن بسعى واهتمام محمد عبد الوهاب القزويني (١٣٢٧هـ= ١٩٠٩م) . كما ترجمه إلى العربية الدكتوران عبد الوهاب عزام ويحيى الخشاب وطبعت الترجمة في القاهرة علم ١٣٦٨هـ= ١٩٤٩م. (المترجم)

(٥) تلك التي بدأها الرودكى بقوله :
بوى جوى موليان آيدهمى　　　ياد يـار مهربـان آيدهمى
لمعرفة الكثير عن هذه القصيدة والمناسبة التي قيلت فيها والسرّ في شهرتها . . أنظر : ٣٥٠٠ علم من عمر إيران ، ص ٣٢٧. (المترجم) .

رستم از مازندران آيد همى زين ملك از أصفهان آيدهمى

(يأتي رستم من مازندران ، ويأتي زين الملك من أصفهان)

ويعرف العقلاء جميعا ما بين هذا الشعر وذاك من تفاوت ، فمن الذي يملك القدرة على الإتيان بمثل هذه العذوبة التي وردت في مدحه حيث يقول في تلك القصيدة نفسها :

آفرين ومدح سود آيد همى گر بگنج اندر زبان آيدهمى

(الثناء والمديح دوما يفيدان ، إذا ما جاءا من الكنز الكائن في اللسان)

وليس لهذه القصيدة وجود في نسخ ديوان المعزى .

[178]

ج ـ ديوان الإنشاء والطغراء

كانت رياسة ديوان الإنشاء والطغراء في عهد السلطان محمد ووزرائه في يد الأشخاص التالية أسماؤهم على الترتيب :

١ ـ لا يعرف لمن كانت الرياسة أيام وزارة مؤيد الملك (٤٩٢ و٤٩٤هـ) وخطير الملك (٤٩٤ ـ ٤٩٥هـ) .

٢ ـ في أيام وزارة سعد الملك الآبى (٤٩٨ ـ ٥٠٠هـ) :

نصير الملك بن مؤيد الملك ومختص الملك الكاشي

٣ ـ في أيام وزارة نظام الملك (٥٠٠ ـ ٥١٤هـ) :

مختص الملك ومحمد العميد الجوزجاني .

٤ ـ في الفترة الثانية من وزارة خطير الملك (٥٠٤ ـ ٥١١هـ) :

الأمير محمد العميد الطغرائي وأبو اسماعيل الكاتب الأصفهاني

٥ ـ في وزارة ربيب الدولة (عام ٥١١هـ) :

خطير الملك الكاتب وشهاب أسعد الطغرائي .

لا يعرف من كان صاحب ديوان الإنشاء إبان وزارة مؤيد الملك ووزارة خطير الملك الأولى . ويغلب على الظن أن هذه المهمّة كانت موكولة آنذاك لنصير الملك ؛ لأنه التحق بعد قتل مجد الملك القمّي بخدمة أبيه ، وعمل تحت إمرته .

وقد تحدّثنا عن نصير الملك وخطير الملك ، وأشرنا إلى رياستهما لديوان الإنشاء والطغراء في عهد السلطان محمد ، وسوف نتحدث أيضا عن مختص الملك الكاشي ضمن من سنتحدث عنهم من وزراء سنجر .

[179] والأمير محمد العميد الطغرائي الجوزجاني[1] هو ابن خطيب جوزجان ، وقد ولد في خراسان . . . فهو يعد في الأصل خراسانيا . كان يشغل منصب العمادة في بغداد (يبدو أنه شغل هذا المنصب بعد أن ارتقى عبد الجليل الدهستاني علم ٤٩٣هـ تاركاً إياه إلى وزارة بركيارق) .

وحين أساء السلطان محمد الظن بمختصّ الملك الكاشي . . . عزله من رئاسة ديوان الإنشاء والطغراء ومن وزارة زوجته گوهر خاتون إبنة إسماعيل بن ياقوتي ، وأسند المنصبين للأمير محمد الجوزجاني العميد . وقد اشتهر الأمير محمد هذا بالتعصُّب الممقوت . وكان كريه المنظر حاد الطباع سريع الهياج . وقد رغَّبَ السلطانَ محمداً في المذهب الحنفي .

وكان لفرط تعصّبه لا يردّ السلام على أحد حتى يسأله : ما هو مذهبك ؟ وقد توفي هذا الأمير في وزارة خطير الملك الميبدي (٥٠٤ - ٥١١هـ)[2] .

ولعل المقصود بأبي إسماعيل الطغرائي الكاتب هو مؤيد الدين أبو إسماعيل حسين بن علي الطغرائي الأصفهاني ، الملقَّب بصفي الدولة والملك الذي ولِدَ علم ٤٥٣هـ .

وقد بدأت صلته بديوان السلاجقة منذ عهد خواجه نظام الملك ، وظل يعمل به تحت إمرة الخواجة وأولاده . وكما رأينا أثناء حديثنا عن مؤيد الملك بن نظام الملك ، فقد أناب هذا الخواجة عنه أبا إسماعيل الطغرائي بعد أن عيَّنه ملكشاه علم ٤٨٦هـ رئيسا لديوان الإنشاء والطغراء[3]. وتكشف المدائح والمراثي التي نظمها

---

(١) وردت الكلمة في النسخة المطبوعة لعماد الكاتب (جوزقان) ، ويبدو أن صحتها (جوزجان) ، فهو يقول بنفسه أن محمداً العميد كان خراسانيا ، وأن جوزقان كانت جزءا من أماكن معمورة تضمها همدان ، بينما لا يوجد في بلاد خراسان بأسرها مكان بهذا الاسم .

(٢) عماد الكاتب ، ص ١٠٠ - ١٠١ ، ١٠١ - ١١٣ .

(٣) الطغراء : الطرة التي تكتب في أعلى المناشير فوق البسملة بالقلم الجليّ وتتضمن اسم الملك وألقابه ، وهي كلمة أعجمية محرَّفة من الطرة (معجم الأدباء ٤ : ٥١) .

الطغرائي في حقّ مؤيد الملك عن عميق ارتباطه بأستاذه . يضاف إلى ذلك أنّ معظم مدائحه كانت موجَّهة إلى نظام الملك ومؤيد الملك ومجد الملك وكمال الدولة أبي [180] الرضا وولده معين الملك أبي المحاسن سيد الرؤساء ، أي أنها كانت موجَّهة إلى وزراء ملكشاه في المقام الأول ، ثم للسلطان محمد بن ملكشاه ، والسلطان مسعود بن محمد من بعدهم .

وكان الطغرائي على ما يبدو قد انزوى في أصفهان بعد وفاة ملكشاه ، واستمر على ذلك فترة طويلة اشتغل فيها بالعلم والأدب . وفي وزارة خطير الملك التي تولاّها لثاني مرة (٥٠٤ ـ ٥١١هـ) ، اختاره الوزير ليكون خلفا للأمير الراحل محمد العميد الطغرائي في وزارة الإنشاء والطغراء . وظل يشغل هذا المنصب حتى تولّى الوزارة ربيب الدولة (من أواسط ذي القعدة حتى الرابع والعشرين من ذي الحجة عام ٥١١هـ) . وخلال مرض السلطان محمد اتّهم المغرضون من رجال البلاط الطغرائي بالسحر ، وأوغروا صدر السلطان ، فقد كانوا يحسدون الطغرائي على علمه وجاهه . وقد أوهموا السلطان بأن مرضه ناجم عن سحر الطغرائي ، فألزمه داره ، وأسند منصبه لخطير الملك الذي كان قد عُزل حديثا من الصدارة لعدم كفايته .

وعيَّن السلطان مسعود بن محمد . . . الطغرائي في منصب الصدارة عام ٥١٤هـ ولكن الأمر لم يطل به . . إذ وقع أسيرا في يد جند محمود في الحرب التي دارت بين مسعود وأخيه محمود عام ٥١٤هـ . وقد قام كمال الملك السميرمي ـ وزير محمود ـ بقتل هذا الرجل الفاضل بتهمة الإلحاد . وقد ذكر ياقوت في كتابه معجم الأدباء (٤ : ٥٢) أن وفاة الطغرائي كانت في علم ٥١٥هـ ، وكذلك فعل ابن خلّكان .

والطغرائي الأصفهاني هو صاحب القصيدة المعروفة باسم « لامية العجم » ، وكان يولي اهتماماً كبيراً بعلوم الأوائل . . أي بالفلسفة والكيمياء وغيرهما ، وكان هذا سبب اتهام أعدائه له بالسحر والإلحاد . وقد تحدَّث عنه معظم كتب التراجم ، لهذا لن نطيل الحديث في موضوعه .

[181]



د ـ الإشراف

ليست في يدنا معلومات كافية عن المشرفين الذين تولوا هذا المنصب في عهد السلطان محمد بن ملكشاه[1] . . . اللهم إلا فيما يتعلق بكمال الملك علي بن أحمد السميرمي ، لهذا سوف نتحدث عنه :

كمال الملك علي بن أحمد السميرمي

كان علي بن أحمد السميرمي من أهالي سميرم بأصفهان ، وكان أبوه يشتغل بالزراعة ، ويقوم بزراعة أراضي كهرخاتون زوجة السلطان محمد بن ملكشاه التي تمتلكها في سميرم . ولذا كان كمال الملك ـ بغية ترتيب شؤون والده ـ يكثر من السفر لمقابلة وزير كهرخاتون أي الأمير محمد العميد الطغرائي . وقد اختاره محمد الطغرائي نائبا عنه في إدارة أملاكه الشخصية ، وعندما لمس فيه الكفاية اتخذه كاتما لأسراره . وكان كلما سافر إلى بغداد للعمادة عيّنه نائبا عنه وكفيلا في وزارة

(١) ينقل ياقوت في معجم الأدباء (٦ : ٣٤١ و٣٤٣) عن الخريدة لعماد الكاتب أن الشاعر المعروف محمد بن أحمد الأبيوردي (توفي ٥٠٧هـ) قد عُيِّنَ في آخر عمره في منصب الإشراف بمملكة السلطان محمد بن ملكشاه ، وكان يحضر في ديوان الوزارة مع غيره من رجال الدولة أمثال خطير الملك أبي منصور محمد بن حسين الميبدي ، وأبي اسماعيل مؤيد الدين حسين بن علي الطغرائي الأصفهاني ، ومعين الدين مختص الملك أحمد بن فضل بن محمود الكاشي ، وشرف الدين أنوشروان بن خالد . وقد سمّ الأبيوردي وهو يزاول عمله هذا . وكان يوما يقف على قدميه في حضرة السلطان محمد بأصفهان ، فسقط على الأرض بتأثير السم ، وحمِل إلى منزله حيث مات في يوم الخميس العشرين من ربيع الأول . وفي هذا يقول :

وقفنا بحيث العدل مدّ رواقه ... وخيّم في أرجائه الجود والباس
وفوق السرير ابن الملوك محمد ... تخرّ له ـ من فرط هيبته ـ الناس
فخامرني ما خانني قدمي له ... وإن رد عني نفرة الجاش إيناس
وذاك مقام لا نوفيّة حقه ... إذا لم ينب فيه عن القدم الراس
لئن عثرت رجلي فليس لمقولي ... عثار وكم زلّت أفاضل أكياس

[182] گهرخاتون واستطاع كمال الملك أن ينال منصب الأمير العميد بعد أن جمع ثروة طائلة ، وأصبحت له سيطرة كبيرة على عقلية گهرخاتون ومزاجها . وقد اختارته گهرخاتون لوزارتها بالنيابة عن أبي نصر أحمد بن حامد عزيز ـ عمّ عماد الكاتب الأصفهاني صاحب تاريخ السلاجقة ـ بعد أن رأت أنه يفوق الأمير العميد كفاءة وخبرة . وظل الأمير العميد محروما من منصبه السابق . وأصلح هذا الوزير ونائبه ـ بكفاءة تامة ـ شؤون ديوان الخاتون بعد أن اختلّ اختلالا عظيماً في عهد الأمير العميد[1] . ومن هنا ذاعت شهرة كمال الملك السميرمي إلى حدّ أن عهد إليه السلطان محمد بوزارة الإشراف التابعة له . ولما تولّى ربيب الدولة الوزارة حين داهم محمدا مرضُ الموت ، وقلم رجال البلاط المغرضون بحبس مختص الملك . . عينّ ربيب الدولة كمال الملك في رياسة ديوان الاستيفاء أيضا . ولما كان ربيب الدولة رجلاً ضعيفاً عاجزاً عن تصريف الأعمال ، فقد أصبحت أزمّة شؤون مهام الديوان في يد كمال الملك السميرمي ، وصار في الحقيقة صاحب الحل والعقد في الشؤون الملكية .

وبعد أن توفي السلطان محمد استولى كمال الملك على كافة الأعمال ، ولما تولّى السلطان مغيث الدين محمود علم ٥١١هـ ـ مكان أبيه ـ بقي كمال الملك في منصبه إلى أن مات ربيب الدولة قبل أن ينتهي شهر ربيع الثاني بيوم واحد ، وذلك في علم ٥١٣هـ . . وكانت وفاته سابقة على معركة ساوة (التي وقعت بين السلطان محمود وسنجر) بثلاثة أيام[2] ، فلما مات ربيب الدولة استقلّ كمال الملك بوزارة السلطان محمود .

وفي علم ٥١٥ هـ طعن الباطنية كمال الملك . وسوف نورد بقية أخباره عند حديثنا عن الخواجة أبي القاسم الدركزيني.

---

(١) عماد الكاتب ، ص ١١٠ ـ ١١٣ .

(٢) في الثاني من جمادى الأولى علم ٥١٣هـ .

هـ ـ ديوان عرض الجيوش

[183] بالنسبة لعارضي الجيش في عهد السلطان محمد بن ملكشاه ، لدينا معلومات عن التالية أسماؤهم :

- في وزارة سعد الملك الآبي (٤٩٨ ـ ٥٠٠هـ) :

أولاً : أبو المفاخر القمىّ ثم عز الملك بن الكافى الأصفهاني .

- في وزارة قوام الدين أحمد نظام الملك (٥٠٠ ـ ٥٠٤هـ) :

شرف الدين أنوشيروان بن خالد ، ومن بعده شمس الملك بن نظام الملك الكبير .

- في وزارة خطير الملك :

لا نعرف لمن أسندت تلك المهمّة .

أبو نصر شرف الدين أنوشروان بن خالد الفيني الكاشاني
سديدة الحضرة

عزل سعد الملك الآبى أبـا المفاخـر القمـى بعـد مدة من منصـب عارض الجيش ، وأسند وظيفته إلى عز الملك بن كافي الأصفهاني . وظل عز الملك هذا في منصبه حتى تاريخ صلب سعد الملك ، أي أنه ظل حتى شهر شوال علم ٥٠٠ هـ وقد قتله السلطان محمد هو وثلاثة آخرين من عمال الديوان شنقا في نفس التاريخ الذي قتل فيه سعد الملك ، وأسند منصبه ـ أي عرض الجيوش ـ إلى أبي نصر شرف الدين أنو شروان بن خالد الفيني الكاشاني .

وفي وزارة نظام الملك الثاني ، أسند هذا الـوزير منصـب عرض الجيوش لأخيه شمس الملك عثمان بن خواجه نظام الملك بدلاً من أنوشروان بن خالـد .

ويقول أنو شروان نفسه أن الوزير قوام الدين أحمد نظام الملك قد أخذ من أخيه مبلغ ألفي دينار لقاء منحه هذا المنصب ، وأنه حوّل هذا المبلغ إلى الخزانة السلطانية[1] . وأنو شروان بن خالد أصلا من أهالي قرية فين بكاشان . ويفهم من القرائن أنه كان يعمل في شبابه كاتبا من كتّاب الرسائل ومحرراً من محرري الديوان الملكشاهي ، وأنه كان وثيق الارتباط بمؤيد الملك بن خواجه نظام الملك ، يثق فيه كل الثقة . كما يفهم من القرائن أنه كان يعمل في الجهاز الإداري أيام وزارة هذا الخواجة في عصر بركيارق (من ذي الحجة ٤٨٧هـ حتى صفر ٤٨٨هـ) ، وأنه حضر الموقعة التي دارت بين بركيارق وتتش في السابع من صفر عام ٤٨٨هـ ، والتي انتهت بقتل تتش وانتصار مؤيد الملك وبركيارق . وتفيد القرائن أيضا أنه قد تألم كثيراً لقتل مؤيد الملك عام ٤٩٤هـ ، إلى حد أنه ذهب إلى البصرة حيث شُغل بقراءة الأدب ومباحثة الشعراء والأدباء بعيداً عن الغوغاء والشغب والفتن المرتبطة بشؤون الحكم . ومن جملة الفضلاء المشاهير الذين عرفهم هناك . . أبو محمد القاسم بن علي الحريري الذي ألف كتابه المشهور « مقامات الحريري » باسم أنوشروان بن خالد. وفي علم ٤٩٨هـ بعد موت بركيارق وجلوس محمد على العرش ، استدعى السلطانُ الجديد أنوشروانَ بن خالد ـ بعد انزوائه في البصرة ثلاث سنوات ـ وأسند إليه أمر خزانته . كما أسند إليه منصب عرض الجيوش بعد مقتل سعد الملك الآبى وعز الملك الأصفهاني . غير أن شمس الملك ـ شقيق الوزير الجديد ـ سرعان ما شَغَل هذا المنصب ، كما قلنا .

184]

وبينما كان محمد يغالب مرض الموت تولى أنوشروان منصب الصدارة بالنيابة لفترة قصيرة حين عزل خطير الملك . . . وكان أنوشروان قد شغل هذا المنصب بالنيابة في عهد خطير الملك . وما بقي عن حياة أنوشروان بن خالد متصلاً بعهد السلطان محمود بن محمد وأخيه مسعود ، وفترة وزارة أنوشروان في جهاز محمود والخليفة المسترشد ومسعود . . خارج عن نطاق بحثنا .

---

(١) عماد الكاتب ، ص ١٠٠

وقد توفي أنوشروان عام ٥٣٢هـ . ويؤكد بعض الشعراء المعاصرين ـ خاصة القاضي الأرجاني مادحه الخاص ـ أنه من نسل الأكاسرة أي الساسانيين[١] وأنوشروان أحد كتّاب الفرس المهرة ، وله كتاب في تاريخ السلاجقة من أواسط عهد نظام الملك حتى عهد مسعود بن محمد بن ملكشاه . ويشتمل هذا الكتاب على مذكّرات حول حياته أيام أن كان يعمل في جهاز السلاجقة داخل الديوان ،و قد أسماه : « نفثة المصدور في فتور زمان الصدور وصدور زمان الفتور»، وهو نموذج جيّد من نماذج الانشاء الفارسي لكن متنه الأصلي ـ الذي كان يزخر بالأشعار الفارسية لكبار قدامى الشعراء ـ قد ضاع لسؤ الحظ . وتاريخُ السلاجقة الذي وضعه عماد الكاتب ترجمةً لذلك الكتاب إلى العربية ، مع إضافات كثيرة من إنشاء عماد[٢] .



(١) حكم الساسانيون بعد الدولة الأشكانية في إيران ، وذلك في الفترة ما بين عامي ٢٢٦م ، ٦٥٢م. وقد دالت دولتهم على يد العرب . (المترجم) .

(٢) أنظر المقالة التاريخية النقدية التي كتبها القزويني ، ص٢١ وما بعدها .

[186

شمس الملك عثمان بن خواجة نظام الملك

كان شمس الملك عثمان يحكم مرو في الفترة الأخيرة من وزارة أبيه. وحدث أن شبّ نزاع بينه وبين شحنة هذه المدينة المدعو الأمير قودن ، وهو من خاصّة أمراء ملكشاه . . . فقبض شمس الملك عليه وحبسه ، فلما تخلّص من سجنه بعد فترة قصيرة ذهب إلى السلطان شاكياً، فأرسل السلطـان تاج الملك وسعـد الملك إلى الخواجه برسالته المعروفة التي سأله فيها عن سبب تجاوزه الحد ، وطالبه فيها بأن يؤدب أبناءه . . . على النحو الذي كتبنـاه من قبـل . وكانـت هذه الحادثـة بداية انحدار منزلة الخواجة ونجاح معارضيه[1] .

قلنا سابقاً أن شمس الملك ـ في بداية وزارة أخيه قوام الدين أحمد نظام الملك أي حوالي علم ٥٠٠هـ ـ قد احتلّ مكان أنوشروان بن خالد في وزارة عرض الجيوش في عهد السلطان محمد بن ملكشاه لقاء مبلغ قدره ٢٠٠٠ دينار . وقد ظل شمس الملك في منصبه هذا طوال مدة صدارة نظام الملك الثاني .

وحين عُزل نظام الملك الثاني من منصبه علم ٥٠٤هـ ، وأخذ خطير الملك مكانه . . قام بحبس شمس الملك ، فظل في السجن طوال فترة وزارة خطير الملك (٥٠٤ ـ ٥١١) أي سبع سنوات . وقد تخلّص من حبسه حين سقطت وزارة خطير الملك ، وذلك قبل موت السلطان محمد بثلاثة شهور تقريباً[2] .

وبعد معركة ساوة التي وقعت علم ٥١٣هـ وهزيمة السلطان محمود بن محمد

---

(١) أنظر : ابن الأثير ، حوادث علم ٤٨٥هـ ، حيث اعتبـر عثمان ـ خطـأ ـ إبـن جمـال الملك وحفيد الخواجه ، تجارب السلف ، ص٢٧٩ ـ ٢٨٥ .
(٢) عماد الكاتب ، ص ١١٤ .

أمام السلطان سنجر ، وصدور فرمانات (مناشير) سنجر الخاصة بتعيين عمال ديوان العراق بقلم شهاب الإسلام عبد الرزاق . . تولّى منصب وزارة الاستيفاء للسلطان محمود ابن أخي الخواجة نظام الملك ووزير سنجر شمسُ الملك بناء على طلب السلطان ووزيره(١) .

[187] وحين طُعن كمال الملك السميرمي وزير محمود علم ٥١٥هـ ، نصب السلطانُ محمودُ شمسَ الملك صدراً له ، وهو الإبن الخامس لخواجه نظام الملك الذي يصل إلى الصدارة لسلاطين السلاجقة بعد إخواته الآخرين : فخر الملك ومؤيد الملك وعز الملك وضياء الملك(٢) .

وبعد أن اختير شمس الملك للصدارة ، أسند منصب الاستيفاء ـ الذي كان بعهدته ـ لعزيز الدين أبي نصر أحمد بن حامد الأصفهاني ، عم عماد الكاتب ورغم كفاءة هذا الرجل العالم الفاضل . . . فإنه كان يهوى الجاه والرفعة . . . فبدأ بأن حقَّر أنوشروان بن خالد في عين السلطان وحطَّ من قدره وصغَّر من شأنه ، وقد كان يشغل وقتها منصب عرض الجيوش ويقيم في بغداد . ثم فكّر في أخذ منصب شمس الملك ، فاتّحد مع أبي القاسم قوام الدركزيني الذي كان يشغل بادىء الأمر منصب الإنشاء والطغراء ، ثم منصب عارض الجيوش بدلاً من أنوشروان بن

---

(١) نفس المرجع ، ص١٢٩ .

(٢) أولاد نظام الملك : ١٢ ذكرا ، ٤ بنات كما تشير معظم المراجع ، وإن كانت بعض المراجع تقول بأن عدد البنات ٨ . وهذه أسماء أشهر الذكور : فخر الملك أبو المظفر علي ، مؤيد الملك أبو بكر عبيد الله ، ضياء الملك قوام الدين أحمد ، شمس الملك عثمان ، بهاء الملك أبو الفتح عبد الرحيم ، عز الملك حسين ، جمال الملك أبو جعفر محمد ، عماد الملك أبو القاسم ، الأمير منصور . وقد بلغ خمسة منهم أعلى مناصب الدولة .

كان نظام الملك يحثّ أبناءه على الدراسة والمطالعة ومجالسة العلماء ، لكنّه لم يستطع منعهم عن حياة الترف والدعة . وقد دبَّ الصراع بينهم على الوزارة وتآمر بعضهم على الآخر بل وجرَّد الجيوش لمحاربته . وانتهى أمر معظمهم بالقتل على يد السلاطين أو الباطنية بايعاز منهم . ومع ذلك استمروا يتوارثون المناصب حوالي قرن من الزمان بعد وفاة أبيهم ، وانتشروا في العراق وإيران (المترجم) . أنظر : دائرة المعارف الإسلامية جـ٣ ص٩٣ ـ مادة نظام الملك ؛ د . عبد الهادي محبوبة : رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، ص٤٧٨ .

خالد . وكان مسلك شمس الملك الذي يتسَّم بالظلم والحرص وعدم الكفاءة حجة بالغة في يدهما .

وكانت الخطوة الأولى من خطوات شمس الملك هي مصادرة أموال كمال الملك السميرمي ، يعاونه في ذلك نائبه كامل بن كافي الأصفهاني الذي كان يعمل نائباً لخطير الملك قبل ذلك . ثم عمد شمس الملك إلى حبس العديد من أتباع كمال الملك وخرج السلطان إلى الحرب في شروان ، فتسبَّب في خراب تلك المدينة تحت أقدام العساكر السلجوقيين . ثم ندم محمود على سفرته هذه التي أغراه بعض رجال بلاطه بالقيام بها . وفي تلك الأثناء ، جاءته رسالة من السلطان سنجر تطالبه بإرسال شمس الملك باعث الاضطرابات إلى خراسان ليلقى جزاءه . وكان أبو القاسم الدركزيني وراء تحريض السلطان سنجر على هذا الطلب . وقد عمد إلى تحريضه أثناء قيامه بمهمة السفارة بينه وبين محمود ، وكان أي الدركزيني موفداً إلى خراسان لهذا الغرض من قبل محمود .

وبناء على مشورة المستوفي عز الدين أبي نصر الأصفهاني ، قتل السلطانُ محمودٌ بسيفه شمس الملك قرب البيلقان ، فخلا الميدان لدسائس عز الدين والدركزيني . وكان مصرع شمسِ الملك في ربيع الأول عام ٥١٧هـ ، بعد عام وبضع علم من توليته الوزارة . ويقال إن محموداً قد شرب الخمر في جمجمة رأس شمس الملك بعد قتله[١] .

[188] وكان الخواجه الكبير عثمان شمس الملك بن خواجه نظام الملك ـ الذي يدعونه شمس الملوك[٢] ، والذي اشتهر باستبداده وحدة طبعه ـ أحد ممدوحي القاضي ناصح الدين الأرجاني . وتوجد أكثر من قصيدة وقطعة نظمها هذا الشاعر في مدحه. ومما قاله :

إن لم تزر عثمانَ بي أُنَيْق   غدوها يسبق طرف الرواح

---

(١) عماد ، ص١٤١ ، إبن القلانسي ، ص٢١٨ .

(٢) أنظر : إبن القلانسي ، أشعار القاضي الأرجاني .

كأن أيديها إذا شارفت فناءه فايزةٌ بالقداح

***

صدرٌ رحيب الصدر ذو همة له إلى نيل المعالي طماح
في سرجه شمس وفي نفعه شمس أطاع النور منها فطاح
شمسان لما اكتنفا قسطلا به لآفاق السماح اتّشاح

***

عاد بعثمان اختتام العلى كما بدا بالحَسَن[1] الافتتاح

***

لولاك يا شمس ملوك الورى لم يبق في طرق الرجاء افتتاح[2]

***

ومما قاله الأرجاني في مدحه أيضا :

وكان التخلّص في إثرها ثناءً على آل اسحاقها
كرام الخلايق مذ لم تزل كذاك جرى حكم خلاّقها
وفي كل أيام عصرٍ هُمُ إلى المجد أوّل سباقها
فضضنا ختام لآلى الزمان فكانوا نفائس أعلاقها
فإن طال منها ثمار العروق فمن مقتضى طيب أعراقها
همُ أنجمٌ لسماء العلى وعثمان شمس لآفاقها [189]

***

ألا أيها الملك المرتجى لفتح ثغور وإغلاقها
مضت بالعزائم منك الظبى لفتح السهام بأفواقها

(١) يعني خواجه نظام الملك والد شمس الملك، واسمه الكامل : أبو علي الحسن بن علي نظام الملك . (المترجم) .
(٢) ديوان الأرجاني، ص ٨٠ ـ ٨٣ .

ولما رأيت كساد العلوم عنيت بتنفيق أسواقها

***

فألفَّت شارد أبنائها وشردت آلف مرّاقها
وورثتها سنَّة من أبيك فما طبت نفسا بأخلاقها

***

بقيت ظهيرا لدين الهدى تذود العدى دون إرهاقها[1]

***

وللأرجاني قصيدة أخرى غراء يقول في بيتها الأول :

أأجفان بيض هُنَّ أم بيض أجفان فواتِك لا تُبقي على الدنف العاني

ويقول في مدحه شمس الملك بن خواجه نظام الملك :

أقول وبحر الغرب حال عشيَّة كأن على لبّاته طوق عقيان
أحرف مراة من خلال غشائها بدا أم هلال لاح للناظر الرانى
أم الفلك الدوّار أمسى موسَماً بآخر حرف من حروف اسم عثمان
فتى يمتطي الأفلاك والخيل دائما فوسم بأنوار ووسم بنيران

***

ولولا ندى شمس الملوك وجوده لما زعزعت وفد ذوائب كيران[1]

ويقول في نكبته وما حاق به :

قلت لما قالوا غدا رأس شمس الـ ـمُلك فردا يطوى متون الفيافي
كل ذا به علم اللـ ـه اعتقادي وما على الله خاف
ومن الآن حيث كان فصبرا وارج خيرا فالله للعبد كافي

[190]

(١) ديوان الأرجاني ، ص ٢٨١ ـ ٢٨٤ .
(٢) ديوان الأرجاني ، ص ٣٩٩ ـ ٤٠٣ .

إنما كان عقدةً رأسه قا رن شمسا فآذنت بانكساف
وإذا الرأس قارن الشمس فاعلم بُدِّل الإنكساف بالإنكشاف[1]

***



(١) ديوان الأرجاني، ص ٢٧٤ .

[191]

وزراء وأصحاب ديوان سنجر بن ملكشاه
في فترة إمارته وولاية عهده
(٤٩٠ ـ ٥١١هـ)
وفي فترة سلطنته
(٥١١ ـ ٥٥٢هـ)

***

[192]

خلاصة حياة سنجر

ولد سنجر ـ على خلاف بين المؤرخين ـ في مدينة سنجار ، في شهر رجب من علم ٤٧١ هـ أو عام ٤٧٧هـ أو عام ٤٧٩هـ[1] . ويقال إن ملكشاه أسماه سنجر نسبة إلى مكان ولادته ، وهذا تعليل منحوت ولا شك. ويرى أبو الفدا أن سنجر كلمة تركية ، وأنها تعني ـ فيما يبدو ـ قاذف الحربة .

واسم سنجر الإسلامي هو أحمد ، وقلَّ من بين المؤرخين من دوَّنه ، غير أنه يتأكد لنا من شهادة ابن الأثير ومن رسالة بعث بها السلطان إلى وزير الخليفة المستظهر . ويبدو أن ملكشاه قد أطلق على ولده هذا الاسم بعد وفاة ابنه الثاني أبي شجاع أحمد عام ٤٨١هـ .

وأم سنجر هي تاج الدين خاتون سفري ، وهي نفسها أم السلطان محمد ، ولهذا كان سنجر منحازاً إلى أخيه الشقيق محمد ضد بركيارق طوال مدة الخلاف ،

---

(١) يذكر منهاج السراج ـ ويؤيده يحيى القزويني صاحب «لب التواريخ» وابن الأثير والراوندي ـ أن سنجر ولد في سنجار بآسيا الصغرى علم ٤٧٩هـ= ١٠٨٦م ، بينما يؤكد البنداري أنه ولد علم ٤٧٢هـ= ١٠٧٩م (المترجم) .

كما أنه لم يحِد عن طاعته طوال فترة سلطنته . وبعد موت محمد ـ الذي كان يكبر سنجر ـ بسط الأخير حمايته على أبنائه .

وقد أوفد بركيارق سنجر إلى خراسان[1] في وزارة كيا مجير الدولة أبي الفتح علي بن حسين الأردستاني عام ٤٩٠هـ ليخمد الفتن التي نشبت بعد موت ملكشاه وفي أيام ثورة أرسلان أرغو وبعض الأمراء التابعين لملكشاه ، ثم ولاّه حكومة خراسان في نفس العام، وأقام سنجر في مرو متّخذاً لقبى الملك وناصر الدين.

وحين فرّ بركيارق أمام أخيه محمد ووزيره مؤيد الملك عام ٤٩٣هـ ولجأ إلى الأمير داد حبشي في خراسان . . سارع سنجر لقتاله هو والأمير المذكور ، وهزمهما معاً في معركة بوژگان. ومن يومها خرج سنجر على طاعة بركيارق . ورضي بولاية عهد محمد الذي ادّعى أحقيته بالسلطنة من بركيارق . وقد وافق الخليفة المستظهر على لقب سنجر ولقب أخيه محمد حين توجّها إلى بغداد في ذي الحجة عام ٤٩٤هـ . وحين مات بركيارق وجلس محمد على العرش بصفة رسمية ، استقرّ الملك ناصر الدين سنجر في إمارته على القسم الشرقي من ممالك السلاجقة أي خراسان وما وراء النهر وتوران حتى كاشغر. وكان إلى جوار ذلك ولي عهد السلطان أبي شجاع غياث الدين محمد . وقد ضَمَّ إليه ـ قبل وفاة أخيه بقليل ـ غزنة وكابل ، ولم تكونا حتى ذلك الوقت خاضعتين للسلاجقة ، ونصب بهرامشاه ملكا على تلك البلاد .

[193]

وحين مات محمد في ذي الحجة عام ٥١١هـ ، أطلق سنجر على نفسه لقب سلطان ، كما اتّخَذ لنفسه لقبي أبيه أي معز الدنيا والدين ، وصار حاكما نافذ الأمر على كل الممالك السلجوقية[2] . لكن الخليفة وعمّال أخيه محمد وأمرائه صاروا

(١) نصب بركيارق أخاه سنجر على خراسان عام ٤٩٠هـ= ١٠٩٧م ، ووطّد هذا نفوذه قبل توليته السلطنة ، ففتح ترمذ وطخارستان عام ٤٩١هـ= ١٠٩٨م وبسط نفوذه على ما وراء النهر عام ٤٩٥هـ = ١١٠١م وعين عليها واليا من قبله . كما أنه فتح غزنه بعد أن هزم أرسلانشاه الغزنوي عام ٥١١هـ= ١١١٧م (المترجم) .

(٢) كان محمد قد أوصى بأن يخلفه ابنه محمود ، فلمّا تم الأمر لمحمود اعترف الخليفة بسلطنته ،

مصدر إزعاج له في القسم الشرقي من ممالك السلاجقة في أوقات كثيرة ، كما رفع أولاد أخيه علم العصيان. مما اضطره إلى ترك خراسان إلى العراق لقمع هؤلاء وتأديب أولئك ، وبعد اخضاع الأدعياء ومعاقبة العصاة كرَّ عائدا إلى خراسان .

لقد كان السلطان أبو الحارث معز الدين أحمد سنجر يرى أن خراسان وما وراء النهر وتركستان تشكِّل في الواقع القسم الحقيقي من مملكته ، وكان هذا القسم ـ بناء على هذه النظرة ـ يستأثر بكل اهتمامه ، ويتركَّز حوله دفاعه ضد كبار أعدائه وضد الأدعياء ممن يقيمون في هذه الأنحاء . . أمثال خانية كاشغر وسمرقند والكورخانين والقراخطائيين وسلاطين الغور وعلاء الدين أتسز خوارزمشاه . . ربيبه الذي لم يكن يكفّ عن عصيانه[1] . وقد انقضت فترة سلطنة سنجر على طولها في الصراع معهم ، وكان النصر حليفه في كل حروبه إلا في موقعتين تسببتا في كسر شوكته في حقيقة الأمر[2] . . خاصة ثانيتهما التي خاضها بعد أن كبر سنه وفقد جلده وقدرته على الصمود . وقضى سنجر نحبه بعد فترة وجيزة من هزيمته المريرة هذه .

وأولى الموقعتين هي موقعة قطوان التي دارت بينه وبين كورخان

فعارض سنجر ونصب نفسه سلطانا ، وانقسم السلاجقة . وحارب محموداً علم ٥١٣هـ = ١١١٩م وانتصر عليه في ساوه والجأه للفرار إلى أصفهان .ودخل سنجر همدان واعترف به الخليفة في السادس والعشرين من جمادى الأولى علم ٥١٣هـ الرابع من سبتمبر علم ١١١٩م . ثم وعد محمودا بولاية العهد وأنابه عنه في العراق يحكمها بلقب سلطان (المترجم) أنظر : د . احمد كمال الدين حلمي : السلاجقة في التاريخ والحضارة ، طبع الكويت ١٩٧٥م ص٥٣ ـ٥٥ .

(١) حاربه سنجر عدة مرات كانت الأولى منها في علم ٥٣٣هـ = ١١٣٨م وكان النصر من نصيب سنجر دائما . وكان أتسز في كل مرة يلجأ إلى الاستعطاف ويتعهد بالطاعة لينال العفو (المترجم) .
أنظر المرجع السابق ص ٥٦و ما بعدها لتعرف الكثير حول هذا الموضوع ، ولتقف على أسماء العديد من المصادر .

(٢) يذكر أصحاب كتب التاريخ أن سنجر خاض ١٩ معركة منذ تولي ملك خراسان من قبل أخيه بركيارق إلى أن انقضت أربعون سنة من حكمه ، لم يصبه فيها وهن ولم تحلّ به هزيمة إلا في معركتين اثنتين هزمه فيهما الخطا والغز . (المترجم) .

القراخطائي - في صفر من عام ٥٣٦هـ - قرب سمرقند ، وقد تعرَّض فيها العسكر السلطاني لهزيمة منكرة ، وقتل العديد من أمرائه ، وألْحَقَ القراخطائي الكافر الكثير من الضرر بالبلاد الإسلامية وما وراء النهر[١] .

[194] أما الموقعة الثانية فكانت بين سنجر وطائفة الغز[٢] ، وذلك في شهر المحرم من عام ٥٤٨هـ . وقد تمكَّنت تلك الطائفة من أسر السلطان في السادس من جمادى الأولى ، وبقي في أسرها حتى شهر رمضان عام ٥٥١هـ . وانساح الغز في جميع أنحاء ما وراء النهر وخراسان ، وقتلوا العديد من العلماء والعظماء والأمراء . وفي رمضان عام ٥٥١هـ ، فرَّ سنجر من قبضتهم[٣] ليموت في ربيع الأول من العام التالي (٥٥٢هـ)[٤] بعد سبعة أشهر من فراره . . . متأثراً بكبر سنّه وكثرة ما تعرَّض له من نكبات . وقد وزر لسنجر - إبان إمارته وولايته للعهد وسلطنته - عدد من الوزراء هم :

١ - كيا مجير الدولة أبو الفتح علي بن حسين الأردستاني (في عام ٤٩٠هـ)

---

(١) يرى بعض المؤرخين أن الصراع بين سنجر والقره خطائيين بدأ قبل التاريخ المذكور ، وأن سنجر هو الذي هاجمهم عام ٥٣٥هـ= ١١٤٠م لإغارتهم على مناطق تابعة له ، فلما يئسوا من عفوه صمدوا له . ويقال إن اتسز هو الذي حرّضهم على مهاجمة مملكة سنجر . وقد فقد سنجر آلاف الجند والرعيَّة واثني عشر ألف عالم ووقعت زوجته في الأسر (المترجم) .
أنظر : السلاجقة في التاريخ والحضارة ص ٥٦ - ٦١ ، راحة الصدور ص ١٧٢ ، حبيب السير (حـ٢ ص٥٠٩) ؛ تاريخ آل سلجوق ص ٢٥٣ ، تاريخ أدبيات در ايران (حـ٢ ص٩٠ ، ٩١) ؛ الكامل (ح١١ ص٢٣) ؛ إيران ماضيها وحاضرها ص ٦١ .

(٢) لمعرفة الكثير عن الغز إرجع إلى : السلاجقة في التاريخ والحضارة ، الباب الثاني - الفصل السادس .

(٣) اختلف المؤرخون حول الفترة التي قضاها سنجر في الأسر ، واختلفوا حول من ساعده في الهرب بعد موت زوجته في أسر الغز . وقد انتهز الكثيرون فرصة أسره ليحكموا البلاد بدلاً منه . (المترجم) .
لمعرفة الكثير حول هذا الموضوع ، أنظر : المرجع السابق ص ٦٢ - ٦٥ .

(٤) كانت وفاته في مرو ، في يوم السبت الحادي عشر من ربيع الأول عام ٥٥٢هـ = ١١٥٧م ودفن في مقبرة كان قد بناها بتلك المدينة وأسماها (دار الآخرة) ، وهناك العديد من المنظومات والأخبار تؤكد التاريخ والمكان . (المترجم) أنظر : المرجع السابق ص ٦٥ - ٦٦ .

٢ ـ فخر الملك نظام الدين أبو الفتح مظفر بن خواجه نظام الملك (٤٩٠ ـ ٥٠٠هـ) .

٣ ـ قوام الملك صدر الدين محمد بن خواجه فخر الملك (٥٠٠ ـ ٥١١هـ) .

٤ ـ نظام الملك شهاب الإسلام عبد الرزّاق إبن أخي خواجه نظام الملك (٥١١ ـ ٥١٥هـ) .

٥ ـ فخر الملك شرف الدين أبو طاهر سعد بن علي بن عيسى القمّي (٥١٥ ـ ٥١٦هـ) .

٦ ـ نظام الدين محمد بن سليمان يبغو بك الكاشغري معز الدولة (٥١٦ ـ ٥١٨هـ) .

٧ ـ معين الدين مختص الملك أحمد بن فضل بن محمود الكاشي (٥١٨ ـ ٥٢١هـ) .

٨ ـ نصير الدين أبو القاسم محمود بن أبي توبة المروزي (٥٢١ ـ ٥٢٦هـ) .

٩ ـ قوام الملك أبو القاسم أنس آبادى الدركزيني (٥٢٦ ـ ٥٢٧هـ) .

١٠ ـ ناصر الدين طاهر بن فخر الملك بن نظام الملك الطوسي[1] (٥٢٨ ـ ٥٤٨هـ) .

(١) توفي هذا الوزير عام ٥٤٨هـ = ١١٥٣م وكان سنجر في أسر الغز . ولما كان أمراء نيسابور قد نصبوا «سليمانشاه» ـ إبن السلطان محمود السلجوقي . مكان عمه سنجر ، فقد وزر له وزير جديد هو نظام الملك أبو علي الحسن بن طاهر وهو ابن الوزير السابق . (المترجم) .


مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان

وزراء سنجر

وزراء السلطان سنجر بن ملكشاه [195]

١ ـ كيا مجير الدولة ، مجير الملك علي بن حسين الأردستاني

(وزير الرسائل والطغراء في عهد ملكشاه ، وأول وزير لسنجر في إمارة خراسان)

بعد موت كمال الملك الأديب أبي جعفر محمد بن أحمد مختار الزوزني الذي كان قد تولى رئاسة ديوان الطغراء والإنشاء في عام ٤٧٦هـ ـ أسند السلطان ملكشاه هذا المنصب لأبي الغنايم تاج الملك مرزبان بن خسرو فيروز الشيرازي أحد خاصة القائد قطب الدين عماد الدولة ساوتكين. واختار أبو الغنايم ، كيا مجير الدولة أبا الفتح علي بن حسن الأردستاني نائبا عنه ، فصار مجير الدولة كاتب رسائل الديوان الملكشاهي[١] .

وحين عينّ بركيارق أخاه ناصر الدين سنجر في حكومة خراسان علم ٤٩٠هـ اختار الأخير لوزارته شخصا اسمه ـ وفق قول ابن الأثير ـ أبو الفتح علي بن حسين الطغرائي[٢] فهو بذلك أول شخص يتولى وزارة سنجر في شبابه .

والشخص الذي يسميه ابن الأثير (في حوادث علم ٤٩٧هـ عند الإشارة إلى عزله بأمر سنجر) باسم : المجير أبو الفتح الطغرائي ، لا يمكن أن يكون سوى كيا مجير الدولة (أو مجير الملك) أبي الفتح علي بن حسين الأردستاني ، كاتب الرسائل أيام ملكشاه ـ كما ذكرنا ـ ومرؤوس تاج الملك أبي الغنايم الشيرازي . ويبدو من إشارة وردت في تاريخ بيهق ، ومن قصائد للمعزى . . أن منصب الوزارة في عهد

---

(١) عماد الكاتب ، ص ٦١ .

(٢) إبن الأثير ، حوادث علم ٤٩٠هـ.

سنجر كان من نصيب كيا مجير الدولة الأردستاني[1] . . وأنه ظل يشغل هذا المنصب إلى أن احتلّه خواجه فخر الملك أبو الفتح المظفر بن خواجه نظام الملك .

[196] وقد نظم المعزى سبع قصائد في مدح مجير الدولة ، أشار فيها إلى حياته خلال فترة حكم ملكشاه وحكم سنجر ، وهي تكشف لنا عن بعض الموضوعات .

١ ـ يقول المعزى فيما يتعلّق باستضافة الملك عضد الدولة لناصر الدين سنجر :

ـ ملك المشرق السعيد ضيف الوزير ، عضد الدولة . . ضيف مجير .
ـ الوزير قمر وملك المشرق شمس ، ومن الشمس يستمدّ إشراقَه القمرُ المنير .
ـ الوزير سحاب وعضد الدولة بحر ، والبحر مصدر جواهر السحاب المطير[2] .

***

ـ الوزير دائم السعادة بإقبال الملك ، وهو دائم السرور بتدبير الوزير[3] . ـ لا
ـ لا تخرج الدولة عن طاعة نصر الدين ، ما دام ملك العرض له خير نصير[4] .

٢ ـ وفي قصيدة مطلعها :

بنگر اين پيروزه گون درياى ناپيدا كنـار
بـر سر أورده زقعـر خويش درّ شاهـوار

(١) يذكر البيهقي (تتمة صوان الحكمة ، ص١١٤) أن الإمام عمر الخيام مثل يوما بين يدي السلطان الأعظم سنجر ، وكان سنجر آنذاك طفلا مصابا بالجدري ، ولما خرج من لدن السلطان سأله الوزير مجير الدولة : ما رأيك في السلطان ؟ وما هو علاجه حسب علمك ؟ فقال الخيام : أرى أن نهايته مخيفة . وسمع غلام حبشي عبارته فنقلها للسلطان ، ولذا كان بعد شفائه يكنّ بغضا لعمر ولا يحبُّه . وما ذكره البيهقي يدل على أن مجير الدولة كان يلازم سنجر منذ طفولته ، وظل معه إلى أن عمل له وزيرا .

(٢) فرّخ ملك مشرق مهمان وزير است — وان كو عضد دولت مهمان مجير است
ماه اسـت وزير وملك مشرق خورشيد — خـورشيد فروزنـده برمـاه منـير است
أبـر اسـت وزير وعضـد الدولـة درياست — درياى گهر بخش بر ابـر مطـير است

(٣) همـواره وزير اسـت باقبـال مَلِك شاد — پيوسته ملك شاد بتدبـير وزير است

(٤) دولـت زيد ناصر دين دور نگردد — تانـاصر دين را ملك العـرش نصـير است

يقول المعزى في رثاء أبي طاهر بن مجير الدولة الذي مات في مرو في عهد سنجر :

- عجيبٌ أن دَفَنَ ابن وزير الملك . . .
وجهه في تراب مرو ، وأخفاه .
- كان أشبه بالقمر وعطارد ، كان مُشرق الضمير،
كان الفلك مكانه . . فصارت الأرض مثواه .
- أتدرين أيتها الأرض من تضمين في أحضانك ؟
تأملي جيداً من احتويت . . تأملي محيّاه .
- احترسي ، ففي أحضانك من يوقّره الملك ،
ومن نأى بنفسه عن مولاه .
- لقد بلّغُ ملك السلطان رسالة لمجير المُلك . .
على لسان ريح النيروز . . من جنة الله .
- تقول ابنك لدينا ، ولديك ابننا ،
فالذكرى واجبة ، وابنك من نرضاه .
- لتدخل البهجة قلبنا بوجود ابنك بيننا ،
كما يفرحك وجود ابننا معك ، وتسرُّك رؤياه[1] .

- إذا كان الشبل قد وقع في شباك كيوان ،

---

(١) از شكفتى ها يكى آنست كاندر خاك مرو
روى پنهان كرد فرزند وزير شهريار
بود چون ماه وعطارد سرور روشن ضمير
چرخ بودش جاى واكنون در زمين دارد قرار
اى زمين اندر كنار توهمى دانى كه كيست نيك بنگر تاكه را بگرفته اى اندر كنار
در كنارت زينهار كدخداى خسرواست خويشتن را دور دارد زينهارش زينهار
داد پيغامى ملك سلطان مجير الدولة را بر زبان باد نوروز از بهشت كردگار
گفت كانجا باد توباما ترا فرزند ماست بايد اينجا ازتو فرزند تومارا يادگار
تاز فرزند توما باشيم اينجا شادمان همچو كز فرزند ما هستى تو آنجا شاد خوار

فليعجل الله بوقوع كيوان في شباك الأسد المهصور .
- وإذا كان غصن العظمة قد ذبل في حديقة الملك ،
فليخضرّ سرو الرياسة على ضفة النهر ، ولينعم بالحيور .
[197] - فإن يكن عهد اسفنديار قد انقطع عن الدنيا ،
فليدم عهد گشتاسب وليبقه الله .
- وإن يأخذ دوران الفلك إبراهيم من أحمد ،
فليخلد عمر أحمد كدوران الزمن .
- وإذا كان جسد أبي طاهر قد انفصل عن روحه الطاهرة ،
فلتقترن دولة أبي الفتح بالفتح والسعادة .
- ووليمنح الله مجير الدولة الصبر . .
على آلام فقدان ابنه العزيز الشهير .
- وليلق الأب ذي دنيانا المديح . .
ولتكتب للإبن في الجنة رحمة الله[1] .

٣ - كما يستهلّ المعزي إحدى قصائده في مدحه بقوله :

سؤال كردم از اقبال دوش وقت سحر | چهار چيزكه نيكوتراست يك زدگر

ثم يقول :

- الوزير العالم العادل عميد مُلك المَلِك
مجير الدولة أبو الفتح ، أصل الفتح والظفر .

---

(١) شير بچه گرشكار دام كيوان گشت زود | باد شير شرزه راكيوان بدام اندر شكار
ور نهال مهترى بژمرده شد درباغ ملك | سبز وخرم باد سرو سرورى در جويبار
مدت گشتاسب از گيتى مبادا منقطع | گرزگيتي منقطع شد مدت اسفنديار
دور گردون گر زاحمد بستد ابراهيم را | عمر أحمد باد همچون دور گيتي پايدار
ورتن بو طاهر از جان مطهر گشت دور | دولت بوفتح بافتح وسعادت باد يار
صبر وخرسندى دهاد ايزد مجير الدولة را | بر دريغ ودرد فرزند عزيز نامدار
هم پدر را باد دردنيا نثار آفرين | هم پسر را در بهشت از رحمت يزدان نثار

- إبن علي ، الذي كان والده الحسين . .

يضارع في علمه عليا والد الحسين . . ذا الخطر[1]

***

- ملكان يسعدان بأبي علي وعلي ،

أحدهما حاضر في الدنيا ، والآخر غائب . . بالعقبى قد استقر .

- بذاك يفخر ملك السلطان في العقبى . .

وبهذا يفخر في الدنيا ملك سنجر[2] .

٤ - وفي قصيدة مطلعها :

زان دو رشتـه در مكنـون زان دو لعـل آبدار

چند باشـد جزع من بر كهربـا بيجـاده بار

يقول المعزي :

- الصاحب العادل مجير الملك الذي بفضل عدله . .

كتب للملك والدولة الثبات ، وللدين والملّة الاستقرار .

- شمس الفتح أبو الفتح الذي تظلّه السماوات السبع برحمتها ،

وتنثر عليه السعد كل ساعة . . دون انتظار .

[198] - زينة العالم ، المبارك الرأي . . الوزير الذي يضارع مائة ألف في فضله وكفايته

وهو واحد حين تعدّه . . وحين تقع عليه الأبصار[3] .

---

(١) وزير عالـم عادل عميد مّلك مَلك — مجـير دولـت أبـو الفتـح أصـل فتـح وظفر

على كجـا پدر أو حسـين بود بعلم — چنـان على اسـت كه أورا حسـين بود پسر

(٢) ز بو علي وعلى خرّمنـد در دوجهان — دو پادشـاه يكى غايب ويكى ايدر

از آن بعقبـى نازد همـى ملك سلطان — وزين بدنيا نازد همـى ملك سنجر

(٣) صاحب عادل مجير الملك* آن كز عدل اوست — ملك ودولت راثبات ودين وملت را قرار

آفتات فتح أبو الفتح آنك . از هفـت آسمان — بـرسر او رحمـت سعـد اسـت هرساعـت نثار

عالم آراى ومبارك راى دستورى كه هست — در عدد يك شخص واز فضل وكفايت صد هزار

* في النسخة : مجير الملك . . ويفهم مما يورده صاحب تاريخ بيهق أنه كان يلقب باللقبين : مجير الدولة ومجير الملك .

ـ قلم وزير الملك معجز بين العجم . .

كما هو الحال بالنسبة لسميّه ذي الفقار بين العرب[1]

***

٥ ـ وفي قصيدة مطلعها :

تراست روى چو نسرين تازه اى بت چين

مراست از غم عشق تو موى چون نسرين

يقول المعزي

ـ تلقّنك الشياطينُ التمرّدَ والفتنة ،

وتلقنني الملائكة مدح الوزير ذي التمكين

ـ الوزير . ملك الشرق ونصير ملة الشرع . . .

مجير الدولة ومؤيدها . . مؤيد الدين .

ـ فلك النصر أبو الفتح الذي لا تجد كواكب الفلك . .

في مئات الألوف من قراناتها . . من هو له قرين .

ـ الوزير العظيم الذي اختيرت من أجله سبعة أشياء . .

بها تتصف الكواكب السبع السيارة . . على مرّ السنين .

ـ الحفل من الزهرة ، والقوّة من بهرام في الصدام ،

ومن تير (عطارد) في كل علم . . ضمير مشوق مستبين .

ـ والحركة الدائمة من القمر ، والغضب من كيوان (زحل) ،

وبهاء الطلعة من الشمس ، ومن المشتري . . الرأي الرزين[2] .

---

(١) معجزاست اين كلك سور ملك اندرعجم ‏ ‏ همچنان كاندر عرب همنام اورا ذو الفقار

(٢) تراست تلقين آشوب وفتنه ازديوان ‏ ‏ مراست مدح وزير از فرشتگان تلقين

وزير خسرو شرق ونصير ملت شرع ‏ ‏ مجير دولت وتأييد أو مؤيد دين

سپهر نصرت أبو الفتح كاختران سپهر ‏ ‏ بصد هزار قرانش نياورند قرين

بزرگوار وزيرى كه هست بهرهٔ او ‏ ‏ زهفت كوكب سياره هفت چيز گزين

ويقول :

- بسنّ القلم يضم الدنيا إلى صدره.
بشرّابة السوط يضعُ المُلك في سرج جواده(١).

بتی که حور بهشتی شود برو مفتون   عقیق او برحیق بهشت شد معجون

يقول المعزى:

- كثيراً ما لازمني القمر عند الوصال..
كثيراً ما أرشدني للصواب.. وزير الشاه.

- مجير الدولة المنصور، نهار المملكة الوّضاح.
عميد الملك، الملك المتجدد الحظ والمتزايد الجاه.

- الوزير العادل أبو الفتح حسين
الذي يعدُّ قلبه المضيء - بالنسبة للعقل والعلم - قانون الحياه(٢).

- أيها الوزير المبارك الرأي والقَدَم..
أنت لملك الملك عميد ولدولته مجير.. في الشدائد نلقاه.

- مثير الرأي، بهيج الوجه،
جذّاب الوصف، مقبول الوصل يُستَحبُّ رؤياه
[199] - عزيز كالإسلام، محبوب كالعقل،

ز زهره بزم وز بهرام قوت اندر رزم   ز تير در همه علمى ضمير روشن بين
زماه سير شبانروزى وزكيوان خشم   ز مهر طلعت واز اورمزد راى رزين
(١) بنوك كلك جهانى ببخشد اندر صدر   بشيب مقرعه ملكى بگيرد اندر زين
(٢) خيال ماه مرا بس بوصل راهنماى   وزير شاه مرا بس بعقل راهنمون
مجير دولت پيروز روز ملك افروز   عميد شه نيك بخت روز افزون
وزير عادل أبو الفتح بن حسين كه هست   دل منور أو عقل وعلم را قانون

مناسبٌ كالشباب ، ضروريٌ لازم كالحياه
ـ سعيدٌ ذلك الملك الذي له عميد مثلك
سعيد ذلك الملك الذي له وزير مثلك . . عظيم الجاه[١]

***

ـ كنت في الكتابة لدى السلطان السابق بلا شبيه ،
والآن ، أنت في وزارة ابن السلطان بلا نظير . .
ـ ناصر الدين الذي يحظى في وجودك بالنصر ،
ولا عجب، ما دام قد اتخذ من مثلك المعين والمشير .
ـ لو كان لمستشار أردشير مالَكَ من فضل . .
لما تنازل أملم الروم أردشير[٢] .
ـ ولو كان في ملك سليمان شخص مثلك . .
لما استطاع الشيطان أن يجلس في قصره على السرير .
ـ منذ سقط شعاع همتّك على خراسان . .
تحرّرت من الظلم والأنين ، وباتت لا تشكو سوء المصير

---

(١) اى مبارك راى دستور اى مبارك پى وزير ملك خسرو را عميد ودولت او را مجير
هست رايت دلفروز وهست رويت دلگشاى
هست وصفت دلنواز وهست وصلت دلپذير
چون مسلماني عزيزي چون خرد دلبسته اى
چون جوانى در خورى چون زندگانى ناگزير
فرّخ آن ملكى كه اورچوان تؤتى باشد عميد
خرّم آن شاهى كه وى راچون تؤتى باشد وزير

(٢) الشاعر هنا لا يقصد أردشير بن بابك مؤسس الأسرة الساسانية فقد اشتهر بانتصاره على الإسكندر سفيروس Alexander Severus إمبراطور الروم ، وفتح بذلك نصيبين وحران عام ٢٣٧م ، وكان يشرك ابنه شابرو في الحكم وهو على درجة كبيرة من الفضل والدراية . كما أنه لا يقصد أردشير بن هرمز الذي يسمّيه العرب بالجميل (اردشير الثاني) فقد كانت له انتصاراته ورهبته . فهو إذاً يقصد أردشير بن شيرويه (أردشير الثالث الذي كان يحكم بإشراف مجلس الأعيان ويصرّف أموره خسرو فيروز) ، وقد قتل الأخير أردشير بالسم لتسهيل انتصار« شهربراز » حليف هرقل الرومي . أنظر : ٣٥٠٠ عام من عمر إيران للمترجم ، ص١٦١ ، ١٧٣ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ .

- صارت أحجارها عقيقاً ، وأشواكها ياسمينا ،
وماؤها ماء ورد ، وترابها كالعبير .
- لقد فعل الإنصاف بتلك الولاية . .
ما فعله قميص يوسف بعين يعقوب الضرير[1] .

***

- ما دمت قد شهدَت سابقَ منزلتي لدى الشاه ،
فلن أطيل ، وسوف أختصر المقال .
- إن لي ظهراً صيرّته خدمة ملِكِك كالقوس ،
ولي قلب ينطلق في طريق حبك كالسهم عند القتال[2] .

---

(۱) در كتابت بودى اندر پيش سلطان بي همال
در وزارت پيش سلطان زاده هستى بي نظير
ناصر الدين * هست در نصرت بپيروزى مشار
وين ندانم بس عجب تاچون توئى دارد مشير
گرمشير اردشير اندر هنر بودى چوتو
سر بخط روميان كى بر نهادى اردشير
ور سليمان چون توئى را داشتى در ملك خويش
ديو روزى در سرايش كى نشستى بر سرير** ؟
تاشعاع همت تو بر خراسان أو فتاد
شد خراسان رسته از بيداد وفرياد ونفير
سنگ أو شد چون عقيق وخار اوشد چون سمن
آب اوشد چون گلاب وخاك أوشد چون عبير
كرد انصاف بجاى اين ولايت آنچه كرد
جامه يوسف بجاى چشم يعقوب ضرير

*يعني الملك سنجر
**لم يرد البيت على صورته هذه في النسخة الخطية ولا في الديوان المطبوع وإنما ورد بيت له نفس المضمون في قصيدة أخرى .
ور سليمان چون تو دستور مميز داشتى ديوكى بردى زدستش خاتم وتاج وسرير
(۲) چون بپيش شاه ماضي حرمت من ديده اى
باتو در تعريف حرمت قصّه را كردم قصير
پيش شاه تو بخدمت پشت را دارم كمان
باتو در مهر ووفا دارى دلى دارم چوتير

وتؤكد أشعار المعزى هذه صراحة أن كيا أبا الفتح مجير الدولة علي بن الحسين الأردستاني الذي كان يمارس الكتابة لدى السلطان ملكشاه، قد نال منصب العمادة في خراسان ، وأصبح وزيراً لسنجر إبان الفتنة التي اجتاحت تلك الديار . . وكان عضد الدولة ناصر الدين سنجر آنذاك ملكا . هذا وقد تمكّن أبو الفتح من إخماد الفتنة .

ويقول أبو الحسن البيهقي أثناء حديثه عن علي بن أحمد الصوابي العزيزي[١] :

« وكان الحكيم على الصوابي متكلماً وشاعراً ، وأشعاره الفارسية معروفة مشهورة. وكان هذا الإمام وحيد عصره، محترما لدى الوزراء والكبراء ، تساعده ثروتُه ويسانده يسارُه . وديوان شعره مجلّد ضخم ، كما أن له كثيراً من المؤلفات ، منها : صيقل الألباب ، وكتاب القوامع واللوامع في علم الأصول ، وكتاب التنقيح في أصول الفقه (في أربع مجلدات) ، وكتاب نفثة المصدور ، وكتاب أعلاق الملوين وأخلاق الأخوين ، وتفسير كتاب الله تعالى . وقد ملأت أشعاره العالم وغصّت بها الكتب . ومن أشعاره على البديهة ما قاله في عزل مجير الملك أبي الفتح علي بن الحسين الأردستاني ، وتنصيب الصاحب الأجل فخر الملك المظفر بن نظام الملك رحمهما الله . . . وهو يوجِّه الخطاب هنا إلى فخر الملك : [200]

كميتك من ورده أفره ودارك من داره أنزه
وبيتك أشرف من بيته وجدّك من جدّه أنبه
ولكنما الصدر أولى به وأفعاله بالعلى أشبه
ودهر رماه بمكروهِهِ سَيَرميكَ بعدُ بما تكره[٢]

ويفهم من ذلك أنه كان يطلق عليه (مجير الملك) بالإضافة إلى لقب (مجير الدولة) الذي ورد في قصيدة للمعزى . كما يفهم أن فترة وزارته لم تطل ، فقد

(١) توفي في يوم الثلاثاء الثامن عشر من محرم عام ٥٤٤هـ .
(٢) تاريخ بيهق ، صورة لنسخة لندن ، ورقة 137 ؛ ص ٢٣٤ من طبعة بهمنيار .

عزله سنجر ونصب مكانه فخر الملك . ولما كان تنصيب الأخير ـ بناء على قول عماد الكاتب ـ في عام ٤٩٠هـ ، فإن فترة صدارة مجير الدولة لم تتجاوز بضعة أشهر ، ولكنه ـ على أي حال ـ كان يشغل منصب الوزارة (ربما رئاسة ديوان الطغراء) في ديوان سنجر حتى عام ٤٩٧هـ .

وبناء على ما ذكره صاحب تاريخ بيهق[١]، فإن الحكيم أبا العلاء حمزه بن علي المجيري الفريومدي الشاعر المشهور . . كان من خواصٍّ الوزير مجيد الدولة موضوع حديثنا وقد اقتبس تخلّصه من اسمه .

ومن أشعار مجيري هذا :

ـ لا تَشْكُ دوماً من دنياك   لا تُبدِ محنتَها لسواك

ـ دنياك مرحلة لنا ونحن فيها قافلة   والحسن والقبح معا مرحلة بالقافلة[٢]

وقد ذكر صاحب عقد العلى في كتابه الشاعرَ مجيري إلى جانب قوامي والغزى وغيرهما من الشعراء . ومما ذكره يستفاد أن هذا الشاعر كان يمتدح بعض عظماء كرمان ، ومن بينهم ناصر الدين مكرم بن العلاء الوزير المعرف . كما يستفاد أن الشاعر قوامي كان تلميذاً لمجيرى[٣]. ومما يذكر أن قوامى كان يختصّ بمدح قوام الدين أبي القاسم أنس آبادى الدرگزيني ، وزير العراق وخراسان . [201]

وفي عام ٤٩٧هـ ، قام السلطان سنجر بعزل كيا مجير الدولة الذي ظلّ في منصب رياسة ديوان الإنشاء والطغراء منذ تنصيب فخر الملك في منصب الصدارة (عام ٤٩٠هـ ، وفقا لقول عماد الكاتب) . وأراد سنجر قتله ، فمنعه برغش وأوصاه بالعفو عنه لقاء خدماته السابقة ، فاكتفى بنفيه إلى غزنين[٤] .

ولا توجد في يدنا معلومات تتعلق بحياة مجير الدولة غير ما ذكرنا .

---

(١) ورقة 151 a ص ٢٥٨ من المتن المطبوع .

دايم زجهان مباش باولوله اى   وزمحنت او مگوى باكس گله اى

كو مرحله ايست مادرو قافله اى   چه نيك وچه بد قافله را مرحله اى

(٣) تاريخ بيهق ، ورقة 152a ، ص ٢٥٨ من المتن المطبوع .

(١) إبن الأثير ، حوادث عام ٤٩٧هـ .

[202]

٢ ـ الخواجة الكبير نظام الدين قوام الملة والدولة فخر الملك أبو الفتح المظفر بن خواجه نظام الملك الطوسي (٤٣٤ ـ ٥٠٠هـ)

مُلك خسرو دارٌ له الدنيا قاعدة وأساس
وبغير القاعدة والأساس لا قوة للدار
ولا إحكام .
نسل الخواجه عقدٌ . . وهو واسطة
وبغير واسطة العقد . . لا عقد ولا
نظام .

المعزى*(١)

خواجه أبو الفتح المظفر فخر الملك ـ كما مرّ أثناء الحديث عن أخيه مؤيد الملك ـ هو أول أبناء خواجه نظام الملك وأرشدهم . ولد علم ٤٣٤هـ . فهو يكبر أخاه التالي عليه (مؤيد الملك) بعامين تقريبا . ومنذ شبابه وهو يلازم أباه الذي كان يعمل في الجهاز الحكومي في عهدي الأميرين : باجر وجغرى بيك (ما بين عامي ٤٤٤ و٤٥٢هـ) . ونحن لا نملك معلومات تتّصل بحياة فخر الدين أيام وزارة أبيه . ورغم أنه كان أرشد أبناء الخواجه فإن كتب التواريخ لم تُشر قط إلى هذا القسم من حياته . ولكن الأمر الذي لا شك فيه هو أن هذا الرجل ـ شأنه شأن

---

(١)

خانه است ملك خسرو ودنيا چو قاعده است
إلا بقاعده نشود خانه استوار
عقدى است نسل خواجه واو همچو واسطه
إلا بواسطة نشود عقد پايدار

معظم إخوته . كان يشغل منصبا في الديوان ، ويؤدي عملاً حكومياً من قبيل الإدارة وغيرها . وتؤيد هذه النقطة إشارات وردت ضمن أشعار المعزى ، كتلك التي وردت في مديحته التي قالها في حقّه أثناء وزارته لسنجر :

- نظام مجلس حفل نظام دين الرسول . .
  يزيده الربيعُ الجديد رسوما جديدة متنوّعة المظهر .
- قوام الشرع ، فخر الملك ، ابن النظام ، المظفّر . .
  الذي ينال بالظفر الفكر والصورة والجوهر .

[203]

- السيد الذي يفخر السلف به إلى آدم . .
  الفاضل الذي يمنح أعقابه الجاه إلى يوم المحشر[١] .

***

- يا من ترضى عنك في الخلد روح الخواجة الفقيد . .
  ذاك الذي عنصره رأس الملك . . . وأنت للرأس تاج يبهر .
- إن كانت الجواهر حلية الناس في الدنيا . .
  فأنت من تحلّ أخلاقُك الجوهر .
- سيد العظماء ومخدوم السادة . . .
  في دولة السلطان أو في مُلك المَلِك سنجر .
- أضفى شخصُك المبارك جاها وجلالا وهالة وعظمة . .
  على صدر العظمة والجلالة . . أربعين سنة وأكثر .
- امتدحك العقلاء بلطف الصورة والسيرة ،
  واختارك السادة لتمتّعك بحسن المخبر والمنظر .
- تأمّرت فكنت جمالَ هذا العمل . .
  ووزَرت فكنت بهذا المنصب أولى وأجدر .

---

(١) بيفزايد بهار نو بگوناگون نگار نو — نظام مجلس بزم نظام دين پيغمبر
قوام شرع فخر الملك فرزند نظام — مظفر كز ظفر دارد مزاج وصورت وجوهر
خداوندى كزو اسلاف رافخراست تا آدم — هنرمندى كزو اعقاب را جاه است تا محشر

ـ لا يناظرك يوم الحفل أحد في مجلسك . .

ولا يضارعك في موكبك أحد يوم الهول الأكبر.

ـ كتبتَ الطغراء والرسالة من الشرق للغرب تارة ،

وحملتَ الرايات من الغرب للشرق تارة أخرى ، وقدت العسكر .

ـ يضيق المكان بالخاقان أحيانا خوف غلمانك . .

ويسوَدُّ القصر أحياناً ـ بسبب سهام فرسانك ـ في وجه القيصر .

ـ قبَّل الشاب والمس تُّوقيعك في كل البقاع . .

وأخفى الكبير والصغير تشريفك البلاد ، كي لا يظهر[١] .

ويفهم من هذه الأبيات أن فخر الملك كان يشغل منصب الإمارة قبل أن يشغل منصب الوزارة لبركيارق وسنجر، وأنه كان يدوِّن الطغراء ويكتب الرسائل بين الشرق والغرب فترة من الزمن. ولكن لا يعلم يقينا . . في أي مكان كان ذلك ، وفي عهد مَنْ. وكل ما هو معروف انه كان يعيش في بلخ إلى ما بعد موت ملكشاه بعامين، أي إلى عام ٤٨٧ هـ تقريبا ، ويبدو أنه كان أميرا في بلخ، فلما استولى عليها الأمير قودن . . ولىّ وجهه شطر همدان [٢] . وحين قتل والد فخر الملك في غرب إيران عام ٤٨٥هـ ، كان فخر الملك يقيم في خراسان. وحين توفى ملكشاه وجلس بركيارق على العرش، توجّه فخر الملك الى أصفهان ليكون في خدمته. لكن [204]

---

(١) اياراضي زتو درخلد جان خواجه ماضي
اگركوهر بود پيرايه هر شخص دركيتى
خداوند بزرگانى ومخدوم خداوندان
چهل سال است تاصدر بزرگى وجلالت را
ستودندت خردمندان بلطف صورت وسيرت
اميرى كردى وبودى بدان كار اندرون زيبا
بروز بزم در مجلس نبودت هيجكس همتا
كه از مشرق سوى مغرب نوشتى طغرى ونامه
كه از بيم غلامانت تبه شد خانه برخاقان
جوان وپير بوسيدند توقيعت بهربقعه

نژاد أو سرملك است وآن سرا تونى افسر
توآن شخصي كه هست أخلاق تو پيرايه گوهر
چه اندر دولت سلطان چه در مُلك مِلِك سنجر
فزوده است ازمبارك شخص توجاه وجلال وفر
گزيدندت خداوندان بحسن مخبر ومنظر
وزيرى كردى وبودى بدان شغل اندرون درخور
بروز رزم در موكب نبودت هيچكس همير
كه از مغرب سوى مشرق كشيدى رايت ولشكر
كه از سهم سوارانت سيه شد قصر بر قيصر
بزرگ وخرد پوشيدند تشريفت بهر كشور

(٢) إبن الأثير ، حوادث عام ٤٩٠هـ . وفي البيت التالي يدعوه المعزى بأمير خراسان :

«نصر دول وزير ملل مير خراسان أصل ظفر وفتح أبو المظفر»

الأمير قماج ـ أحد أمراء محمود بن ملكشاه، وكان يدعى أحقيته بالسلطنة من بركيارق ـ قبض على فخر الملك قبل أن يلتقي ببركيارق، ونهب أمواله. وفرّ فخر الملك من وجه قماج وتوجَّه إلى همدان. وفي هذا الوقت أي في عام ٤٨٧هـ.. استولى تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان ـ عم بركيارق وأحد المطالبين بعرشه ـ على همدان. وكان تتش يبغي قتل فخر الملك بادىء الأمر مستندا إلى ولائه السابق لبركيارق، وإلى كون أخيه عز الملك حسين كان وزيراً للسلطان الجديد. لكنّ بعض الأمراء تشفَّعوا له، وحثّوا تتش على اختياره وزيراً له.. بحجة ميل الناس إلى أسرة نظام الملك. وأرسل تتش إلى الخليفة المستظهر ليجري خطبة السلطنة باسمه، فأجابه الخليفة إلى طلبه حين تمكَّن من هزيمة بركيارق في شوال من عام ٤٨٧هـ[١].

وظل فخر الملك في وزارة تتش حتى ١٧ صفر عام ٤٨٨هـ. وفي هذا التاريخ تمكَّن جنود بركيارق ووزيره الجديد مؤيد الملك ـ أحد إخوة فخر الملك من التغلُّب على تتش وهزيمته قرب الرى وقتْله. وعندها وقع فخر الملك في أسرهم، لكنهم أطلقوه[٢]، فأقام في الرى. وقَدِم بركيارق ومؤيد الملك إلى الرى بدورهما بعد أن أخمدا فتنة تتش.

بعد أن احتلّ مؤيد الملك كما ذكرنا في حديثنا عن مجد الملك القمى ـ منصب وزارة بركيارق في ذي الحجة من عام ٤٨٧هـ، وحلّ محل أخيه عز الملك، استدعى المستوفي مجد الملك القمي ـ الذي كان يعيش في عزلة بأصفهان ـ ليستعين به في الشؤون الوزارية، فوافق وقدم إليه. لكنّ فكرة نَيْل منصب الصدارة كانت تداعب خياله. وكان يرى أن الوصول إلى هدفه لن يتحقق بسهولة في وجود مؤيد الملك، لهذا تقرَّب من أعدائه ومنافسيه، وسيطر ضمن ما سيطر على قلب أم بركيارق ـ زبيدة خاتون ـ التي لم تكن على وفاق مع مؤيد الملك. ولما كان يعرف ما

---

(١) المرجع السابق، حوادث عام ٤٨٧هـ.
(٢) المرجع السابق، حوادث عام ٤٨٨هـ.

بين مؤيد الملك وأخيه فخر الملك من شقاق . . فقد شجَّع فخر الملك على أخذ منصب مؤيد الملك . وكان فخر الملك يكبرُ مؤيد الملك سناً ، وقد قَدِمَ إلى أصفهان في بداية سلطنة بركيارق بهدف الحصول على وزارة السلطان الجديد . وقد دبَّ النزاع بينه وبين أخيه - بناء على قول ابن الأثير - بسبب جواهر أبيهما .

[205] ولجأ فخر الملك إلى رشوة السلطان - مستعينا بمجد الملك القمي وزبيدة خاتون فحمل إليه الهدايا الكثيرة والآلات والعُدَد ، والخيام والسرادقات الأطلسية والأسلحة الجيدة ، والأحزمة المرصَّعة بالجواهر ، والخيول العربية المطهَّمة ، وطيور الصيد والذخيرة ، وبذلك حصل على الوزارة[1] . وقام بحبس أخيه مؤيد الملك كما ذكرنا .

ولم يذكر «أنوشروانُ بن خالد» فخرَ الملك بخير ، ولم يوجِّه في حقِّه كلمة طيّبة . . وهو الذي امتدح كفاءة مؤيد الملك ، وأثنى على أدبه ورجولته وشهامته . بل لقد صرَّح بأن فخر الملك كان يفتقر إلى الكفاءة والفضل ، عاريا عن حلية الأدب ، وليس له غير النسب . . ولذلك فإن مجد الملك القمي - رغم أنه كان يعمل تحت إمرته في رئاسة ديوان الاستيفاء - كان هو المسيطر الحقيقي على الصدارة ، وكان بمثابة الوزير الفعلي لبركيارق ، أما فخر الملك فكان بمثابة صورة لا معنى لها[2] .

وإبان فتنة أرسلان أرغو أخي ملكشاه (وكان قد استولى على خراسان فيما بين علم ٤٨٥ هـ والمحرم من علم ٤٩٠هـ ، أي ما يقرب من أربع سنوات . . واعتصر الأهالي في قبضة ظلمه وجبروته) لم يستطع بركيارق أن يفعل شيئا بالنسبة لخراسان نظراً لوجوده تحت رحمة مدعيي السلطنة في العراق . . أمثال أخيه محمد وعمّه تتش[3] . و في علم ٤٨٨هـ هُزِم عمُّه الآخر «بورى برس» الذي أرسله لمقاومة

---

(١) راحة الصدور ، ص ١٤٣ .

(٢) عماد الكاتب ، ص ٨٦ .

(٣) تاج الدولة تتش ، والي دمشق . ثار بالشام واحتل حلب عام ٤٨٧هـ = ١٠٩٤م وقتل العديد من أتباع بركيارق . وبعد أن هزم بركيارق وألجأه للفرار ، قتله مؤيد الملك - وزير بركيارق - عام ٤٨٨هـ = ١٠٩٥م . (المترجم) .

أرسلان أرغو . واستمرَّت فتنة خراسان حتى المحرم من علم ٤٩٠ هـ حين قُتِل أرسلان أرغو على يد أحد غلمانه(١) .

وفي هذا التاريخ ، أرسل بركيارق أخاه سنجر إلى خراسان وفي معيّته الأمير قماج أتابك سنجر، ووزيره أبو الفتح علي بن حسين مجير الدولة الأردستاني. وفي جمادى الأولى من نفس العام، لَحِق هو بهم وبرفقته وزيره فخر الملك، وحلاَّ بنيسابور.

وألقى المعزى قصيدة لدى وصولهما يفهم من مضمونها أن فخر الملك قد جاء إلى نيشابور ـ بعد قتل أرسلان أرغو بفترة قصيرة ـ بصفته وزيراً لبركيارق . أما المعزى فكان وقت قدوم السلطان وفخر الملك يقيم في خراسان ، بعد أن مات ملكشاه . وكان وقتها مهتماً بمدح أرسلان أرغو والأمير إسماعيل كيلكي والأمير داد حبشي .

وهذا بيت المطلع في قصيدة المعزى :

بگوش برمنه أي ترك زلف تافتـه سر مكن دلم زدو زلفين خويش تافتـه تر

[206] وهو يمتدح فيها فخر الملك ، ويشير إلى أحداث خراسان ، فيقول :

ـ ليتك ترسل رسولاً لقلبي المعنَّى،
بحق روحك التي هي أغلى من روحي والبصر .
ـ لأعلمه كيف يكون مديح صدرِ الوزراء . .
الوزيرِ ، حسنِ الطالع ، ذي الخطر .
ـ نظام دين الهدى ، فخر مُلك مَلِك الدنيا ،
فخر الأرومة ، كريم المحتد، مختار البشر .
ـ غياث الدولة أبو الفتح ، أصل النصر والفتح المظفّر ،
ومن به وبنورِه تضيىء عيونُ النصر والظفر .

---

(١) أنظر : ٣٥٠٠ عام من عمر إيران للمترجم، ص ٤٨ .

ـ الوزير ابن الوزير الذي ازدادت به قيمة الجواهر . .
كالذهب الأحمر ، أو عقد الجوهر .
ـ ما دامت الدنيا ، فليس كمثله أو مثل والده وزير . .
بل ولن ترى لهما نظيرا بين البشر .
ـ ثلاثة بفضل توقيعه تجد ثلاثة :
الدولة تجد الحشمة ، والورقة تجد الجمال ، والقلم يجد الخطر[1] .
ـ بعد موت ألب أرسلان ، كان يقال :
الإبن معز الدين ، والأب نظام الملك الأكبر .
ـ فإن يكن معز ونظام قد فارقا الدنيا . .
فقد بقي الأب « المظفر » ، والإبن « أبو المظفَّر » .
ـ ومن عظمة الخواجة المظفر وهيبته . .
يشرق الظفر مقترناً بعلم ركن دين الرسول المطهَّر[2] .

ويواصل حديثه فيقول :

ـ مولاي ، إن ما حدث في خراسان . .
قد أثار عجب الدنيا وأهلها ، وكان لهم تذكرة .

---

(1) اگر تو ياز فرستى دل گريخته را   بجان توكه زجان دارمش گرامى تر
زبهر آنكه بتعليم او توانم گفت   مديح صدو وزيران وزير نيك اختر
نظام دين هدى فخر ملك شاه جهان   كه افتخار تيار است وانتخاب بشر
غياث دولت أبو الفتح أصل نصرت وفتح   مظفر آنكه بدو روشن است چشم ظفر
وزير زاده وزيرى كه قيمت افزوده است   گهر بدو چوزر سرخ ياچو عقد گهر
نبود تاكه جهانست وهم نخواهد بود   چنو وچون پدر او يكى وزير دگر
سه چيز ازو كه توقيع يافتند سه چيز   دولت حشمت وكاغذ جمال وكلك خطر
(2) پيس ازگذشتن ألب أرسلان همى گفتند   معز دين پسر است ونظام مُلك پدر
اگر معز* ونظام ازجهان گسسته شدند   مظفر است پدر بو المظفر** است پسر
زفر خواجه مظفر ظفر همى تابد   برابر علم ركن دين*** پيغمبر
*يعنى معز الدين ملكشاه .
**كنية بركيارق .
***لقب بركيارق .

ـ لقد عجز القصاصون عن وصفه . . بعد أن فاق الحد ،
وتجاوزت مرارته حدود الصبر والطاقة والمقدرة .
ـ أربع سنوات مضت ، وأهل العالم يضعون أيديهم على رؤوسهم وصدورهم .
يرقبون القتل والغارة بعيون شاخصة ناظرة .
ـ بعدت جيوش الإنصاف ، وطُمِر العدل ،
واقتبس العدو عن السلب والظلم عاداتِه المنكرة .
ـ عمّت الفتنة الولاية مرادفة لسؤ سيرته ،
وسادت خراسانَ بسبب تصرفه وخطته شرورٌ مدبَّرة .
ـ فجاء القضاءُ وقضى على سيرته ،
وجاء القدرُ فأحبط تصرّفهَ وخطَّتَه الماكره .
ـ فأحاط بعرشه وخطه ودولته . .
ما أحاط هو به خراسان من قبل . . من ظلم وتعاسة وقوة قاهرة
ـ فسكب الدمع من عينه وأسقط الدرع عن أجله ،
فكأنما أسقط ترسه بحافة نهر أمواجه هادره .
ـ لو لم تكن المداراة والمداهنة حرفة الأفلاك . . [20
لاختفت في مدارها الأفلاكُ الجائرة.
ـ كم أحاط نفسه بالطلاسم ، واتّبع الحذر
فحلّ القضاءُ طلاسمَه ، ولم يغنه الحذر .
ـ لقد اشتعل الظلم اشتعال النار،
والنتيجة : هلاك الظالم في الدخان والشرر .
ـ حلّت النعمة والسرور والأمن والراحة والنفع ،
ومضت المحنة والعناء ، وزال الخوف والألم والضرر .
ـ عنايتك دليل سعادة الفلك ،
فانظر بعين العناية مرّة إلى البشر .
ـ الفلك ينظر إلى الخلق بعين السعادة . .

حين يقع منك على الخلق . . البصر .
- أنت جوهر ، وصلاح أهل العالم عَرَض . . .
فكيف يكتب الخلود للعَرَضَ إذا ما الجوهر اندثر ؟
- ينفصل الشخص عن أرض ملأَها الجنود . .
ما دام الجند قد انفصلوا عنها وهجرها العسكر.
- ودعاء خلق نيشابور لك بمثابة جنود . .
لا ينفصلون عن بعضهم في أي ساعة . . وإلى الأبد .
- وأنا الذي تحفظ عشيرتي أدعيتك عن ظهر قلب . .
كما تحفظ السورتين : (الحمد ، وقل هو الله أحد) .
- قد جفَّت شفتي بسبب فراقك ، ورطَّب لساني شكرك . .
بفضل ما أسبغته على من نِعَم في غيبتك . . وما كنت أَجِد .
- أخشى في مجلسك من التقصير . .
كما يخشى العصاة ذنوبهم يوم الدين .
- فاقبل عذرى الذي سقته لك ؛
فأنت الصدر ، قابل عذر الخاطئين[١] .

---

(١) خدايگانا كارى كه خراسان رفت … جهان وخلق جهان را عجايب است وعبر
زشرح آن همه گويندگان فرومانند … كه درگذشته زحدّ است وبرگذشته زمر
زبيم گشت وتاراج عالمي بودند … نهاده دست بسر برچهار سال* وبير

سپه كشي شده انصاف وعدل را سنگر … زغارت وستم آورده عادتى منكر
زكارنامهٔ او بود در ولايت شور … زبار نامهٔ أو بود در خراسان شر

قضا بيامد وآن كارنامه كرد هبا … قدر بيامد وآن برنامه كرد هدر
بديد زير وزبر تخت وبخت ودولت خويش … همان كه كرد خراسان بقهر زير وزير

ز ديده آب گشاد از اجل سپر بفكند … همان كه بر سر آب از هوس فكند سپر
اكر نبود مدارا وصلح پيشهٔ او … نهفته شد زمدارا سپهر زير مَدَر
بسى طلسم وحَذَر كرد خويش ساخته بود … شكسته گشت بدست قضا طلسم وحذر
ستم چو آتش افروخته است وهست اورا … هلاك مرد ستمكار دردرخان وشرر
رسيد نعمت وشادى وأمن وراحت ونفع … گذشت محنت وتيمار وخوف ورنج وضرر =

وفي نفس العام (٤٩٠هـ)[١] ، عزل بركيارق فخر الملك من الوزارة ، واختار مكانه المستوفى مجد الملك القمي الذي كان يتطلع دائماً إلى هذا المنصب ويسعى إليه . وإذا كان قد وضع فيه فخر الملك فقد فعل ذلك ليرتاح من منافسة رجل قدير كمؤيد الملك ، ويخُلي الطريق أمامه ويعبِّده لبلوغ هدفه .

ومن أشعار المعزى التي نظمها في مدح مجد الملك ، يبدو واضحا أنه نال الوزارة أثناء إخماد فتنة خراسان ، وأن هذا كان في علم ٤٩٠هـ . . الذي ذهب فيه بركيارق وسنجر معا إلى خراسان ، وكانت وزارته قبل ذلك ـ كما ذكرنا ـ في يد فخر الملك . وقد انزوى الأخير في نيشابور بعد عزله من وزارة بركيارق[٢] .

وفي قصيدة للمعزى مطلعها :

چنان خواهد شد ازخوبى جهان تاهفته* ديگر
كه گويى جنت الفردوس را بگشاد رضوان در

يقول الشاعر :

ـ الآن وقد اضطربت الدنيا اخترت البطالة والعزلة ؟

= عنايت تو دليلِ سعادت فلك است — يكى بچشم عنايت بسوى خلق نكر
فلك بچشم سعادت كند بخلق نكاه — چوتو بچشم عنايت كنى بخلق نظر
توجوهرى وصلاح جهانيان عرض است — عرض جكونه بود پايدار بى جوهر
از آن زمين كه براو لشكرى بود انبوه — نفر گسسته شود گسسته شد لشكر
دعاى خلق نشابور لشكريست ترا — كه نگسلدش همى ساعتى نفر زنفر
يكى منم كه دعاهاى تو عشيرت من — چو «قل هو الله والحمد» كرده اند ازبر
بنتعمت توكه در غيبت توداشته ام — لب از فراق تو خشك وزبان بشكر تو تر
بمجلس توز تقصير خويش ترسانم — چه عاصيان زنهيب گناه در محشر
مرا بيرور وعذرى كه گفته ام بپذير — كه صدر عذر پذيرى تو ورهى پرور**

*يعني أرسلان أرغو الذي استولى على خراسان مدة أربع سنوات .

**هنا يشير المعزى بالتأكيد إلى المدة التي كان يمتدح فيها أرسلان أرغو ، ويريد بذلك أن يلتحق بخدمة فخر الملك بعد أن قتل ممدوحه ، كما يرجوه أن يقبل عذره عن تقصيره في الماضي . . . وهذا عين ما حدث .

(١) كان ذلك على ما يبدو في نفس الفترة التي مكثها بركيارق بخراسان .

(٢) إبن الأثير ، حوادث عام ٥٠٠هـ .

فالبطالة أفضل من القيل والقال ، والعزلة أفضل من الفتنة والشر .

- والسلامة أفضل طريق ولا شك ما دام الفلك يبدى غدره

والبطالة تفضل كل أمر . . إذا مكر النجم وعزَّ المفر .

- والدنيا أشبه بمريض يخرج من أزمة . .

علاجها الروية والحكمة ، وقد تجد في الانسلاخ عنها ما يَسرُّ[١]

ثم يقول معتذرا عن تقصيره :

- سيدي ، إن أكن قد أفرطت في التقصير ،

فأرجو أن تصدِّق ما سأقدمه لك من اعتذار .

- ما أكثر ما نعتُّني بالوفاء ولطف المعشر ،

فلا تصمني بالجحود وسؤ المعشر . . ففي تقصيري لم يترك لي الخيار .

- معاذ الله أن ينقض العهد مدّاح قديم . .

له ممدوح مثلك . . أديب بليغ جيد الأشعار .

[209] - ومهما نجم عن تقصيري من زلاّت . .

أرجو أن تحادثني وترأف بي . . وسأقدم لك كل الخدمات .

- وشفيعي في مجلس هذا . . معين الملك وشعري . .

وأظنني في غير حاجة لغيرهما . . لتمَّحى الهفوات[٢].

(١) كنون كاشفته شد گيتي گزيدي عزلت وعطلت
که عطلت به زقال وعزلت به زشور وشر
سلامت به بهر حالى چو غدّاري كند گَردون
فراغت به زهر كارى چو مكّارى كند اختر
جهان مانند بيماريست كز بحران برون آيد
علاجش كن بانديشه مگر لختى شود بهتر .

(٢) خداونـــدا اگر كردم بـى تقصير بگويم عذر آن تقصير اگرداری مرا باور
نكو عهـــد ونـــكو محضر مرا بسيار خواندستى
بتقصيري كه كردستم مخوان بد عهد وبد محضر
معـــاذ الله كه بد عهـدى كنـــد ديرينـــه مداحى
كه دارد چون تو ممدوحـــى سخنـــدان وسخـــن گستر
بتقصـــير انـــدرون هرچنـــد دارم زلـــت بيحد
زبـــان بگشـــاى ودل خوش كن كه دارم خدمتـــى بيمر =

وبعد عُزلة وعطلة قصيرتين في نيشابور ، أسند سنجر وزارته لفخر الملك بعد أن كانت في علم ٤٩٠هـ نفسه في يد كيا أبي الفتح علي بن الحسين الأردستاني . وظل فخر الملك في وزارة سنجر من علم ٤٩٠هـ حتى عاشوراء من علم ٥٠٠هـ ، أي ما يقرب من العشرة سنوات[1]. وبهذا يكون فخر الملك بن خواجه نظام الملك هو ثاني وزراء سنجر .

ومما ورد في أشعار المعزى يتضح أن عزل فخر الملك ـ في عهد بركيارق ـ عن الوزارة والشؤون الحكومية ، كان بتأثير أحد أعدائه ، فلما قضى على هذا العدو ـ الذي لا نعرف من هو ـ نال وزارة سنجر . ويبدو أن حياة فخر الملك قد تعرَّضت للخطر في تلك الفترة أو أثناء توليته وزارة سنجر .

وقد نظم المعزى قصيدة في مدح فخر الملك أيام عزلة ، قال فيها :

ـ إذا كانت تهنئة غيرى بالنثر مقبولة حلوة ،
فالمدح نظما من جانبي أشد حلاوة ، فمهنتي الشعر والنظم .
ـ والجدير بالتهنئة في دنيانا عن طريق النثر والشعر . .
نظام دين الرسول ، المظفرً حسن .
ـ قوام ملة الله وذكرى قوام ،
فخر ملك الدنيا وسيد الزمن .
ـ شجرة السرو المباركة في حديقة الدولة ،
صدر الملك الذي بساط وزارته خميلة وبستان[2].

= شفيع من معين الملك* وشعراست اندرين مجلس
نپندارم كه با اين دو، شفيعي بايدم ديگر

*سيأتي الحديث عنه بعد حديثنا عن فخر الملك مباشرة .

(١) عماد الكاتب ، ص ٢٦٥ .

(٢)

اگرچه تهنيت از ديگران بنثر نكوست	زمن بنظم نكوتر كه نظم كار من است
سزاى تهنيت اندرجهان بنظم وبنثر	نظام دين پيمبر مظفر حسن است
قوام ملت يزدان ويادگار قوام	كه فخر ملك زمين است وسيد زمن است
يكى مبارك سرو است باغ دولت را	كه صدر ملك وبساط وزارتش چمن است

- إن يكن جمال طلعته في نيشابور ، فحجاب عزّته في الحجاز واليمن .
- إن يكن نسيم حضرته في خراسان ، فمراسيم دولته في طراز وختن .
[210] - لو عُرِض خطابه على الفلك ، لمحا كل ما على الأرض من محِن .
- إن يكن الآن قد هجر شغل الملوك ، فهو مسرور بعزلته قانع بعطاء الزمن(١) .

***

- كما ترتبط الحشمة بالوزير الكبير ، يأسر حبه قلب الصغير والكبير(٢)

ويقول المعزى حول بلوغه منصب الوزارة لسنجر :

- منح الله الدولة والدين العظمة والبهاء ،
ومنح ملك الملك النظام والنور والسناء .
- منح الله الدنيا قاعدة جديدة ،
وجعل الحق في كف من يقرُّه ، والجدارة في يد الأكفاء .
- وكما حظى المَلِك بمُلك أبيه . .
أعطى مكان الأب لفخر المُلك . . وأجزل له العطاء .
- وارتفع قدر الوزارة عندما . .
منح ملك الشرق صدر الوزارة لسيد الوزراء .
- أكرم بهذه الإشارة المباركة الصادرة عن القدر ،
وأنعم بهذه البشارة الملكية التي بشرًّ بها القضاء .
- افتخر الدهر بهذا ، وحظى الملك بالشرف ،
حكم الملك بهذا ، وأظهر الخواجة الرضاء .

---

(١) جمال طلعت او گرچه در نشابوراست — حجاب عزت أو در حجاز ودريمن است
نسيم حضرت او گرچه در خراسان است — طراز دولت أو در طراز ودرختن است
اگرنوشته او برسپهر عرضه كنند — سپهر محوكند هرچه بر زمين محن است
اگرچه نيست كنون درميان شغل ملوك — نشسته شاد بحكم ومراد خويشتن است

(٢) چو حشمت گهر خواجه يزرگ بدوست — بمهر اودل خرد وبزرگ مرتهن است

ـ أعطت منزلة الخواجة للحضرة الملكية . .

ما أعطاه نسيم ريح الصبا للعالم من رواء .

ـ حين غرس الخواجة بذرة الفضل في حديقة الملك ،

أسلم رأس عدوه للعشب فترة ، لامراء .

ـ وأضاءت الدنيا بنور ضميره ،

فضميره يمنح ـ كالشمس ـ الضياء .

ـ لا ندري كيف نزجي الشكر لمثل هذا الصاحب الذي خصّنا الحظُّ به ،

ولا ندري كيف يكون الوفاء .

ـ فافخروا يا أهل الدنيا فإن ربكم قد منح مليككم . .

صدرَ الدنيا ، وسيِّدَ الوزراء .

ـ سيد الملوك ، مولانا الذي منح الأرض الحياة والنماء . .

بما وهبها من ماء وهواء .

ـ منح الماء والهواء لراحة العباد ،

ومنح الأرواح من قلبك وطبعك الضياء والصفاء .

ـ ومنح الفلك على يديك الحب والوفاء ،

ليتعهَّد لك الفلك بالحب والوفاء .

ـ ولكي تحيط الأرض علما بخير وزارتك . .

مُنِح رأيُك السموَّ من السماء .

ـ مذ وضعتَ قدمك في ركاب الوزارة ،

أسلم الدهر ليد العدو عنان العناء .

ـ أخطأ الفلك إلا معك . .

حين منح الوزارة لأناس بعد أبيك ، والفلك خطّاء .

[211] ـ إذا كان المسيحُ قد منح الروحَ للميت بالدعاء ،

والكليم قد سحق بعصاه الأعداء . .

ـ إصنع بقلمك كلَّ ما فعله بعصاه ،

وامنح بكرمك كلٌ ما منحه بالدعاء .

- إعدل في دنياك ، فإن خالق العالم . .

قد منح أباك لعدله . . في الخلد . . الضياء .

- لقد كان نصيبك من المشترى السلامة . .

أما نصيب عدوّك من زحل فهو البلاء .

- ليمنحك الله السعادة طوال بقائك في الدنيا .

فسعادتك تمنح الدنيا البقاء .

- حين جاءك عبدك المعزى بجواهره ،

اشترى جودُك جواهرَه وأجزلَ العطاء[1] .

---

(1) دولت ودين را خداى فرو بها داد — ملك ملك را نظام ونور ونواداد
قاعده* نو نهاد كار جهان را — حق بكف حق ورسزا بسزا داد
ملك پدر چون ملك زبخت عطا يافت — جاى پدر فخر الملك را بعطا داد
قدر وزارت فروز چون ملك شرق — صدر وزارت به سيد الوزرا داد
اينت مبارك اشارتى كه قدر كرد — وينت همايون بشارتى كه قضا داد
دهر بدين فخر كرد وملك شرف يافت — شاه بدين حكم كرد وخواجه رضا داد
مرتبه وفخر خواجه داد بحضرت — آنچه بعالم نسيم باد صبا داد
خواجه چودر باغ ملك تخم هنركشت — دشمن اورا زمانه سر بگيا داد
گشت منور همه جهان بضميرش — زانكه ضميرش چو افتاب ضيا داد
هيج ندانيم تا چگونه گراريم — شكر چنين صاحبى كه بخت بماداد
فخر كنيد اى جهانيان كه جهاندار — صدر جهان را بپاد شاه شها داد
بار خدايا خداى ماكه زمين را — تازگى وزندگى باب وهوا داد
آب وهوا را زبهر راحت وارواح — ازدل وطبع توروشنى وصفا داد
تاكه فلك باتو دست عهد وفا برد — چرخ بدست تو مهر ووفا داد
تاكه زمين از وزارت تو خبر يافت — راى تو اندر سمو خير زسها داد
تاشده پاى تو در ركاب وزارت — دهر بدست عدو عنان عنا داد*
دور فلك جز بتوپس از پدر تو — خط وزارت بهركه داد خطا داد*

*يبدو أن إشارات المعزى الى عدو فخر الملك في قوله :

دور فلك جزبتو پس از پدر تو — خط وزارت بهركه داد خطا داد

يقصد بها كيا مجير الدولة أبا الفتح علي بن حسين الأردستاني ، أول وزراء سنجر فقد حل فخر الملك محله . . لكنا لا نعرف من هو العدو الذي كان قد قتل . =

وفي قصيدة أخرى مطلعها :

مبارك آمد بازى بديع وطرفه شكار   از آشيانهٔ شرع محمد مختار

يقول المعزى فيما يتعلق بوزارة فخر الملك الجديدة :

- قوام الدولة العالي ، نظام دين الهدى ،
فخر ملك الملوك وشمس الأسرة الفاضل .
- دليل الدولة السعيدة ، والنجم المنصور ،
عنوان راحة الخلق ورحمة الخالق العادل .
- المظفر حسن . . الصاحب الذي يقف اليوم ببابه . .
ألف تابع من أمثال أحمد حسن ، ويخدمه ألف عامل .
- كما كان للدولة نظام الملك مشيرا . .
صار فخر الملك مشارا . . . بفضل الحظ والإقبال .
- ليدم النظام لينال فخرٌ مكانه ،
ولتنضر الشجرة حتى تؤتى ثمرتها وتتحقق الآمال[1] .

***

= گر بدُعا جان بمرده داد مسيحا   مالش خصم كليم اگر بعصا داد
تو بقلم كن هر آنچه او بعصا كرد   تو بكرم ده هر آنچه او بدعا داد
عدل كن اندر جهان كه خالق عالم   بر پدرت عدل را بخلد ضيا داد
بهرهٔ تو مشترى داد سلامت   زانكه زحل بهرهٔ عدوت بلا داد
باد بقاى تودرجهان سعادت   زانكه جهان را سعادت تو بقاداد
بنده معزى چوپيش تو گهر آورد   گوهر او جود تو خريد وبها داد

(١) قوام دولت عالى نظام دين هدى   كه فخر ملك ملوكست وآفتاب تبار
دغيل دولت سعد است واختر پيروز   نشان راحت خلق است ورحمت دادار
مظفر حسن آن صاحبى كه بر در او   چو احمد حسن امروز جاكر است هزار
چنانكه بود بدولت نظام ملك مشير   كنون شده است باقبال فخر ملك مشار
نظام زنده بود بجاى باشد فخر   درخت تازه بود تابجاى باشد بار

ـ لا يتقرَّب إليه عَبثاً . . ملك الملوك ،
والأمير الأجلّ ، والسپهسالار .
ـ فهو فارس جواد الحظ ، يقوده إلى مولاه . .
وإجابة مولاه تَعْدِل عشرة آلاف فارس مغوار .(١) .
ـ حظى أبوك برضا الله وتأييد الحظ وإعزاز الملوك ، فارتضى الثلاثة وطرب لها .
ـ واليوم ملَكْتَها وزدت عليها . . فباتت لك أربع ميزات لا ثلاث كان يفخر بها .
ـ لقد سافرت الوزارة بعيداً عنك مدة ، وطافت كثيراً حول الدنيا وأهلها .
ـ فلما اقتنعت بأنها لم تر أفضل منك جليسا . . استقرت بجوارك ، وطال مكثُها(٢).

[212] ـ كل عدو أفلت من سنانك وعنه ابتعد . .
قد بعد حقا . . ولكن عن سيده ومولاه .
ـ وكل من تجرّع شراب عداوتك وانتقامك . .
مزّق الخمار عن أجله وفقد الحياة(٣).

***

ـ مهما طال عمر عدوك كالثعبان والنسر ، سيقتل كما يقتلان بالسهم والحجر.

---

(١) نه از گزاف تقرب همی کنند بدو ـ شه ملوك وأمير أجل وسپهسالار
سوار مرکب بخت است تاخداوند است ـ خطاب او زخداوند ده هزار سوار

(٢) رضای ایزد وتأیید بخت وعز ملوك ـ پدرت داشت وزین هرسه بود بر خوردار
تو داری این همه وبرتری توازپدرت ـ سه فخر بود مراو را کنون تراست چهار
وزارت از بر تومدتی گرفت سفر ـ بگشت گرد جهان وجهانیان بسیار
چو بهتر از توکسی همنشین خویش ندید ـ نشست باتو مقیم وگرفت باتو قرار

(٣) هر آن عدو که زبیکار تو بلندی جست ـ بلند گشت سر انجام لیکن أو سردار
کرا خمار گرفت أو شراب کینه تو ـ بعاقبت ز شراب اجل شکست خمار

ـ فحين ينطلق السهم الخاطف من قوسه، يبعد الحظ عنه ، ولا يغني الحذر .
ـ ويئنٌ من تخلّ الحظ عنه . . ولا عجب ، فعندما ينطلق السهم من القوس يئن الوتر .
ـ لقد نصب أعداؤك الشباك مئات المرات ،
فكانوا صيد شباكك كل مرة . . لا مفرّ .
ـ فقلبك المتوكّل على الله في غنى عن قارىء الطالع والمنجم . . .
وفي غنى عن مفسر الأحلام . . كـي يعرف أين يكمن الخطر[1] .
ـ الشكر لله أن انقشع الغمام ، فأسفر عن البدر رائد أسرة النظام .
ـ صدر تخدم رؤوس الكفاة قدمه ، أمير تعشق يده شفاه الكرام .
ـ ابن الوزير الذي صار بإقباله وكرمه، واسطة العقد . . يلمع اسمه على الدوام .
ـ اللازم لزينة الشعب. . . فخر الملك ، نصير الدولة المبارك . . أبـو الفتـح بن قوام[2].

***

ـ إن يكن كل أمير قد أقام شهرته على الفتح والظفر . .
فإن كنيتك الفتح، واسمك الظفر[3].

---

(١) چومـار وكركس اگر دشمـن تومانـد دير — بتير وسنـگ شود گشته همچـو كركس ومار
چنـان كجـا ز كمان تـير تيز أو بجهد — بجسـت بخـت زخصـم تو در ميانـهٔ كار
زهجـر بخـت بنـاليد زار واين نه عجب — بلى چو تـير ببـرد كمان بنالـد زار
مخالفـان توصـد بار دام گسـتردند — شدنـد صيد تودر دام خويشتـن هربار
دل توكل توبـى نياز داشـت از آن — زفـال گوى وزاختـر شنـاس وخـواب گزار

(٢) منـت خداى راكه برون آمـد زغمام — بـدرى كه هسـت پيشرو دودهٔ نظام
صدرى كه هسـت خادم پايش سركفات — مـيرى كه هسـت عاشـق دسـتش لب كرام
دسـتور زاده اى كه باقبـال ومكرمت — چـون واسطـه زعقـد همـى تابـد از نام
شايسـتـه زين ملـت وبايسـتـه فخـر ملك — فرخنـده نصر دولـت ابـو الفتـح بن قوام

(٣) گرنـام گيرد از ظفـر وفتـح هرامير — اينـك ترا زفتـح وظفـر كنيتسـت ونام

ــ إن لم تكن روح الناس مستودعاً لحبّك ،
فلأن حبّك ينفذ من المسام .
ـ لقد انصلحت قلوب الخاصة والعامة بفضل عظمتك . .
بعد أن تحطَّم قلب الخاص والعام .
ـ مذ بات نسيم وصلك حلالا لأجسامنا،
صارت نار فراقك على أرواحنا حرام .
ـ رحل سيِّد الوزراء عنا وبقيت أنت ،
وإنّا على من رحل لمحزونون ، وإنّا ليفرحنا من أقام .
ـ ما أكثر الصيد الذي وقع على اختلاف ألوانه في فخ الحمام . .
إلاّ أن صيدا كسيد الوزراء لم يقع في فخ الحمام .
ـ واكب النظمُ في دنيانا عمرَ نظام الملك وحياته . .
وذهب نظامُ الملك . . حاملا معه النظام .
ـ طالما أدى القلم في كفِّه ما يؤديه الحسام ،
والملك دون قلمه الآن ـ بلا حسام.
ـ مذ أسكرت خمر وفاته الزمن ،
صار الزمن كالناقة السريعة . . . بلا زمام .
[213] ـ لقد استلّ الفلك من غمد الفتنة سيفا . .
عندما خرج من الغمد مائة ألف حسام .
ـ مذ فُصِلت شرّابة السوط ،
واضطربت بذرة الدنيا بعد سكونها التام . .
ـ استأسد من كان يجفل كالوعل ،
وصار صقرا من كان وادعا وداعة الحمام .
ـ واغبرَّ لون يوم أناس كانوا قبل ذلك . .
يصبغون خناجرهم باللون الأحمر من دم مضيِّعي الحق بين الأنام[1] .

(١) گرجان خلق خازن مهر تونيتى حقا كه آمدى همه مهر تو از مسام =

ويكمل المعزي قائلاً :

- وأعجزهم الزمان فترة وأوهن عزيمتهم ،
وجعلهم أسرى الجزاء والانتقام .
- وإن العبارة لتقصر عن وصف هذه العجائب ،
وتعجز عن شرح تلك العبر ، شأنها شأن الكلام .
- إنها أحداث وقعت في اليقظة ، يا للعجب ،
وقد كان من المحال وقوعها في المنام .
- يا محبّ الخير ، يا عظيم ، يا كريم ، يا طيّب القول . .
أيها الأمير البشوش ، الملكي النسب ، الهمام .
- لقد جئتنا في عصمة الله . .
ليعتصم عبيد الله بحبك . . حقّ الاعتصام .
- لتقيم بالهدي شرعا يخلو من الضلال ،
ولتغمر الملك بالضياء ، فينحسر عنه الظلام .
- ولتضفى همتّك على الأفعال القبيحة حُسنا ،
وتمنح دولتك الأعمالَ الفجة النضجَ والانسجام .
- من عظمتك . . تأخذ الأعمال رونقها وبهاءها ،

= دلهای خاص وعام بفرتو شد درست ... زان پس که بود کوفته دلهای خاص وعام
تاشد نسيم وصل توبر جسم ما حلال ... شد آتش فراق تو برجان ما حرام
رفته است سيِّد الوزرا وتو مانده اى ... از رفته ايم غمگين وز مانده شاد كام
آمد بسى بدام اجل صيد گونه گون ... صيدى چو سيد الوزرا نامدش بدام
اندرجهان نظام زعمر نظام بود ... رفت از جهان نظام وببرد ازجهان نظام
كار حسان كرد همى دركفش قلم ... واكنون شده است بى قلمش ملك بي حسام
تامست كرد خمر وفاتش زمانه را ... گوئى زمانه همچو هيونيست بي زمام
چرخ از نيام فتنه يكى تيغ بر كشيد ... تاصد هزار تيغ برون آمد از نيام
تاشيب تازيانه رايض گسسته گشت ... آشفته گشت وگشت جهانى كه بود رام
شيرى شد آنكه بود گريزنده چون گوزن ... بازى شد آنكه بود گريزنده چون حمام
شد تيره فام روز گروهى كز ابتدا ... خنجر بخون ناحق كردند لعل فام

وبهمَّتك . . تجد سائرُ الأمور الكمالَ والتمام[1].

ويقول المعزى أيضاً:

- يلزم الرجلَ الحِلمُ ليتحلىّ عمله بالنظام
ويلزمه الصبرُ ليرى الصديق مكان العدو. . قد أقام.
- كان الصبر والحلم شيمتى أيوب وإبراهيم ،
وبالصبر والحلم ذاعت شهرتهما بين الأنام.
- وقد شاء الله أن يمنح الخواجة كأيوب وإبراهيم . .
الصبرَ الكاملَ، والحلمَ التام.
- ليحوّل بصبره العدوَّ إلى صديق،
ويمنح الملك والدين بحِلمه النظام.
- إن شئون الملك والدين اليوم في يد وزير بالوزارة جدير،
هو الوزير ابن الوزير، الهمام ابن الهمام.
- هو النظام لدين الله والأب لمَلِك إيران. ،
للملك فخر، للدنيا صدر، للدولة نظام.
- ظِل الإقبال والحظ وأصل الفتح والظفر. .
بشكله وسيرته وكنيته واسمه . . يتحقق الهدف والمرام[2] .

---

(١)

ازدسـت روزگار ببردنـد مدتى	ديدنـد سـت برده مكافـات وانتقام
از وصف اين عجـايب وازشرح اين عبر	عاجـز بوَد عبـارت وقـاصر بوَد كلام
اين حالهـا كه رفـت بپيد ارى اى عجب	گوئـى چو نومهـاى محـال اسـت درمنام
اى نيكخـواه مهتـر ونيكو سخـن كريم	فـرخ لقـا امـير وهمايون نسـب همام
در عصمـت خداى بدينجانـب آمدى	تـا بنـدگان كننـد بحبـل تو اعتصام
تا شرع راكنـى بهـدى صافى از ضلال	تـاملك راكنـى بضيا خالى از ظلام
تاهمـت تو خوب كنـد فعلهـاى زشت	تـا دولـت تو پختـه كنـد كارهـاى خام
گيرد بدولـت توهمـه كارهـا نسق	گردد بهمـت توهمـه كارهـا تمام

(٢)

حلـم بايد مرد را تاكار او گيرد نظام	صبـر بايد تا ببيند دوسـت دشمـن رابكام =

- يا من أنت شمس خراسان والعراق قاطبة،
ومخدوم الفضلاء عن جدارة واستحقاق، وسيِّدُ الكرام[1]

[214] - حين وضع ملك الشرق قدمه في الركاب قاصداً جيحون . .
كانت يد عزمك لجواد توفيقه . . اللجام .
- وكان الوهق كالثعبان الملتفّ في يد الصيادين . . أحيانا ،
وكالطائر المحلّق - أحيانا - تبدو في يد المحاربين السهلم .
- لازمَ رأيُك رايةَ مَلِكَ العجم . .
هذه تهزُّها الأتباع ، وذاك يخدمه الملوك العظام .
- انتصر المَلِكُ على عدوِّه انتصار الرعد على الصقر ،
وخضع العدوُّ للمَلِك كما يخضع للصقر الحَمام .
- لقد فتح ملك الشرق توران بفضل تدبيرك ،
وبفضله سيفتح أيضا بلاد الروم والشام .
- ما دام في صدر الوزارة وزير مثلك ،
فان قدم الملك ستكون في ركاب الفتح على الدوام[2] .

= عادت ايوب وابراهيم صبر وحلم بود   شد بصير وحلم بيدا نام ايشان از انام
صنع يزدان همچنان كايوب وابراهيم را   خواجه را داده است صبرى كامل وحلمى تمام
تا بصيرش دوست از دشمن همي آيد پديد   تا بحلمش كار ملك ودين همى گيرد نظام
كارهاى ملك ودين دردست دستورى سزاست   كو وزير بن الوزير است وهمام بن الهمام
دين يزدان را نظام وشاه ايران را پدر   ملك را فخر وجهان را صدر ودولت را نظام
سايهٔ اقبال وبخت ومايهٔ فتح وظفر   هم بصورت هم بسيرت هم بكنيت هم بنام

(١)
أي على الإطلاق خورشيد خراسان وعراق   اى باستحقاق مخدوم وخداوند كرام
(٢) چون بجيحون شاه مشرق پاى كرد اندر ركاب
كرد دست عزم تو براسب كام او لگام =

- العالم المضطرب الجامح جموح ناقة بلا زمام . .

صار بفضل حكمك هادئا بطيئا كحصان في فمه لجام .

- ساء أمر الدولة ، ووهن قيدها ،

وجفت حديقةُ الرحمة ، واصفرَّ غصنُ الحرمة ، وزال الاحترام .

- فمنحتَ الغصن خضرة والحديقة نضرة ،

وقويَّت القيد ، وأنضجت الفجّ والخام .

- فظهرت في الولاية الرحمة وشاع الإنصاف والعدل ،

وبدت في الشريعة الحرمة والعهد والدوام .

- وبات العقل والكرم أساس كل عمل . .

وزال جهلُ الجهلاء وبخل البخلاء اللئام .

- وهكذا عادت أمور المُلك والدين . .

إلى ما كانت عليه في عهد السلطان وفي عهد نظام . .

- كل من بمملكة سنجر يسرهم عملك . .

وسيظل سرورهم إلى يوم القيامة . . ويغمر دار السلام .

- يا مبارك الرأي ، يا من بسبب أوصافك . .

= گه بدست جوگيان* چو مار بيچان شد كمند
گه زدست جنگيان چون مرغ پران شد سهام

راى تو بارايت شاه عجم پيوسته گشت
تا تكينانش رهى گشتند وخانانش غلام

شاه بردشمن مظفر شد چو برشاهين تندرو
شاه را دشمن مسخر شد چون شاهين را حمام

فتح توران خسرو مشرق بتدبير توكرد
هم بتدبير تو خواهد كرد فتح روم وشام**

تاكه در صدر وزارت چون تودستورى بود
پاى خسرو بر ركاب فتح باشد بر دوام

* وردت الكلمة في النسخة الأصلية (جوگيان) ، ويبدو أن صحتها (جرگيان) بمعنى (شكارچيان = الصّيادون) ، وهي مشتقةٌ من الكلمة التركية (چركه) ومعناها الصيد ,

** يبدو أنها إشارة إلى فتح سمرقند وما وراء النهر على يد بركيارق وسنجر ، في عام ٤٩٥هـ . (إبن الأثير ، حوادث عام ٤٩٥هـ) .

يبدو المدح في نظر الممدوحين مجرد كلام في كلام .

[215] ـ كنت وأنا عبد في خدمتك . . ذا مكانة كالخواص . .

فلما بعدت عن خدمتك فقدت مكانتي كالعوام .

ـ إن يكن في البعد عن الخدمة كبير لذة . .

فأنا لا أستوجب في هذه الدولة العيب ، ولا أستحق الملام .

ـ لقد أبقيت نفسي بعيدا بعض الوقت ،

لأني رأيت نهار همومك يقترب من المساء على الدوام

ـ وكم رجوت أن يزول هذا الظلام من حياتك ،

وأن يخلق نورُ رأيك دنيا بلا ظلام(1) .

---

(1) زير حكم تو چواسبى بالگام آهسته شد
عالمى آشفته مانند هيوني بي لگام
كار دولت خام بود وبند دولت بودسست
باغ رحمت خشك بود وشاخ حرمت زرد قام
سبز كردى شاخ زرد وتازه كردى باغ خشك
سخت كردى بندسست وپخته كردى كار خام
گشت ظاهر در ولايت رحمت وانصاف عدل
گشت پيدا در شريعت حرمت وعهد ودوام
اصل هر كارى كنون بسته است بر عقل وكرم
جهل جهال ازميان بيرون شد ولوم لئام
همچنان شد كارهاى ملك ودين كز ابتدا
بود در عصر ملك سلطان ودر عهد نظام
ازملك سنجر ملك سلطان زتو صدر شهيد
تاقيامت شاد وخشنودند در دار السلام
اى مبارك راى ممدوحى كه از اوصاف تو
مادحانت را پديد آيد كلام اندر كلام
من رهى درخدمت تو باخطر بودم چو خاص
تاز خدمت دور ماندم بى خطر گشتم چو عام
گر ز خدمت دور ماندن لذتى باشد بزرگ
من بدين دولت نيم مستوجب عيب وملام
خويشتن را داشتم يك چند دور از بهر آنك
روز غمهاى ترا ديدم كه نزديك است شام

وليست في يدنا معلومات تتعلّق بفترة وزارة فخر الملك في دولة سنجر ، وهي الفترة التي يقول عماد الكاتب عنها أنها استمرّت عشر سنوات ، وانتهت في العاشر من المحرم علم ٥٠٠هـ .

ومن أهم الأحداث التي وقعت في هذه الفترة من عهد سنجر :

أولا : معركة بوزگان (٤٩٣هـ) بين سنجر من جهة والأمير داد حبشي وبركيارق والباطنية الذين في جيش الأمير إسماعيل الگيلكي من جهة أخرى . وانتصار سنجر وقتل الأمير حبشي وفرار بركيارق .

ثانيا : النزاع بين سنجر والإسماعيلية ، وهجومه على قلاعهم في قهستان ، خاصة في طبس ، في عامي ٤٩٤ و٤٩٧هـ . ومنحهم الأمان بشروط سنذكرها في آخر هذه الرسالة .

ثالثا : قتل قَدَر خان بن جبريل صاحب سمرقند الذي ثار على سنجر، وإحلال محمد بن أرسلان خان بن سليمان بن داود بُغراخان ـ ابن أخت سنجر ـ مكانه ، في علم ٤٩٥هـ .

وقد تدخّل فخر الملك ولا شك في هذه الأحداث . ولما كان بالإضافة إلى توليته الوزارة أميراً مبارزاً فإنه كان يحارب في معظم الأحيان في ركاب سنجر . ويشير المعزي إلى بعض هذه الحوادث في قوله :

ـ كما أن ناصر الدين هو ملك البلاد . .
فإن نظام دين الهدى هو الوزير المختار الأمين .
ـ إنّ صرح الدولة ليعلو وإن بناء المملكة ليزداد إحكاما . .
ما دام لهما هذا الملك وذاك الوزير ذو التمكين .
ـ لقد صار نظام الدين للملك خير دستور ،

= خواستم تا آن ظلام از روزگارت بگذرد .
نور راى تو پديد آرد جهان بى ظلام

كما كان لملكشاه . . قوامُ الدين .

ـ الإبن مع الإبن بدنيانا . . في وئام

والأب يساعد الأب في جنّات رب العالمين .

ـ يحقُّ للخواجة أن يمتلك محبرة وقلما . .

كما يمتلك الملك الحسام والخاتم والرأي الرصين .

ـ يحقُّ لابن وزير الدنيا أن يكون مدبِّر الملك

كما يحقُّ لابن ملك الدنيا أن يمتلك البلاد ويسوس العالمين .

[216] ـ إن روح الملك ملكشاه وروح خواجه نظام . .

حين تنظران إلى مُلك الملك من عليين .

ـ ترسلان إلى كل بقعة هدية . . . يحملها رضوان . .

هدية مما تتزيَّن به الحور العين .

ـ إن كلّ ما تمّناه قلبك من الله يا مولاي ، قد حققته ،

ووضعت على ظهر جواد الدولة سرج العزة والتمكين .

ـ أينما وجَّهت وجهك وسيرَّت رأيك . . كان الحق ،

فمِن خالقِك دوما يأتيك التلقين .

ـ تسعد الدنيا بسيرتك وتَديُّنك . .

فأنت النائب عن أبيك في السيرة والدين .

ـ أزال عدلك الانحناء عن ظهر الملك

وسقط سيفك على وجه عدوك وقطع منه الوتين .

ـ ضميرُك المُشرق للعقل مسكن . .

وركابُك السعيد للحّظ وسادة ، عليها يستكين .

ـ بفضل سنانك يتحقق النصر يوم المعركة ،

وبقوسك تَحُصد الأرواح بعد أن يُنصب الكمين .

ـ من حدوة جوادك ودم قتلاك يبلغ الغبار وجه القمر ،

ومن هذا وذاك يعلو ظهر الحوت . . الطين .

- لم يكن القائد القادم من توران لمنازلتك . .
يعلم أنّ سيفك سيهلكه مع الهالكين . .
- إن العدو الذي قدم إلى مازندران متمرداً عليك . .
قد لجأ إلى الغاية . . وكأنه أسد العرين .
- ثم فرّ أمام أبطال جيشك ،
وكأنّه حمامة تفر أمام شاهين .
- وفي لحظة هُزمت جيوشه . .
فيما بين شاطىء جيحون وأبواب الصين .
- وبات الجميع عبيدا في قبضة سلطانك ،
مقرّين بمنّتك ، وبإحسانك معترفين[1].

---

(١) چنانكه ناصر دين هست پادشاه زمين / نظام دين هدى هست كد خداى گزين
بلند باشد ومحكم بناى دولت وملك / چو پادشاه چنين باشد ووزير چنين
بحق شده است ملك را نظام دين دستور / چنانكه بود ملكشاه را قوام الدين
موافق است پسر بايسر دراين گيتى / مساعد است پدر باپدر بخلد برين
سزدكه خواجه بود صاحب دوات وقلم / چنانكه هست ملك صاحب حسام ونگين
وزير زاده دنيا سزد مدبر ملك / چو شاهزاده دنياست پادشاه زمين
روان شاه ملكشاه وجان خواجه نظام / چو بنگرند بملك ملك ز علين
زبهر هديه فرستند باز بهر نثار / بدست رضوان پيرايه هاى حور العين
خدا يگانا هرچه از خداى خواست دلت / بيافتى ونهادى براست دولت زين
بهرچه روى كنى يابهرچه راى كنى / بحق بودكه خدايت همى كند تلقين
جهان بسيرت وآئين تست خرم وشاد / كه نايب پدرى تو بسيرت وآيين
ببرد عدل تواز پشت پادشاهى خم / فكند تيغ تو بر روى بد سگالان چين
ضمير روشن توهست عقل را مسكن / ركاب فرخ تو هست بخت رابالين
چو او سنان تو تابد ظفر بروز مصاف / چو از كمان تو پرّد اجل بوقت كمين
ز نعل مركب واز خون كشته تورسد / بروى ماه غبار وپيشت ما هى طين
سپهكشى كه ز توران بكين تو بشتافت / خبر نداشت كزو تيغ تو بتوزد كين
مخالفى كه بما زندران خلاف توجست / پناه جست ببيشه چنانكه شير عرين
زپهلوان سپاهت بعاقبت بگريخت / بدان صفت كه كبوتر گريزد از شاهين
بيك زمان سپهش منهزم شدند چنانك / هزيمت ازلب جيحون رسيد تادر چين
همه بقبضه فرمان توشدند رهى / همه بمنت واحسان تو شدند رهين

ـ ليكن نظام دين الهدى وعز دين الهدى ،
لك الوزير والقائد إلى يوم الدين[1]

* * *

وفيما يتعلق بكراهية سنجر لعمر الخيام ، يقول أبو الحسن البيهقي في كتابه تتمة صوان الحكمة . . أثناء حديثه عن حياة هذا الشاعر :

« دخل الإمام عمر يوما على السلطان الأعظم سنجر وهو صبي ، وقد أصابه الجدري ، وخرج من عنده فقال الوزير مجير الدولة[2] : كيف رأيته وبأي شيء عالجته ؟ فقال له الإمام عمر : الصبي مخوف . ففهم ذلك خادم حبشي ، ورفع ذلك إلى السلطان ، فلما برأ السلطان أضمر بسبب (ذلك) بغض الإمام عمر ، وكان لا يحبّه »[3] .

[217] ويستنتج ميرزا محمد خان القزويني ـ الذي قام بتصحيح هذا القسم من متن صوان الحكمة ـ أن يكون الوزير المذكور في هذه الفقرة ، والذي شغل منصب الوزارة لسنجر في صباه ، هو فخر الملك أبو الفتح المظفر بن خواجه نظام الملك ، الذي حرّف اسمه هنا إلى فخر الدولة . ويعتمد ميرزا محمد في استنتاجه هذا على التخمين . لكنا نتصوّر أن البيهقي ـ الذي كتب في أكثر من مكان عن حياة وزراء سنجر الأوائل ـ كان يقصد بوزير سنجر هذا « كيا مجير الدولة » ولم يكن يقصد فخر الدولة . وقد ورد اسمه صحيحا في المتن ، أما الناسخ فقد أورده دون إثبات النقطة .

* * *

---

(١)
نظام دين هدى باد وعز دين هدى تـرا وزير وسپهدار تـا بيوم دين

(٢) يرد الاسم في نسخة برلين الأصلية بدون نقطة .

(٣) ميرزا محمد خان قزويني : بيست مقاله ، ج٢ ص٩١ .

وقد قتل باطني فخر الملك يوم عاشوراء (في العاشر من محرم علم ٤٩٠هـ) بطعنة خنجر ، وكان عمره آنذاك ستة وستين عاما . وقد تحدَّث ابن الأثير بالتفصيل حول مصرعه فقال : صام فخر الملك عاشوراء، وقال لأصدقائه وأتباعه : لقد رأيت الليلة في منامي الحسين بن علي (عليهما السلام) ، وقال لي : أسرع إلينا فإفطارك لدينا ، وقد شغل هذا الأمر فكري : وقال له أتباعه وأصدقاؤه : من الأفضل ألاّ تغادر منزلك في يومك هذا وليلتك هذه .

وقبع فخر الملك طوال فترة الصباح في منزله يصلي ويقرأ القرآن ، ثم خرج من منزله عصراً ليدخل قسماً ملحقاً به ، فسمع أنَّه متظلم يصرخ في حرقة قائلا : اندثر المسلمون وما من أحد يستمع للمظلوم ويمد يدَ العون للمحتاج . فأمر بإحضاره ، وسأله عن حاله فدفع إليه برقعة ، فلما شُغِل بقراءتها قفز الباطني من مكانه وعاجله بطعنة خنجر فأرداه قتيلاً .

وسيق الباطني إلى سنجر فطلب منه الاعتراف ، فذكر اسم جماعة من أصحاب السلطان وادَّعى كذِبا أنهم الذين أوعزوا إليه بقتل الوزير ، فقتلهم سنجر عن بكرة أبيهم ، ثم قتله[1] . ويغلب على الظن أن يكون ابن الأثير قد نقل هذه الرواية عن كتاب « مشارب التجارب» لأبي الحسن البيهقي صاحب كتابي : تتمة صوان الحكمة وتاريخ بيهق . . وقد كان شيعيا تعجبه أسرة نظام الملك . [218]

وللمعزى قصيدة غراء نظمها في رثاء الخواجة الكبير فخر الملك ، وهذا جانب منها :

- تكدَّر قمر العقل في سماه الرفعة ،
  وجفّ سرو الفضل في بستان الرياسه .
- لك أن تتخيَّل الأرض تهتز بتأثير حركة الزلازل .
  فيتحطَّم سور قلعة الإسكندر من الاهتزازه .

---

(١) إبن الأثير، حوادث عام ٥٠٠هـ .

ـ لكن الحادثة التي وقعت . . لم ير مثلها أحد . .
كنّا في أول ساعات النهار ، وشمس الشرق تسقط على الأرض من علٍ في كياسه .
ـ كان كوكب الحظ يسطع على الدولة في الصباح ،
وعند الضحى ، خيّمت المحنةُ . . وحلَّ كوكبُ الشؤم والتعاسة .

ـ قال الناس : مِن الفلك يأتي الناس السعد . .
إذا ما كوكبا زحل والمشتري اقترنا .
ـ لكن النحس حلَّ بفخر الملك قبل القران ،
وكأن السعد قد نأى عن الفلك الملتوى . . ومنه مادَنا .
ـ كان المظفر السعيد الشامخ في حديقة الدولة . .
يهتف كل من يرى جبينه : ما شاء الله ، تبارك ربنا .
ـ فلما مات ماتت زهور عديدة ،
إذ كيف يذبل السرو وتبقى الزهور يانعة حولنا ؟
ـ إن كان مالُه وفيراً فقد قصر عصره ،
وإن كان عقلُه كاملا فقد نقص عمره .
[219 ـ كان لازماً للخاتم كفصِّه . .
فَلِمَ أطبقَ ـ كحلقة الخاتم ـ عليه دهرُه ؟
ـ أيتها الدنيا إن في أحضانك جوهرة كريمة قيّمة . .
فلا تكوني سيئة الجوهر ، واعرفي قدره .
ـ إحذري أن تفصلي عن طبعه نور الكرم ،
إحذري أن تمسحي عن وجهه طابع العظمةِ . . ولو لفتره .

ـ كلامي معك لا طائل وراءه،
لأنك محطمة لجوهر النفس ، راعية للصورة ، مهتمة بالظاهر .
ـ يا من تشبهين قصرا ذا واجهتين : وجود وعدم . .

ما تدخلينه من باب تخرجينه من آخر .

ـ إن عقدت صداقة معنا فهي مشوبة بآفة ،

أو أظهرت أمومة . . فهي متعبة مؤذية للمشاعر .

ـ أيها الفلك الجاحد ، إنك تجيد التمثيل ،

وهل من العجيب أن يغيرّ ألوانَه الزمنُ الساحر؟

ـ لقد ألقيت بالعالم من الثريا إلى الثرى . .

لم يفعلها أحد قبلك ، كم أعجب لقلب الحقائق .

ـ يا نظام الدين ، افتح عينيك ثانية . .

أريدك أن تنظر في أمر الخلائق .

ـ أيها الشهيد ابن الشهيد . .

لقد حول الألمُ الأمةَ إلى لا شيء : ملكها وجيشها .

[220] ـ كنتَ مَلَكاً . . جرحك شيطان ،

فاختفيت كالحور عن أعين الناس كلها .

ـ كيف أتخيل أن تسقى الحمام من يد كلب . .

بعد أن كنت تحتسي الشراب في الدنيا من يدِ أُسْدِها

ـ قُتلتَ غدرا يوم عاشوراء كالحسين ،

لذا فإنك والحسين ـ في الشهادة ـ قرينان .

ـ كنت صدر العالم ، ولم يكن يخطر ببالي مطلقا . .

أن تترك الصدارة ، وتفارق عالمنا مسرعا . . دون توان .

ـ كنت أباً لملك الشرق ، فأين أنت اليوم ؟

كيف انفصلت عن ابنك ؟ . . هل برئت من جيشك الآن ؟

ـ إن كان يومنا أشبه بيوم الحشر ، لحُرقتنا ولوعتنا . .

فأنت الشفيع يوم الحشر لملك الشرق . . عند الديّان .

[221] ـ إذا كان خلْقك قد شبَّع الجوَّ برائحة المسك ستين سنة . .

فسوف تظل الأرض عنبرا - بفضل خُلُقك - إلى يوم نلقى الرحمن .
- إذا كنت قد غبت عن أحضان الصفة الذهبية . .
فأنت الآن في أحضان الكوثر ، مع أبيك في جنة رضوان[1] .

---

(١) تيره شد ماه خرد بر آسمان مهتری
خشك شد سرو هنر در بوستان سروری
راست پنداری كه جنبان شد زمين اززلزله
پاره شد از جنبش او باره اسكندری
كس نديد اين حادثة كزروز يك ساعت شده
درنشيب افتد ز بالا آفتاب خاوری
بامداد ازدولت ونيك اختری فانی نبود
چاشتگه فانی شد اندر محنت وشوم اختری
مردمان گفتند سعد آيد زگردون قسم خلق
چون قران سازد بجرخ اندر زحل بامشتری
قسم فخر الملك نحس آمد كنون پيش ازقران
سعد بيرون رفت گويی از سپهر چنبری
باغ دولت را مظفر بود وسعد سر فراز
هركه ديدی غره ديدار او گفتی فری
تاكه او پژمرده شد بسيارگل پژمرده شد
سرو چون پژرده گردد گل كجا ماند تری
گرچه وافر بود مالش گشت عمرش مختصر
ورچه كامل بود عقلش گشت عمرش سر سری
چون نگين در حلقه انگشتری شايسته بود
از چه شد گيتی برو چو حلقه انگشتری
ای زمين اندر كنارت گوهری باقيمت است
قدر آن گوهر بدان با او مكن بدگوهری
زينهار از طبع أو تور كريمی نگسلي
زينهار از روی او نقش بزرگی نستری
اين سخن باتو محال وبيهده است ازبهرآنك
تو بگوهر نفس فرسائي وصورت پروری
ای سرايی كز وجود واز عدم داری دورو
هرچه ازيك در درآری از دگر بيرون بری
گر تومارا دوستی با آفت است اين دوستی
ور تو مارا مادری بی راحت است اين مادری =

ومن اختصوا بمدح خواجه فخر الملك « أبو المعالي النحاس الرازي ، وقد أشرنا إلى كل قصائده التي نظمها في مدح فخر الملك في حواشي كتاب حدائق السِحر[1] (ص١١٩) .

= اي سپهر بي وفا بازيگری دانی مگر
کز شگفتی هر زمانی بر مثال دیگری
عالمي را از ثريا در ثرى انداختي
کس نکرده است ای عجب زين طرفه تربازيگری
اي نظام الدين همي خواهم که يك باردگر
چشم بگشايی ودرکار خلايق بنگری
ای شهيد بن شهيد از درد تو ناچيزشد
بی نهايت امتی از شهريار ولشکری
تو ملك بودی وديوی شخص تو مجروح کرد
تا زچشم آدمی پنهان شدی همچون پری
زان سپس کز دست شيران جهان خوردی شراب
کی گمان بردم که ازدست سگی شربت خوری
روز عاشورا بزاری گشته کشتی چون حسين
زان سعادت باحسين اندر شهادت همسری
صدر عالم بودی وهرگز ندانستم که تو
صدر بگذاری واز عالم بزودی بگذری
شاه مشرق را پدر بودی کجارفتی کنون
کز پسر گشتی جدا وز لشکرش گشتی بری
گرچه از سوز تو روز ماچو روز محشراست
شاه مشرق را شفاعتخواه روز محشری
گرهوا از بوی خلقت بود مشکين شصت سال
شد زمين از بوی خلقت تاقيامت عنبری
او کنار صفهٔ زرين اگر غايب شدی
با پدر درخلد رضوان بر کنار کوثری

*من هنا يفهم أن موت فخر الملك كان في وقت الضحى ، ولم يكن قرب العصر كما نقل ابن الأثير في شرحه الذي يشبه الأسطورة .

(١) حدائق السحر في دقائق الشعر ، كتاب في البلاغة الفارسية لرشيد الدين محمد العمري الكاتب البلخي المعروف بالوطواط . نشره وقدّم له عباس إقبال . وعرّب مقدماته ونقل حواشيه إلى العربية الدكتور إبراهيم أمين الشواربي ، وطبعت الترجمة العربية في القاهرة عام ١٦٣٤هـ = ١٩٤٥م . (المترجم) .

[222]

تاج المعالي أبو القاسم مؤيد الدين علي معين الملك ناصح الدولة بن سعيد العميدي

(نائب فخر الملك وابنه صدر الدين محمد في وزارة سنجر)

كان لفخر الملك أيام وزارته لسنجر نائب يدعى معين الملك تاج المعالي أبو القاسم علي بن سعيد العميدي . وكان هذا النائب يلقَّب أيضا بناصح الدولة ومؤيد الملك . ويتَّضح من أشعار المعزي أنه كان نائبا للوزير في عهد خواجه نظام الملك ، وأنه بقي في نفس المنصب بعد فخر الملك . . أي في عهد ابنه خواجه صدر الدين محمد ، الذي تولى منصب الوزارة لسنجر بعد أبيه في شهر صفر من عام ٥٠٠هـ .

وقد أورد أبو الحسن البيهقي ـ في كتابه « تاريخ بيهق» المؤلف عام ٥٦٣هـ معلومات تتعلق بمعين الملك ،فقال :

« كان معين الملك مؤيد الدين أبو القاسم علي بن سعيد أبو سعد بن أبي منصور أحمد بن محمد العميد نائب صدر الدين محمد بن فخر الملك . وكان نائباً قديراً ، ينتمي لأسرة العمداء الذين كان عظماؤهم يشغلون أرفع المناصب في خراسان . وقد أُلفّت الكتب في مدحهم ، فألّف الغانمي كتابا باسم « نظم السلك في مدايح معين الملك»[1] .

---

(١) يبدو أن الغانمي مؤلّف الكتاب هو ابن الأديب أبي العلاء محمد بن غانم الغانمي (أحد مادحي خواجه نظام الملك ، وأحد معاصري الباخرزي مؤلف دمية القصر الذي توفي عام ٤٦٥هـ) . . أي مسعود بن محمد بن غانم (٤٦٤ ـ ٥٥٣هـ) الذي ذكره السمعاني في «الأنساب » ، وكان أيضا معاصرا لمعين الملك .

وقد ذكر البيهقي عددا منهم ، من بينهم ابن أخي معين الملك . . أي عز الملك سعيد بن العميد أبي علي الحسين بن سعيد ، الذي كان يشغل منصبَي مشرف المملكة ووالي طوس . وهما نفس المنصبين اللذين شغلهما معين الملك . . كما يبدو من أشعار المعزى ، وربما انتقلا إلى عز الملك بعد معين الملك[1] .

[223] وكان معزى من المختصّين بمدح معين الملك ، والأخير هو الذي تشفّع لهذا الشاعر بعد قتل أرسلان أرغو ومجيء فخر الملك إلى نيشابور بعد أن وزر لبركيارق (عام ٤٩٠هـ) . وفي قصيدة نظمها المعزى في شرح حال فخر الملك ـ ونقلناها سابقا ـ يقول الشاعر في هذا الصدد :

ـ شفيعاى في مجلسي هذا معين الملك وشعري ،
ولا أظنني في حاجة إلى شفيع غيرهما[2]

وقد امتدح المعزى معين الملك في خمس قصائد ، وذكره في إحدى قطعاته . ومن شعره ، أمكننا أن نقف بدقة على حقيقة اسمه وألقابه ، واسم أبيه ومهامّه في عهود خواجه نظام الملك وفخر الملك وصدر الدين محمد . . أي الإبن والأب والجدّ .

ففي قصيدة مطلعها :

چه گويى اندر چرخ مدوّر　　　كه زو تابد همى مهر منوّر

يقول المعزى متحدّثا عن أيام نيابته للوزارة . . في عهد خواجه صدر الدين محمد :

ـ مراد العباد يتحقق بتوفيق الله وتأييده ، وبهما يتيسرً .
ـ فبفضل توفيقه وعظيم تأييده جمَّل معين الملك مُلْكَ المَلِكِ سنجر .

---

(١) تاريخ بيهق ، نسخة لندن ، الورقة 49 a — b .

(٢) شفيع من معين الملك وشعراست اندرين مجلس
نپندارم كه با اين دو شفيعى بايدم ديگر

ـ مؤيد عنقاء دين الله . . المؤيد من قبل الدولة والنجم الأزهر .
ـ أبو القاسم على تاج المعالي الذي يفوقُ السعدَ منزلةً ، وهو منه أكبر .
ـ به يتحقق سرور صدر الدين محمد ، وعنه يرضى معز الدين المظفّر .
ـ لقلمه ورأيه وتدبيره ، فُوضِّت كل شؤون الوزير والشاه والعسكر[1]

وفي قصيدة مطلعها :

ماه تابان ديده اى تابان زسرو جانور   گر نديدستى بدان زيبا نگار اندر نگر

يقول المعزى في مدحه أيام أن كان نائبا لخواجه صدر الدين محمد :

ـ يريد (القمر) أن يعبر المسك والسكّر كل ساعة . .
ليقدم الشكر والمديح لنائب الدستور . . ذي الخطر.

[224] ـ سيد الدنيا ، معين الملك ، فخر الزمان ،
ناصح الدولة ، مشير الملك النتصر

ـ صاحب الإسم والشهرة ، حميد الفعال . .
الذي يتسمّى باسم أسد الله ، ويكنّى بكنية خير البشر[2]

---

(1) بتوفيق وبتأييد الهي   مراد بندگان گردد ميسّر
كه از توفيق وتأييدش بياراست   معين الملك ملك شاه سنجر
همان دين يزدان را مؤيد   مؤيد هم ز دولت وهم ز اختر
أبو القاسم علي تاج المعالي   كه هست از قدر عالى سعد اكبر
ازو خشنود صدر الدين محمد   وزو راضى معز الدين مظفر
بكلك وراى وتدبيرش مفروض   همه كار وزير وشاه ولشكر

(2) آن همى خواهد كه بر مشك وشكرهر ساعتى
شكر ومدح نايب دستور را باشد گذر
سيد دنيا معين الملك فخر روزگار
ناصح دولت مشير خسرو پيروزگر
نام دارى خوب كردارى كه نام وكنيتش
نام شير ايزداست وكنيت خير البشر

- إن بشارات فتح الشاه والخواجة وظفرهما . .
مدغمة في كل لفظ من ألفاظك . . مضمرة فيه .
- وعن الجد والأب تعلّم الخواجة كيفية إعزازك . .
والإبن يفعل في النهاية ما تعلّمه عن جده وأبيه .

وفي قصيدة أخرى مطلعها :

همان بهست که امروز خوش خوريم جهان
که دی گذشت وز فردا پديد نيست نشان

يقول المعزى ممتدحاً الأيام التي كانت فيها النيابة لفخر الملك :

- حين تُداعب أنامل المطربين الأوتار في خفّة ويذكرون الخواجة . .
نضع في أكفّهم رطلا ثقيلا ، ونبدى الامتنان .
- الخواجة السعيد ، ناصح الدولة ، الأجلّ ، مؤيد الدين ،
الممدوح ، تاج كفاة العجم ، رئيس الفتيان .
- على سعيد . . معين ملك المكان والزمان ،
نائب قائد البلاد وحاكم الزمان .
- من كانْ يصلح غيره للنيابة . .
من كان يسدُّ مسدَّ الوزيرين اللذين ملكا الدنيا وحكما البلدان ؟
- نظام الدين . . في دولة الملك سنجر ،
وقوام الدين . . في دولة السلطان[٢] .

---

(١) زير هر لفظى ز الفاظ توشاه وخواجه را
مدغم ومضمر بشارتهاى فتح است وظفر
خواجه اعزازتو از جد وپدر آموخته است
آن كند آخر پسر كاموخت ازجد وپدر

(٢) چو مطربان سر انگشت را كنند سبك بياد خواجه بكف بر نهيم رطل گران
خجسته ناصح دولت اجل مؤيد دين ستوده تاج كفاة عجم سر فتيان =

ومن البيتين الأخيرين وبيتٍ آخر في القصيدة السابقة ، يفهم أن معين الملك كان يشغل منصب نيابة الوزارة في عهد خواجه نظام الملك أيضا .

وفي قصيدة مطلعها :

ما هست ساقى وقدح باده مشترى   وين هر دورا منم بدل وديده مشترى

يقول المعزى :

- وجهه أصل الخير دائما والسعاده ،
كما أن وجه مؤيد الدين أصل السيادة والقيادة .
- أكفى الكفاة ، ناصح الدولة ، معين الملك . .
أبو القاسم ، شمس العظمة والرفعة والريادة
[225] - صاحب الرأي ، المدبِّر الذي يعتمد تنظيم الدين الأحمدي على تدبيره ،
ويعتمد الملك السنجري على رأيه وقريحته الوقّادة .

***

- يا طيّب المحضر ، يا نجم السعد ،
يا نائب الملك والخواجة المبارك ، ويا من أنت لهما المعين .
- إن ما أنجزته من أعمال في مدينتي طوس وسرخس . .
باق إلى أن يستقر الفلك الملتوي في مكانه ويستكين(٢) .

= معين ملك زمين وزمان عليّ سعيد   كه هست نايب فرمانده زمين وزمان
جزاو كه بودكه شايسته نيابت شد   دو خواجه راكه گرفتند هر دو ملك جهان
نظام دين را در دولت ملك سنجر   قوام دين را در دولت ملك سلطان

(١)
همواره هست صورت او اصل نيكوى   چون صورت مؤيد دين اصل سرورى
اكفى الكفاة ناصح دولت معين ملك   بو القاسم آفتاب بزرگى ومهترى
كافى مدبرى كه بتدبير وراى اوست   ترتيب دين احمدى وملك سنجرى

(٢)
اى نيك محضري كه ملك را وخواجه را   تو نايب مبارك وفرخنده اخترى
در شهر طوس وشهر سرخس انچه كردماى   باقيست تابجاى بود چرخ چنبرى

ويقول المعزى في حقه ، راجيا عفوه ، معتذرا عن تقصيره :

ـ يا من خاطرك صرّاف وضميرك جواهري . .
هل لي أن أعرض عليك ذهبي ودرري ، بغية عفوك ؟
ـ إن خجلي وخوفي منك يملآن عيني وقلبي . .
خجلي من خلف وعدي ، وخوفي من التقصير في حقك .
ـ أذنبت ولجأت إلى حماك ،
كي تبسط على رأسي ظل عفوك وكرمك[1]

وقال المعزي هذه القطعة أيضا أيام أن كان نائبا لصدر الدين محمد .

ـ كان محمد الإمام وعليٌ خليفته ،
واليوم ، عليٌ المشير ومحمدٌ الوزير .
ـ دائما ما يفخر عليٌ بحب محمد
كما يفخر عليٌ بدعاء محمد يوم الغدير[2] .

وبناء على ما تقدّم يستنتج أن معين الملك أبا القاسم علي بن سعيد قد ظل يشغل منصب نيابة الوزارة من عام ٤٨٥ هـ حتى عام ٥٠٠هـ على الأقل . ولعلّه مارس نفس المهمة قبل عام ٤٨٥هـ (وهو تاريخ قتل نظام الملك)، ثم مارسها بعد عام ٥٠٠هـ (وهو تاريخ قتل فخر الملك) .

---

(١) شايد كه برتو عرضه كنم زر ودرّ خويش — اى خاطر وضمير تو صراف وجوهرى
شرمست وبيم پيش تو در چشم ودر دلم — شرم از خلاف وعده وبيم از مقصرى
كردم گناه وآدم اندر پناه تو — تابر سرم زعفو وكرم سايه گسترى

(٢)
امام بود محمد على خليفه او — كنون على است مشير ومحمد است وزير
على ز مهر محمد همى چنان نازد — كه از دعاى محمد على بروز غدير

٣ ـ أبو الحسن صدر الدين محمد قوام الملك بن فخر الملك بن نظام الملك

(وزير سنجر من صفر عام ٥٠٠ إلى ذي الحجة عام ٥١١)

جمعت كل ما نظمته في مدح أسلافك
فتجمَّل ديواني بمديحك وازدان .
وسرى شعري بين آل اسحاق
كما سرى شعر الرودكي بين آل
سامان[١]
لقد اكتسب العصر السلجوقي بحكمك
شرفا . .
ونال جوهر إسحق بجاهك خطرا[٢]

(المعزى)

بعد أن قتل أحد الباطنية الخواجة فخر الملك في المحرم من عام ٥٠٠هـ ـ كما رأينا ـ أسند سنجر منصب الوزارة إلى ولده . . أي إلى الخواجة أبي الحسن نظام الإسلام قوام الملك صدر الدين محمد . وكان تنصيبه في شهر صفر من عام ٥٠٠هـ كما يفهم من قصيدة للمعزى ، يقول فيها مادحا قوام الملك المذكور :

---

(١)
چوكردم مدح اسلاف تو مجموع — بمدح تو مزيّن گشت ديوان
روان شد شعر من در آل اسحاق — چه شعر رودكى در آل سامان

(٢)
شرف گرفت بشاه تو دورهٔ سلجوق — خطر گرفت بجاه توگو هر اسحاق

- إن يكن الأب قد غادر حضرة مليكنا إلى الخلد الأعلى ،
فقد باتت الحضرة بفضل إقبال الابن خلداً أعلى وأنضر .
- وإن تكن الشمس قد انحدرت نحو الغرب وتوارت بالحجاب .
- فقد بزغ من جهة الشرق . . منيرا . . القمر .
- وإن يكن الشجر قد وقع في خميلة الملك ،
فقد أينع الآن . . . في خميلة الملك . . الثمر(١)
- ابن الفضل ، الكريم الذي نال محمد . .
على يديه وبكرمه . . الفتح والظفر .
- في شهر انطلق نفير الآفة والبلاء ،
وفي آخر جاء بفضل الراحة إلينا أكرم نفر .
- أسقط القضاء رداء العزاء في ذلك الشهر ،
وبلغتنا التهنئة في ذلك الشهر . . يحملها القدر .
[227] - إلى الله يقدم الشكوى والشكر إلى يوم القيامة . .
الأبُ مذ شهر محرم ، والإبنُ مذ شهر صفر(٢)

***

- أنت الكريم ابن الكريم ابن الكريم . . بالنسب

---

(١) گرز حضرت بسوى خلد برين رفت پدر
گشت چون خلد برين حضرت از اقبال پسر
ور بغرب اندر يك باره نهان شد خورشيد
از سوى مشرق پديد آمد تا بنده قمر
ور شجر در چمن ملك بيفتاد زپاى
پايدار است هم اندر چمن ملك ثمر

(٢)
پسر فضل كريمى كه بأفضال وكرم
ازجهان سهم محمد همه فتح است وظفر
خواست از آفت وآشوب درآن ماه نفير
آمد از راحت وآرام در اين ماه نفر
جامه تعزيه افكند در آن ماه قضا
مژده تهنيت آورد در اين ماه قدر
پيش يزدان بقيامت گله وشكر كنند
پدر از ماه محرم پسر ازماه صفر

أنت الوزير ابن الوزير ابن الوزير . . بالحسب .

- لك اليوم اسم الرسول وجاه الأب ،

وروحا الأب والرسول يعمّهما بفضلك السرور والطرب .

- كان نظيرك في الإسم . . خير البشر وفخر العرب ،

واليوم أنت جمال العجم وزينة البشر .

- ورثت الصدارة والفخر والنظام ،

أيّ شيء أجمل من ذلك ، أيّ شيء يفوقه في القدر والخطر ؟

- لقد وفّى أبو وجدّك كلّ الأعمال حقّها ،

فأعطى ملكُ الشرق الحقَّ لصاحب الحقِّ ، وأناله الأرب[1]

***

- فاجلس اليوم في هذا الملك . . في موضع أبيك

وارقب القوم وارعهم بعين أبيك[2]

واستمرّت فترة وزارة خواجه قوام الملك صدر الدين محمد ما يقرب من إثنتي عشرة سنة وشهرين (من صفر عام ٥٠٠هـ إلى ذي الحجة عام ٥١١هـ) . وسوف نرى أن فترة وزارته كانت أطول من فترات وزارة كافة وزراء سنجر ، باستثناء أخيه ناصر الدين طاهر بن فخر الملك (وزير سنجر من ٥٢٨هـ حتى ٥٥١هـ) .

وأول حَدَثٍ هام وقع في فترة وزارة خواجه صدر الدين محمد لسنجر هو حملة

---

(١)

هم كريم بن كريم بن كريمى بنسب ... هم وزير بن وزير بن وزيرى بگهر

نام پيغمبر وجاه پدر امروز تراست ... وز تو شاداست روان پدر وپيغمبر

بود همنام تو خير بشر وفخر عرب ... توبى امروز جمال عجم وزين بشر

صدر وفخرى ونظامى بتو ميراث رسيد ... چيست در عالم ازين خوبتر وزيباتر

پدر وجد توكردند همه كار بحق ... ملك مشرق حق داد بدست حقور

(٢)

اندرين ملك بجاى پدر خويش نشين ... وندرين قوم بچشم پدر خويش نگر

هذا الملك على ما وراء النهر بقيادة الأمير قماج ومساعدة محمد أرسلانخان الخاني ، ومحاربة ساغربك الذي تمرّد عليه ، والانتصار عليه في عام ٥٠٣هـ .

أما الحدث الثاني ، فهو حملة سنجر على الممالك الغزنوية لإمداد بهرامشاه ومظاهرته . فقد توفّي علاء الدولة أبو سعد مسعود بن أبي المظفر ابراهيم بن أبي سعد مسعود بن السلطان محمود بن سبكتگين الغزنوي في شوال سنة ٥٠٨هـ (بناء على قول ابن الأثير) ، أو في عام ٥٠٩هـ (بناء على قول صاحب طبقات ناصري) ، وجلس ابنه أرسلانشاه إبن أخت ألب أرسلان السلجوقي على عرش غزنين . . ففرّ أخوه بهرامشاه من غزنته ، ولجأ إلى السلطان سنجر في خراسان . وصمّم سنجر على إجلاسه على عرش الغزنويين بدلاً من أرسلانشاه ؛ فأرسل له السلطان محمد رسالة يطالبه فيها بعدم التعرّض لأرسلانشاه ، لكنه لم يُعِر رسالة أخيه الأكبر التفاتا ، وأرسل أحد قواد جيشه المدعو أنر إلى سيستان برفقة [228] بهرامشاه . وفي سيستان انضم إليهما أبو الفضل نصر بن خلف الصفاري (ملك نيمروز) ، وتمكّنوا جميعا من هزيمة جيش أرسلانشاه . وحاول الأخير أكثر من مرّة أن يرسل شخصاً إلى الأمير أنر وإلى سنجر ، وعَرَض أموالا ، فرفض سنجر عرْضَه . . وتوجّه بنفسه إلى غزنة بعد أن سار إليها الأمير أنر . وفي مكان اسمه شهر آباد - على بعد فرسخ واحد من غزنة - دارت حرب قاسية بينه وبين أرسلانشاه . وكادت الهزيمة تلحق بجيش سنجر لولا شهامة ملك نيمروز وشخصية سنجر . وأخيرا هزم الجيش الغزنوي ، ودخل سنجر غزنة في العشرين من شوال عام ٥١١هـ فاتحا منتصرا ، وأجلس بهرامشاه على كرسي أبيه بشرط أن تبدأ الخطبة باسم الخليفة والسلطان محمد وسنجر ، على أن يأتي بعد ذلك اسم بهرامشاه ، وبشرط أن يدفع بهرامشاه مبلغ ٢٥٠,٠٠٠ دينار سنويا لديوان سنجر .

وبعد أن قضى سنجر أربعين يوما في غزنين ، وحصل هو وجنوده على غنائم كثيرة وأموال وفيرة . . عاد إلى بلاده ، وأرسل نبأ الفتح لأخيه محمد . وتعتبر هذه المعركة من أهم المعارك في تاريخ السلاجقة ، فحتى هذا التاريخ لم يكن هناك من

بين سلاطينهم من وضع يده على غزنة . وحين وصل النبأ مسامع السلطان محمد كان طريح الفراش (بدأ مرضه في شعبان من عام ٥١١هـ وتوفي في ٢٤ذي الحجة من نفس العام)[١] .

ويذكر ابن الأثير وعماد الكاتب أن فتح غزنين كان في العشرين من شوال عام ٥١٠هـ وما ذكراه خطأ فيما يبدو ، فقد كان الفتح في شوال من عام ٥١١هـ استنادا إلى ما يلي :

أولا : حين أرسل سنجر نبأ فتح غزنين لأخيه السلطان محمد ، كان السلطان - كقول عماد - يعاني من مرض الموت . وكما قلنا سابقا ، فإنه كان مريضا في شوال من عام ٥١١هـ ، وأنه مات في الرابع والعشرين من ذي الحجة من نفس العام .

ثانيا : يقول ابن الأثير في حوادث سنة ٥١٤هـ ، أن سنجر قرّر - إبان فتحه غزنين - أن يقتل وزيره صدر الدين محمد ، فلمّا فتحها وعاد إلى بلخ قام بقتله . وقد تمّ قتل صدر الدين محمد - بناء على قول عماد الكاتب[٢] - يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي الحجة عام ٥١١هـ . ولما كانت إقامة سنجر في هذه المدينة بعد فتحها لم تدم أكثر من أربعين يوماً ، عاد بعدها إلى خراسان ، فإن فتحها بناء على ذلك يكون في شوّال من عام ٥١١هـ .

[229] ثالثا : يقول المعزي في أكثر من موضع من شعره - وكان حاضراً فتح غزنه - أن هزيمة أرسلانشاه وفتح غزنه وإجلاس بهرامشاه مكانه ، وجلوس سنجر مكان أخيه محمد . . كلها أحداث تمّت في عام ٥١١هـ .

ومن جملة ما قاله . . ما ورد في قصيدته المشهورة التي يبدأها بقوله :

- تلطّفت روح الإسكندر إلى سلطان الدنيا سنجر ،

فقالت : إنه يفوق الإسكندر شرفا

(١) إبن الأثير ، حوادث عام ٥٠٨هـ ؛ عماد الكاتب ، ص ٢٦٢ - ٢٦٤ .

(٢) عماد الكاتب ، ص ٢٦٥ .

ـ فالإسكندر الرومي لم يحقق طوال عمره . .

فتحا كذاك الذي حقّقه هذا العام سلطان العالم سنجر .

ـ معز الدين والدنيا سيد السادة ،

ملك الملوك المبارك الرأي ، زينة الملك . . راعي الدين .

ـ مالك الدنيا الذي ينخرط في سلك جيشه آلاف الأبطال ،

ذاك الذي له قلب الإسكندر في الحرب ، وبهاء أفريدون في الحفل .

ـ تهنّئه الدولة هذا العام بشيئين ،

كل منهما يفوق الآخر جمالاً وحسناً .

ـ أوّلهما : اغتصابه عرش السلاطين في غزنين ،

وثانيهما : جلوسه هنا على العرش السلطاني .

ـ إن ما أظهره في غزنين وكابل من شهامة ورجولة . .

لم يظهره رستم بين العجم ولا حيدر بين العرب[1] .

---

(١) بنازد جان اسكندر بسلطان جهان سنجر
که سلطانان جهان سنجر شرف دارد براسكندر
بعمر خويش در عالم نكرد اسكندر رومی
چنين فتحى كه كرد امسال سلطان جهان سنجر
معز الدين والدنيا* خداوند خداوندان
شهنشاه مبارك اى ملك آرای دين پرور
جهانداري كه در لشكر هزاران بهلوان دارد
برزم اندر سكندر دل ببزم اندر فريدون فر
بدو چيزش همى امسال دولت تهنيت گويد
كه هر دو در صفت هستند زيباتر زيكديگر
يكى آنست كويستد بغزنين تخت سلطانان
دگر آنست كوبر تخت سلطانى نشست ايدر
زمردى آنچه كرد امسال در غزنينى ودر كابل
نكرد اندر عجم رستم نكرد اندر عرب حيدر

* كان لقب سنجر وقت امارته لخراسان (من ٤٩٠ ـ ٥١١هـ) هو ناصر الدنيا والدين . ولما مات أخوه محمد وصار سلطانا اختار لقب أبيه ملكشاه وهو معز الدنيا والدين . وتؤكد قصيدة المعزى أن فتح غزنين كان في العام الذي نظمها فيه (٥١١هـ) . . كما سيرد فيما بعد .

[230] - فرَّ ملك غزنين وخمدت نار معركته ،
وتعثَّر العدو في السهل والوعر من الصحراء والوديان .

- لقد انتزع (رابع بطن) لداود الولايةَ من (خامس بطن) لمحمود ،
واستولى على الكنوز والممالك والبلدان . .
- مِنَ المَلِك الذي بايع رُسُلك في غزنين ،
وأرسل معهم إلى بلاطك الخلع الناسبة لصاحب الإيوان .
- من يستطيع تقديمَ الخيرْ عليه ألاّ يقدِّم الشر ،
ومن أساء عاجَلَهُ - لسوء حظه - سيفُ السلطان .
- لقد سلَّمَت بلادَه وعرشه لملك آخر ،
وجعلتَ بلاطه موطئا لأقدام العبيد والغلمان .
- لقد استوليت على ملك محمود وما جمع من متاع في مائة وثلاثين سنة .
بعون من كوكب السعد ، ونصر من الخالق الرحمن .
- وعندما استوليت على غزنين فتحت القلاع ،
وكلّها مكدسة بالديباح والجواهر والذهب الرنان .
- وكأن محمودا وأولاده قد كدّسوا الذهب والملابس والجواهر . .
مائة وثلاثين سنة - يا للعجب - من أجلك يا رفيع الشأن[1] .

---

(١) شه غزنين گريزان شد مصافش برگ ريزان شد
عدو افتان وخيزان شد بدشت ووادى كردر
چهارم بطن داودى زپنجم بطن محمودى*
ولايت بستد ويگرفت گنج وملك را يكسر
شهى كو بارسولان تو بيعت كرد در غزنين
كه با ايشان** بدرگاهت فرستد خدمتى درخور

* (چهارم بطن داودى) يقصد من ورائها السلطان سنجرين ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود جغرى . و(پنجم بطن محمودى) يقصد من ورائها أرسلانشاه بن مسعود بن إبراهيم بن مسعود بن السلطان محمود الغزنوى .

** في نسخة أخرى (پيلان) ، وهذا أصحّ .

=

- حين وعدت بهرامشاه في مرو . .
بأن تجلِسه على العرش في غزنين ، وتُنهي أمد يأسه*،
[231] - حالفك التوفيق ، فأصدرت أمرك . .
بإجلاسه على العرش ، ووضعتَ التاجَ على رأسه .
- أكرِم بالسلطان ونائب السلطان ،
فلن يكون هناك مثلكما سلطان ونائب ، إلى يوم الحشر .
- وإن يكن مُلك السلطان وشاه ألب أرسلان وطغرى وجغرى . .
لم يمكِّنه القضاءُ من فتح البلاد ، ولم يتحقق للأربعة النصر ؛
- فأربعتهم الآن بالجنة مسرورون بفتحك ،
رافعو الرؤوس ، يتبخترون على شاطىء الكوثر باسمي الثغر(١)

= چو قادر بود برنيكى نبايستى كه بد كردى
زبد بختى اگر بدكرد برد از تيغ تو كيفر
بدست خسروى ديگر سپردى گاه وتخت او
سپردى بارگاه او بپاى بنده وچاكر
صد وسى ساله ملك وخانه محمود بگرفتى
بنصرت كردن يزدان بيارى دادن اختر
چوگشتى چيره بر غزنين گشادى قلعه هايى را
همه پرجامه ديبا همه پر گوهر وپر زر
نهادند اى عجب محمود وفرزندان او گويى
زبهر تو صد وسى سال زر وجامه وگوهر

(١) چواندر مرو بابهرامشه پيان چنان كردى
كه بنشانيش در غزنين بتخت پادشاهي بر
موافق شد ترا توفيق تا فرمان بسر بردى
بتخت پادشاهي بر نهادى برسرش افسر*

* بعد فرار بهرامشاه من غزنين توجّه إلى سنجر في مرو طالبا المدد ، فوعده بإجلاسه على عرش غزنين ، وبعد أن قضى المدة ما بين ٥٠٨ ، ٥١١هـ في مرو برفقه سنجر فتح الأخير غزنين وأجلسه بها على عرش أجداده ونظم سيد أشرف حسني بن محمد الغزنوي قصيدة يبارك فيها جلوسه على العرش مطلعها (طبقات ناصرى ، ص ٢٣ - ٢٤) :

منادى بر آمد زهفت آسمان كه بهرامشاه است شاه جهان =

وكتب ابن الأثير (حوادث عام ٥١٣هـ) أن كنية صدر الدين محمد هي أبو جعفر وهذا خطأ على ما يبدو . . فمدائح المعزى تشير إلى أن أبا الحسن هي الكنية فها هو يقول :

ـ الصاحب العادل قوام الملك صدر الدين ،
الذي يذكّر الشاه بقوام الدين وفخر الملك ، وما لهما من رفيع المقام .

ـ قبلة الدولة ، محمد ، شمس الحمد ،

الذي يجد دين محمد ـ بفضل عدله ـ القوة والإحكام[1] . . الخ .

ويقول فيا يتعلق بتلقيبه بلقب نظام الإسلام :

[232] ـ أنت سيد الوزراء عن جدارة واستحقاق . .
وغياث الدولة العالي على الإطلاق .

ـ ليس هناك من آل نظام من يفوقك بركة في الإسلام .
وليس هناك همام يفوقك جلالا في الآفاق .

= زهی سلطان نشان سلطان که اندر مشرق ومغرب
چو تو سلطان نشان سلطان نخواهد بود تامحشر
ملك سلطان وشاه الب ارسلان وطغرل وجغرى
اگر قادر نگشتند از قضا برفتح آن كشور
كنون آن هر چهار از شادى فتح تو در جنت
سر افرازند وخندان لب خرامان برلب كوثر

(١) صاحب عادل قوام الملك صدر الدين كه هست
از قوام الدين وفخر الملك شه را يادگار
قبلهٔ دولت محمد آفتاب محمدت
آنكه هست از داد او دين محمد پايدار
گرنبى معجز نمود از خيزران راستگوى
ور على قدرت نموذ از ذو الفقار جان شكار
نام آن در كنيت اين دارى واينك تراست
كلك همچون خيزران وتيغ همچون ذو الفقار

- بحكمك شرفت الأسرة السلجوقية ،
وبجاهك نال الخطرَ والجاهَ نسلُ إسحق .

- من اسمك اشتقّ أصل المحامد ،
وصار الحظ المواتي يحنُّ لوجهك ويشتاق[1] .

كما يقول في مدحه :

- لقد قدم إلى دار الملك في سعادة وسرور . .
الصدر الذي يعتمد على قلمه مدار المُلك .

- نظام الإسلام والصاحب الممدوح . .
الذي تحوّلت بفضل عظمته . . إلى دار السلام . . دارَ المُلْك . .

- إبن فخر الملك محمد ، وزير الملك . .
الذي جعل الله في تحركاته . . استقرار الملك .

- لقد تعلّمت كيفيّة تنظيم أعمال الدولة عن أبيك وجدّك . .
وعنهما تعلّمت ترتيب شؤون الملك[2] .

ويقول ابن الأثير حين يتحدّث عن قتل هذا الوزير : لما كان صدر الدين محمد ينظر لأمراء سنجر نظرة استخفاف ، وكانوا يخشونه ويبغضونه ، فقد شكوه لسنجر أثناء وجوده في غزنة . ورأى سنجر أن يؤجل بحث الأمر طوال إقامته في

---

(١) خدايگان وزيران تويى باستحقاق — غياث دولت تويى على الاطلاق
نظام نيست مبارك تر از تودر اسلام — همام نيست همايون تر از تودر آفاق
شرف گرفت بشاه تو دورهء سلجوق — خطر گرفت بجاه توگوهر اسحاق
شده است اصل محامد ز نام تو مشتق — شده است بخت مساعد بروى تو مشتاق

(٢) آمد بفرّخى وسعادت بدار ملك — صدرى كه هست بر قلم او مدار ملك
اسلام را نظام وپسنديده صاحبى — كز فرّا أو چودار سلام است دار ملك
فرزند فخر ملك محمد وزير شاه — كايزد نهاد در حركاتش قرار ملك
آموختى تو از پدر وجد خويشتن — تهذيب شغل دولت وترتيب كار ملك

غزنه . وكان سنجر ينقم على صدر الدين محمد بدوره ، لأنه ـ أي سنجر ـ حين توجَّه لغزنين وبلغ مدينة بست . . أرسل أرسلانشاه وزيرَه إلى صدر الدين محمد وتعهَّد له بدفع مبلغ ٥٠٠,٠٠٠ دينار إذا أفلح في أن يثني سنجر عن عزمه . . فلا يفتح غزنين . فقام صدر الدين فعلا بإنجاز عدَّةِ خطوات في طريق الصلح ، رغم أنه كان المحرِّض على تسيير سنجر جيوشه . . وكان الدافع له على خروج هذه الحملة . كما أنه فعل نفس الشيء بالنسبة لحملة سنجر على ما وراء النهر. يضاف إلى موقفيه هذين أنه أخذ لنفسه نصيباً كبيراً من الأموال عند فتح غزنين ، وأن الأمراء كانوا يطمعون فيما أخذه . .

ولما عاد سنجر إلى بلخ قبض على صدر الدين وقتله ، فترك من ورائه جواهر كثيرة وأموالا وفيرة . وقد بلغ ما تركه نقدا ٢,٠٠٠,٠٠٠ من الدنانير[1] .

ويروي عماد الكياتب ـ بناء على قول أنوشروان بن خالد ـ قصَّةَ قتل خواجة صدر الدين محمد بشكل آخر ، فيقول :

كان للسلطان سنجر عبد اسمه «قايماز» يعرف بكج كلاه (صاحب القلنسوة المعوجَّة) ، وكان السلطان يحبه محبَّة خاصة ، لهذا كان غالبا ما يعمد إلى الدلال ليأسر قلبه ، وكان يتدخَّل في شؤونه .

ولما كان الوزير صدر الدين محمد لا يتحمَّل صدور هذه الحركات عنه ، فقد نهاه عنها أكثر من مرة .

[233] وذات يوم قال له : إن لم تكف عن هذه الحركات ، وتسلك سبيل العقل ، فسوف أصلح من اعوجاج قلنسوتك . واضطرب كج كلاه وقال له مهددا بدوره : إما أن تعدِّل أنت من وضع قلنسوتي أو أفعل أنا ذلك بعمامتك .

وحدث أن كان السلطان في ضيافة الوزير ، وظل يشرب الخمر ليل نهار لمدة

---

(١) إبن الأثير ، حوادث عام ٥١٣هـ .

ثلاثة أيام. وفي اليوم الثالث ـ أثناء سكره وذهوله عما يدور حوله ـ أخذ كج كلاه خاتمه من باب التدلل وأخفاه . وفي الليل توجه إلى الحجرة التي ينام فيها الوزير ، فسمحوا له بالدخول عليه بعد أن أظهر الخاتم السلطاني وادّعى أنه مكلف بأداء مهمة سلطانية ، وفصل رأسه عن جسده ، وحملها إلى السلطان .

ولما رأى السلطان رأس وزيره صرخ ونادى الأمير « قماج » وأمره أن يمزّق جسد كج كلاه إربا إربا . فقال الأمير قماج للسلطان : الأفضل يا مولاي ألا يعلم أحد بهذه الفعلة الشنعاء ، فيعرف أن في مملكة السلطان من يجرؤ على القيام بمثل هذا الأمر دون إذنه . والأفضل عندي أن تنسُبَ قتْلَ الوزير إليك . . حتى لا يَنسب أحد إليك الوهن والضعف ، وأن تعود إلى بلاطك على الفور .

وقبل السلطان هذه الفكرة التي تستهدف صالحه ، وتستر عاره . ثم قتل كج كلاه بعد مدة[1] .

وتدخل الحكاية التي ينقلها عماد الكاتب عن أنو شروان بن خالد في عداد الخرافات. ويبدو أنها صيغت فيما بعد حتى لا تُنسَب إلى سنجر تهمة قتل وزيره . ولو افترضنا صحة الحكاية فإنا لانستبعد أن يكون قتل الوزير قد تمّ بناء على أمر سنجر ، ثم اتهم قاتله فيما بعد بأنه أقدم على ذلك من تلقاء نفسه . فابن الأثير يصرّح بأن قتل الوزير ـ كما ذكرنا ـ كان بناء على أمر سنجر ، ويقول إنه كان غاضباً عليه لعدة أسباب ، وأنه كان يفكر من مدة في إبعاده ، وأنه ندم بعد فعلته ، وأسف بعد وفاة السلطان محمد ، وتحسرٌ على قتل وزيره .

وقد تولى منصب الوزارة لسنجر ـ كما سنرى قريبا ـ شقيق خواجه صدر الدين محمد بن خواجه فخر الملك بن خواجه نظام الملك . . . وقد طالت فترة وزارة هذا الوزير المدعو (طاهر) أكثر من بقية الوزراء .

---

(١) عماد الكاتب ص ٢١٦ ـ ٢٦٧ .

قصّة إصابة المعزى بسهم

(في وزارة خواجه صدر الدين محمد)

مما ذاع من أخبار وما دوِّنته كتب التراجم ، ومن الرسائل التي أوردها المعزى نفسه في أشعاره يتأكد لنا أن هذا الشاعر العظيم القَدْرَ قد تعرَّض مرة لسهم ألقاه سنجر ، وأن صدره الرقيق ـ الذي يُعدُّ خزانة لكل هذه الجواهر الثمينة ـ قد جرحه نصل سهم هذا الملك وآذاه . أما كيف حدث هذا ومتى ، فأمر لا يعرفه أحد من المؤرخين وكتّاب التذاكر ، ولا يستطيعون كشف غموضه ، بل ويظهرون تخبطا عظيماً حين يروون القصة .

وقد ذكروا أن وفاة المعزى كانت بعد الحادث بعشرين سنة على الأقل . . لهذا اكتفيت بنقل فقرتين من رواياتهم تتعلّقان بإصابته بالسهم وبعام وفاته . ثم عمدْتُ إلى أشعاره استنتج منها ما أستطيعه محاولا إبراز هذه النقطة التاريخية التي تعدّ من أهمّ المسائل في حياة هذا الشاعر .

وهناك نخبة مختارة من منظومات ستة من شعراء الفارسية ، تضمُّها نسخة كُتبت في القرن الثامن الهجري ، عكف نفيسي على تنقيحها في لندن . وفي مقدمة أشعار المعزى المدوَّنة بهذه النسخة ورد خبرٌ يتعلق بإصابته بالسهم . . هذا نصّه :

« سمعت من عظيم أن جماعة من المغرضين والحاسدين قد تقوَّلوا عليه في حضرة السلطان ، ووجهوا إليه الاتهامات . وكان السلطان ثملا ـ حاش للسامعين ـ فصوَّب إليه ثلاث سهام ، فكان ـ رحمه الله ـ ينشد مع كل سهم رباعية في غاية الجمال . . وشاهدنا على ذلك ما قاله الحكيم سنائي ـ الذي لا نظير له ،

سقى الله ثراه ورضي عنه وأرضاه ـ في رثائه[1] .

[235] ويقول تقي الدين الكاشي في تاريخ وفاة المعزي :

« كانت وفاته في خطّة مرو في أواخر عهد السلطان سنجر وبداية ظهور الخواز مشاهيين (ملوك خوارزم) ، في شهور عام ٥٤٢» ـ

وبناء على هذين القولين اللذين تكررا بعينهما فيما بعد في كتب التذاكر (مع بعض التغيير) ، فإن إصابة المعزى بسهم سنجر كان في عام ٥٤٢هـ . ولا تَرِد في المصادر القديمة ـ أمثال جهار مقاله ولباب الألباب ـ أية إشارة إلى نقطة من هاتين النقطتين ، أي قذف السهم وتاريخ الوفاة .

وأفضل وسيلة لتحقيق الموضوع هي قراءة أشعار المعزى نفسها ، وهو يقول في مدح سنجر :

ـ إن كان هناك ملك له جيشه ورعيته
يخشى العدوّ سيفه ويلقى منه الهوان . .
ـ فالواجب أن ترتاح رعيّته لعدله ،
وتنعم بالسرور والرفاهية ، وتعيش في أمان .
ـ وهذا ما يؤمن به ملك الإسلام . .
الملك الذي يعمر بفضله مُلك خراسان .
ـ الملك السعيد سنجر ، ناصر الدين ،
سيد إيران كلّها ، وسيد توران .
ـ مالك الدنيا، الذكرى الباقية . .

---

(١) نص أبيات سنائي

گر تير فلك داد كلاهى بمعزى — تا زان كله ايتجام غذا جان ملك ساخت
أو نيز سوى تير فلك رفت بپاداش — پيكان ملك تاج سر تير فلك ساخت
تا چند معزّاى معزى كه خدايش — زينجا بفلك برد وبقاء فلكى داد
چون تير فلك بود قرينش سره آورد — پيكان ملك برد وبتير ملكى داد

عن ثلاثة من سلاطين السلاجقة . . مدى الأزمان[1] .
- بفضل عظمة دولة مولاي ، قبعت . . أنا الروح الجديدة . .
ساكنا . . في مروشهجان .
- متمنياً بقاء دولته وأيام مجدها ،
داعياً له ، مثنياً عليه . . في كل آن .
- ولأنى متعب مريض يؤلمني النصل ،
فسوف أتجّه إلى المنزل للاستئذان .
- فإن زاد مولاي راتبي . .
كان في هذه الزيادة العلاج لدائي ومرضي والأحزان[2] .

ولا شك أن هذه القصيدة قد نظمت قبل ذي الحجة من عام ٥١١هـ ، أي قبل موت السلطان غياث الدين محمد ، لأن سنجر كان يدعى فيها (الملك) و(ناصر الدين) . . ونحن نعرف أن اللقبين كانا يطلقان عليه في فترة إمارته على خراسان وفترة ولايته للعهد ، أطلقها عليه أخوه محمد (٤٩٠ - ٥١١هـ) ولمّا مات محمد وحلّ سنجر مكانه وصار سلطاناً على البلاد أطلق على نفسه لقبي (السلطان) و(معز الدين)[3] .

[236]

---

(١)

اگر شاهی بود با ملك ولشكر	كه باشد دشمن از تيغش هراسان
چنان بايد كه از عدلش رعيت	بود آسوده وشاد وتن آسان
همين است اعتقاد شاه إسلام	كه آبادست ازو ملك خراسان
ملك سنجر همايون ناصر الدين	خداوند همه إيران وتوران
جها ندارى كه اندر نسل سلجوق	جهان را يادگار است از سه سلطان

(٢)

منم نو جان بفر دولت شاه	نشسته ساكن اند مرو شهجان
بقاى دولت وأيام اورا	هوا خواه ودعا گوى وثنا خوان
بدستورى بخانه رفت خواهم	كه رنجورم هنوز از رنج پيكان
اگر مرسومم افزايد خداوند	بود درد مرا آن رسم درمان

(٣) إبن الأثير ، حوادث عامي ٥٥٢هـ ، ٦١٣هـ .

ويُطلِق المعزى على سنجر في ديوانه ـ بصفة دائمة ـ لقب الملك ناصر الدين سنجر وذلك في أشعاره التي نظمها قبل وفاة السلطان محمد ، أي في فترة إمارة سنجر على خراسان ، ويُطلِق عليه لقب « السلطان معز الدين » حين يتحدث عنه في فترة السلطنة. وبناء على ذلك ، لم يعد هناك مجال للشك في أنَّ قَذْفَ المعزى بالسهم كان قبل عام ٥١٢هـ (أو في عام ٥١١هـ) أو في عام من الأعوام السابقة على ذلك). ومنذ هذا التاريخ وحتى العام الذي يرى تقي الدين أنه عام وفاة المعزى ، أي حتى عام ٥٤٢هـ يكون قد مرَّ عشرون عاما تقريبا[١] . ولما كانت المراثي التي نظمها سنائي في حقِّ المعزى تؤكد أن موت أمير شعراء الدولة السلجوقية كان آخر الأمر بتأثير سهم الملك . . فإنَّ افتراض صحّة التاريخ الذي ذكره تقي الدين لوفاة المعزى . . يستوجب منا القول بأن المعزى ظل يشكو من جرح النصل ويتألم بسببه ما يقرب من عشرين عاما . وهذا أمر مستبعد ، خاصة إذا وضعنا في حسابنا أن المعزى صار أميرا للشعر منذ عام ٤٦٥هـ أي منذ السنة الأولى لجلوس ملكشاه على عرش السلطنة ، بينما كان في هذا التاريخ نفسه شاعرا مجيداً يبلغ من العمر ما بين العشرين والخامسة والعشرين على أقل تقدير . كما أن افتراضنا صحّة التاريخ المذكور يستوجب منّا القول بأن المعزى عند وفاته كان عمره أكثر من مائة عام، وأنه ظل يشغل منصب أمير الشعراء في بلاط السلاجقة مدة تتراوح بين السبعين سنة والثمانين . . وهذا أمر غريب إن لم يكن محالا .

ويقول المعزى أيضا في مدح خواجه قوام الملك صدر الدين محمد بن فخر الملك (وزارته من صفر عام ٥٠٠ حتى ذي الحجة عام ٥١١ هـ)[٢] :

ـ بوجهك الجميل يزدان الحفل ،
كما يزدان العالم بسيرت صدر الدين .
ـ محمد الحُرُّ الذي يشبه جدَّه وأباه

---

(١) الفرق حوالي ٣٠ عاما وليس ٢٠ عاما (المترجم).

(٢) از صورت زيباى تو آرايش بزم است   وز سيرت صدر الدين آرايش عالم
آزاده محمد كه ز افضال ومحامد   چون جد وپدر بر وزرا هست مقدم

في تفوّقه ـ بأفضاله ومحامده ـ على الوزراء أجمعين .

***

ـ أيها الملك الكبير والسيد العظيم . .

يا من ورثت الوزارة عن جدّك وأبيك وعمك .

ـ يا من أنت النظام بن النظام بن النظام ،

من اللائق أن تبسط يدك ، وأن تنظّم شؤون عبدك .

ـ لقد أتعبت ضربةُ الأيام قلبه الرقيق ،

وألطافك مرهم جراحه ومتاعبه . . . اليوم .

ـ فلا ترض بتركه للهمّ يملأ قلبه . . بسبب مرسوم ينتظره كل يوم .

ولا تترك له هماً ، ولا يداً تقدّم الهمّ[1] .

ويقول أيضاً في مدح الوزير خواجه صدر الدين :

ـ الحمدلله ، لقد صار الحظ . . بفضل عظمة وزير الملك . .

مؤنس طريقي ، وفي المدينة رفيقي .

ـ الحمدلله ، فقد قومّت بإقباله قامتي . . فباتت كالسهم . .

بعد أن صيرها كالقوس سهم مليكي .

ـ الحمدلله ، فقد نجوت من أذى الحوادث ،

ونلت في ظل الحظ كلّ الأمان .

ـ الحمدلله ، فقد بِتُّ بنور طلعته قرير العين ،

وعاد إلى روحي الاستقرار والاطمئنان .

---

(١) ای بار خدایی که بتـو صدر وزارت — میراث رسیده اسـت زجـد وپـدر وعم*
ای آنـکه نظـام بن نظـام بن نظامی — زیبـد که شود کار رهـی از تو منظم
خستـه اسـت دل نازك او ضربـت ایام — بـر خستـه او هسـت لطف های تو مرهم
مپسنـد که انـدر دل او ازپـی مرسوم — همّ است همه روزکه لا همّ ویدا لهم(؟)

* الجد هو خواجه نظام الملك ، والأب هو خواجه فخر الملك ، والعم هو خواجه مؤيد الملك .

- ورغم أني قد ابتليت بآفةٍ دون ما ذنب ،

فقد اعتبر الخلق بي . . وهذه إرادة الله .

- يرى الناس أن الآخرة خافية عن دنيانا ،

وهأنذا قد رأيت الأخرة رأى العين في الحياة .

- كنت أرى عن يميني - تارة - ما يشبه صور إسرافيل ،

وأشهد عن يساري - تارة - خيال سيف عزرائيل . . وأراه .

- كنت ميتا ، فأعاد إليَّ روحي شاهٌ شبيهٌ بعيسى ،

وألانَ الحديدَ في صدري وكأنه الشمع ، مَنْ يُشبِه داود نبي الله .

- كنت عاجزاً مجبراً . . فترة طويلة ،

والآن حلّت القدرة بعد العجز ، وبعد الجبر حلَّ الاختيار .

- انتهت ليالي محنة جسدي ولاح فجرها .

وبدا الشاطىء لقلبي بعد غرقه في بحار الحسرة ، وبعد طول الانتظار .

- أزالت يدُ الزمان آلامَ صدري . .

حين قبّلت يد صدر الزمان المباركة .

- الصاحب العادل قوام الملك صدر الدين ،

الذي يذكرٌ المُلك بقوام الدين وفخر الملك .

- قِبلة الدولة ، محمد ، شمس المحمدة

ذاك الذي يمنح عدلُه دينَ محمد القوة والإحكام[١] .

---

(١) شكر يزدان را كه از فر وزير شهريار
بختم اندر راه مونس گشت واندر شهريار

شكر يزدان راكه از اقبال او كردم چوتير
قامتى همچون كمان كرده زتير شهريار

شكر يزدان راكه اندر زينهار بخت او
يافت عمر من ز آسيب حوادث زينهار

شكر يزدان راكه نور طلعتش بار دگر
كرد چشم را قرير وداد جانم را قرار

گرچه آن آفت كه پيش آمد مرا لايق نبود
خواست يزدان تا بمن گيرند خلقى اعتبار=

- مولاي، يا من كانت رحمتُك درعَ عمري وحصن روحي..

قبل أن يجرحني السهمُ المريع.

- لقد أحيت عظمتُك عيني بعد ذبولهما..

كما تحيي العالمَ الذابلَ ريحُ الربيع.

- إن كنت تريد روحي الفتيّة.. نثرتها بين يديك..

مدلّلاً بذلك على صدق اعتقادي وعبوديتي.

- إن رؤية مولاي بعد هذه الحادثة..

أشبه برؤيتي الجنّة بعد حسابي في دينونتي.

- لقد أقسمت أن تخلو يدي من الكأس،

فقد ملأ الخمارُ عقلي بعد عام من الرعاية والاهتمام.

[238] - فكثيراً ما فقدت الأمل في الحياة بادىء الأمر،

ولن أحنث بقسمي بعد أن مرّ الأمر بسلام.

= مردمان گويند از دنيا نهانست آخرت
من بدنيا در بديدم آخرت را آشكار

كه مثال صور اسرافيل ديدم بر يمين
كه خيال تيغ عزرائيل ديدم بر يسار

مرده بودم شاه عيسى وارجانم باز داد
نرم كرد آهن چو موم اندر برم داود وار

عاجز ومجبور بودم مدتى واكنوم مرا
ازپس عجزاست قدرت وزپس جير اختيار

بر تنم شبهاى محنت راپديد آمد سحر
بر دلم درياى حسرت را پديد آمد كنار

رنج زايل كرد دست روزگار از صدر من
چون بيوسيدم مبارك دست صدر روزگار

صاحب عادل قوام الملك صدر الدين كه هست
از قوام الدين وفخر الملك شه را يادگار

قبلهء دولت محمد آفتاب محمدت
آنكه هست از داد او دين محمد پايدار

- إن هروبي من كل شيء أمر واجب . .
خاصة مما لا يناسب طبعي ويتّفق معه .
- واعلم أني أتألم ما دام النصـل في صدري ،
واعذرني إن لم تجد الكأس في يدي . . أحتسيه وأتجرّعه[1] .

ولما كانت هذه القصيدة بدورها قد نظمت أثناء وزارة خواجه صدر الدين محمـد فلا بد أن يكون ذلك قبـل ذي الحجـة عام ٥١١ هـ (تـاريخ قتـل ذلك الوزير) . وبما أنه يقول فيها أنه أمضى سنة بعد علاجه خاضعاً لتأثير الخمر ، فهذا معناه أن يكون قد أصيب بالسهم قبل علم ٥١١ هـ بسنةٍ على الأقل ، أي في عام ٥١٠ هـ، أو أن يكون قد أصيب في نفس العلم .

وهو يقول أيضاً في مدح سنجر:

- سنجر سيد العجم الذي بفضل فتوحاته . .

---

(١) ای خداوندی که رحـم تو پیش زخـم تیـر
پیش عمـر من سپرشـد گرد جان من حصـار
دیده' پــژمـرده' من زنـده گـشـت از فرتـو
همچنـان چون عالـم پژمـرده از بوی بهار
پیش تو زانجـاكه علـم واعتقـاد وبنـدگی است
گرچـه نو جانـم همـی خواهـی که جان آرم نثار
ازپس این حادثـه اقبـال آن حضرت مـرا
همچـو دیدار بهشـت اسـت ازپس روز شمـار
عهـد کرد ستـم که دسـت ازجـام می دارم تهـی
کزپس تیمار یك سال اسـت مغـزم پر خمـار
بس که در آغـاز کار از عمـر ببـریـدم امید
عهـد وپیمان نشکنـم چون به شدم انجـام کار
از همـه چیزی مرا پرهیز کردن واجـب اسـت
خاصـه از چیزی که باطبعـم نباشـد سازگار
تاکه باشـد در برم پیکان مرا رنجـور دان
ور نباشـد بر کفـم ساغـر مرا معـذور دار

امتلأت بلاد العجم بالعجائب الروايات والقَصَص[1] .

* * *

ـ لمّا كان قلبي ماضياً كالسهم في عبادتك ، لم يسبب جرحُ سهمك لروحي الألم .

ـ إذا لم ينل عبدك السعادة على يديك ، يصبح وجوده في الزمان كالعدم .

ـ لقد دفَعَتْ عظمتُك عن المهموم محنتَه ، وهوّن قبولُك على العاجز سقامه ، وكشف الغُمم .

ـ يدعونك الملك الرحيم ولا عجب . . ما دام عن ملكٍ رحيمٍ يصدر الكرم .[2]

ويقول أيضاً :

ـ المنّة لله ، إذ بفضل عظمة مولاي . .
لم أُقتل دون ذنب ، ولم أفقد حياتي بعد .

ـ الحمد لله ، إذ لم ينتزع روحي سهمُ الملك . .
الذي أطلقه من قوسه دون قصد .

ـ يوم أن نزل هذا القضاء من السماء إلى الأرض . .
كتب لي حظُّه رسالة من السماء .

ـ يقول فيها : لقد طلبت لك الأمان من الزمان .
وطلبت لك من الخالق البقاء .

---

(١) سنجر خدايگان عجم كز فتوح او
گشته است پر عجايب وپر داستان عجم

(٢) چون بنده در پرستش تو دل چوتير داشت
از زخم تير تو نرسيدش بجان الم
گر بنده را سعادت تو در نيافتى
گشتى وجود بنده هم اندر زمان عدم
فرّ تو دفع كرد وقبول تو سهل كرد
از مستمند محنت وبر ناتوان سقم
خوانند همى ملك ملك مهربان ترا
نشگفت اگر كند ملك مهربان كرم

ـ إن يثقب السهمُ صدرَك . . لا خوف . .
فسوف تأتيك من الفلك مِنحةُ الزمان .
ـ مهما غسلت باللم وجهك . . متأثراً بخوفك . .
فلا تخشى ضياع روحك . . فقد كُتِب لها الأمان .
ـ نتيجة لما أظهره الشاه من معجزات ، وأبداه حظه من كرامات . .
كثيراً ما بدت عليَّ آثار العافية .
ـ فربما نَجَمَ عن يد الشاه المباركة وسهمه المبارك . .
ما أسمعه من تصفيق الناس لي ، وما حققتهُ من شهرة مدوّية .
ـ لقد بسطت على عنقاء همته ظلَّها . .
حين اختفى نصله في جسدي وسكن .
ـ ولأن العنقاء تقتات العظام . . [239]
فقد اتخذ الحديد طابع العظام في البدن .
ـ جعلت قلبي خزانة أودعتها كنزاً من مدائح الشاه . .
أفضل من كل كنز ثمين .
ـ فإن كان الكنز في حاجة إلى حارس . .
فنصل الملك حارس كنزي الثمين .
ـ إذا كان قلبي قد تعب بعض الوقت ،
وجسدي قد آلمه الضعف مدَّة عام . .
ـ فإني أعلم أن انتهاء أمري بالصحة والعافية . .
سببه فضلُ الله وعظمةُ مولاي سيد الأنام .
ـ الملك سنجر حاكم الدنيا والعصر . .
الملك السعيد ، والأسد الموفّق الشجاع الهمام .

* * *

ـ بفضل جاهك وبركة رأي الملك الرحيم . .

كتب لي ربي النجاة من ظلم الفلك الجبار.

ـ وبعد أن امتحنني الدهر بالآلام،

امتحن الحظ قدرتي على مدحك، وتعرَّض طبعي للإختبار.

ـ والآن أشكر الله على عودتي لطريق العبودية ثانية؛

فقد صرت في المجلس مادح سيد الزمان.

ـ ظننت أن صدري مجرّد منجم للجواهر..

الى أن احتلَّ النصلُ فجأة في منجمي.. خيرَ مكان.

ـ ولم تنفصل الجواهر عن منجمها..

بل عاد المنجم لجواهره.. بفضل عظمتك.

ـ وما هذا الامتلاء إلا بتدبير من الله!

ليزيدني جاهاً وشهرة ونعمة بفضل همّتك.

ـ وهأنذا ـ مرة أخرى ـ امتطى جواد الدولة،

وأنعم بالحرمة والجاه.. لقاء خدمتك.

ـ ركبتي الهمّ عاماً في غياب رضاك،

واليوم أنتظر السرور في ظل رضاك.

ـ الذهب روحي.. ولو أشرت لي،

نثرت اليوم روحي على يدك التي تنثر الذهب، وجعلتها فداك[1].

---

(١) منت خداى راكه بفر خدايگان … من بنده بى گه نشدم كشته رايگان

منت خداى راكه بجانم نكرد قصد … تيرى كه شه بقصد نينداخت از كمان

روزى كه ز آسمان بزمين آمد اين قضا … بخشش مرا پيام فرستاد ز آسمان

گفتا زكردگار ترا خواستم بقا … گفتا ز روزگار ترا خواستم امان

گرسينه' توسفته' تيراست باك نيست … أيدهى زچرخ بتو سفته' زمان

هرچند ازين هراس بخون روى شسته اى … أزجان مشوى دست كه ايمن شدى بجان

بر معجزات شاه وكرامات بخت او … آثار تندرستى من بس بود نشان

شايد كه بر مباركى دست وتير شاه … دستان زنند خلق وسرايند داستان

بر من هماى همت او سايه گسترید … چون در تنم شد آهن وپيكان اونهان

از بهر آنكه قوت هماى استخوان بود … آهن گرفت در تن من طبع استخوان =

ويُستفاد من هذه القصيدة أيضاً أن المعزي قد أصيب بالسهم قبل سلطنة سنجر بعلم على الأقل (قبل عام ٥١١ هـ بسنة على الأقل)، وأنه كان طوال هذه السنة مريضاً يلازم الفراش ، ثم تحسَّن بعد عام وصار يتردّد على البلاط . غير أنه يُفهم من أشعار أخرى له أنه لم يُشْفَ قط ، وأن النصل بقي في صدره يعذّبه دائماً ، وأنه كان أحياناً يشرف على الموت . وتشهد مراثي سنائي أنه مات بعلّته هذه . وهو نفسه يشير إلى ذلك في عدّة رباعيات . . ذكرها جامع منتخيات أشعار الشعراء الستَّة . يقول :

ـ مليكي أمسك القضاء السيء بأذيالي ،

= من دل خزانه كردم وبنهادم اندرو   گنجى بمدح شاه به از گنج شايگان
گرپاسبان ببايد ناچار گنج را   پيگان شاه گنج مراهست پاسبان
يك چند اگر زرنج دلم بود دردمند   يك سال اگر زدرد تنم بود ناتوان
فرجام كار عافيت خويش راسبب   فضل خدا بدانم وفرّ خدايگان
فرمانده زمانه ملك سنجر آنكه او   شيريست كامگار ودلبريست كامران

من بنده را بفرتو ايزد نجات ده
از جور چرخ كينه وراى شاه مهربان
زان پس كه دهر كرد برنج امتحان مرا
مدح تو كرد بخت ز طبع من امتحان
اين شكر چون كنم كه دگر باره بنده وار
گشتم بمجلس تو خداوند مدخ خوان
بردم گمان كه سينهٔ من كان گوهر است
ناگه گرفت پيكان در كان من مكان
گوهر زگان نرفت وليكن بعاقبت
از دولت تو باز بگوهر رسيد كان
اين تعبيه خداى بدان ساخت تامرا
افزون شود بهمت توجاه ونام ونان
گيرم بحشمتى دگر وحرمتى دگر
وز خدمت تو موكب دولت بزير ران
يكسال بى قبول توغمناك بوده ام
وقتست اگر شوم ز قبول تو شاد مان
جانم زر است ور تو اشارت كنى كنم
بر دست زرفشان تو امروز جان فشان

حتى رأيت جنود الغمّ حولي جالسين.

ـ فإن كان سهمك قد جرح قلبي المُشرق.

ـ فإقبالك قد رعى جسدي، وكان لروحي نعم المعين[١].

[240] ويقول:

ـ أيها الفلك الموكَّل بمعاداتي.. أدِّ حق خدمتي القديمة.. في سابق عمري.

ـ عالج صدري براحة صدري.. فراحة صدور القوم مرتبطة براحة صدري[٢].

ويقــول:

ـ إن كان صدري وقلبي منجماً للجواهر، فإن لي وجنة..

أتعبَها شيئان، فصارت كالذهب الأصفر.

ـ أول الشيئين: عقدة زلف قمري المشــوق،

وثانيهما: جرح سهم الملك سنجر[٣].

ويقــول:

ـ أيها البدر المنير، لقد جرَحَت قلبي غمزتُك..

كما جرح الملك بالسهم صدري.

ـ الآن، نصلان استقرا فيهما،

فانزعهما يا بدر من قلبي وصدري[٤]

ـ إن يكن الملك سنجر قد جرح صدرَنا..

---

(١) بگرفت شها قضاى بد دامن من ‏ ‏ تا لشكر غم نشست پيرامن من
گرخست بتير تودل روشن من ‏ ‏ بخت تو نگاه داشت جان وتن من

(٢) اى چرخ كمر بلند بر كينهٔ من ‏ ‏ بگزار حق خدمت ديرينهٔ من
آسايش سينهٔ مرا درمان كن ‏ ‏ كاسايش سينه هاست در سينهٔ من

(٣) گرچه دل وسينه كان گوهر دارم ‏ ‏ رخساره زرنيج هردو چون زر دارم
كان بستهٔ زلف ماه دلبر دارم ‏ ‏ وين خستهٔ تير شاه سنجر دارم

(٤) خستى دل من بغمزه اى بدر منير ‏ ‏ چونانكه ملك سينهٔ من خست، بتير
در سينه ودل كنون دوپيكان دارم ‏ ‏ از سينه ودل هردو برون آمده گير

فخمار العشق يملأ رأسنا ، ويثقله الحب .

- وإن يكن صديقنا الحبيب قد سلب قلبنا .

فالسهم يشغل صدرنا بدل القلب(١) .

ويقول في إحدى قطعاته :

- امتدحت سهم الملك في شِعري ، فرفع رأسه . . للشكر والفخر .

- وأقبل علي فوضع قُبلة على صدري ، ومضى تاركاً النصل في الصدر . (٢)

ويقول في مدح سديد الملك صفي الدولة عمر عارض جيوش خراسان :

- سديد المُلك ، المَلِك ، عارض خراسان . .

صفى الدولة ومخدوم أهل الديوان .

- ملاذ دين الله ومعين شرع الرسول . .

عمر ، الذي يشبه علياً والعتيق وعثمان

- لقد نال لقَبَي : سديد وصفي . .

لأن قلبه مستقرُّ السداد ، ومستودع صفاء الإيمان(٣)

- يا صاحب الحظ السعيد ، سأحدثُك في بيتين لي . .

عن حادث سهم ملك إيران .

- إن كانت آثار العافية تبدو على جسدي ،

فما زال النصل مختفياً في كنز صدري . . إلى الآن . (٤)

---

(١) كرسينه بخست شاه سنجر مارا — كم نيست خمار عشق در سرمارا
گردل بربود پار دلبر مارا — پيكان بدل دل است در برمارا

(٢) تيرشه را بنظم بستودم — شكر كرد وبفخر سر بفراشت
آمد وبوسه داد سينهٔ من — رفت وپيكان بسينه در بگذاشت

(٣) سديد ملك ملك عارض خراسان است — صفى دولت ومخدوم أهل ديوان است
پناه دين خدا ومعين شرع رسول — عمر كه همچو على وعتيق وعثمان است
لقب سديد وصفى يافته است زانكه دلش — قرار گاه سداد وصفاى ايمن است

(٤) بلند بختا باتو بيك دو بيت مارا — حديث حادثهٔ تير شاه ايران است
اگرچه بر تنم آثار عافيت پيداست — هنوزپيكان در گنج سينه پنهان است

- إن صدري بما يحويه من جواهر كثيرة قيمة . .

لَهُوَ خزينة للكلام .

[241] - منها تُحمل الجواهر إلى كل مكان .

فوا أسفاه ، أن يكون مثلها مكاناً للنصل والآلام

- إني شاكر لك لطفك ، فقد عالجت بلطفك آلامي ،

وداويت ما ألمَّ بي من سقام .

- ليكن إله العرش حارس حظّك وعمرك ،

فَيَدُك وقلمك ، للمُلك . . حارس لا ينام .

- إن يكن علاج صدري صعبا . .

فهو سهل على خالق الروح . . رب الأنام[١]

ويقول ممتدحاً الإمام شمس الدين شهاب الإسلام عبد الرازق بن الفقيه عبدالله ابن أخي خواجه نظام الملك ، رئيس نيسابور . . قبل أن يسند إليه منصب الوزارة (أي قبل عام ٥١١هـ - لأنه لا توجد إشارة لوزارته قط في هذه الأبيات) :

- سعيد الحظ من لم يربط قلبه بالعشق ،

ومن أخذ من عشقه ما يضيفه لمدح شمس الدين .

- ذاك الإمام ، شهاب الإسلام الثاقب . .

الشهاب الذي وضع قدمه على مفرق الثّريا ، في سماء رب العالمين .

- عبد الرازق الذي في ظل إقباله . .

أوصل الحظ مسنده إلى أعلى عليين[٢]

---

(١) خزانهٔ سخن است از قياس سينهٔ من ... كه اندرو گهر قيمتى فراوان است

همى برند بهر جاى زين خزانه گهر ... چنين خزينه دريغا كه جاى پيكان است

من از لطافت تو شاكرم كه درد مرا ... لطاقت تو بجاى علاج ودرمان است

خداى عرش نگهبان بخت وعمر توباد ... كه دست وخامهٔ تو ملك رانگهبان است

علاج سينهٔ من گرچه صعب ودشوار است ... بر آنكه خالق جهانست سهل وآسان است

(٢) نيك بخت آنكس كه دل در بند عشق او نبست

بر گرفت از عشق او برمدح شمس الدين نهاد =

- يا ابن أخ الصدر الذي وضع الأساس . .
فيما بين كاشغر وبحر قسطنطين .
- لقد انتقل إلى الدار الآخرة بعد أن وضع في قلعة إقباله . .
من علومك . . ذخيرة الحشمة والتمكين(١)

* * *

- أيها العظيم ، كان قلبي متعباً من ضربة الفلك ،
فوضع لطفك مرهماً مسكّناً على قلبي المعنىًّ(٢) .

ويقول المعزي في مدح أبي طاهر سعد بن علي القمى ، الذي كان يشغل منصب الوزارة لسنجر من علم ٥١٥هـ حتى ٥١٦هـ :

- أن حادثة سهم الملك ليست خافية
وليس خافيا ما أصابني من كدر على يد الزمان
[242] - إن تكن حياتي السابقة قد كدًّرها السهم ،
فعامى هذا مشرق بفضل شمس العصر والأوان .
- بعد أن أشرفت على الموت . .
نجوت في دولة شرف الدين صاحب الصيت والشهرة .
- تاج الكفاة فخر المعالي وجيه الملك ، زينة الدول . .

= آن امامى كو شهاب ثاقب است اسلام را
وآن شهابى كو قدم بر تارك پروين نهاد
عبد رزاق آنكه اندر سايهٔ اقبال او
بخت عالى رخت بر بالاى عليين نهاد
(١) اى برادر زادهٔ صدرى كه از روى اساس
از زمين كاشغر تا بحر قسطنطين نهاد
او بعقبى رفت واندر قلعهٔ اقبال خويش
از علوم تو ذخيره حشمت وتمكين نهاد
(٢) مهتر از ضربت گردون دل من خسته بود
لطف تو بر خستهٔ من مرهم تسكين نهاد

رضى الملوك ورأس الأسرة.

ـ أبو طاهر، المنزَّهة سيرة نفسه الشريفة عن السهو والزلل،

والخالية سيرة نفسه من العيب والعار.

ـ سعد على الذي كرّمته الدولة وساعده الحظ المواتى،

وكان نصيبه منهما السعد والعلا والفخار[1].

* * *

ـ يا فلك شمس المعالى، إن يكن قلبي لم ينل..

من الفلك ـ في عام كامل ـ ما كان يحبّ.

ـ فقد مضى ذاك العام..

ونلت بفضل جاهك في السنة التالية ما كنتُ فيه أرغب.

ـ ان يكن سهم مليكي قد أخطأ فأصاب جسدي

فالخطر لم يلحق بروحي بعد أن صرتُ إليه المقرَّب

ـ لم يشأ الله أن يكون سهمه سبباً..

في أن يقيم العبيد والأحرار مأتما.. يبكون فيه مصيبتي.

ـ لقد تحسَّنت صحتّي بفضل تأييدك لي في محنتي،

---

(1) پوشيده نيست واقعهٔ تير شهريار — وان روزگار تيره كه برمن گذشت يار

گر پار روزگار من از تير تيره بود — امسال روشن است زخورشيد روزگار

زان پس كه بود بر شرُف مرگ حال من — رستم بدولت شرف دين كردگار

تاج الكفاة فخر معالى وجيه ملك — زين دول رضى ملوك وسر تبار

بو طاهر آنكه سيرت نفس شريف اوست — طاهر ز سهو وزلت وخالى ز عيب وعار

سعد على كه سعد وعُلى بهره يافته است — از دولت مساعد وازبخت سازگار

وإزالة حظِّك لهمّي وغمّي وكربتي.

ـ واختفى ليل عنائي في حضرتك،

ووضح نهار سروري في ظلمتك، وبدت فرحتي.

وتفيد القرائن أن هذه القصيدة لم تنظم إبان وزارة أبي طاهر سعد بن علي القميّ، بل نظمت قبل ذلك بمدة طويلة.

وللمعزي في مدح هذا الوزير ـ قبل أن يلي الوزارة ـ كثير من القصائد، سوف نتعرَّض لها عندما نتحدَّث عنه.

ويُفهم من إجمالي ما نقلناه من أشعار المعزي أن تاريخ إصابته بالسهم كان قبل عام ٥١١ هـ على وجه اليقين. ويبدو أن هذا الحادث قد وقع في مرو، وأن سنجر هو الذي قذفه بالسهم، ولكن السبب مجهول..

والشاعر نفسهُ يُرجع الأمر إلى خطأ وقع من جانب سنجر. ولعله لجأ لهذا التعليل لكونه كان يعمل في جهاز سنجر الإداري. ونحن لا ندري ما إذا كان هدف سنجر قتْل المعزي أم أنه جرحه بطريق الخطأ.. وسوف نتحدث عن وفاته عندما نتحدَّث عن وزارة مختص الملك.

---

(١) ای آفتاب چرخ معالی اگر نبود ... یك سال بر مراد دلم چرخ را مدار
آن سال در گذشت وبفرّ تو یافتم ... در سال دیگر آنچه همی كردم انتظار
گر تیر شهریار خطا رفت برتنم ... جان را خطر نبود باقبال شهریار
ایزد نخواست كز جهت تیراو شوند ... بر سوك بنده بنده وآزاد سوگوار
بهتر شدم كه بود در آن حادثه مرا ... تأیید تو معالج وبخت تو غمگسار
در حضرت تو شد شب تیمار من نهان ... در ظلمت تو روز نشاطم شد آشكار

[243]

٤ ـ أبو المحاسن شمس الدين ، قوام الدين نظام الملك
(شهاب الإسلام عبد الرزاق بن عبدالله بن إسحاق، إبن أخي خواجه نظام الملك)
(وزارته من ٥١١ حتى محرم ٥١٥هـ) .

يا من بفتواك وهمّتك يرتفع علم دين الرسول ،
ومن معانيك ومعاليك شرف آل النظام .
عندما تزمع المبارزة في معركة الشرع . .
لايستهلّ أحد سيف الفصاحة من غمده .[١]
(المعزي)

بعد قَتْل الخواجة صدر الدين محمد ، أسند سنجر منصب الوزارة للإمام شهاب الإسلام أبي المحاسن عبد الرزاق بن الفقيه عبدالله إبن أخي خواجة نظام الملك ، وكان من فقهاء نيشابور وممن لهم الرياسة الدينية فيها . وقد تلقَّب شهاب الإسلام هذا بعد أن وزر لسنجر بألقاب خواجه نظام الملك . . أي «قوام الدين» و«نظام الملك» . وهو أول وزير لسنجر في سلطنته التي بدأت بعد موت أخيه السلطان غياث الدين محمد .[٢]

---

(١) اى ز فتوى وفتوت علم دين رسول
وز معانى ومعالى شرف آل نظام
چون تو در معركه' شرع مبارز خواهى
هيچكس بر نكشد تيغ فصاحت ز نيام

(٢) إعترف الخليفة بسنجر سلطاناً على السلاجقة ، ووضع اسمه مكان اسم محمود بن محمد بن ملكشاه في الخطبة . . في السادس والعشرين من جمادى الأولى سنة ٥١٣ هـ = الرابع من سبتمبر سنة ١١١٩م، وكان يحكم قبل ذلك في خراسان مدة السنوات الأربع والعشرين السابقة على هذا التاريخ . (المترجم) .

وكان والد شهاب الإسلام ـ أي أبو القاسم عبدالله بن علي بن إسحاق ، الملقَّب بالفقيه الأجلّ ، تابعا في الفقه لإمام الحرمين عبد الملك الجويني ، وكان يُصدر فتاواه أيام وزارته أيضاً . طبقاً لأحكام الشرع .

وليست في يدنا معلومات عن حياة شهاب الإسلام قبل تعيينه في الوزارة . [244] ويستفاد من تاريخ بيهق أن أباه قد مات في ذي القعدة عام ٤٩٩ هـ ، وكان سجيناً في قلعة ترمذ[١] . وممن عاصروا شهاب الإسلام من الشعراء . . المعزي أمير الشعراء وأبو اسحاق إبراهيم الغزنوي ، ولهما قصائد في مدحه .

وتصل مدائح المعزي التي نظمها في حقّه إلى ثماني قصائد ، نظم بعضها قبل وزارته وبعضها أثناءها ، وهذا مطلع إحداها :

زبهر تهنيت عيد پيش من شبگير معطر آمد وآراسته بت كشمير

وقد امتدحه فيها بقوله :

ـ بفضل العيد وموسم الورد ملأت البهجة طوال النهار . .
قلب من يتعبَّد ليلا في خدمة شمس الدين الخطير .
ـ رئيس المشرق إمام العجم ، مؤيد الملك . .
بهاء دولة الملوك ، وابن عم الوزير .
ـ شهاب الدين المسلم وأثير الأنام ،
ومن يفوق بقدره الشهاب وفلك الأثير .
ـ أبو المحاسن المحسن الذي يدلّ حُسن همته على حشمته ،
ويوجّه الأنظار إلى نعمته . . وإليها يشير .
ـ بخدمتك ينال عظماء الشرق مكانتهم ،
ويجد أئمةُ الشرع في قولك السراجَ المنير .
ـ إن من يعش في كنف الشرع ، ويستظلّ بحمايتك . .

(١) تاريخ بيهق ، ورقة 51 a ، نسخة برليـن .

ينعم بالسرور. . خاصة صبح عيد الغدير.

ـ حين يبدو في المناظرة إعجازك. .

يقرّ بعجزه الفليسوف طاهرالضمير.

ـ حين تكتب الخطابات بألفاظ بديعة،

يحمل الخطاب ألف كاتب ، ويعظّم ألفاظه الصغير والكبير.[1]

وفي قصيدة أخرى مطلعها:

هست زلف ودهن وقد تواى سيم اندام

جيم وميم والف وقامت من كرد چولام

يقول المعزي :

ـ مِنْ شرْعٍ كذاك الذي وضعه عشقك. . تنشب الفتنة. .

حين يبلغها خير ما أتحته للخواجة الإمام.

ـ صدر أعيان نيشابور، رئيس الرؤساء شمس الدين. .

سيد الأحرار . . شهاب الإسلام.

ـ أبو المحاسن جامع كل المحاسن ،

عبد الرزاق الذي تمنح يده الأرزاق للأنام.

ـ يعجز المهندسون عن محاكاة فنّه،

وتعجز الفلاسفة عن مسايرة عقله، وتقصر الأوهام،

ـ أبو القاسم وسميُّه يظهران فرحتهما به في الدنيا والآخرة. .

أبوه في الدنيا ورسول الله في دار السلام.

---

(١) زعيد وموسم گل باطرب بود همه روز ... كسى كه خدمت خورشيد دين كند شبگير
رئيس مشرق إمام عجم مؤيد ملك ... بهاء دولت شاهان وابن عم وزير
شهاب دين مسلمانى واثير انام ... كه برترست بقدر از شهاب وچرخ اثير
ابو المحاسن محسن كه حسن همت او ... بحشمت است مشار وبنعمت است مشير
زخدمت تو بزرگان شرق مرتبه جوى ... زگفته تو امامان شرع فايده گير
كسيكه در كنف شرع در حمايت تست ... همى نشاط كند خاصه صبح عيد غدير
چو در مناظره اعجاز توپديد آيد ... شود بعجز مقر فيلسوف پاك ضمير
چو نامه ها بنگارى بلفظه هاى بديع ... برند نامه زيك لفظ او هزار دبير

ـ يعلو به نسل هذا إلى يوم القضاء،

ويبقى به دين ذاك إلى يوم الزحام.

ـ يا من علم دين رسول الله قائم بفتواك وفتوّتك،

وشرف آل النظام قائم على معانيك ومعاليك خير قيام.

ـ ما دمت تخوض معركة الشرع مبارزاً.

فلن يسحب أحد سيف الفصاحة من غمده، أو يحسن الكلام[1].

وفي قصيدة أخرى مطلعها:

[245] چون پديد آمـد مبـارك ماه نوبـر آسمان

بر بساط نيلگون زرين كمان آسمان

يقول المعزي:

ـ معشوقي الذي تنكسف الشمس قبالة وجهه المشرق.

وتضارع الشهاب ـ إزاء رأيه المنير ـ شمس الدنيا والمكان.

ـ إنه الشهاب الذي لا نظير له بين المسلمين،

ومن أوصله قَدره إلى الفلك، وحقّق مع الشهاب الاقتران.

ـ شمس الدين تاج المعالي عبد الرزاق

---

(١) فتنـه خيزد زچنـين شرع كه عشـق تو نهـاد
كر خبـر يابـد از اين رخصـت تو خواجـه إمـام
صدر أعيان نشابـور رئيس الـرؤسـا
شـمس دين سيد أحـرار شهـاب الاسلام
بو المحاسـن كه محاسـن همـه جمعست درو
عبـد رزاق كه دسـتش دهـد ارزاق انـام
قاصر اسـت از هنـرش هنـدسيان را اشـكال
عاجـز اسـت از خردش فلسـفيان را اوهام
شادمانـد دو ابـو القاسـم ازو در دو جهـان
پـدرش ايدر وپيغمبـر در دار سلام
نسـل اين هسـت بدو عالى تاروز قضا   دين آن هسـت بدو باقـى تاروز قيام
اى ز فتـوى وفتـوت علـم دين رسول   وز معانـى ومعـالى شرف آل نظام
چون تو در معـركه شرع مبـارز خواهى   هيچـكس بر نكشـد تيغ فصاحـت ز نيام

الذي في جوده الذي يرسله الرّزاق ـ لأرزاق الخلائق ـ ضمان[1]

ـ أيّ فقيه يقيم بمسجد أو يقيم بمدرسة . .

وأيّ إمام جدير بالمنبر والطيلسان . .

ـ ذاك ينعم في حماك بالحرمة يا نعيم الحياة وطيبها،

وهذا يسير على بساطك في حشمة، يا رطب اللسان[2].

وفي قصيدة مطلعها . :

گهى زمشك زند برگل شكفته رقم	گهى زقير كشد بر مه دو هفته علم

يقول المعزي :

ـ إن يكن فراقك قد أحال نهاري إلى ليل،

فقد تحيل ليلي إلى نهار . . هالة شمس رائد الكرم .

ـ أبي المحاسن الذي يتخذ إحسانه وجوده قاعدة الجود . .

وطابع السيادة المطلقة منذ القدم .

ـ أسماه أبوه عبد الرزاق . .

وصار هو بمكانته ورفيع قدره . . إمام العظماء بين الأمم .

ـ عمُّه رضيُّ الخليفة . .

ومن يفوق في الحشمة والصولة شخصا . له كرضيّ الخليفة عمّ؟[3]

ـ عمك بالعدل فرد، وأبوك بالعقل فرد

---

(۱) آن نگار از روی روشـن هست خورشید سیاه	چون شهاب از رأی روشن هست خورشید جهان
آن شهابی کوندارد در مسلمانی قرین	باشهاب اندر فلك كرده است قدر او قران
شمس دین تاج معالی عبد رزاق آنکه هست	جودش از رزاق ارزاق خلایق را ضمان
(۲) هر فقیهی کو مقیم مسجد است ومدرسه	هر امامی کو سزای منبر است وطیلسان
آن زحرمت درپناه تست یا طیب الحیوة	وین زحشمت بربساط تست یا رطب اللسان
(۳) اگر فراق تو روزم چوشب کند شاید	شبم چو روز کند فرّ آفتاب کرم
ابو المحاسن کاحسان وجود او دارد	همیشه قاعدهٔ جود وسروری محکم
پدرش بندهٔ رزاق نام کرد وبقدر	امام بار خدایست درمیان امم
عمش رضی خلیفه است ومحتشم باشد	کسی که او چو رضی خلیفه دارد عم

وأين من يضاهيك علما ، وأنت بالعلم فرد؟[1]

وهذه القصائد والقصيدة التي وردت في صفحة ٤٢١ قد نظمت قبل أن يصير وزيرا ، فلقبه الديني فيها: «شمس الدين». وقد نظم بعضها في حياة أبيه الفقيه الأجل (قبل عام ٤٩٩هـ) ، ونظم البعض الآخر في حياة خواجه نظام الملك (قبل عام ٤٨٥ هـ) .

أما القصائد التي نظمها المعزي إبان وزارته ، فمن جملتها قصيدة يهنئه فيها على الصدارة التي أسندت إليه بعد قتل خواجه صدر الدين محمد في عام ٥١١هـ ، في مدينة بلخ، وهو يقول فيها:

[246] - ما دام صدر الزمان قد نال من الملك الوزارة ، فتهانيٍّ للوزارة بصدر الزمان.

- صاحب الدنيا قوام الدين نظام المملكة ، سيد الوزراء وملكهم ، ووزير ملك الزمان.

- أبي المحاسن عبد الرزاق الذي يكفل قلمه للبشر أرزاقهم . . في هذا الزمان[2]

- علمُه في دين العرب . . منَحَ الشعبَ النظام ،
وعدلُه في الملك الباقي منح الدولةَ الاستقرار[3]

- يا من عِلم الأئمة كلّه قبس من علومك
يا من رسوم الوزراء كلّها مستعارة من رسومك[4]

* * *

- أنت فارس جواد الملك . . وفارس جواد الشريعة الماهر ،
ولا يبزّك فارس في قيادة هذين الجوادين[5] .

* * *

(١) عمت زعدل يگانه شد وپدرت زعقل — چنان كجاتو زعلمى يگانه عالم
(٢) چون وزارت يافت صدر روزگار از شهريار — تهنيت گويم وزارت را بصدر روزگار
صاحب دنيا قوام الدين نظام مملكت — سيد وشاه وزيران ووزير شهريار
بو المحاسن عبد رزاق آنكه ارزاق بشر — كرد در دنيا بكلك او حوالت كردكار
(٣) علم او در دين تازى داد ملت را نظام — عدل او در ملك باقى داد دولت را قرار
(٤) اى همه علم امامان از علومت مقتبس — وى همه رسم وزيران از رسومت مستعار
(٥) مركب ملك وشريعت را سوار چابكى — از تو چابك تر نباشد اين دو مركب راسوار

ـ لقد كان لطَيْفِهِ أثره قبل الوزارة . .

فكانت الهزيمة نصيب من لقيهم الملك في معركة غزنين[1] .

وفي البيت الأخير إشارة إلى فتح غزنين الذي تمّ في شوال من عام ٥١١ هـ ، وقبل وزارة شهاب الإسلام بثلاثة أشهر تقريبا .

وفي قصيدة مطلعها :

هركس كه ديد چهـــرهٔ آن ترك سيم بر

ازگلستـان وبـاغ نخـوا هد گلى ببر

يقول المعزي :

ـ من المسك الخادع يقطف السنابل ،

أما الحقل فإنه مجلس الوزير العادل .

ـ العادل نظام ملك الدنيا وسيد الزمان ،

العالم . . قوام دين الهدى وسيد البشر .

ـ الكفء ، أبو المحاسن الذي صار إحسانه . .

شجرا عالياً في روضة المعالي . . فريداً في نوعه .

ـ لذا أسند إليه سلطان الشرق والغرب . .

وسيد البحر والبر . . منصب الصدر في وزارته[2] .

وفي قصيدة مطلعها :

آيا گرفتـــه عراقـــين رابنـــوك قلم ويـاســـپرده سماكين را بزير قدم

---

(١) وهـــم او پيش از وزارت كرد چندانـــى اثر تـــاملك بشكســـت در غزنـــين مصـــاف كارزار

(٢) برچـين او زسنبـل مشـگين دلفريب گلـــزار او ز مجلس دستـــور دادگر
عادل نظـــام ملك زمـــين سرور زمان عالـــم قوام دين هدى سيد بشر
شايستـــه بو المحاســـن كاحســـان او شده است در روضـــهٔ معـــالى عالى يكى شجر
در شرق وغـــرب صدر وزارت باوسپرد سلطـــان شرق وغـــرب خدا ونـــد بحروبر

يقول المعزي :

[247] - أنت الوزير السعيد الذي لن يأتي من صلب آدم . .
وزير يضاهيك . . إلى يوم الحشر.
- أنت غياث دولة الملك وشهاب الإسلام .
وعماد شعب الله وإمام الأمم .
- أنت نظام الملك ، وبك يقوى شأنه ،
أنت قوام الدين، وبك يُحكم أساسه .
- لو منح الله عمك الحياة . .
لرفع عمك رأسه مفتخرا بعهدك(١)

- حين غادرت الري للقتال . . حمل الملكُ المعظم الراية ،
وقاد الجيش . . مستنداً إلى رأيك ، معتمداً على تدبيرك(٢)

* * *

- في تلك المعركة العالمية اتجه للقتال كل من . .
الأكراد والفرس والترك والعرب والديلم .
- وبفضل رعايتك وكبير عنايتك . .
فتح على أهل العراق باب السرور ، وأُوصِد باب الغم .
- بلطفك أخرجت الصلح من الحرب ، وبفضلك أخرجت الترياق من السم .
- بسبب خطابك الذي كتبته للعرب على لسان العجم . .
صار العرب للسلطان عبيداً . . كالعجم .
- وفي بغداد، ازدان باسم السلطان . .

---

(١) توآن خجسته وزيرى كه تاگه محشر — چوتو وزير نخيزد زگوهر آدم
غياث دولت شاه وشهاب اسلامى — عماد ملت يزدانى وامام امم
نظام ملكى وازتست كار ملك قوى — قوام دينى واز تست اصل دين محكم
اگرحيات دهد كردگار عم ترا — بروزگار تواز فخر سر فرازد عم

(٢) بعزم رزم چو ازرى براى وتدبيرت — كشيد رايت ولشكر وشهنشه اعظم

كل من اللواء والخطبة والمنشور والخاتم والتوقيع والدرهم[٢] .

وتشير الأبيات الأخيرة في القصيدة إلى معركة «ساوة» التي دارت في ١٢ جمادى الأولى علم ٥١٣هـ بين السلطان سنجر وابن أخيه السلطان محمود . وقد انضم الأمير منكو برس هو وجيش العراق إلى محمود ، كما انضم إليه أيضاً منصور بن صدقه على رأس جيش عربي . أما سنجر فكان في ركابه كلٌ من الأمير أبي الفضل ملك نيمروز والأمير علاء الدين گرشاسف أتابك يزد وقطب الدين محمد خوارزمشاه والأمير قماج والأمير أنر . وشاركت كافة الشعوب بجيوشها في تلك الموقعة . ولما هزم محمود وتحقّق النصر لسنجر في مدة عشرة أيام ، ووصل الخبر إلى بغداد . . حذف الخليفة اسم محمود من الخطبة وأحلّ اسم سنجر محله . ثم تمّ الصلح فيما بعد بين العم وابن أخيه على النحو الذي سنذكره عند حديثنا عن أبي القاسم الدرگزيني[١] .

وكانت وفاة شهاب الإسلام يوم الخميس ١٧ محرم علم ٥١٥ هـ[٢]، بناء على قول عماد الكاتب ، أما السمعاني فيؤكد أنها كانت في التاسع عشر من محرم من نفس العلم .

ويرد اسم خواجه شهاب الإسلام في أكثر من مناسبة ، وذلك في تاريخ [248] الأدب الفارسي ومذهب الشيعة . فنجد صاحب «چهار مقاله» ينقل عن المعزى حكاية تتعلق بالفردوسي سمعها من شهاب الإسلام (وتفاصيل الحكاية مسطورة في چهار مقاله في معرض الحديث عن حياة الفردوسي) .

---

(١) در آن مصاف جهانی نهاد روی برزم — زكرد وپارسی وترك وتازی وديلم
چو از عنايت بسيار تو بر اهل عراق — گشاده شد در شادی وبسته شد درغم
بلطف صلح بر آوردی ازميانه جنگ — بفضل نوش بر اوردی ازميانه سم
بنامه ای که نبشتی تو از عجم بعرب — شدند بنده سلطان عرب چنانکه عجم
زمام سلطان زينت گرفت در بغداد
لوا وخطبه ومنشور ومهر ورسم ودرم

(٢) إبن الأثير، حوادث عام ٥١٣هـ .

(٣) عماد الكاتب ، ص ٣٦٧

كما يذكر أبو الحسن البيهقي شهابَ الإسلام عند حديثه عن الإمام عمر الخيام ، فيرد اسمُهما معاً في تتمة صوان الحكمة في رواية تفيد أن شهاب الإسلام قد سأل الخيام يوماً - في وجود الإمام أبي الحسن علي بن أحمد الغزّال - عن اختلاف القراء وأسباب وجوه القراءات. . وأجاب الخيام على سؤاله بما يؤكد أستاذيّته[1] .

ويذكر كتّاب التراجم أن شهاب الإسلام هذا - بسبب تعصّبه المذهبي - قد قَتَل (أيام رياسته الدينية على نيشابور) المتكلمَ والواعظ الشيعي المعروف أبا علي محمد بن أحمد بن علي الفتّال النيشابوري. . مؤلّف كتاب « روضة الواعظين[2] بتهمة التشيُّع ، ولهذا يلعنه رجال الشيعة كلما ورد ذكره في مؤلفاتهم[3] .



(١) أنظر: مقالات آقاى ميرزا محمد خان القزويني - جـ ٢ ص٩٠ طبع المؤلف ، تتمة صوان الحكمة ، ص ١١٢ - ١١٣ .

(٢) أقدم كتب معارك الشيعة ومراثيهم .

(٣) أنظر: رجال ميرزا محمد الاسترابادي - ص٢٨٠ ؛ روضات الجنات ص٥٩٣ ، ٥٩٤ وغيرهما ؛ طبقات السبكي.

[249] ٥ ـ شرف الدين أبو طاهر سعد بن علي بن عيسى القمّي وجيه الملك

(وزير سنجر من المحرم ٥١٥ حتى المحرم ٥١٦هـ)

بعد وفاة شهاب الإسلام ، أسند سنجر وزارته لشرف الدين أبي طاهر سعد ابن علي بن عيسى القمّي . ويبدو من أشعار المعزى أن هذا الشخص كان وزيراً لتاج الدين خاتون سفرية ـ أم السلطانين سنجر ومحمد ، التي توفيت في علم ٥١٥هـ ـ قبل أن يتولى الوزارة لسنجر.

يقول المعزى في هذا الشأن :

ـ لم يكن للوزارة في ذاتها شرف وخطر ،
فنالت في ظل خدمة شرف الدين الشرف والخطر.
ـ وجيه الملك جمال الكفاة أبي طاهر،
الذي يلمس فيه الطهارةَ مجسّمةً . . كلُ من يمُعِن النظر.
ـ سعد علي . . الممدوح العظيم ،
الذي جعل الله السعد العالي نصيب دولته ، وأنالها الرفعة والظفر[1] .

* * *

ـ بقاؤك يزفّ البشرى لسيد العجم وصدر العالم بالسرور والسعادة.
ـ ثلاث فوائد تنالها بخدمة الشاه . .

---

(١) بذات خويش مراورا شرف نبود وخطر   بخدمت شرف الدين شريف گشت وخطير
وجيه ملك جمال كفات بو طاهر   كه يافت در نظر از عين جوهر تطهير
ستوده سعد عالى على مهترى كه سعد علوّ   نصيب دولت او كرد كردگار نصير

رضاء مجلس الخاتون وشكر الملك وامتنان الوزير.(١)

وفي قصيدة أخرى يقول:

- طريق المشيخة والعشق غير ممتدح، وسيد الزمان لا يقبل أن أسير في هذا الطريق.
- حامي الشريعة وشرف دين المصطفى،
الفلك المحطِّم للعدو، والشمس المضيئة للصديق.
- أبو طاهر المطهَّر، مخدوم الزمان..
سعد علي عيسى.. شمس المجلس على التحقيق.(٢)
[250] - يرضى عنك ستة أشخاص في الدنيا والآخرة..
ستة يفضلون سائر الخلائق من رجال ونساء.
- الشاه سنجر والخاتون وصدر الدين.. في الدنيا،
وفي الآخرة، محمد وأبو الحسن والزهراء.(٣)

ويفهم من هاتين القصيدتين أيضاً أنه كان يشغل كذلك منصب المشير أو النائب في حكومة الوزير الخواجة صدر الدين محمد.

وفي قصيدة أخرى يقول المعـزى:
- قلت: ضميري شجر حديقة الحكمة. قال: قد ازدانت الحديقة بهذا الشجر.
- قلت: إنه يثمر كل علم. قال: مدائح شرف الدين هي الثمر.
- قلت: وجيه الملك ممدوح الملوك. قال: فخر الدولة زينة البشر.

---

(١) خدايگان عجم را وصدر عالم را — بفرّخى وسعادت بقاى تست مشير
زشه سه فايده مخدوم حاصل است ترا — رضاى مجلس خاتون وشكر شاه ووزير
(٢) پيرى وكار عشق طريقى ستوده نيست — نپسندد اين طريق زمن سيد زمن
پشت شريعت وشرف دين مصطفى — مهر ولى فروز وسپهر عدو شكن
بو طاهر مطهر ومخدوم روزگار — سعد على عيسى وخورشيد انجمن
(٣) بادند راضى از تو بدنيا وآخرت — شش تن گزيدگان خلايق زمرد وزن
در دهر شاه سنجر وخاتون وصدر دين — در آخرت محمد وزهرا وبو الحسن

- قلت: فلك السعد والرفعة سعد بن علي،

قال: سرُّ السعادة وأصل الظفر.

- قلت: نال به جوهرُ السلف الشرف،

قال: نالت به أسرةُ أبيه الخطر[1].

* * *

- قلت: إنه رفيق «سِفْرِيَّة» في السفر،

قال: وهو في حظيرة القدس في الحَضَرَ[2].

ويلاحظ أن المعزى في كل موضع من أشعاره هذه كان يناديه بوجيه الملك؛ لأن كل هذه القصائد قد نظمت قبل توليته الوزارة. وفي قصيدته الذائعة الصيت والتي مطلعها:

ای ساربان منزل مکن جــز در دیار یــار مــن

تایك زمان زاری کنم بر ربع واطلال ودمن

يقول المعزى هذا المديح عند التخلص:

- هو لدين محمد الشرف، ولدرِّ الشريعة الصدَف،

به يدوم ذكر السلف، وعنه يرضى خلقُ الزمن.

- أبو طاهر الطاهر النسب، إسمه للسعادة سبب،

حلية الفضل والأدب، ومنبع العقل والفِطَن.[3]

* * *

---

(۱) گفتــم ضمــير من شجــر باغ حکمــت است | گفتــا شده اســت باغ مزين بدين شجر

گفتــم كه اين شجــر همــه سالــه ثمــر دهد | گفتــا مدايح شرف الــدين دهــده ثمر

گفتــم وجيه ملك بسنــديدهٔ ملوك | گفتــا كه فخــر دولــت وپــيرايهٔ بشر

گفتــم سپهــر سعــد وعلــو سعــد بن عل | گفتــا سر سعــادت وسرمــايهٔ ظفر

گفتــم شرف گرفــت بدو گوهــر سلف | گفتــا خطــر گرفــت بدو دودهٔ پدر

(۲) گفتــم كه هســت با سفــرهٔ در سفــر عديل | گفتــاكه در حظــيرهٔ قدس اســت در حضر

* خاتون تاج الدين سفرية أم سنجر ومحمد.

(۳) دين محمــد را شرف در شريعــت را صدف | باقــی بدو نام سلف راضی از وخلــق زمن

بو طاهــر طاهــر نســب نامش سعــادت راسبب | پيرايهٔ فضــل وادب سرمــايهٔ عقــل وفطن

ـ من فرط إكرامه، وكثرة إنعامه . .

صار اسمه في خراسان . . كاسم تُبَّع في اليمن[1] .

* * *

ـ أمرك نافذ في مروشا هجان ، يسري على الإنس والجان .

وبفضل نعمتك يعمُّ السرور آل الرسول وأبي الحسن[2]

[251] كما أنه يمتدحه في القصيدة التي ذكرناها له (في ص ٢٤١) والتي يتحدَّث فيها عن « حادث سهم الملك »، ولكنّه إبان وزارته يهنئه عليها قائلاً :

ـ لقد كشفت الدنيا عن سرِّك الدفين . .

الذي يتعلَّق بشغل منصب الوزارة لملك العصر والأوان.

ـ لقد أطلق الزمان لسانه بالتهنئة . .

عندما أصبح وزير ملك الدنيا . . صدر الزمان.

ـ فخر الملك، عماد الدول، الصاحب الأجَلّ،

قطب المعالي وشرف دين الديان.

ـ سعد علي عيسى . . الصاحب ،

شمس الفخار في سماء السعد وعلوّ القدر.

ـ ما دام في ظل هيبة الدولة وتأييد الله . .

قد احتلَّ مسند الوزارة ، وشُغِل بالأمر.

ـ فسوف تسيِّر الأَجْرامُ مصالحَ الخلق

وتدير الأفلاكُ مصالحَ الملك بانتظام.

ـ لقد بات السر المستتر في ضمير الزمن . .

ظاهراً في وزارته جلياً لأعين الأنام.

---

(١) از غايت اكرام او وز منت انعام او شد درخراسان نام او چون نام تبّع در يمن

(٢) فرمان تو برانس وجان در حد مروشا هجان وز نعمت توشادمان آل رسول وبو الحسن

ـ فقد اختاره ملك الدنيا وسيّدها لهذا المقام . .

دون أن يسعى هو لهذا المقام[١] .

* * *

ـ ما أكثر ما نظمت يد طبعي من مدائحك عقداً ملكياً . .

ازدان به جيد الزمان والعصر.

ـ وسيخلد هذا العقد الذي نظمته في تهنئتك ،

ويبقى في الدهر إلى أبد الدهر[٢] .

ويقول المعــزى أيضاً :

ـ إذا كان كبار الملوك وعظماء العجم ،

قد اشتروني قبل ذلك بالدينار والدرهم . .

ـ فقد جلس ـ هذه المرَّة ـ في الوزارة صدرٌ . .

يشتريني كل علم بالإحسان والكرم .

ـ فخر المُلك شرف الدين قوام الإسلام

سيّد العصر إمام الوزراء صدر الأمم .

---

(١) راز نهان خویش جهان کرد آشکار ... در منصب وزارت دستور شهریار
بگشاد روزگار زبان را بتهنیت ... چون شد وزیر شاه جهان صدر روزگار
فخر ملك عماد دول صاحب اجلّ ... قطب معالی وشرف دین کردگار
سعد علی عیسی آن صاحبی که هست ... بر آسمان سعد وعلو شمس افتخار
تا او بفرّ دولت وتایید ایزدی ... بنشست در وزارت ومشغول شد بکار
اجرام را منافع خلق است در مسیر ... افلاك را مصالح ملك است در مدار
رازی که در ضمیر زمانه نهفته بود ... امروز در وزارت او گشت آشکار
بی آنکه خواستار شد این جایگاه را ... اورا خدایگان جهان گشت خواستار

(٢) ای بسته از مدایح تودست طبع من ... بر گردن زمانه بسی عقد شاهوار
این عقد نوکه ساختم از بهر تهنیت ... در دهر هست تا ابد الدهر یادگار

- الصاحب العادل أبو طاهر سعد بن علي . .
الذي طبقت شهرة سعده وسموه الآفاق . . وكأنه علم[١] .

ويفهم من هاتين القصيدتين أنه لقب بألقاب جديدة بعد حصوله على الوزارة. ومن ألقابه الجديدة:

فخر الملك ، وقوام الإسلام ، وعماد الدولة[٢] .

وقد توفي أبو طاهر سعد بن علي بن عيسى القمّي يوم الاربعاء الخامس والعشرين من محرم علم ٥١٦هـ ، وبذلك تكون الفترة التي قضاها بالوزارة حوالي سنة وشهر[٣] .



---

(١) پيش ازين بار خدايان وبزرگان عجم — گر همى بنده خريدند بدينار ودرم
اندرين نوبت صدرى بوزارت بنشست — كه همه ساله خرد بنده باحسان وكرم
فخر ملك وشرف الدين وقوام الاسلام — سيد عصر إمام وزرا صدر أمم
صاحب عادل ابو طاهر سعد بن على — كه شد از سعد وعلو در همه آفاق عَلم

(٢) كان الخواجه شرف الدين أبو طاهر مهيسة القميّ وزيراً للسلطان سنجر. وشقيق أبي طاهر مهيسه هو أوحد الدين أبو ثابت الذي كان وزيراً لفارس (بعض مثالب النواصب).

(٣) عماد الكاتب، ص ٢٦٧ .

[252]

٦ ـ نظام الدين محمد بن سليمان الكاشغري معز الدولة يبغو بـــك

(وزير سنجر من محرم ٥١٦ حتى صفر ٥١٨هـ)

بعد أن توفي شهاب الإسلام آلت وزارة السلطان سنجر إلى نظام الدين محمد بن سليمان الكاشغري ، ولُقِّب بلقب السلطان (معز الدولة) . وكانت لهذا الشخص المنتمي لكاشغر ألقاب تركية تختلف كتب التواريخ إختلافاً بيِّناً في ضبطها .

وقد أطلق عليه عماد الكاتب لقب الكاشغري ، وأطلق عليه صاحب راحة الصدور (ص ١٦٧) لقب يغان بك الكاشغري ، وأسماه صاحبا جامع التواريخ والعراضة باسم طغان بك وتغان بك ، وسمّاه صاحب حبيب السير : تغار بك .

وفي نسخة من نسخ ديوان الغزّي الخطيّة . . كتبت في القرن السابع الهجري توجد قطعة لهذا الشاعر قالها في هجاء هذا الوزير ، وقد ورد اسمه فيها (ىعان) دون تنقيط ، وهذه هي[١] :

ىعان بيك الوزير على فادي	كما تؤذي المثار على الغبار
هو الدجّال إلاّ أن هذا	على فرس وذاك على الحمار

وقد أسماه المعزى (يبغو بك) ، وهنأه بالوزارة وامتدحه في قصيدتين ، بدأ أولاهما بقوله :

---

(١) الورقة 130 a من نسخة مكتبة باريس الوطنية .

چو شد عاشق دل وجانم لب وزلفین جانان را
دل وجان را خطر نبود دل این را باد وجان آنرا

وقال فيها ممتدحاً :

- اتغزَّل في اسمه فهو سلطان على عرش قلبي ،
وأثني على اسمه فهو وزير السلطان .
[253] - معز الدولة العالي نظام الملك يبغو بك . .
الذي يحقق النظام بحشمته وصولته إلى يوم الحشر - في دين الرحمن .
- محمد بن سليمان ، الفاضل الذي ناب عن محمد في رعاية الدين ،
وناب في رعاية الملك عن سليمان .
- الدستور ، زينة الدنيا . .
الذي لن تشهد الدنيا صاحباً مثله . . في إيران وتوران .
- نشأته في توران ووجوده في إيران ،
وبه كتب الفخر إلى الأبد لتوران وإيران .(1)

والقصيدة الثانية مطلعها :

چون ز سلطانان گیتي شهريار است اختيار
فرّخ آن صاحب كه باشد اختيار شهريار

(1) غزل برنام او گويم كه هست او بر دلم هست
ثنا بر نام او گويم كه دستور است سلطان را
معز دولت عالى نظام الملك يبغو بك
كه تامحشر نظام است او بحشمت دين يزدان را
محمد بن سليمان آن هنرمندى كه نايب شد
بدين اندر محمد را بملك اندر سليمان را
جهان آراى دستورى كه هرگز تاجهان باشد
چنو صاحب نخواهد بود ايران وتوران را
ظهور اوست از توران حضور اوست در ايران
بدو تاجاودان فخر است توران را وايران را

وفيها يقول :

ـ يجب أن يكون الصاحب خبيراً عارفاً بالأمور ليصلُحَ لصاحب القران السعيد .

ـ كانت الصدارة في الدنيا لنظام الدين ، عندما كان معز الدين صاحب القران السعيد .

ـ فأشار الحظ ، وعبَّد التأييدُ الإلهي الطريق . .

حتى اختار معزُّ الدين معزَّ الدولة السعيد .[1]

* * *

ـ الصدر السعيد الحظ محمد بن سليمان

عابد الدين كمحمد ، صاحب الملك كسليمان .

ـ بنظامه وتقاليده انتظمت أمور الدنيا ،

وبرسم قلمه صار أمر العالم نقشاً زاهيَ الألوان[2] .

ويُفهم من قصيدتَي المعزى هاتين أنه كان يلقَّب بمعز الدولة ونظام الدين والملك ويبغو بك . ولم يشر المعزى إلى لقبه الآخر . كما أن الآخرين كانوا ـ على ما يبدو ـ لا يعرفون شيئاً عن ألقابه الأخرى[3] .

وقد انتهت وزارة معز الدولة محمد بن سليمان الكاشغري في صفر من عام ٥١٨ هـ ؛ إذ قلم السلطان سنجر بعزله من وزارته في ذلك التاريخ .[4]

---

(١) صاحبى با يدكه باشد كاردان وكاربين — در خور صاحب قرانى كامران وكامگار
صاحب دنيا بصدر اندر نظام الدين بود — چون معز الدين بود صاحب قران روزگار
بخت تلقين كرد وتأييد الهى ره نمود — تا معز الدين معز الدوله را كرد اختيار

(٢) صدر نيك اختر محمد بن سليمان آنكه هست — چون محمد دين پرست وچون سليمان ملك دار
از نظام ورسم او شد شغل گيتى بانظام — وز نگار كلك او شد كار عالم چون نگار

(٣) في عهد السلطان سنجر وزمن الخواجة نظام الملك الطوسي رحمه الله ، كان التوقيع « أحمد الله على نعمائه » ، فلما صار طغان بيك الكاشغري وزيراً . . قال يوماً وهو في الديوان : احمد ومحمد إسما رسول الله ، لذا سأغيرّ هذا التوقيع ليصبح بعد ذلك « محمد الله على نعمائه » . (شاهد صادق ـ الباب الثالث ـ الفصل الثالث) .

(٤) عماد الكاتب ص ٢٦٧ .

[254]

٧ ـ معين الدين نصير الدولة مختص الملك أبو النصر أحمد بن فضل بن محمود الكاشي

(وزارته من ٥١٨ حتى ٥٢١ هـ)

يبدو أن معين الدين نصير الدولة أبا نصر أحمد ـ الملقَّب بمختص الملك أو مختص الملوك الكاشي ـ كان في أول عهد بركيارق يعمل كاتباً للرسائل ومحرراً في ديوان الحكومة . وقد امتدحه المعزى حين استدعاه سنجر من العراق ليسند إليه منصب وزارته عام ٥١٨هـ ، فقال :

ـ لقد عملت في ملك السلاطين ثلاثين عاماً ،
فكسبت امتنان الملوك وشكر الرجال .(١)

* * *

ـ إن تكن دولة السلطان محمد قد انتظمت على يديك . .
فإن ملك السلطان سنجر ينعم اليوم بالجاه والبهاء على يديك(٢)

وأول موضع يرد فيه ذكر مختص الملك في التاريخ هو وزارة سعد الملك الآبي (٤٩٨ ـ ٥٠٠)، أيام السلطان محمد . وقد ورد ذكره بمناسبة انتزاع سعد الملك قبل مصرعه بقليل ـ أي في نفس عام ٥٠٠ هـ ـ رياسةَ ديوان الإنشاء من يد نصير

---

(١) مدت سی سال در ملك سلاطین کرده ای
منت شاهان وشکر راد مردان اکتساب
(٢) دولت سلطان محمد گر زتو ترتیب یافت
ملك سلطان سنجر اکنون از تو یابد جاه وآب

الملك بن مؤيد الملك ، وإسنادها لمختص الملك . ومنذ هذا التاريخ دخل مُختص الملك في مصاف أصحاب المناصب الديوانية ، وفي عداد الوزراء.[1]

وظل مختص الملك رئيساً لديوان الإنشاء إبان وزارة قوام الدين أحمد نظام الملك خليفة سعد الملك . لكنه تعرّض في هذه الآونة لعداوة القاضي أبي اسماعيل عبيدالله ابن علي الخطيبي رئيس اصهفان ، الذي كان قد قَتَل سعد الملك وأربعة آخرين من أصحاب الديوان بتهمة انتمائهم للباطنية ، وذلك في علم ٥٠٠هـ . وقد خدع هذا القاضي المُغْرِض شخصاً باطنياً ، وعدَّد له أسماء مائة شخص من خدم السلطان وأعيان البلاد ، وقال له :

[2 لو سألوك عمن تعرفهم من الباطنية فاذكر لهم هذا العدد من الأسماء ، ولا تخش أي شخص أو أي شيء.

وتحدث الخطيبي للسلطان قائلاً :

إني أعرف مخبأ أحد الباطنية ، فلو ذهب إليه أحد وأحضره لأمكننا أن نعرف منه معلومات عن الباطنية . فلما أحضروا الباطني عدَّد الأسماء التي لقّنها له الخطيبي ، وألقاها على مسامع السلطان . . ومن جملتها اسم مختص الملك وصفي القمّي نائب ديوان الاستيفاء ، فأمر السلطان بإلقاء القبض على من ذَكَر أسماءهم ، وكان عددهم يناهز المائة من المشاهير ، وسلّمهم للأمراء من الأتراك ، فقاموا بسلب أموالهم وأملاكهم . غير أن الإسماعيلية ـ لحسن الحظ ـ قد تمكّنوا في تلك الفترة (علم ٥٠٢ هـ) من قتل الخطيبي بطعنة خنجر وجّهها إليه أحدهم ، وعَرَف السلطان بعد قتله أنه قد خدعه ، فندم على ما فعل وأطلق سراح المحبوسين.[2]

ورغم ثبوت براءة مختص الملك إلاّ أن الشك ظل ساكناً قلب السلطان ، لهذا عزله من وزارة الإنشاء ، وأسند منصبه للأمير محمد العميد الجوزجاني (ص ١٧٩ من هذه الرسالة).

(١) أنظر: ص ١٤٨ من هذه الرسالة؛ عماد الكاتب ص ٩٤.

(٢) عماد الكاتب، ص ٩٩ ـ ١٠٠.

وعندما آلت الوزارة ثانية إلى خطير الملك (٥٠٤ ـ ٥١١ هـ) حصل مختص الملك على رياسة ديوان الاستيفاء ، وظلّ في عمله حتى انتهت وزارة خطير الملك . . غير أنه لم يكن بينهما مودّة وانسجام ، وكان كل منهما يعيب على الآخر عمله في أحيان كثيرة . وأخيراً لجأ خطير الملك إلى كمال الملك السميرمي ـ وزير كَهرخاتون زوجة السلطان محمد ـ وأبديا لمختصّ الملك العداوة . وبلغت العداوة حدّاً أن كمال الملك ـ بعد عزل خطير الملك أثناء مرض السلطان ـ قد قام بعزل مختص الملك في عام ٥١١ هجرية بمساعدة رجال البلاط ، رغم أنه كان من عمّال الديوان القدامى[١] ، ومن يومها إلى عام ٥١٨ هـ لم يزاول مختص الملك أي عمل .

[256] وفي صفر من هذا العام ، عندما عزل السلطانُ سنجر وزيرَه نظام الدين محمد بن سليمان الكاشغري من منصبه ، استدعى مختص الملك من العراق إلى خراسان وأسند إليه مهام وزارته[٢] .

ومما قاله المعزى في هذا الصدد :

ـ المنة لله فقد أضاء نور الشمس سماء دولة الملك ،
بفضل الشاه مالك الرقاب .
ـ تتجه الشمس دوماً من خراسان إلى العراق ،
والآن تتّجه من العراق إلى خراسان بلا احتجاب .
ـ أنت الشمس في فلك الفضل آمنة من الغبار ،
أنت الشمس في برج السعد لم تتوار بالحِجاب .
ـ أنت الشمس مختارة دولة صاحب القران ،
أنت الشمس مختارة ملّة صاحب الكتاب .

---

(١) عماد الكاتب ص ١٠٦ ـ ١٠٩ ـ ١١٦ .

(٢) استُشْهِد معين الدين أبو نصر الكاشي وزير السلطان سنجر في خراسان على يد الملاحدة الملاعين ، وأخواه هما بهاء الدين ومجد الدين . وقد انتهكت حرمة آثارهم الخيّرة من مدارس ومساجد وقناطر ورباطات ومشاهد (بعض مثالب النواصب) .

ـ أنت سيّد الدنيا معين دين الرسول ،

شبيه داود النبي صاحب فصل الخطاب .

ـ الصاحب العادل نصير الدولة السامية ،

الذي اشتقّ الحمد والنصر من اسمه وكنيته ، وإليهما كان التفرُّع والإنشعاب .

ـ صدر العالم ، قبلة أولاد آدم . .

الذي سارع العالم قبل آدم ـ بفضل شرفه ـ إلى العدل والصواب .

ـ بفضل رسومه تنسى الدنيا . .

ما نالها من فخر وشرف على يد الصدر شهاب .

ـ حين وكل إليه الشاهنشاه أمر الدنيا . .

استقام أمرها واعتدل بعد انقلاب .

ـ لقد عملتَ مدة ثلاثين عاماً في ملك السلاطين . .

فاكتسبتَ امتنان الملوك وشكر ملازمي الأعتاب

ـ فاحكم الدنيا فترة يا سيدي . .

كي تخِلِيَ الدنيا من الاضطرار وتحرّرها من الإضطراب .

ـ إن تكن دولة السلطان محمد قد انتظمت على يديك . .

فإن ملك السلطان سنجر ينعم اليوم بفضلك بالرفعة والجاه والشباب[1]

---

(١) منت ایزد راکه روشن شد زنزد آفتاب — آسمان دولت ملك ازشه مالك رقاب
از خراسان آفتاب آیدهمی سوی عراق — از عراق آمد اکنون سوی خراسان آفتاب
آفتابی بر سپهر فضل صاف از غبار — آفتابی در بروج سعد خالی از حجاب
آفتاب اختیار دولت صاحب قران — آفتاب اختیار ملت صاحب کتاب
سید دنیا معین دین پیغمبرکه هست — همچو داود پیغمبر صاحب فصل الخطاب
صاحب عدال نصیر دولت عالی که هست — حمد ونصرت را زنام وکنیت او انشعاب
صدر عالم قبلهٔ اولاد آدم کز شرف — پیش از آدم بود عالم را بعدل او شتاب
بارسوم او جهان ازیاد بگذرد همی — آنچه از فخر وشرف دیده است از صدر شهاب
کار گیتی چون مفوّض کرده شاهنشه بدو — حال گیتی استقامت یافت بعد از انقلاب
مدت سی سال در ملك سلاطین کرده ای — منت شاهان وشکر راد مردان اکتساب
کدخدایی کن خداوند جهان رامدتی — تا جهان خالی کنی از اضطرار واضطراب
دولت سلطان محمد گر زتو ترتیب یافت — ملك سلطان سنجر اکنون ازتو یابد جاه وآب

ويقول المعزى في تهنئته بالوزارة:

ـ الآن صار الزمان جنّة الخلد وأضحت الأرض الفلك،
فقد شغل منصبَ وزير مَلِك الأرض. . صدرُ الزمان.
ـ الآن يتدلل الخلد الأعلى بفضل عظمة ملك الأرض،
ويفخر الفلك الأعلى بقدر ملك الزمان.
ـ القادر الذي صنع بقدرته نطاقاً من المجرّة والثريّا. .
في فلك الزمان.
ـ لقد أضاء دين أحمد بفضله،
حين وقع اختياره على أحمد بن فضل. . من بين رجالات الزمان.
ـ فمثل هذا الوزير. . يستحقّ أن يشكره أهل الدنيا لعدله. .
في حضرة ملك الدنيا وسيد الزمان.
[257] ـ فلا أحد تتعبه وكالته وتؤلمه،
ولا أحد يغتمّ في وزارته، ويتعرَّض لهموم الزمان(1)

* * *

(1) زمان چو خلد برين شد زمين چو چرخ برين
كنون كه صدر زمان شد وزير شاه زمين
زفر شاه زمين وز قدر شاه زمان
همى بنازد خلد برين وچرخ برين
مقدرى كه فلك را بصنع قدرت خويش
نطاق ومنطقه كرد از مجره وپروين
بفضل خويش بيفروخت دين أحمد را
چو كرد احمد بن فضل راز خلق گزين
چنين وزير سزد پيش پادشاه جهان
كه شاكرند زعدلش جهانيان بهمين
نه از نيابت او هست هيچكس رنجور
نه از وزارت او هست هيچكس غمگين

- قادة الملك اليوم في سرور بخواجتهم ،

فانظر الآن بعيني رأسك أو تأمل بعين عقلك .[1]

- يتّفق الملك والوزير في إحدى النقاط . .

هذا معز الدين . . وذاك معز الدين .

- لم يحظ الدين العربي في أي عصر من عصور الإسلام بمعزٍ كهذا ،

لا ، ولم يحظ بمثل هذا . . المعين .

- معين كأسد العرين . . غابته المُلك ،

ولا يصلح للغابة سوى أسد العرين .

- معينٌ الجدير بإبداء رأيه أمام الملك ،

عليٌ الجدير بأن يضرب بالسيف في موقعة صفين .

- يحق لمثل هذا الوزير معين الدين حقاً . .

أن يرد في مدحه اللفظ كالماء المعين .

- نصير الدولة أبو نصر فضل بن أحمد ،

صاحب الآيات البيّنات الدالّة على المحامد والفضل المبين .[2]

* * *

- لقد وجدت لدى الملوك الخمسة* . . من بين عظماء العراق وقادته . .

طوال الأربعين سنة الماضية . . كل احترام وتمكين .

سران ملك براين خواجه خرّمند امروز
بچشم سر تو كنون يابچشم عقل ببين

(٢) موافقند بيك جاى پادشاه ووزير — يكى معز الدين ويكى معين الدين
بهيج عصر در اسلام دين تازى را — چنين نبود معز وچنين نبود معين
معين چوشير عرين است وملك بيشه* او — سزاى بيشه نباشد مگركه شير عرين
معين سزدكه زند راى پيش شاهنشاه — على سزد كه زند تيغ در صف صفين
معين دين بحقيقت چنين وزير سزد — كه در ستايش او لفظ هست ماء معين
نصير دولت ابو نصر فضل بن احمد — كه در محامد وافضال آيتى است مبين

* الملوك الخمسة هم : ملكشاه وبركيارق ومحمد ومحمود وسنجر.

- إن كان يلزمك على ما أقول شاهد ودليل . .
فيكفيك على ذلك شاهداً . . الشهور والسنين[1] .
- إن يكن السخاء والعقل يشرّفان الرجل ،
فالسخاء والعدل بالنسبة لك سيرة وعادة ودين .
- واليهما تضاف أشياء ثلاثة هي :
الضمير المُشرق ، والعقل السليم ، والرأي الرزين .[2]

واستمرت وزارة معين الدين مختص الملك ثلاث سنوات في عهد سنجر ، كان أبو القاسم الدركزيني يرتكب خلالها كل ألوان الجرائم لتحسّره على منصب الوزارة . وقد عمد إلى القضاء على العديد من الأمراء والأعيان والوزراء في سبيل تحقيق غايته . ولكي يزيح مختص الملك من طريقه ، خصّص جماعة من الإسماعيلية لقتله . ولما كان مختص الملك يحتاط للأمر ، فقد أوفد الدركزيني جماعة من الإسماعيلية إلى خراسان ، حيث وفّق أحدهم في العمل لديه بالإصطبل . وذات يوم كان مختص الملك واقفاً يرقب جياده وكان هذا الباطني يعرضها عليه وقد تعرّى من ثيابه حتى لا يسيء أحد به الظن . . . بينما كان يخفي خنجراً في شعر [258] جبهة إحدى الأفراس ، وتعمّد الباطني أن يُطلِق فرسا كان بيده ، فلما اقترب من مختص الملك . . قفز عليه وعاجله بطعنة من خنجره ، وذلك في يوم الثلاثاء السادس والعشرين من صفر عام ٥٢١ هـ .[3]

(١) تو يافتى ز بزرگان وسروران عراق — زينج شاه جهل سال حشمت وتمكين
اگر دليل وگوا بايدت درين معنى — ترا دليل وگوا بس بود شهور وسنين

(٢) اگر شريف كند مرد راسخاوت وعقل — ترا سخاوت وعد لست سيرت وآئين
سه چيز ديگر پيوند اين دوچيز تراست — ضمير روشن وعقل درست وراى رزين

(٣) عماد الكاتب ص ١٤٦ ـ هو الخواجة الشهيد معين الدين الكاشي الذي كان وزيراً لسنجر رحمة الله عليه . وقد أنكر على مشير الملك صلحه مع الملاحدة وسدّ عليهم السبل ، وفرض عليهم إتاوات كبيرة وضرائب فادحة وقبض على الألوف منهم وقتلهم فانتهى الأمر بقتله على يد الملاحدة في خراسان باعتباره شيخاً عادلاً عالماً شيعياً (بعض مثالب النواصب) .

وكان خواجه مختص الملك الكاشي متديّناً كريماً خيّراً محسناً . ويقال إنه في الفترة الأخيرة من حياته كان يبذل المال لأصحاب المظالم التي تعرض عليه . وكان ممدوح كبار شعراء عصره أمثال المعزى أمير الشعراء والقاضي ناصح الدين الأرجاني وأبي المظفر الأبيوردي .

وللمعزى الى جانب القصيدتين اللتين سبق ذكر قسم منهما . . مدائح أخرى من بينها تركيب بند مكون من سبعة بنود، يبدأ على النحو التالي:

ترك من بر گل نقاب از سنبلى برتاب كرد

لاله‌ٔ نعمان حجاب لؤلؤ خوشاب كرد

* * *

ويقول فيه مادحاً:

- جعلت صورتَه محرابا لقلبي،

كما جعل الحظ السعيد بلاط الصدر الأجلّ محرابا.

- فليثن الفلك على شمس العدل والجود . .

صدر الدنيا أحمد بن فضل بن محمود . . ثناء مستطابا.[1]

ويقول أبيوردي في مدحه:

معين الدين عش في ظل عز	لكشف ملمّة ولحسم داء
فظلك ليس يخرج عنه شيء	وكيف يحاد عن ظل السماء
دواء الدهر منك وإنّ بِدْعاً	شكاتك من مزاج أو غذاء
متى يمضي لجالينوس قول	إذا احتاج الدواء إلى الدواء

(١) صورت او پيش دل محراب كردم همچنانك   بخت فرُخ درگه صدر اجل محراب كرد

آفرين باد از فلك خورشيد عدل وجود را

صدر دنيا أحمد بن فضل بن محمود را

بك الأيام قاطبة تهنى — فكيف بواحد ترضى هنائي
أظن العيد ما وافاك إلا.. — لتكتب فيه تاريخ العطاء
فتفضل جملة الأعياد فخرا — لجمعك فيه أشتات الثناء
بمختصّ الملوك نراك تدعي — فكيف وأنت مختصُّ العلاء
جعلت الصغر من ذا الملك تبراً — وقمت له مقام الكيمياء
فلا أخليت من جدٍ سعيد — أقلّ نواله طول البقاء(١)

ويقول أيضاً:

لمختص الملوك سماء مجد — كواكبها المناقب والمعالي
بأحمدَ عدتُ أحمدُ صرف دهري — فلا برح اسمه الميمون فالي
كسا ابنُ الفضل أهلَ الفضل ظلا — به استغنى الفقير عن السؤال
همام لا أخاف الفقر مهما — غدوت إليه والآمال مالي
معين الدين سيب يديك بحر — يفيض على المعادي والموالي(٢)

ويقول القاضي الأرجاني في مدحه:

لله مختص الملوك فلم تزل — تختص همته بكل علاء
من دوحة للمجد عالية الذرى — يوم الفخار مديدة الأفياء
كلّ رأي كسْبَ الشراء غنيمة — فأبت يداه غير كسب ثناء
ولأحمد بن الفضل شيمة سؤدد — وقفت عليه محامد الفضلاء
قد أصبح ابن الفضل فهو يبره — بر البنين لماجد الآباء(٣)

وللأرجاني قصائد أخرى غراء في مدح مختص الملك يمكن الرجوع إليها في الصفحات ٢٢٩ ـ ٣٤٠ ـ ٣٥٨ ـ ٣٨٠ من ديوانه.

---

(١) ديوان الأبيوردي ص ٧.
(٢) نفس المرجع ص ٢٩٤.
(٣) ديوان الأرجاني ص ٢٢ ـ ٢٥.

وكان لمختص الملك أخ اسمه مجد الدين أبو الفضل عبيد الله ، ويُلقَّب [260] بالمهذَّب . وقد حضر مجد الدين هذا مع أخيه إلى خراسان حيث عمل في ديوان سنجر. وللمعزى والأرجاني أشعار في مدح الأخَوين . فمما قاله المعزى :

ـ أيها المبارك فخر الأمة ، أيها السعيد مجد الدين . .
يا من تستحق من خالق الخلق الثناء .
ـ يا من جدك محمود وأبوك فضل ،
لقد جعل الله عملك كاسمي هذا وذاك .
ـ اين على وجه الأرض من يضارعك في فعل الخيرات؟
يا مَن صاحب وجه الأرض بك مسرور سعيد .
ـ إنك مجد الدنيا بما تشيعه من راحة ، وهو بالحقٌ معين الدين . .
ولن ترى الدنيا مثلكما قط . . في مجالي المجد والعون .

---

(١) أي مبارك فخر أمت اى همايون مجد دين
اى سزاى آفرين از خالق خلق آفرين
اى باصل اندر تراجد وپدر محمود وفضل
روزگار كارتو چون نام آن ونام اين
صاحب خيرات بر روى زمين چون تو كجاست
كز تو خشنود است وخرم صاحب روى زمين
مجد دنيا تو براحت او معين الدين بحق
چشم دين هرگز نبيند چون شما مجد ومعين
هست رسم خوب تو برجامهٔ ملت طراز
هست راى پاك اوبر خاتم دولت نگين
تو ندارى در معانى از هنرمندان همال
او ندارد در معالى از خداوندان قرين
تو كريمى حق شناسى او جوادى حق گزار
تو همامى كاردانى او وزيرى ان دور بين
هست برج سعدرا توفيق توماهى منير
هست درج ملك را توقيع او در ثمين
رايت ملت بتو منصور شد تانفخ صور
خانهٔ دولت بدو معمور شد تاروز دين

- رسمك الجميل حلية رداء الشعب . .
  ورأيه الطاهر فصٌ في خاتم الدولة .
- ليس لك نظير بين الفضلاء في المعاني ،
  وليس له قرين بين الملوك في المعالي .
- أنت كريم تعرف الحق ، وهو جواد يؤدّي الحق . .
  أنت همام خبير وهو وزير لبيب .
- توفيقك لبرج السعد قمر منير ،
  وتوقيعه لخزانة الملك در ثمين .
- راية الشعب بك منصورة إلى نفخ الصور ،
  ودار الدولة به معمورة إلى يوم الدين .
- لما لكما دائماً من توقيع على أعمال الخير . .
  ورد في حقكما معاً : نِعْمَ أجرُ العاملين
- منذ أن جاء صدر خراسان إلى خراسان . .
  لم يعد هناك فيها إلاّ من له بالشكر يدين .



= هر دورا پيوسته توقيعست بر أعمال خير
آمد اندر شأن هردو نعم أجر العالمين*
تاكه اين صدر خراسان در خراسان آمده است
نيست يكدل در خراسان جز بشكر او رهين

* صحة الشطرة: آمد اندر شأن هردو نعم أجر العاملين. (المترجم).

التاريخ التقريبي لوفاة المعـزى

تحدثنا من قبل عن تقي الدين الكاشي أثناء حديثنا عن خواجه قوام الملك صدر الدين محمد بن فخر الملك ، وقلنا إن هذا المؤلف قد ذكر أن تاريخ وفاة المعزى هو عام ٥٤٢هـ ، في أواخر سلطنة سنجر وبداية أمر الخوارزمشاهيين . . وهو تاريخ مقبول يثبته الجميع ، لأنه لا يوجد ما يقال غير هذا في ذلك الصدد ، ولأن معاصري المعزى أو أصحاب كتب التذاكر القدامى ـ أمثال صاحب چهار مقاله وعوفى ـ لم يذكروا شيئاً في هذا المجال .

وفي ديوان المعزى من أوله لآخره ـ وهو أمير الشعراء في ديوان السلاجقة . . ومادح أكثر وزراء وأعيان بلاط ملكشاه وبركيارق ومحمد وسنجر في الفترة ما بين جلوس ملكشاه على عرش السلطنة وجلوس مختص الملك على مقعد الوزارة ، والمسجل لمعظم المعارك العظيمة التي وقعت إبان حكمهم ـ لا توجد إشارة للوزراء الذين أسندت إليهم الوزارة بعد أن وزر مختص الملك لسنجر ، كما لا توجد إشارة للمعارك التي حدثت بعد هذا التاريخ . . مع أن صنعة المعزى الرسمية كأمير للشعراء وشاعر في حكومة البلاد . . كانت توجب عليه نظم قصيدة أو أكثر في تهنئة الوزراء الجدد أو ذكر الفتوحات التي تمّت في عهد السلطان . . باعتبار هذا الأمر مهمة من مهام الديوان الموكولة إليه . والمعروف أن المعزى كان يشغل هذه الوظيفة أثناء جلوس جميع وزراء سنجر على مقاعد الوزارة . وقد نقلنا جانباً من قصائده التي نظمها في حقهم . فنحن على سبيل المثال لا نرى أي مدح في ديوانه لنصير الدين أبي القاسم محمود بن أبي توبة المروزي . . الذي وزر لسنجر بعد شهر صفر من عام ٥٢١هـ . فلو أن المعزى كان حياً في ذلك التاريخ . . ولو سلمنا بأنه قد مات ـ بناء على قول تقي الدين ـ في عام ٥٤٢ هـ . . فما هو سبب امتناعه عن

الإشارة إلى معارك هذه الفترة ورجالها. . وهي فترة تبلغ العشرين عاماً أو تزيد ؟ . . فالواقع أن شاعر المديح - حتى ولو لم يكن عاملاً في بلاط السلاطين - عليه أن يمتدح معاصريه شاء أو لم يشأ . . فما بالك بالمعزى الذي كان يشغل منصب أمير الشعراء منذ التحاقه بخدمة السلاجقة .

وقد ذكرنا أن المعزى كان في ذلك التاريخ - أي عند جلوس مختص الملك على مقعد الوزارة - مسناً قد ناهزالثمانين ؛ فقد التحق بخدمة ملكشاه كأمير للشعراء في علم ٤٦٥هـ . ولو فرضنا أن عمره كان آنذاك خمساً وعشرين سنة ، فإنه يكون قد ناهز الثمانين في علم ٥١٨ هـ عندما هنَّأ مختص الملك بشَغْلِه منصب الوزارة.

ولو وضعنا في الحسبان موضوع إصابته بالسهم - وهو الموضوع الذي حدث قبل ذلك التاريخ بحوالي ثمانية أو تسعة أعوام ، وأورثه جرحاً ظل يشكو منه دائماً ، ومات بسببه آخر الأمر كما ذكر سنائي - لكان من المستبعد جداً أن يعيش عشرين سنة أخرى في ظل هذا الجرح ، ولما هو عليه من تقدُّم في السنّ إلى جانب افتقارنا إلى الأدلَّة. ويبدو أنه مات أثناء وزارة مختص الملك ، أي فيما بين عامي ٥١٨ و٥٢٢ هـ وربما يكون التاريخ (٥٤٢هـ) الذي أثبته تقي الدين منقولاً عن نسخة ورد فيها التاريخ (٥٢٢ هـ) ، فلما نقله محرَّفا (٥٤٢هـ) أضاف من عنده عبارة: « في أواخر سلطنة سنجر وبداية أمر الخوارزمشاهيين ».

وإذا قَبِلنا أن تكون وفاة المعزى في حدود علم ٥٢٢هـ - أو قبل ذلك بعلم أو عامين - لحللنا إشكالاً آخر يتعلَّق بوفاة سنائي ، فقد ذكر أن وفاة هذا الشاعر العارف كانت فيما بين عامي ٥٢٥ و٥٤٥ هـ . وقد بنى من رجَّحوا أن تكون وفاته في علم ٥٤٥ هـ حُكْمَهم على أساس رثائه للمعزى الذي اشتهر بأن وفاته كانت في علم ٥٤٢هـ ، بينما يرى الجامي - في نفحات الأنس - أن وفاة سنائي كانت في علم ٥٢٥ هـ الذي انتهى فيه من تأليف كتابه « حديقة الحقيقة ». ولا شك أن النقطة الخاصة بتحقيق تاريخ وفاة سنائي تحتاج إلى بحث مستقل ليس مجاله رسالتنا هذه .

* * *

[263]

٨ ـ نصير الدين أبو القاسم
محمود بن المظفر بن عبد الملك بن أبي توبة المروزي
(وزارته من ٥٢١ حتى ٥٢٦هـ)

بعد أن قتل الباطنيّة مختص الملك الكاشي في التاسع والعشرين من صفر عام ٥٢١ هـ بتحريض من أبي القاسم الدركزيني ، أسند السلطان سنجر وزارته لرئيس ديوان الإنشاء والطغراء في دولته ، أي لنصير الدين أبي القاسم محمود بن أبي توبة المروزي ، فظل يشغل هذا المنصب حتى عزل من الوزارة عام ٥٢٦هـ . وكان نصير الدين المروزي من الكتّاب المهرة ومن مشجّعي العلماء والأدباء . وقد أورد محمد عوفي جانباً من حياته في كتابه «لباب الألباب »[1] وممن يعدّون مفخرة لعهده: عمر بن سهلان الساوجي الحكيم والمنطقي المشهور ، مؤلف كتاب البصائر التفسيرية في المنطق . . وقد ألّفه باسمه .

وإذا تصفّحنا الأشعار التي نظمت في عهد سنجر لا نجد ـ كما قلنا ـ مدحاً للمعزى في حق هذا الوزير . ولّما كان القاضي الأرجاني يعيش في خوزستان والعراق فإنه على ما يبدو لم يلتحق بخدمته . ومن بين شعراء العراق ، امتدحه شاعرٌ كان قد سافر إلى خراسان ونعني به جمال الدين عبد الرحيم الأخوَّة الشيباني البغدادي ، فقد امتدحه في نيشابور ليلة عيد الفطر عام ٥٢٥ هـ بقصيدة بليغة ورد قسم منها في تاريخ السلاجقة لعماد الكاتب[2] .

---

(١) أنظر الكتاب المذكور، ج١ ص ٧٥ ـ ٧٧ و٣٠٩ .
(٢) ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩ .

ومن مادحي نصير الدين المروزي الخصوصيين أبو اسحق الغـزّي ، وقـد ضمّن ديوانه ست قصائد في مدحه ، هنأه في إحداها على وزارة نصير الـدين ، وألقاها عليه في هراة في أواخر عام ٥٢١هـ . ومطلعها كالآتي :

أطرقـت من نحـوه في ساعـة النظـر   واسودَّ ظنك في ما ابيضَّ من شعري[١]

[264] ومن شعراء الفـارسية أوحـد الـدين علي بن أحمـد بن إسحـاق الأنـوري الخاوراني الذي بدأت شهرته في أواخر عهد المعزي[٢] . وقد امتدح نصير الـدين محمود المروزي ، وهذا مطلع قصيدته :

چـو زير مركز چرخ مدور   نهـان شد جرم خورشيد منور[٣]

ويقول في مدحــه :

ـ بنات النعش[٤] تلتف بالقطب . .

تارة من أعلاه وتارة من أسفله .

ـ كما التفَّ حول مركز رأي مولاي . .

قضاء الله الحاكم العادل

ـ وزير ملك السلطان المعظم ،

---

(١) ديوان الغزى ، نسخة مكتبة باريس الوطنية برقم ٣١٢٦ عربي ، الورقة ١٠٢ب ، ١٠٣ب ، ١١٦ب ، ١٣٥ب ، ١٥٩ب ، ١٩٨ب .

(٢) يمكن معرفة الكثير عن الأنوري : إسمه وألقابه وتاريخي ميلاده ووفاته ، ومتى بدأت شهرته ، وصلته بالمعزى . . بالرجوع إلى :
أحمد كمال الدين حلمي : أوحد الدين الأنوري عصره وبيئته وشعره ، رسالة دكتوراه ، نوقشت في كلية الآداب بجامعة عين شمس (قسم اللغات الشرقية) عام ١٩٧١ .
نفس المؤلف : الأنوري شاعر السلاجقة ، مجلة عالم الفكر ، الكويت عدد يوليو ١٩٧٦م .

(٣) أنظر : ديوان أنوري ـ نشر سعيد نفيسي ، اسفندماه ١٣٣٧ ـ طهران ص ١٠٨ ـ ١١١ والقصيدة مكوّنة من ٨٤ بيتاً (المترجم) .

(٤) النعش : يلتف بالقطب سبعة نجوم ، من بينها نجوم ثلاثة يطلق عليها لقب (بنات) أما النجوم الأربعة الباقية فيطلق عليها لقب (نعش) (المترجم) .
أنظر الفراهاني : شرح مشكلات ديوان أنوري ، طبع طهران ١٣٢٢هـ . ش ، ص٩٣ .

نصير دين الله وسوله.

ـ محمود، دنيا الحمد. .

ذاك الذي اقتبست الدنيا بأسرها من جاهه حمدها.

ـ أنت مخدومُ الأنوري القديمُ. .

كما كان المظفر[1] مخدوم أبي الفَـرَج[2].

وقد أثبت عمر بن سهلان الساوجي اسمه في مقدمة « البصائر » على هذا النحو: « مولانا الأجلّ السيد نصير الدين ظهير الإسلام بهاء الدولة كافي الملك عين خراسان أبو القاسم محمود بن أبي توبة ».

ولد عام ٤٦٦ هـ وتوفي عام ٥٠٣هـ ـ بناء على قول السبكي ـ لكن التاريخ الأخير خاطىء قطعاً، لأنه كان في الوزارة حتى عِامِ ٥٢٦هـ[3] ومن خاصة هذا الوزير الحكيم المعروف قطب الزمان محمد بن أبي طاهر الطبسي المروزي. . المعروف بقطب النصيري، أحد أساتذة البيهقي صاحب تتمة صوان الحكمة (توفي في سرخس في شهر شوال من عام ٥٣٩هـ)[4].

---

(١) أبو الفرج هو أبو الفرج الروني الشاعر المشهور الذي كان الأنوري يقلّد أسلوبه. أما أبو المظفر فهو السلطان رضي الدين ابراهيم بن مسعود بن محمود الغزنوي، ممدوح أبي الفرج وولي نعمته.

(٢) النص:

بنات النعش كرد قطب كردان ... كهى از جرم وزير كاه از بر
چو كرد مركز راى خداوند ... قضاى ايزدى دادار داور
وزير ملك سلطان معظم ... نصير دين يزدان وپيمبر
جهان حمد محمود آنكه از جاه ... جهان حمدش كرفت از پاى تاسر
تو مخدوم قديمى انورى را ... چنان چون بو الفرج را بو المظفر

(٣) أنظر حكايته في تاريخ ابن اسفنديار ولباب الألباب ١ : ٧٥.

(٤) أنظر: تتمة صوان الحكمة ص ١٢٢، ١٢٣، معجم الأدباء ص: ٢١٠.

[265] ٩ ـ قوام الدين أبو القاسم زين الملك أنس آبادي الدركَزيني عماد الدولة

(وزير سنجر من ٥٢٦ حتى ٥٢٧ هـ قتل في شوال ٥٢٧هـ)

أحد أبناء فلاحي أنس آباد ـ إحدى المواضع العامرة في دركَزين همدان. جاء في طفولته إلى أصفهان وعاش بها، وعمل في جهاز كمال الملك السميرمي وزير كَهرخاتون زوجة السلطان محمد الذي نال ـ بعد فترة ـ رياسة الإشراف في المملكة.

وفي نفس الوقت الذي مات فيه السلطان محمد (في ذي الحجة من عام ٥١١هـ) حصل أبو القاسم الدركَزيني على منصب وزارة حاجب السلطان الكبير . . أي الأمير علي بن عمر بن سرمه . ولما حضرته الوفاة ، قال الأمير علي أن السلطان قد أمر بمنح ٢٠٠,٠٠٠ دينار من خزانته للفقراء من رعاياه والساخطين . وبعد أن أخذ هذا المبلغ استولى وزيره الدركَزيني على القسم الأكبر منه ، وأصبح صاحب ثروة كبيرة ، وبزغ نجمه منذ ذلك التاريخ.

والدركَزيني واحد ممن اشتهروا في تاريخ السلاجقة ـ بين عمال الديوان ـ بحياكة الدسائس. ومنذ مات محمد حتى عام ٥٢٧ هـ (عام قتل الدركَزيني) وهي فترة تقدَّر بخمسة عشر عاماً . . وهذا الرجل غارق في الدسائس ، يحيك المؤامرات في بلاط سلاجقة العراق وخراسان وفي دار الخلافة ببغداد لصالح وزارته . وقد تسبب بذلك في إيذاء كافة أصحاب الديوان ، كما أوقع بين الخليفة وسلطان العراق السلجوقي وسنجر وكانت النتيجة أن فقد رأسه . . ولكن بعد أن تصاعدت الفتن وأطاح برؤوس العديد من الأشخاص.

وفي أوائل عام ٥١٢هـ . . حين مات محمد وحل ابنه مغيث الدين محمود

مكانه ، دفع الدركزيني مخدومه الأمير علي الحاجب إلى الوقيعة بين السلطان الصغير السن وعمه السلطان سنجر العظيم الشأن . ولكي يضيّق الخناق على سنجر ، قام في البداية بتحريض خان سمرقند ضده، ثم دفع الأمير دبيس بن صدقة الى الخروج عن طاعته ، وكان هذا الأمير يعيش في كنف سنجر وينعم بحمايته ، كما أن ممالك أبيه كانت منذ عهد السلطان محمد تابعة لديوان السلاجقة ، يديرها مجاهد الدين بهروز. . شحنة بغداد. [260]

يضاف إلى ذلك أن الدركزيني قد آذى أمراء الشبانكاره إلى حد ما. . وكان هؤلاء يعيشون في حماية السلطان محمد بأصفهان. ولكي يؤذيهم تعلل بأنهم رفعوا راية التمرد والعصيان. وعاقب أمير فارس بالقبض على عامله بأصفهان . ونهب خزانة السلطان ، وقتل بعض غلمانه وشتت البعض . وفيما يتعلّق بملاحدة الإسماعيلية ، نجده قد أبعد الأتابك شيركَير وجيوش السلطان عن قلعة الموت ، وكانوا قد توجّهوا إليها عند وفاة محمد لفتحها ، وكادوا أن يحققوا هدفهم . كما زرع بينهم بذور الشقاق والنفاق حتى انفرط عقدهم وضاع ترابطهم ، وانقضّ الباطنية عليهم وقتلوا الكثير منهم وشتّتوا بقيتهم.

وبدأ تدخّل الدركزيني في بلاط السلطان الجديد بإقصاء خطير الملك عن رئاسة الطغراء والإنشاء بمساعدة مخدومه علي . وقد أرسله مع أخي السلطان « سلجوقشاه » الصغير إلى فارس ، وأسند إليه وزارة سلجوقشاه. . ليبعده عن البلاط ، ليتحرّك هو بحرية لتحقيق أهدافه.

ولما بلغ سنجر خبر خراب بلاط السلطان محمود وفساد أمر العراق ، توجّه إلى الري تاركاً خراسان لإصلاح ما فسد. وأعدّ الأمير علي الحاجب والأمير منكوبرس - قائد الجيوش في معسكر محمود - جنودهما لمحاربة سنجر ، وانضم إليهما الأمير منصور بن صدقة على رأس جيوش العرب.

ودارت المعركة في ساوة في الثاني عشر من جمادى الأولى سنة ٥١٣ هـ كما

ذكرنا في أحوال شهاب الإسلام وزير السلطان سنجر . وانتصر سنجر وكان برفقته الأمير علاء الدولة گرشاسف أتابك يزد ، والملك تاج الدين أبو الفضل السيستاني ، وقطب الدين محمد خوارزمشاه ، والأمير قماج ، والأمير أنر . وحاقت الهزيمة بمحمود ، فعرض الدرگزيني خدماته على الفور ، وقدّم الأموال الطائلة لرشوة هذا وذاك ، واتّصل بسنجر لإصلاح ذات البين .

[267] ولما كان سنجر يميل كثيراً إلى تهدئة خاطر ابن أخيه ولقائه بعد فراره إلى اصفهان ؛ فقد أصدر أمره إلى الدرگزيني بإحضاره إليه . . وهذا ما كانت تحبّذه أم سنجر (جدّة محمود) المدعوّة تاج الدين خاتون .

ولما رأى كمال الملك السميرمي ـ وزير محمود ـ ان الدرگزيني بات مقرّباً من سنجر خشي أن يقبض عليه ، فبادر إلى تقديم النصيحة لمحمود بإطاعة عمه وتنفيذ أوامره باعتباره في منزلة أبيه . ولكي يزف البشرى إلى سنجر ، غادر أصفهان إلى الري حيث يقيم . والتقى في طريقه بالدرگزيني فحاول رده على أعقابه دون فائدة . ودخل الدرگزيني أصفهان ، ووصل كمال إلى الري . وفرح سنجر بحضور وزير ابن أخيه حاملاً اعتذاره ، وأصدر أمره باستقباله بما يليق بمقامه من حفاوة وتكريم وهكذا أحبط تدبير كمال الملك خطّة الدرگزيني .

ولم يجد الدرگزيني والأمير علي الحاجب ـ بعد عودة كمال الملك ووصول رسالة سنجر ـ بداً من الإسراع بمعيّة محمود إلى سنجر ، والإقرار بسيادته وسلطنته .

وحين قدم محمود ، اختاره سنجر ولياً للعهد ، وعفا عن أمرائه ووزرائه .

وأصدر شهاب الإسلام مناشير دبّجها بقلمه ، نال بموجبها كمال الملك السميرمي منصب الوزارة ، وأصبحت الإمارة للأمير علي الحاجب ، ورئاسة ديوان الطغراء والإنشاء لحاجب سالاري والدرگزيني ، وديوان الاستيفاء لشمس الملك بن نظام الملك . . وعاد هو إلى خراسان .

وبعد عودة سنجر ، شرع كمال الملك السميرمي ـ الذي استقلّ بوزارة محمود

بناء على أمر سنجر ـ في مناهضة أعدائه . . خاصة الأمير علي الحاجب والوزير الدركَزيني فلجأ الأخير إلى عزيز الدين الأصفهاني ـ عمّ عماد الكاتب ـ نائب الوزير، فتوسَّط عزيز الدين لدى كمال الملك ونجّاه من القتل . أما الأمير علي فقد لَقِيَ مصرعه ، وتخلّص الكثيرون من شرّه .

[268] وحين وقع كمال الملك في أسر الباطنية (٥١٣هـ) وصار شمس الملك بن النظام وزيراً . . حل أبو القاسم الدركَزيني محلّ انوشروان بن خالد في رياسة ديوان عرض الجيوش . ولما كان دائم التفكير في الصدارة ، يوصل أخبار العراق ـ صدقاً أو كذباً ـ إلى سنجر ، فقد اتّحد مع عزيز الدين الأصفهاني وزير الاستيفاء ضد شمس الدين . واستطاعا أن يشوِّها صورة الوزير لدى سنجر إلى أقصى حد ـ كما رأينا أثناء شرحنا لحال شمس الملك ـ وصعّدا الأمور على نحو جعل محموداً يقوم بقتله في البيلقان عام ٥١٧هـ . . وكان الدركَزيني قبل وقوع هذا الحادث قد توجّه إلى سنجر في خراسان ليتشفَّع له .

وكلف محمود ـ بعد قتل شمس الملك ـ عزيز الدين الأصفهاني بتوليّ منصب الوزارة لكنه اعتذر ، فعيَّن الدركَزيني في هذا المنصب عام ٥١٨ هـ وحقق بذلك أمنية طالما تمنّاها .

وقام الدركَزيني بالقضاء على منافسيه وأعدائه مستغلاً الباطنية في تحقيق أهدافه السيئة ، فقُتِل العديدُ على يده أو على يد الباطنية . ومن بين من قتلوا رسول الخليفة إلى سنجر . . ونعني به قاضي القضاة زين الإسلام أبا سعد محمد بن نصر بن منصور الهروي ، الذي قتله الباطنية في همدان أثناء عودته . . بتحريض من الدركَزيني .

وممن قُتِلوا أيضاً عين القضاة الهمداني عارف المدينة ، ومختصّ الملك الكاشي وزير سنجر الذي قتله الباطنية بخناجرهم كما ذكرنا .

وحاول الدركَزيني قتل عزيز الدين أيضاً ، وأحسَّ الأخير بخطورة الموقف

فأستأذن في الحج ، وقضى عامي ٥١٧ و٥١٨ هـ في سفرة الحج وضيافة الحجاج . ولما عاد من سفره ، استقال من وزارة الاستيفاء ، وعمل في إدارة الخزانة ووزارة أبناء السلطان . ولما كان وجوده في هذا العمل يقرِّبه من السلطان محمود ، فقد تمكّن آخر الأمر من إقناعه بعزل الدركزيني والزجّ به في السجن . وبفضل توجيهه ، استدعي السلطان أنوشروان بن خالد ـ من بغداد وعيَّنه في وزارته (عام ٥٢١هـ) .

وعندما توجَّه السلطان سنجر إلى الري عام ٥٢٢هـ ، والتقى بمحمود ، طالبه بإعادة الدركزيني للوزارة ، إذ كان يولي الدركزيني عنايته واهتمامه . وأطاعه محمود فأعاد ذلك الآثم إلى الصدارة في الرابع والعشرين من شهر المحرم عام [269] ٥٢٣هـ . وقام الدركزيني بتقديم مبلغ ٣٠٠٠,٠٠٠ دينار لمحمود على سبيل الرشوة ، وحرَّضه على حبس عزيز الدين الأصفهاني ، فألقى القبض عليه في بغداد ثم حبسه في قلعة تكريت.

ومات السلطان محمود في شوال من عام ٥٢٥هـ [١] ، ونشب الخلاف حول من يخلفه . ونادى الدركزيني بسلطنة داود بن محمود [٢] ؛ فقامت الثورات في همدان وبلاد الجبل .

ووجد الدركزيني أنَّ من الخير له أن يحمل ماله الوفير وأن يلجأ إلى الري الخاضعة لنفوذ السلطان سنجر ، وينتظره هناك إلى أن يأتي للعراق ويجدِّد خليفة محمود.

---

(١) السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه أول من جلس على عرش السلطنة بالعراق من بين السلاجقة ، وكان عمره عند جلوسه ١٤ عاماً. وكان هذا السلطان تُسيِّره نزواته ، ويحيط نفسه ببطانة يشتهر أفرادها بسوء أخلاقهم . وقد توفي في همدان عام ٥٢٥هـ = ١١٣٠م (المترجم).
لمعرفة الكثير عن حياته ، أنظر: السلاجقة في التاريخ والحضارة للمترجم ، الفصل الثاني ـ سلاجقة العراق.

(٢) إقرأ حول داود بن محمود ونزاعه مع عمه مسعود ، ومطالبة كل منهما الخليفة بالاعتراف به كسلطان لسلاجقة العراق ، وذلك في المصدر السابق ص ٧٢ وما بعدها. (المترجم).

ووصل سنجر إلى الري في ربيع الثاني من عام ٥٢٦ هـ ونصب طغرل إبن أخيه خليفة لمحمود ، وكان قد وقع عليه اختياره ليكون ولياً للعهد. ولما سمع أن مسعوداً أخا طغرل قد تأثَّر بتحريض الخليفة، وقرَّر محاربته بمساعدة قراجة الساقي ودبيس بن صدقة والأمير زنكي آق سنقري . . توجَّه إلى بغداد وهزم معسكر المعارضين في الثامن من رجب عام ٥٢٦هـ ، وأعلن سلطنة طغرل بصفة رسمية ونصب أبا القاسم الدركزيني وزيراً له . ولما كان قد عزل وزيره نصير الدين محمود بن أبي توبة المروزي من عمله في تلك الآونة ، فقد قرَّر الموافقة على قبول أبي القاسم الدرگزيني منصب وزارة سنجر أيضاً ، بشرط أن يقيم في العراق، ويرسل إلى خراسان من ينوب عنه .

وأناب الدرگزيني عنه ظهير الدين عبد العزيز حامدي ، خازندار السلطان ، وبقي هو في بلاط طغرل بالعراق بصفته وزير العراق وخراسان .

وأثناء عودة سنجر إلى خراسان ، جعله الدرگزيني يوقِّع على أوراق بيضاء متعللاً بصعوبة الإتصال بالسلطان عند الضرورة الملحَّة ، وضياع الكثير من الوقت في سبيل ذلك الأمر ، وأقنعه بأن هذا الإجراء يمكِّنه من إصدار المنشورات على الأوراق الموقَّعة في الوقت المناسب . وقد وقَّع السلطان بكامل رضاه (كما سيرد في الملحق الثاني في هذه الرسالة) .

وأرسل الدرگزيني إحدى هذه الأوراق إلى مجاهد الدين بهروز شحنة بغداد على هيئة منشور يقضي بقتل عزيز الدين الأصفهاني المسجون في تكريت ، وبذلك أورده مورد التهلكة في عام ٥٢٧هـ . ولم تمض مدة طويلة على هذا [270] الحادث . . حتى وقف طغرل على حقيقة ما حدث وأدرك سوء فعاله وقبيح أعماله ، فاستدعاه إلى شابور (خرَّم آباد الحالية) وقام بشنقه . ولثقل جثة الدرگزيني انقطع حبل المشنقة . ولما سقطت الجثة على الأرض قام الموجودون بتقطيعها إلى أجزاء ، وأرسلوا لكل من قُتِل له قريب في حياة الدرگزيني قطعة ، وبهذا تم التخلّص من شرّه وخبثه .

ويختلف المؤرخون والشعراء حول صحّة إسم أبي القاسم الدركَزيني واسم أبيه . ويمتد الخلاف فيشمل معاصري هذا الوزير . . فهو عند أنوشروان بن خالد (ناصر بن علي)[1] ، وهو عند ياقوت وابن الأثير (علي بن القاسم)[2] ، وعند صاحب مجمل التواريخ المؤلَّف عام ٥٢٠ هـ ـ أي في حياة الدركَزيني ـ (ناصر بن حسين)[3] وفي أشعار الأرجاني (ناصر بن علي)، وفي أشعار المعزي (علي بن ناصر). ولعل وجود هذا الخلاف ناجم عن وضاعة نسب الدركَزيني ، فهو لم يكن قبل الوزارة معروفاً لأحد ، فلما أصاب الشهرة . . كان الناس ينادونه بألقابه ، أو ينسبونه إلى بلدته فيقولون : قوام وزين الدين والدركَزيني والأنس آبادي ، وقلّ من بينهم من كان يعرف اسمه واسم أبيه .

وللمعزى ثلاث قصائد في مدح الدركَزيني تكشف عن جانب رئيسي من الأحداث المرتبطة بحياته ، فهو يتحدَّث فيها عن إصلاحه أمر محمود[4] بن محمد ، وذهابه لسنجر وتشفُّعه لديه والتوسُّط من أجله ، وربطه بين ابنَةِ سنجر وبين محمود برباط الزواج[5] ، واعتلائه مسند الوزارة بعد قتل شمس الملك .

وهو يبدأ إحدى قصائده بقوله :

سوگند خورده ام بسر زلف آن پسر

تامهر ازو بخاتم وعهدش يرم بسر

وفيها يقول مادحاً:

ـ لا تظلمني فغداً سأفِرُّ من يدك . . .
إلى مجلس الدستور العادل .

(١) عماد الكاتب ص ١٦ .
(٢) معجم البلدان ـ ٢ : ٥٦٩ ؛ إبن الأثير ـ حوادث عام ٥٢١ هـ .
(٣) مجمل التواريخ ، أنظر: الورقتين ٢٧٠ ـ ٢٧١ .
(٤) ورد هذا الاسم في النسخة (مسعود) وهذا خطأ .
(٥) أنظر: ديوان المعزى ، الصفحات ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٢٤٧ ، ٢٦٧ ، ٢٧١ (د.ب) .

ـ زين الملوك وصدر الوزراء . . قوام الدين ،
أبي القاسم شمس الكرم ، قِبلة الفضـــل .
[271] ـ يا من بكرمك تشبه البرامكة بين العرب ،
وبفضلك وأدبك كالزابليين في العجم .
ـ لم يسبقك أحد إلى مثل هذا السَفَر الذي قمت به إلى خراسان . .
من بين من يقيمون في العراق .
ـ كان السفر سعيداً مباركاً عليك . . كأنه الجنة . .
رغم ما يقال من أن السفر ليس غير سقر .
ـ هناك اليوم ملكان في العراق وخراسان . .
ذاك حاكم المشرق وذاك ملك المغرب
كلاهما شاكر لك رأيك وكفاءتك . . .
هذا يدعوك أخاه وذاك يدعوك أباه .
ـ إن يكن الهدف من سفرك الوفاء بالعهــد ،
وأخذ «مهد» من ديار المَلِك العادل واصطحابها للشاه محمود . .
ـ فقد تمَّت اليوم بجدِّك مهمتا ولاية العهد وزيجة «مهد» . .
فماذا بقي بعد تمام هاتين المهمتين؟
ـ في العهد الموثَّق الذي صدر . . يجد كل إقليم مبتغاه
وبسبب هذه الزيجة هناك أثر للفرحة في كل بقعة ومكان .
ـ في طريق ولاية العهد والزيجة . .
نثرت الأفلاك نجومها والبحار جواهرها . . جلبا للسعادة . .
ـ طالما تقتبس زيجة مهد من جاهك الجمال ،
وتقتبس ولاية العهد من جاهك العظمة والجلال . .
ـ فإن المشاهير والعظماء يفدون إلى بلاطك مهنئين . .
ويقفون ببابك واحداً إثر آخر .
ـ وغداً حين تحلّ بالعراق وتحقق مرادك ،

وتجلس على وسادة الوزارة في حشمة وظفـــر.

ـ يدخل الرعب قلوب الحاقدين خوف سهم المـــلك،

ومن مقرِّك يتجه إلى الحمـــقى الخطر.(١)

(١) النص الفارسي:

بيدادگر مباش كه فردا كشم تفير
ازدست تو بمجلس دستور دادگر
زين ملوك وصدر وزيران قوام دين
بو القاسم آفتاب كرم قبلهٔ هنر
اى زكرم چوبرمكيان در عرب مثل
وى از هنر چو زابليان در عجم سمر
جز تو از آن گروه كه هستند در عراق
هرگز كه كرد سوى خراسان چنين سفر
برتو سفر مبارك وخوش بود چون جنان
هرچند گفته اند سفر نيست جز سقر
امروز در عراق وخزاسان دو خسروند
آن شهريار خاور واين شاه باختر
از رأى واز كفايت تو هر دو شاكرند
اين خواندت برادر وآن خواندت پدر
مقصود اگر موافقت عهد بود ومهد
محمود شاه را زشهنشاه دادگر
امروز عهد ومهد بجدّ تو حاصل است
چون هر دو حاصل است چه بايد همى دگر
اين عهد محكم است بهر كشورى نشان
زين مهد فرخ است بهر بقعتى اثر
اين عهد ومهد را بسعادت بود نثار
از چرخها ستاره واز بحرها گهر
تاكار مهد وشغل وليعهد پادشاه
از جاه تو گرفت جمال وجلال وفر
نام آوران بدرگهت از بهر تهنيت
دائم همى رسند نفر ازپى نفر
فرداكه در عراق نشينى بكام دل
در بالش وزارت باحشمت وظفر
از تيرشاه تيره دلان را بود نهيب
وزخانهٔ تو خيره سران را بود خطر

ففي الفترة التي كان فيها شمس الملك وزيراً ، توجّه أبو القاسم الدرگزيني إلى سنجر موفداً من قِبَلِ محمود ليتوسَّط لديه حتى يفي بعهده الذي قطعه على نفسه عام ٥١٣ هـ بعد معركة ساوه ـ بناء على إصرار أمه تاج الدين خاتون ـ بأن تكون ولاية عهده لمحمود.

كما أن وساطته هذه كانت تشمل أيضاً اصطحابه إبنة سنجر ـ التي يسمّيها صاحب مجمل التواريخ «مهد ميمون» ـ إلى العراق لتزويجها من محمود.

وظل أبو القاسم الدرگزيني يعمل في جهاز سنجر الحكومي حتى عام ٥١٨هـ ، وقد أنجز هاتين المهمتين، وتسبب كما قلنا في غضب سنجر على شمس الملك وزير محمود. وقد أرسل سنجر من خراسان إلى محمود يأمره بقتل شمس الملك، فقتل محمود وزيره وأرسل رأسه إلى خراسان، فأسند سنجر حكم وزارة محمود للدرگزيني.

ويقصد المعزي من عبارته: « موافقة العهد والمهد » نفس المهمتين اللتين قام الدرگزيني بإنجازهما (ولاية العهد والتزويج). وهو حين يقول: « غداً عندما تحلّ في العراق. . . . » . يشير إلى منشور سنجر الذي يسند فيه وزارة العراق إلى الدرگزيني . وقد صحب الدرگزيني إبنة سنجر إلى همدان ، وارتدى خلعة الوزارة عام ٥١٨هـ . [272]

(مجمل التواريخ ، الورقتان ٢٧٠ ، ٢٧١)

والقصيدة الثانية مطلعها :

از آن دندان پر پروين مرا شد ديده پر پروين
وز ان رخسار چون نسرين مرا شد موى چون نسرين

وفيها يقول :

ـ ازدانت غرفتي بوجه حبيبي الذي يضيء العالم ،
كما ازدانت حضرة السلطان بزين الدين.

ـ عماد الدولة العالي أبي القاسم . .

ذاك الذي نال رسمه في مجلس الملوك القبول والحشمة والتمكين.

ـ علي ناصر، الزعيم الكبير الذي يشبه خلقه واسمه . .

خلق صاحب المعراج واسم صاحب صفين.

ـ حضوره أشبه بريح فروردين . .

فقـد سعدت خراسان بوجوده كما سعدت الحديقة بريح فروردين.

ـ لقد وجد أهلُ كل مدينة مرَّ بها أن من المناسب . .

نَصْبَ الأقواس لِمَلِك خراسان ، واللجوء إلى التجميل والتزيين.

ـ لقد غادرتَ الملكَ محموداً لتمثل بين يدي سنجر. .

في مهمَّة ، فيها زينة الدولة وجمالها.

ـ وحققت مراد شقيق الملك وأمل الأمير،

فنلت شكر هذا وذاك . . وامتنان الدولة كلها.

ـ حين كنتَ بناء على الأمر الملكي . .

تقبض بيد مرتعشة على القلم المسكّي في ديوان الخاتون.

ـ وإني لأعجب من قلمك الذي يحفظ العلوم ويستظهرها،

ويأخذها عن شخص لم يُلَقَّن عن الغيب الفنون[1]

---

(١) بروى عالم افروزش مزين شد وثاق من
چنانچون حضرت سلطان مزيد شد به زين الدين
عماد دولت عالى ابو القاسم كه رسم او
رسيد از مجلس شاهان قبول وحشمت وتمكين
على ناصر آن سرور كه خلق واسم او مانند
بخلق صاحب معراج واسم صاحب صفين
حضورش هست همچون باد فروردين كه خرّم شد
خراسان از وجود اوچو باغ از باد فروردين
بهر شهرى كه بگذشتى زبهر اوسزا بودى
اگرملك خراسان را زدندى كلّه وآذين
زبيش پادشه محمود پيش پادشه سنجر
بشغلى آمدى كان شغل را دولت دهد تزيين =

وهذه القصيدة تتعلق بوساطة الدركزيني في عهد السلطان محمود ، وترتبط بوزارته في الديوان الخاتوني ، أي في ديوان تاج الدين خاتون . . أم محمود وسنجر. [273]

والقصيدة الثالثة يستهلّها بقوله:

از زين دين عراق وخراسان مزين است
اين را دليل ظاهر وحجت مبين است

وهذه القصيدة لا تشتمل على موضوع تاريخي.

وهذه عدة أبيات من قصيدة طويلة ، نظمها الأرّجاني في تهنئة الدركزيني بتنصيبه وزيراً لمحمود عام ٥١٨ :

لله عليا قوام الدين من ملك	راجيه ذو سبب بالله متصل
كنيّ خير عباد الله كلهم	من شائدي دولة او شارعي ملل
ثلاثة أكنياء مثلهم شرفاً	لم يمش في الأرض من حافٍ ومنتعل
ما في زماني لهم مثل نصادقه	وهكذا لم يكن في الأزمن الأول
كل أبو القاسم المأمول كنيته	كذا قضى الله رب العرش في الأزل
وكلّهم ختموا أبناء جنسهم	ختماً فدولتهم محسورة الدول
ففي النبيين والفضل المبين له	محمد ذو المعالي خاتم الرسل
وفي السلاطين محمود أجلُّ بني	الدنيا ، وفي الوزارة الناصر بن علي
مولى تجمّع فيه كل مفترق	من المحاسن بالتفصيل والجمل

* * *

= برادر شاه وشهزاده مراد وكام شه داده
كه مشكورى بنزد آن ومقبولى بنزد اين
چودر ديوان خاتونى بفرمان شهنشاهى
بدست درفشان اندر گرفتى كلك مشك آگين
زكلك تو عجب دارم كه هنگام هنرمندى
همه علمى زبر دارد زكس نا يافته تلقين

عادت الى الدولــة الغــراء حضرته كأنهــا حلية عادت إلى عطــل
أبــي الــوزارة أن تبغــي به بدلاً وهــل لدى بدن للــروح من بدل

* * *

يا ناصر اسماً ووصفــاً للصريح إذا دعــا برغــم رجــال للهـدى خذل[١]

[274] ويبدو من أشعار المعزي والأرجاني ومتن عماد الكاتب أن الدركزيني كان يُلقَّب بهذه الألقاب : قوام الدين وزين الدين وزين الملك وعماد الدولة وظهـير الدين.

وبناء على تصريح أبي الحســن البيهقـي في كتابـه تاريخ بيهـق[٢] . . فإن الحكيم تاج الحكماء الموفق بن المظفر قوامي الفريومدي ـ أحد تلامذة الحكيم مجيري الشاعر واحد من خاصة قوام الدين أنس آبادي الدركزيني المذكور ، وزير العراق وخراسان ، وقد اقتبس قوامي تخلُّصَه من لقبه.[٣]

وهذا الوزير هو نفسه الذي قام بشنق أبي المعالي عين القضاة عبـدالله بن محمد الميانجي الهمداني ، ليلة الأربعاء ، السابع من جمادى الثاني عام ٥٢٥هـ[٤].

---

(١) ديوان الأرجاني، ص ٣٤٥ ـ ٣٤٩.
(٢) الورقة 152 a من نسخة لندن.
(٣) ص ٢٠٠ من هذه الرسالة.
(٤) أنظر: تتمة صوان الحكمة، ص ١١٧ ـ ١١٨؛ السبكي ٤: ٢٣٦؛ السـمعاني (تحت عبارة الميانجي)؛ وخريدة عماد الكاتب.
قوام الدين سيد الوزراء أبو القاسم ناصر بن علي بن الحسن الدركزيني، الوزير. ذكره عماد الدين أبو عبدالله الكاتب الأصفهاني في كتاب نصرة النصرة وعصرة الفطرة، فقال: لما جلس السلطان أبو القاسم محمود بن محمد بن ملكشاه على سرير الملك كان قوام الدين الدركزيني وزيرا للأمير علي حاجب يار، فصار يلقّن مخدومه. ينبغي أن يكونا. . . وأوقع بينه وبين عمه السلطان سنجر، وألقى الشرّ بين نوّاب البلاد فنفرت قلوبهم. ومات السلطان محمود. . . . سنة خمس وعشرين وخمسمائة، فشرع الدركزيني في المصادرات، فأمر السلطان طغرل بصلبه، وأقام الناس في البلاد موسماً للهناء بعزائه. (معجم الألقاب).

١٠ ـ ناصر الدين أبو الفتح نظام الملـك طاهر بن فخر الملك بن خواجه نظام الملك

(وزارته من جمادى الأولى ٥٢٨ هـ ـ حتى شوال ٥٤٨ هـ)

بعد أن قَتَل طغرلُ الثاني[1] وزيرَه أبا القاسم الدرگزيني في شوال عام ٥٢٧هـ ، خلت صدارة السلطان سنجر في خراسان . . وكان الدرگزيني يشغلها إسماً . واستمرَّ الحال على ذلك الوضع فترة إلى أن اختار سنجر لوزارته أخا قوام الملك صدر الدين محمد وزيره السابق . . أي الابن الآخر لخواجه فخر الملك بن نظام الملك ، وكان اسمه ناصر الدين أبا الفتح طاهر ، ولقبه نظام الملك . وقد تمّ هذا الاختيار في جمادى الأولى من عام ٥٢٨هـ ، أي بعد سبعة شهور من قتل الدرگزيني .

وقد استمرت وزارة خواجه ناصر الدين طاهر حتى جمادى الأولى عام ٥٤٨ هـ وهو العام الذي وقع فيه سنجر أسيراً في يد الغز . . وهي فترة تبلغ التسعة عشر عاماً بالتمام والكمال[2] . وبناء على هذا يكون هذا الوزير قد شغل مقعد الوزارة أكثر من سائر الوزراء الذين وزروا لسنجر . ولم ينل أحد من وزراء السلاجقة ـ بعد جدّه خواجه نظام الملك ما ناله من رفعة في منصبه هذا .

وقد تعرَّض السلطان سنجر ـ في فترة وزارة ناصر الدين طاهر ـ لكثير من النكبات القاسية بعد أن تقدَّمت به السن وأصابه الكبر وحاق به الوهن ، وقضى

---

(١) هو طغرل بن محمد ، عيَّنه سنجر سلطاناً على السلاجقة في العراق عام ٥٢٦ هـ = ١١٣١م. توفي عام ٥٢٩هـ = ١١٣٤م (المترجم) أنظر: السلاجقة في التاريخ والحضارة ص٧٢ ـ ٧٣ .

(٢) هنا يخطىء المؤلف ، فالفترة تبلغ العشرين عاماً (المترجم)

معظم أيامه في الصراع في الحدود الشمالية من ممالكه مع علاء الدين أتسز خوارزمشاه والقراخطائيين وطائفة الغز[1] . ورغم انتصاره الدائم على أتسز خوارزمشاه ، فقد مني بهزيمة قاسية في صفر من عام ٥٣٦هـ على يد گورخان القراختائي ، وذلك في معركة قطوان المشهورة التي وقعت بينهما قرب سمرقند ، فهاجم أتسزُ خوارزمشاه خراسانَ وحاقت بالممالك السنجريّة نكبات عديدة ، وهلك أناس كثيرون ، وقُتِل عدد كبير من العلماء والفضلاء .

وفي محرم من عام ٥٤٨هـ تعرَّض على نفس النحو لهزيمة قاسية على يد الأتراك الغز . وفي السادس من جمادى الأولى وقع في أسرهم ، وظل في قبضتهم حتى شهر رمضان من عام ٥٥١هـ .

[276] وبعد أن هزم الغزُ سنجرَ في محرم عام ٥٤٨ هـ ، وتدفَّقوا على مَرو وأكثروا فيها القتل والغارة . . بقي السلطان وحيداً مفرداً بعد أن غادره أمراؤه وتركه وزيره ناصر الدين طاهر.

ولما وقع السلطان في أسر الغز في السادس من جمادى الأولى ، استدعى هؤلاء الأمراء ـ ومعهم الوزير ناصر الدين ـ « سليمانشاه بن محمد بن محمد »[2] إلى خراسان ، وكان يجلس على عرش السلطنة في همدان بصفته ولياً لعهد سنجر . . ونصبوه سلطاناً ووزر له ناصر الدين طاهر (في ١٩ جمادى الأولى) . لكن ناصر الدين مات في شوال من نفس العام ، وعجز سليمانشاه بعد موت وزيره عجزاً تاماً عن إدارة شئون خراسان ؛ إذ كان رجلاً قليل الحيلة سيء السيرة.

واختار لوزارته ابنَ ناصر الدين طاهر أي نظام الملك أبا علي قوام الدين

---

(١) لمعرفة الكثير حول هذه الصراعات ، أنظر المرجع السابق الباب الثاني ـ المعسكرات المناوئة للسلاجقة (المترجم) .

(٢) إبن محمود ، كان سيىء السيرة والتدبير. إنتهى أمره بسجنه في قلعة الموصل على يد صاحب الموصل قطب الدين مودود. (المترجم). أنظر المرجع السابق ص ٦٢ ـ ٦٣ .

حسن[1] ، ثم عاد إلى العراق بعد مدة ، وذلك في صفر من عام ٥٤٩هـ .

ولا يدري أحد شيئاً عمن آلت إليه الوزارة في الفترة التالية لتحرّر سنجر من أسر الغز ، أي في الفترة الأخيرة من عمره ، والتي تبلغ السبعة أشهر . وناصر الدين طاهر بن فخر الملك[2] هو ممدوح الأنوري . ومع وزارة أخي ناصر الدين طاهر أي صدر الدين محمد ، انخرط الشاعر الأنوري في سلك مادحي سنجر ووزراء البلاط وأعيانه . وتدرَّج في منصبه كشاعر إلى أن صار أميراً للشعراء مكان المعزى .

ومعظم قصائد الأنوري ـ التي نظمت أيام وزارته ـ كانت في مدح هذا الوزير ، ونحن نشير هنا إلى أشهرها . ففي قصيدة الأنوري الشهيرة[3] التي يستهلّها بقوله :

اگر محول حال جهانيان نه قضاست | چرا مجاري أحوال بر خلاف رضا ست

يقول الأنوري في مدح هذا الوزير:

ـ سيد وزراء المشرق والمغرب ،
ومن هو في الوزارة صاحب شريعة الوزراء.
ـ فلك الفتح أبو الفتح طاهر ،
الصاحب الذي يعدُّ الفلك أقلّ قدراً من السها بالنسبة لفلك كماله الوضّاء.
ـ بهاء الشعب ونصير الهدى وناصر الدين ،

---

(١) يقول الأنوري :
إن الصاحب قوام الدين حسن يعرف قدري ،
فأنا الذكرى الباقية عن سلفه ناصر الدين .
(قدرت من صاحب قوام الدين حسن داند از آنك
صدر اورا يادگار او ناصر الدين طاهرم)

(٢) تولى الوزارة لسنجر في جمادى الأولى سنة ٥٢٨هـ ، واستمر بها إلى أن توفي عام ٥٤٨هـ . وللأنوري في مدحه أكثر من ثلاثين منظومة (المترجم).
أنظر: بيست مقاله جـ ٢ ص٣٦١؛ ديوان أنوري ، طهران . مقدمة سعيد نفيسي .

(٣) ديوان انوري ص ٢٧ وما بعدها (المترجم) .

ومن بفضله يقترن الدين والشعب بالنصر والبهاء.

[277] وفي قصيدة أخرى[1] مطلعها:

روزمي خوردن وشادى ونشاط وطربست

ناف هفته است اگر غره ٔ ماه رجب است

يقول الأنوري:

ـ الصاحب العادل أبو الفتح الذي تعتمد حركة الفتح على خفقة رايته العالية، وتجد فيها أقوى سبب.

ـ طاهر، صاحب الذات المطهّرة.. الذي يقول فلكُه:

هو الصدر الكريم الجوهر، وطاهر الطاهر النَسَب.

وفي قصيدة ثالثة مطلعها:

مي بياور كه جشن دستور است جشن عالي سراي معمور است[2]

يقول الأنوري ممتدحاً:

ـ ناصر دين الحق الذي تجد رايةُ الدين النصرَ..

ما دامت بين قومه وعشيرته.

ـ الطاهر بن المظفر الذي يقتصر الظفر على مراده وهواه..

ويتحقّق وفق أمنيته ورغبته.[3]

وفي قصيدة مطلعها:

تاملك جهان را مدار باشد فرمانده ٔ أو شهريار باشد[4]

---

(١) ديوان انوري ص ٣١ وما بعدها (المترجم).

(٢) ديوان انوري ص ٤٣ (المترجم)

(٣) ناصر دين حق كه رايت دين تاكه در فوج اوست منصور است
طاهر بن المظفر آن كه ظفر بر مراد هواش مقصور است

(٤) أنظر: ديوان انوري، ص٨٧، والقصيدة في مدح سنجر (المترجم).

يقول ممتدحاً الوزير:

- ملك خالد كالدنيا، فانظر لهذا الملك كيف يكون خلوده.
- باق على الدوام ممتد كالأبد، لا نهاية له.. ولا نعرف حدوده.
- مضيء بالوزير الذي يذكر المملكة بجدّه وأبيه..
- طاهر. الطاهر النسب، الذي تستعار الطهارة من جوهره ووجوده[1].

وفي قصيدة مطلعهـــا:

جرم خورشيـــد چواز حوت در آيد بحمـــل
أشهـــب روز كنـــد أدهـــم شب را أرجـــل[2]

يقول الأنوري في مدحـــه:

- مع كل صلاة يؤديها القوس وقزح في الأفق..
ترى الأعتاب الملكية وقد ارتفعت الى أوج زحل..
- ولا يمكن ضرب المثل على هذا الشيء..
إلا بمن عظَّمته الدنيا وفق دستورها.. وهو الصدر الأجلّ.
- ناصر الدولة والدين، طاهر. الطاهر النسب،
ذاك الذي أنيطت به رعاية الدين، وتعهَّد بنظام الدول.[3]

وفي قصيدة أخرى مطلعهـا:

[278 دوش سلطـــان چرخ آينـــه فام   آنـكه دستـــور شاه راســـت غـلام[4]

---

(١) ملـكي چو جهـان پايدار بيـنى   خـود ملك چنـين پايدار باشد
باقـى بدوامـى كه امتـدادش   چـون عمـر ابـد بي كنـار باشـد
روشـن بوزيرى كه مملـكت را   ازجـد وپـدر يـبادگار باشـد
آن طاهـر طاهـر نسـب كه پاكى   ازگـوهـر او مستعـار باشـد

(٢) ديوان انوري، ص ١٨٤، والقصيدة في مدح ناصر الدين أبو الفتح طاهر، ووصف الربيع. (المترجم).

(٣) هرنماز دگرى برافـق از قوس وقزح   دركهـى بيـنى افراشتـه تا اوج زحل
بمثـالى كه بچيزيش مثـل نتـوان زد   جـز بعـالى در دستـور جهـان صدر اجل
ناصر دولـت ودين طاهـر طاهـر نســب آنك   مـدد تربيت دين شد وتـرتيب دول..

(٤) ديوان انوري ص ٢١٢، البيت ٥٢٧٠، والقصيدة في مدح ناصر الدين أبي الفتح طاهر (المترجم).

يقول الشاعر ممتدحـاً:

ـ قلت: ذاك نعل جواد الوزير ، قرَّة العين. . فخر آل نظام.

ـ طاهر بن المظفر الذي يلازم الظفر رايته على الدوام.[1]

كما أن للشاعر قصيدة مطلعها:

باغ سرمـايهٔ دگـر دارد كان شد ازبس كه سيم وزر دارد[2]

يقول فيها مادحـاً:

ـ ناصر الدين الذي اكتسى غصنُ الدولة والديـن. .

بفضل معاليه. . ورقاً وناء بالثمر.

ـ طاهر بن المظفـر الذي. .

كلّل الله كل أوقاته بالظفـر.[3]

وفي ديوان الأنـوري مدائـح أخـرى غـير ما ذكرنـا ، قالهـا في حق هذا الوزير[4] . . يلزمنا الرجوع إلى الديوان ـ الذي طبع مراراً ـ[5] للإطـلاع عليهـا اطّلاعاً كاملاً.

---

(١) گفتـم آن نعـل خنگ دستـور است قـرة العـين وفخـر آل نظام
طاهـر بن المظفـر آنـكه ظفر رايتش را ملازم اسـت مـدام

(٢) ديوان أنوري ص ٨٤، البيت ٢٠٨٤ والقصيدة في مدح ناصر الـدين أبـي الفتح طاهـر. (المترجم).

(٣) ناصر الـدين كه شاخ دولـت ودين از معـاليش برگ وبـر دارد
طاهـر بن المظفـر آنـكه خداى همـه وقتيش باظفـر دارد

(٤) توجد في الديوان أكثر من ثلاثين منظومة قالها في حق هذا الوزير ممتدحاً (المترجم).

(٥) الطبعات هي: طبعة تبريز (١٢٦٦هـ)، طبعة لكنهـو (١٣٠٦هـ = ١٨٨٩م)، طبعـة كانپـور بهندوستان (١٨٩٧م)، طبعة سن بترسبورج (١٨٨٣م)، طبعة بمباي (تاريخ طبعها مجهول)، طبعة طهران (١٣٣٧هـ)، إرجع في ذلك إلى رسالتي في الدكتوراه بعنوان: «أوحد الدين الأنوري ـ عصره وبيئته وشعره» بمكتبة كلية الآداب جامعة عين شمس (المترجم).

الخلاصــة

في الفترة المحصورة ما بين جلوس طغرل وموت السلطان سنجـر (٤٢٩ - ٥٥٢هـ) - وهي فترة تناهز القرن وربع القرن (١٢٣ عاما) - نال الصدارةَ لطغرل وألب أرسلان وملكشاه ومحمد وبركيارق وسنجر. . حوالي ثلاثين شخصاً. ومن بين هؤلاء تعرَّض لطعنات خناجر الباطنيــة كل من:

خواجه نظام الملك، وولداه: فخر الملك وقوام الدين أحمـد نظـام الملك ، ونظام الدين أبو المحاسن عبد الجليل أعز الدهستاني ، ومعين الدين مختصّ الملك الكاشي . وقد أسلموا جميعهم الروح إثر توجيه الطعنات إليهـم ، فيما عدا قوام الدين أحمد نظام الملك ، الذي عاش ولم يمت.

أما الذين قتلوا نتيجة وشايات زملائهم في البلاط أو دسائس أمراء السلطان فهم : عميد الملك الكندري وأبو الغنائم تاج الملك وأبو الحسن صدر الدين محمد بن فخر الملك ، وأبو الفضل أسعد بن محمد مجد الملك القمـي ، وأبـو القاسـم الدركَزيني.

وكما رأينا. . فقد كان مصرع عدد من الوزراء يرجع إلى أحقـاد أهـل البلاط وأطماعهم ورغبتهم في إبعاد منافسيهم عن طريقهم ، لذا كانوا يحرّضـون الباطنية على قتلهم . ولو استثنينا طغرل الأول الذي لا نعرف شيئاً عن تصرّفه مع وزرائه على وجه الدّقة ، لوجدنا أن أيدي بقية سلاطين السلاجقة قد تلوثت بدم وزرائهم بصورة من الصور .

* * *

ملحقات وجداول

[280]

الملحـــق الأول[1]

الأمير داد حبشي بن آلتون تاق والأمير إسماعيل كَيلــكي

كانت بلاد قهستان ـ عندما استولى هولاكوخان على إيران ـ مركزاً رئيسياً من مراكز الباطنية الإسماعيلية . وكان لهذه الفرقة ما يقرب من مائة وخمسين قلعة مقرّها قمم جبال تلك البلاد. وقبل أن يشرع الحسن بن الصباح في دعوة الناس إلى عقائد الطائفة النزارية بمدة طويلة، ويكلّف داعيته المعروف حسين قايني بالتوجُّه إلى هذه البلاد لنفس الغرض[2] . كانت تلك البلاد والقلاع ملجأ للإسماعيلية . ويقال إن أول مرة نجح فيها الإسماعيلية في الإستيلاء على بلاد قهستان وقلاعها استيلاء تاماً . كانت في عام ٤٤٤هـ أو بعد ذلك بقليل. إن كانت قهستان ـ منذ أواخر عهد السامانيين ـ تحت سيطرة بني سيمجور ، خاضعة لنفوذهم ، ولم يكن هؤلاء يميلون لعقائد الإسماعيلية . وقد ظل نفوذهم بها سارياً إلى ما بعد العهد السامـاني .

وعندما جلس السلطان فرخزاد الغزنوي على العرش (٤٤٤هـ) كان « المنور » ـ أحد أفراد الأسرة السيمجورية ـ مستولياً على قسم من أقسام قهستان . ولما ثار فرّخ زاد في هذا العلم على ألب أرسلان محاولاً استرداد ولايات أجداده ، وقاد حملة كبيرة إلى خراسان ، أرسل ألب أرسلان إلى هذا الإقليم واحداً من أمرائه

(١) طبع هذا الملحق في مجلة يادگار س٣ ش٩ ص٤٩ ـ ٦٣، في أرديبهشت ١٣٢٦هـ تحت عنوان (تحقيقات تاريخي) .

(٢) كُلِّف حسين قايني بإنجاز مهمّته في قهستان من قبل حسن الصباح في عام ٤٨٤هـ (جهانگشاى جوينى، طبع آقاي قزويني ـ ج٣ ص ٢٠٠).

يدعى الأتابك قطب الدين كَلسارغ . وقد تسبب هذا الأمير في إيذاء أهالي قهستان إلى حد كبير . ومن جملة ما فعله . . أن طلب مضاجعة إبنة المنوَّر قسراً . ولجأ المنوّر إلى الإسماعيلية يستنجد بهم . فقدِموا إلى قهستان لنجدتـه، واستولـوا منـذ ذلك [281] الحين على البلاد وقلاعها[1] . وباتت طرق الفلاة التي تصل ما بين يزد وكرمان من جهة وخراسان وسيستـان من جهـة أخـرى تحـت سيطرتهـم . ويقـال إن هؤلاء الإسماعيلية الذين لجأ اليهم المنوّر السيمجوري كانوا يقيمون في جهة واحدة من الجهتين العامرتين بطيس. وكان يُطلَق على طبس ـ مركز الإسماعلية هذه ـ إسم طبس كَيلكي ، أما طبس الأخرى فكانـت تُدعـى طبس مسينـان . وهاتان المدينتان المتَّصلتان ببعضهما ، واللتان يدعوهما المسلمون العرب (طبسين) كانتا بين نيشابور وأصفهان وكرمان ، وتشتهران بجودة العنـب والبلـح والحـرير فيهما . ويبدو أن سبب تسمية احداهما بـ (كَيلكي) يعود إلى استيلاء الأمير أبو الحسـن كَيلكي بن محمـد عليهـا . ويستفـاد من قول ناصر خسرو ـ الـداعيـة الإسماعيلي المعروف ـ أن مدينة طبس كانت ـ قبل عام ٤٤٤ هـ ـ تتعرض لمضايقات دائمة من قبل لصوص كوج وبلوج ، وقطّاع الطرق فيها .

وكان الأمير أبو الحسن كَيلكي بن محمد ـ قبل هذا التاريخ ـ قد طهَّر هذه الناحية من شرّهم . واستولى عليها . وحين دخلها ناصر خسـرو علم ٤٤٤ هـ ، كان الأمير أبو الحسن كَيلكي حاكماً على طبس . وقد تحدَّث ناصر خسرو عن عدالته وحبه للرعية ، ولعله فعل ذلك لأنه كان إسماعيلياً[2] .

---

(١) إبن الأثير، حوادث عام ٤٩٤هـ .

(٢) ناصر خسـرو: سفرنامه، طبع برلين ص١٣٩ ـ ١٤١ .

كان ناصر خسرو من رجال الديوان أيام محمود ومسعود، فلما أديل من الغزنويين إلى السلاجقة ذهب إلى مرو والتحق بديوان چغري بيگ حاكم خراسان، وولي منصب رياسة الخزانة في مرو. ثم عكف على قراءة الكتب في شتّى الفروع وتعلّم العديد من اللغات. وذهب إلى مصر وبه ميل إلى المذهب الفاطمي. أقرأ الكثير عن هذا الشاعر الداعية في: «يادنامه» ناصر خسرو» ، نشر جامعة الفردوسي، مشهد ٢٥٣٥ شاهنشاهى = ١٩٧٦م (المترجم).

ولا نعرف التاريخ الذي انتهت فيه سيطرة الأمير أبي الحسن گيلكي بن محمد علي قهستان . والجدير بالذكر أن ذكر أبي الحسن هذا لم يَرِد إلاّ في سفرنامه . ولكن أخبار ابنه علاء الملوك حسام الدين أبي المظفر شمس المعالي إسماعيل بن گيلكي تَرِد في أكثر من مصدر . ويفهم من هذه الأخبار أنه كان من أشهر أمراء الإسماعيلية في علم ٤٩٣هـ ، وكان يتدخّل في الأحداث التي وقعت في بداية حكم سنجر لخراسان (علم ٤٩٠ هـ) كما يتبيَّن من الشرح التالي :

ساءت أحوال خراسان بعد قتل خواجه نظام الملك وموت السلطان جلال الدين ملكشاه (٤٨٥هـ). ومن جملة الأحداث قدوم أرسلان أرغو ـ شقيق ملكشاه ـ من بغداد إلى خراسان بعد وفاة أخيه ، وتسليم الأمير قودن ـ شحنة مرو ـ المدينةَ إليه ، واستيلاؤه على بلخ أيضاً . . وكان يحكمها آنذاك فخر الملك بن [282] خواجه نظام الملك ، واستيلاؤه على ترمذ ونيشابور، ثم إرساله إلى بركيارق ـ الذي كان قد جلس مكان ملكشاه ـ يطلب منه أن يمنحه حكم إقليم خراسان الّذي كان تحت حكم جدّه جغري بيك داود؛ على أن يرسل له الأموال الديوانية ولا يعارضه فيما يتعلّق بالسلطنة.

ونظراً لانشغال بركيارق آنذاك بالنزاع مع أخيه محمود وعمه الآخر تُتُش فإنه لم يردّ على خطاب أرسلان أرغو في حينه . فلما فرغ مما كان يشغله أرسل عمه الآخر بوري بَرْس لمقاومة أرسلان أرغو في خراسان . وانتصر بوري برس في البداية . . لكن الهزيمة حاقت به في علم ٤٨٨ هـ ، وسيطر أرسلان أرغو ثانية على خراسان ، وعمد إلى تخريب قلاعها . فلما ضاق الأهالي بظلمه ذرعاً ، قلم أحد غلمانه ـ في المحرم من علم ٤٩٠ هـ ـ بقتله وتخليصهم من شرّه.

ولما عرف بركيارق في علم ٤٩٠ هـ ما لحق ببوري برس من هزيمة ، أرسل أخاه سنجر أول الأمر إلى خراسان بصحبة أتابكِه الأمير قماج ، ولم يكن عمر سنجر آنذاك يتجاوز الثانية عشر . وقد لحق بركيارق بهما بعد قليل . وهكذا دخل الأخوان خراسان على رأس جيش كبير ، في جمادى الأولى سنة ٤٩٠هـ . وبعد أن

سيطر بركيارق على ترمذ وأجرى الخطبة باسمه في سمرقند ، عاد إلى العراق وأسند حكومة خراسان إلى سنجر .

وبعد عودة بركيارق ، ثار عليه أميران يدعى أحدهما يارق طاش ، أما الثاني فهو الأمير قودن السابق الذكر . وتمكّن الأميران من الإستيلاء على خوارزم . فوجَّه إليهما السلطان حملة بقيادة الأمير داد حبشي ـ أحد قادة ملكشاه ـ وذلك في علم ٤٩٠هـ نفسه . وتوجَّه الأمير في البداية إلى هرات ، فلما تمَّ له جمع الجيوش عبر جيحون وألقى القبض على يارق طاش . وهُزِم قودن ففر إلى بلخ لاجئاً إلى سنجر ، وهناك مات بعد فترة قصيرة .

وأخضع الأميرُ داد حبشي خوارزمَ بسهولة ، ونصب الأميرَ محمداً بن أنوشتكين من جانبه حاكماً على خوارزم . والأمير محمد هذا هو نفسه قطب الدين محمد خوارزمشاه والد علاء الدين أتسز ، الذي يعتبر مؤسس السلسلة الخوارزمشاهية الجديدة .

وكان التون تاق ـ والد الأمير حبشي ـ أحد أمراء ألب أرسلان المشهورين ، وقد اشترك في الحرب التي دارت في المحرم من علم ٤٥٦ هـ بين ألب أرسلان وقطلمش بن إسرائيل[١] .

وكان الأمير حبشي أحد الأمراء ذوي الخطر في عهد ملكشاه ، وقد نال رتبة (أمير دادي) أو (داد پيكي) ، وأسند إليه ملكشاه إدارة البلاد ، فعاش على درجة كبيرة من الرفعة والإحترام ، جعلت ملكشاه يحلُّ ضيفاً عليه في بعض الأحيان .

يقول المعزي في ذلك الصدد :

ـ كل ساعة تصل من الدولة علامة

وكل لحظة تَرِد من الفلك رسالة مهداة .

---

(١) أخبار الدولة السلجوقية ، ص٣١ .

- تؤكد أنه لا يوجد في الدنيا سعيد . .
يماثل السلطان معز الدين ملكشاه.

* * *

- سمعت أن أنوشروان . .
قد ترك آثاراً تدل على عدله . . في كل مكان.
- وأنه قد أرسل جنوده إلى كل طريق،
لتنعم القوافل بالأمن والاطمئنان.
- وأنه بفضل عدله واستقامته
قد جعل للتجارة سوقاً رائجة في كل آن.
- والآن أرى لك أيها الملك العادل . .
في كل مدينةٍ نوشيروانَ آخرَ . . رفيعَ الشأن.
- وبين هؤلاء العظماء أرى الأمير داد . .
الذي يحلُّ عظيم مثلك ضيفاً عليه . . يا ملكَ الزمان.

---

(١) رسد هر ساعت از دولت نشانی
پیام آید ز گردون هر زمانی
که چون سلطان معز الدین ملکشاه
نباشد در جهان صاحب قرانی
(٢) شنیدستم که نوشروان نموده است
ز عدل خویش هرجایی نشانی
بهر راهی فرستاده است لشکر
که تا ایمن بود هر کاروانی
بعدل وراستی کرده است هرجای
روان بازار هر بازارگانی
همی بینم کنون ای شاه عادل
بهر شهری ترا نوشیرواني
یکی زان نامداران میر داد است
که او را چون تو باشد میهمانی

وبناء على ما ورد من شرح تفصيلي في جامع التواريخ لرشيدي وفي زبـدة التواريخ لأبي القاسم الكاشي ، وما ورد من شرح مختصر في جهانگشا للجويني (جـ ٣ ص٢٠٧ ، ٢٠٨) ، يُفهم أن السلطان بركيارق قد خوّله حريّة التصرّف في قلعة گَردكوه التي كان يطلق عليها قديماً « گنبدان دژ » وذلك في عام ٤٨٩ هـ عند توجُّهه إلى خراسان ، وأنه قد سيطر بعد ذلك على قلاع هامة للإسماعيلية في ولاية قومس . وقد تمّ له الإستيلاء على هذه القلعة في منتصف شعبان من هذه العام ، وعيَّنَ عليها حاكماً من قِبَلِهِ هو الرئيس المظفر المستوفي . . الذي كان قد انخرط سراً في عداد أتباع أحمد بن عطاش داعية النزارية الخطير . وسرعان ما اشترى الـرئيس المظفر أملاكاً كثيرة في المنطقة المحصورة ما بين قومس وخراسان ومازندران ، وصار ذا جاهٍ ونفوذ كبيرين ، وسيطر على كل أنحاء دامغان وگردكوه . ولما كان التون تاق والد حبشي يحبه ـ في السابق ـ حُباً بالغاً ، فقد خدم حبشي بإخلاص . . اعترافاً بأفضال والده عليه . ونقل كل ذخائر حبشي وخزائنه إلى گَردكوه ، وضم إليه ولده إسماعيل كابن له ، وأحْسنَ تربيته ، وكان يدفع نفقاته ونفقات خدمه وحشمه من ماله الخاص . وكان الرئيس المظفر يسيطر على گردكوه حـين قتـل حبشي في عام ٤٩٣هـ . . وهنا صرَّح بعقائده الباطنية ، وترك السيطرة على القلعـة لحسـن بن صباح ، وترك له حرية التصرّف فيها ، وصارت له هو الرياسة عليها ما يقرب من أربعين سنة أخرى . . من خلال حَسَن . [284]

وبعد أن أخضع الأمير حبشي خوارزم باسم بركيارق عام ٤٩٠ هـ وسيطر على القسم الغربي من خراسان وقومس . . طمع في الإستيلاء على إمارة خراسان التي كان يحكمها سنجر آنذاك . ولكي يجد حجَّة يستند إليها في تبرير عصيانه . . عمد إلى تأليب قادة جيش سنجر على بركيارق . وهذا يشبه ما قام به مؤيد الملك بن نظام الملك حين توجَّه إلى كَنجة وحرَّض محمداً (أخا بركيارق وشـقيق سنجـر) ودفعه إلى الثورة على بركيارق ، وغَرَس في ذهنه فكرة الجلوس على عرش السلطنة مكان بركيارق .

وفي عام ٤٩٣ هـ ثار الأمير داد على سنجر بصورة علنية ، فقدم سنجر إلى بلخ لقمعه ، يرافقه قائدان شهيران هما كَندكزُ وَارْغِش[1] (يرغش) . وأسند سنجر قيادة معسكره لأرغش .

وحدث أن هُزِم بركيارق بعد أن حارب أخاه محمداً قرب همدان في الرابع من رجب عام ٤٩٣هـ ، ففرَّ وفي رفقته خمسون فارساً ، وسلك طريق الري واسفراين إلى دامغان، وطلب المدد من الأمير حبشي الذي كان قد أعدَّ نفسَه لاستقبال جيوش سنجر . وراسل الأمير حبشي بركيارق طالباً منه البقاء في نيشابور إلى أن يصل إليه . ووصل إليه في نيشابور فعلاً وبرفقته عشرون ألف فارس وراجل. وكان المشاة ـ وعددهم خمسة آلاف جندي ـ قد أُرسلوا إلى حبشي كمدد من قبل الأمير إسماعيل بن كَيلكي أمير طبس الإسماعيلي المذهب . كما أن بركيارق كان في هذا الوقت قد تمكّن من جمع ما يقرب من ألف نفر.

ودارت الحرب بين جنود سنجر من جهة وجنود الأمير حبشي وبركيارق ومن أرسلهم الأمير إسماعيل كَيلكي من جهة أخرى ، وذلك في پوزكَان[2] (بوزجان) . [285] ورغم ما أبداه بركيارق من صنوف البطولة والشهامة ، كان النصر حليف أمراء سنجر . وفرّ بركيارق والأمير داد ، وهلك مشاة الإسماعيلية في وادٍ جبلي .

وقد ذكر المؤرخون أمثال ابن الأثير وعماد الكاتب أن عدد الجنود الذين

(١) ورد اسم هذا القائد في متن ابن الأثير المطبوع (بزغش)، ولدى عماد الكاتب (ارغش)، وفي جامع التواريخ (برغش)، وكذلك الحال في زبدة التواريخ. ووفقاً لمتن عماد الكاتب يصبح شبه مؤكد أن الإسم على نحو ما ورد في جامع التواريخ شكل آخر لهذا الإسم التركي. ووضع الألف مكان الباء أو العكس أمر مألوف في أسماء الأعلام التركيَّة. وهذه الكلمة مركبة من كلمتين (ار = بر) بمعنى رجل، و(غش) بمعنى طائر.

(٢) إسم المكان كما كتبه ابن الأثير (نوشجان)، وكما جاء في جامع التواريخ وزبدة التواريخ (بوزكان)، وفي رسالة سنجر للخليفة المسترشد (بوزجان)، والمقصود بها المكان العامر المعروف (بوزكان) أو (بوزجان) موطن أبي الوفاء البوزجاني العالم الرياضي المعروف، وأبي القاسم علي بن عبدالله قائد بوزگان وأول وزراء طغرل الأول. . وكانت تقع بين نيشابور وهرات، وتبعد أربعة أيام عن نيشابور وستة عن طريق هراة.

أرسلهم الأمير إسماعيل گيلكي لمساعدة الأمير حبشي قد بلغ خمسة آلاف جندي . غير أن رسالة أرسلها سنجر إلى الخليفة المسترشد في رمضان عام ٥٢٧هـ ـ وضمنّاها رسالتنا هذه ـ تفيد أن عددهم كان ثلاثين ألفاً . . وهذه مبالغة فيما يبدو.

وقد هزم أرغش ـ قائد المعسكر السنجري ـ الأمير حبشي في معركة بوزجان كما سبق أن قلنا. ووقع الأمير داد في يد أحد التركمانيين أثناء فراره ، وأبدى استعداده لدفع مبلغ مائة ألف دينار لقاء إخلائه سبيله . لكنه ساقه إلى أرغش الذي قتله عام ٤٩٣هـ في بوزجان ، كما قتل ابنه إسماعيل في جرجان في شهر صفر من عام ٥٠٧هـ [١] .

وقد أخطأ عماد الكاتب فيما يتعلّق بمعركة بوزجان وتدخُّل بركيارق ، فقد تصوَّر أن بركيارق قد جاء من العراق بمساعدة سنجر ، وأن قدومه قد تسبَّب في تقوية قلوب جند سنجر. بينما يصرّح ابن الأثير وتؤكد رسالة سنجر لوزير المسترشد أن الأمر كان على العكس من ذلك ، فقد كان بركيارق يحارب في معسكر حبشي ضد سنجر ، كما أنه فرّ إلى جرجان ودامغان بعد هزيمة الأمير حبشي ، وسلك سبيل الصحراء إلى أصفهان فخوزستان . يضاف إلى ذلك أن سنجر ـ الذي كان منحازاً [286] لأخيه الشقيق السلطان محمد ـ لم يكن على وفاق مع بركيارق منافس محمد ، ولهذا لم يستطع بركيارق الاعتماد عليه بعد ثورة محمد.

* * *

والأمير داد حبشي هذا ـ الذي استطاع أن يوطِّد نفوذه في خراسان من عام ٤٩٠ الى عام ٤٩٣ هـ ـ أحد مشجِّعي الأدب الفارسي ، وقد امتدحه شاعران من مشاهير هذا العهد ، هما : أبو المعالي النحاس الرازي[٢] وأمير الشعراء المعزي

(١) زبدة التواريخ لأبي القاسم الكاشي.

(٢) ورد تخلُّصه «نحاس» بالحاء المهملة و«نخّاس» بالخاء المعجمة. وورد ذكره في «جهانگشا» للجويني (حـ ٢ ص٢) و«حدائق السحر» لرشيد الوطواط (الحواشي التي بالنهاية) و«نخبة العصر» لعماد الكاتب و«مؤنس الأحرار» لمحمد بن بدر جاجرمي و«هفت إقليم» وغيرها. وقد نقل مؤلف هذه =

النيشابوري ، وكان أبو المعالي مادحه الخاص[1] .

ولم يبق من شعر أبي المعالي الرازي - لسوء الحظ - أكثر من قطعتين وقصيدتين أو ثلاث في مدح فخر الملك أبي الفتح المظفَّر بن الخواجه نظام الملك وزير السلطان سنجر (٤٩٠ - ٥٠٠هـ) ، وذلك رغم كونه واحداً من أشهر شعراء العصر السلجوقي ، ورغم أنَّه امتدح الكثير من كبار رجال البلاط وأمراء الدولة في الفترة ما بين عهد ملكشاه وأوائل عهد سنجر.

وليس في يدنا من الأشعار التي نظمت في مدح الأمير حبشي سوى مطلع قصيدة نظمها أبو المعالي في مدحه بمناسبة انتصاره الذي حقَّقه على حدود جرجان عام ٤٨٩ هـ على الأمير غزل سارغ أحد أمراء ملكشاه[2] ، وهذا مطلعها :

برآهيخت شمشير شاه مظفر بجنگ غزل سارغ الله أكبر[3]

[287] غير أن هناك في أيدينا عدة قصائد في مدح هذا الأمير نظمها أمير الشعراء محمد بن عبدالله المعزي النيشابوري ، وتشتمل على معلومات تتعلَّق به . . يمكن عن طريقها - بالإضافة إلى ما ذكرناه سابقاً - أن يجتمع لدينا من المعلومات الكثيرة ما يجلّي جوانب حياته .

ويبدو من أشعار المعزى أن هذا الشاعر كان يعيش في بلاط السلطان ملكشاه بعد وفاة أبيه خواجه عبد الملك برهاني في قزوين ، في الفترة ما بين عامي ٤٦٥

= الرسالة ما بقي من أشعار هذا الشاعر الفارسية في حواشي «حدائق السحر» . وقد ذكر أنوشروان بن خالد أشعاره الفارسية مراراً في كتابه الفارسي «نفثة المصدور» الذي يدور حول تاريخ السلاجقة . وقد ترجم عماد الكاتب هذه الأشعار إلى العربية في كتابه «نخبة العصر» الذي يعدّ القسم الرئيسي فيه ترجمة عربية لكتاب نفثة المصدور. وفيما عدا قطعة أو قطعتين بقي لنا أصلها الفارسي فإن بقية الأشعار قد ضاعت.

(١) جهانگشاي جويني - ج٢ ص٢ .

(٢) كان هذا الرجل قد جاء إلى خراسان بإيعاز من ملاحدة قهستان وعاث فيها فساداً بعد موت ملكشاه (المرجع السابق ص٢٠٢ - ٢٠٣ وتاريخ سيستان) .

(٣) تاريخ بيهق ، صورة للنسخة الخطية الموجودة بالمتحف البريطاني ، ورقة 158 a.

و٤٨٥هـ ، ثم أقام الشاعر بعد موت ملكشاه (٤٨٥هـ) في وطنه خراسان حيث عكف على مدح الأمير أرسلان أرغو الذي مرَّ ذكره . وظل يشغل منصبه هذا ـ على ما يبدو ـ حتى عام ٤٨٩هـ أي قبل قتل أرسلان أرغو بقليل . ثم توجَّه إلى هراة حيث عمل في حكومة الأمير داد حبشي الذي كان قد ترك العراق إلى هراة لقمع أرسلان أرغو وسائر متمرّدي خراسان . وقد امتدح ضمناً الأمير إسماعيل كَيلكي ظهير الأمير حبشي .

وبعد ثورة حبشي على سنجر ، ترك المعزي خراسان متوجّهاً إلى الري ليعمل لدى خواجه مؤيد الملك . . أحد الذين حظى قديماً بإنعامهم . وهو الذي أثار السلطان محمد علي بركيارق وأحضره من گنجة إلى الري . وكان المعزى في الري في ذي القعدة من العام المذكور حين وصل السلطان محمد إلى تلك المدينة وبرفقته مؤيد الملك. وقد هنأ الشاعرُ مؤيدَ الملك على الوزارة بقصيدة، ولازمه إلى أن قُتِل عام ٤٩٤هـ ، فقَبِل خدمة بركيارق.

وهدفنا من إيراد هذا الموجز المستقى بحذافيره من أشعار المعزي نفسه . . هو أن نحدِّد التاريخ الذي كان المعزى يقوم فيه بمدح الأمير داد حبشي والأمير إسماعيل كَيلكي . . وهو ـ بالصورة التي ذكرناها ـ ينحصر بين العام الذي دخل فيه حبشي خراسان لقمع ارسلان أرغو (٤٨٩هـ) والعام الذي رفع فيه حبشي راية العصيان (٤٩٢هـ).

وبين أيدينا قصيدتان عظيمتان نظمهما المعزى في مدح الأمير داد حبشي ، وقد ورد فيهما اسم الممدوح وكنيته صراحة. ويتضح منهما أن اسمه «حبشي» ـ طبقاً لما جاء في معظم النسخ القديمة ـ وليس «حبش» كما جاء في بعض النسخ ، لأن الوزن الشعري يقتضي (حبشي)، كما أن المعزى يقول صراحة أن اسمَه مكونٌ من أربعة حروف. أما كنيته فهي أبو شجاع ، وتتكون من سبعة حروف بناء على تصريح المعزى، ولم يرد لها ذكر إلاّ في أشعاره هو.

[288]

والقصيدتان من غرر قصائد المعزى ، وهو يبدأ أولاهما بقوله :

ـ الغنى والشباب والعشق ورائحة الربيع ،
والشراب والخضرة والماء الجاري ووجه الحبيب(١) .

وسوف نكتفي بنقل قسم منها لعدم طبع ديوان المعزي للآن(٢) . ويلاحظ أن المعزى يُكثِر فيها من أبيات الوصف(٣) ، قبل أن يطرق باب المديح ويقول فيه :

ـ حين تنظر في الروض إلى الورود الصفراء والحمراء . .
تراها وكأنها دنانير غير مسكوكة . . تخطف الأبصار.
ـ ولسوف تضع يدُ الفلك باسم الحاكم المتديِّن . .
بغية الرفعة . . السكَّةَ على الدينار
ـ معين دولة الملِك المظفر المنصور . .
أمين ملَّة محمد، أمين شريعة المختار
ـ أبو شجاع العظيم حبشي . .
أمير داد، السيِّد، سيِّد الأحرار.
ـ الحاكم الكبير الذي أصبح وجوده . .
واسطة العقد، ونقطة دائرة الفرجار.
[289] ـ الكلام من سبعة وأربعة . . في عقيدة الفلاسفة ،
وعلى هذا النحو أنشأ الكون عالم الأسرار.
ـ فاستخلص هذا المعنى من اسمه ومن كنيته ؛

---

(١) توانگرى وجوانى وعشق وبوى بهار
شراب وسبزه وآب روان وروى نگار

(٢) كتب هذا الموضوع قبل طبع ديوان المعزى على يد المرحوم إقبال، عام ١٣١٨هـ .

(٣) خوش است خاصه كسى راكه بشنود بصبوح
زچنگ نغمهٔ زير وزناى نالهٔ زار
دوچيز را بدو هنگام لذت دگر است
سماع را بصبوح وصبوح را ببهار =

فكنيته من سبعة أحرف، واسمه من أربعة.. لا تحار(1).

ثم يعمد إلى مدحه تفضيلاً، فيقول:

= خوشا سماع صبوحی چو باتو باشد دوست
خوشا صبوح بهاری چو باتو باشد یار
صبوح ساز ودگر باره* عشرت از سرگیر
که باغ تازگی از سرگرفت دیگربار
گرفت لاله بصد مهر سبزه را در بر
گرفت سبزه بصد عشق لاله رابکنار
بر آن صحیفه که یك چند زرگران خزان
بچرب دستی بردند زر وسیم بکار
مهندسان بهاری برآن صحیفه کنون
همی کشند خط از لاجورد** واز زنگار
بلاله بنگر کورا چه پایه بهره رسید
زباد مشك فشان وز ابر لؤلؤ بار
حکایت از رخ معشوق وچشم عاشق کرد
که بهره یافت زمشك وز لؤلؤ شهوار
مگرکه کبکان اندر ضیافت نوروز
بریده اند سر زاغ بر سر کهسار
که بسته اند پر زاغ بر سر تیریز
که کرده اند همه خون زاغ بر منقار
دعا کردند بشاخ چنار مرگل را
تذرو وفاخته وعندلیب وقمری وسار
اگر دعاکرگل برچنار مرغانند
چرا چو دست دعاکر شده است برگ چنار

(1) درست گویی دینار های بی سکه است
چو بنگري بگل زرد وسرخ در گلزار
زبهر مرتبه خواهد نهاد دست سپهر
بنام خسرو دین دار سکه بر دینار
معین دولت شاه مظفر منصور*
امین ملت وشرع محمد مختار
ابو شجاع سرافراز خسروان حبشی
امیرداد خداوند وسید احرار
بزرگ بار خدایی که آفرینش را
شده است واسطه* عقد ونقطه* پرکار
سخن زهفت وچهار است فیلسوفان را
که کون عالم از این کرد عالم الأسرار
زنام وکنیت او جوی سراین معنی
که هست کنیت او هفت حرف ونام چهار

* يعني بركيارق.

- الملك ممتن للدولة اليقظة ، شاكر لك . .
والدولة اليقظة يناسبها القلب الواعي المفيق .
- لقد ثمل الأعداء بفرقتهم فناموا ،
حين اجتمعت الدولة اليقظة والقلب المفيق .[1]

ويفهم من هذا الشعر أن المعزى قد أنشد هذه القصيدة حين تغلب الأمير داد - بأمر بركيارق وبقيادة سنجر والي خراسان - على القادة العصاة (قودن ، يارق طاش ، غزل سارغ) ، أي في عام ٤٩٠ هـ .

ثم يقول :
- هل نمى إليك خبري حين كنت أعمل كعبد أجير ،
وأؤدي الخدمة القاسيـــة؟
- لقد كان ثنائي عليك وشكري لك شغلي الشاغل . .
رغم أن هذه الأمور كانت صعبة مضنية .
- وكان مدحي لك يزيل الهمَّ عن قلبي ،
كما تزيل الغبارَ عن الهواء أمطارُ السماء العالية .
- تقويتُ اليوم بكَ وكنتُ بالأمس ضعيفاً . .
صيرْتَني العام شابا ، وكنتُ شيخاً في السنة الماضية .
- وجدتُ الخلاصَ في مجلسك وجمعتُ الذهب النضار ،
فتحقق لي الجوهر الخالص والمنزلة السامية[2] .

---

(١) ملك** ز دولـــت بيدار شاكر اســـت وتراسـت ســـزاى دولـــت بيدار او دل هشيار
مخالفـــان بتفـــاريق مستـــه وخفتـــه شدند چـــو جمـــع شد دل هشـــيرا ودولـــت بيدار
** يعني الملك ناصر الدين سنجر الذي كان يحكم خراسان بأمر من أخيه السلطان ركن الدين بركيارق .

(٢) شنيده اى خبـــر من رهـــى كه چون بودم بجبـــر محض گرفتـــار خدمتـــى دشـــوار
ثنـــاء شكر تو همـــواره بود كار مرا وگرچـــه بود بسى كارهـــاى ناهموار
دلـــم بمـــدح تواز غم تهـــى شده اســـت چنانـــك
هوابقطـــره' باران تهـــى شود زغبـــار =

ولعل المعزى يشير في أشعاره هذه إلى الأيام التي كان يعمل فيها لدى الأمير أرسلان أرغو (٤٨٥ ـ ٤٨٩هـ) والتي تحمَّل فيها ظلمه . وهذه الخدمة هي التي أسماها « الخدمة القاسية ».

والقصيدة الثانية من قصائد المعزى في مدح الأمير داد يستهلها بقوله :

أي تازه تر از برگ گل تازه ببر بر   پرورده ترا خازن فردوس ببربر

والشاعر يغرق في الوصف[1] قبل أن يتطرق إلى المديح ويقول فيه :

[290] ـ الملك حبشي شمس المعالي ذو الطلعة السنيَّة ،
مَنْ توقيع معاليه على منشور الفضل « الشمس الذهبيَّة ».

= قوى شدم بتو امروز وست بودم دى
جوان شدم بتو امسال وپير بودم پار
خلاص يافتم وزر خالص آوردم
بمجلس تو چنين پاك وزن وپاك عيار

(١) عناب شكر بار تو هرگه كه بخندد
شايد كه بخندد بعناب وشكر بر
تادست بسينه نزدى كار جهان را
درو هم نيامد كه بود بحر ببربر
در سيم حجر داري وبر ماه چليپا
ماه تو بزير اندروسيمت بزير بر
زين روى همه بوسه دهند اى بت مه رو
رهبان بچليپا برو حاجى بحجر بر
در سايه زلف توسياه حبش وزنگ
بودندن از آن جادوى بابل بحذر بر
گشتند هزيمت مگر اكنون كه فتادند
مانند هزيمت زدگان يك بدگر بر
بر لؤلؤى خوشاب ز ياقوت زدى قفل
وز غاليه زنجير نهادى بقمر بر
ميسند كه دارند مرا در غم هجران
قفل تو وزنجير تو چون حلقه بدر بر =

ـ الشاه الذي يواكبه الفتح والظفَر .

كما هو حال الشيعة مع عليٍ والسّنة مع عُمَر.[1]

ويبدو من أبيات أخرى في هذه القصيدة أن المعزى قد أرسلها إلى الأمير داد من مكان ما ، ثم أراد الحضور بنفسه ولكنه أحجم خوفاً من قطّاع الطريق . . فاكتفى بإرسالها . وهذا ما وصلنا من أشعار المعزي التي نظمها في حق الأمير أبي شجاع حبشي بن آلتون تاق.

أما مدائحه التي وجهها للأمير إسماعيل گليكي الطبسي فإنها أكثر نسبياً ، ففي ديوانه ثلاث قصائد ومنظومة من نوع التركيب بند تتصل بهذا الغرض، تتضمَّن اسمه وكنيته وألقابه ومحلّ إقامته .

وتبدأ القصيدة الأولى على هذا النحو:

چه گوهر است كه كانش غم دها قين است

برنگ لالهٔ نعمان وبوى نسرين است

= بستى كمر وراه سفر پيش گرفتى

پيش از سفر تست دل من بسفر

جسم بكمر ماند ودو چشم بكوكب

كوكب بكمر بر زده چون سيم بزر بر

اى كاش تراجسم نبستى بميان بر

اى كاش ترا چشم نيستى بكمر بر

تا چند نهم بيهده اندر صف عشاق

از حسرت تو داغ جدائي بجگر بر

گربخت شود يار نهم در صف احرار

از دولت تاج الامرا تاج بسر ير

(١) خسرو حبشى شمس معالى كه زر شمس   توقيع معاليست بمنشور هنر بر

شاهى كه براو فتح وظفر فتنه شد ستند   جون شيعه وسنى بعلى وبعمر بر

وبعد بضعة أبيات[1] يبلغ الشاعر المديح، فيقول :

[291] ـ كما تقوى الروح بتأثير الشراب وفاعليّته

يحقق سيفُ ناصر الإسلام نصرة الدين.

ـ أبي المظفر شمس المعالي إسماعيل. .

الذي يُعَدُّ القمر والثريا تراب أقدام معاليه. . على وجه اليقين.

ـ من له صفات الملوك،

ومن يلقى من الله والملوك كل إقبال وعز وتمكين.

ـ بنوره وصفاء خاطره، أشبه ما يكون برجل المعراج،

وبعزمه وقوة ساعده، أشبه ما يكون برجل صفين.

ـ ما دام في الحفل، فالنجاة نصيب الممتَحَنين المبتَلين،

وما دام في الحرب، فالهلاك نصيب الشياطين.

ـ حَاكِمُ كرمان غريقُ نِعَمه وآلائه ، شاكر أفضاله،

ورهينُ منّته وأسيرُ كرمه. . مَلِكُ غزنين[2]

ومن جملة ما قاله في المــدح :

[291] ـ أفقك واسع كالبحر الذي يمتدُّ موجه من طبس إلى فلسطين[3]

* * *

---

(١) بمجلس ملـكان همنشـين زير وبـم است   ببـزم نامـوران مونس رياحـين است
نه آينـه اسـت وليكن درو بدسـت بتان   خيال زلف گرهـگير وجعـد برچـين است
زروى هزل وكنـايت عصـاى پـيران است   ز روى جد وحقيقـت نشـاط غمـگين است
بدين صنعـت نبـود درهمـه جهـان گهرى   مـگر شراب كه پرورده[*] دهاقـين اسـت

(٢) چنـاكه هسـت ز فعـل شراب قوت روح   ز تيغ ناصر اسـلام نصرت دين است
ابـو المظفـر شمس المعـالى اسماعيل   كه خاك پاى معـاليش ماه وپـروين است
خدا يكّان صفتـى كز خدايگان وخداى   نصيب او همـه اقبـال وعـزو تمـكين است
بـنور وصفـوت خاطـر چو مرد معـراج است   بـزور وقـوت بازو چو مرد صفـين است
نجـات ممتحنـان اسـت تاكه در بزم اسـت   هـلاك اهرمـان اسـت تاكه در زين است
غريق نعمـت او شهـريار كرمـان است   رهـين منت او پادشـاه غرنـين است*

* شهريار كرمان هو على ما يبدو إيرانشاه السلجوقى (٤٩٠ ـ ٤٩٥هـ)، وپادشاه غزنين هو جلال الدين مسعود بن إبراهيم الغزنوى (٤٨١ ـ ٥٨٠هـ). ولعل سبب امتنانهما هو تأمين إسماعيل گيلكى لطرق الفلوات الموصلة لكرمان وغزنين ، كما سيرد صراحة في القصيدة الثانية.

(٣) گشـاده طبـع تو همـواره همچـو دريائيـت   كه موج اوز طبس تادر فلسطـين است

- نفَّذتُ الأمر، فذهبت إلى حضرة مَلِكٍ . .

يخضع له مَلِك الصين وغير الصين .

- ولفرط شوقي إليك ، خرب إيوان متعتي وسروري . .

كما لحق الخراب بإيوان قصر شيرين[1] .

ويفهم من هذه القطعة أن المعزى قد توجَّه بناء على أمره إلى مَلِكٍ يخضع له « ملك الصين وغيرها »، ولم يصرِّح باسمه (ربما يكون الملك ناصر الدين سنجر). ومن هنا يمكننا استنتاج أن المعزى لم يكن ينظر إلى عقائد الباطنية نظرة ازدراء ، ولذا كان موضع ثقة أحد رؤسائهم . . أي الأمير إسماعيل گيلكي، حتى لقد كلَّفه بإحدى المهام .

وربما تؤكد القصيدة التالية قولنا هذا ، إذ يقول المعزى فيها عن اسماعيل أنه « محيي دين خير البشر ». يضاف إلى ذلك أنه لا توجد في ديوان المعزى بأكمله أية [292] اشارة لهذه الطائفة . . رغم امتداحه للسلاطين والوزراء السلجوقيين الذين قاوموا الإسماعيلية بكل قوّتهم ، بينما نجد معاصريه من الشعراء أمثال القاضي الأرجاني وأبى المظفر الأبيوردي ومؤيد الدين الطغرائي - الذين لم يكن أحدهم مثله أميراً للشعراء أو شاعراً رسمياً للبلاط ، أو له مثل صلته الوثيقة بسلاطين السلاجقة ووزرائهم - يهاجمون عقائد الإسماعيلية أو (شيعة الإلحاد) كما كانوا يسمّونهم ، ويبالغون في مدح السلطان محمد والسلطان بركيارق وخواجه قوام الدين أحمد بن خواجه نظام الملك والوزير سعد الملك سعد بن محمد الآبي . . وذلك لمحاربتهم هذه الطائفة والتصدّي لها .

والقصيدة الثانية من قصائد المعزى في مدح اسماعيل گيلكي تبدأ بقولـه :

---

(١) بحكم فرمان رفتم بحضرت ملكى — كه در پرستش او شاه چين وماچين است
ز اشتياق تو ايوان عيش سيرينم — خراب گشته چو ايوان قصر شيرين است

ـ يا بني الجميل، فضِّل الصبوح على سواه،
وناول القدح المترع للشاربين[١]

وبعد أن يذكر عدة أبيات في وصف المعشوق[٢]، يمهِّد للمديح.. ويدخل فيه، فيقول:

ـ حين ترميني عينك بسهم سحرها..
يحدث سهم عينك في قلبي بالغ الأثر.
ـ ولا يرتوي قلبي من سحر سهمها.
كما لا يرتوي سيف علاء الملوك من الظفر.
ـ المعين الذي نالت الدولة على يده الشرف،
النصير الذي وجد الشعب على يده الرفعة والخطر.
ـ الحسلم الذي تجدَّد بفضله في مُلكِ إيران..
دينُ محمدٍ النبيِّ خيرِ البشر..
ـ اسماعيل بن گيلكي الذي بسبب ما يتمتع به من شرف..
كفَّه زمزم وركابه حجر.
ـ تقصر الأفهام عن بلوغ قدره،
فالأفهام متدنية المكانة، وقدره في أعلى مكان ومقر.
ـ ينال القضاء والقدر منه..
كل ما يخطر بالعقول ويمرّ بالفِكَر[٣]

---

(١) صبـوح را خـوش كـن أي خـوش يسـر — بميخـوارگـان ده قـدح تـابسـر
(٢) كه چون سر برارد زكوه افتاب — قدح تابسر خوشتر اى خوش پسر
چو از آب زر شد زمين بهره مند — تـواز آب زركن مرا بهره ور
تراچشم بادام ولب شكرست — مرا نقل بادام ده باشكر
كمندى كه برسيم دارى بمشك — كمان كرد پشت من اى سيم بر
ز خوبان گيتى ترا معجز است — دهان وسخن باميان وكمر
كمر ظاهر است وميان نا پديد — سخن كاملست ودهان مختصر
(٣) جو تير افكند چشمت از ساحرى — بود بر دلم تير او كارگر=

[293] ويستمر المعزى في قصيدته ويبالغ في ذكر مناقب الأمير إسماعيل گيلكي[1] ، إلى أن يقول في آخر مديحه :

ـ حين أطلق لساني بمدحك،
أفضّل لساني الفصيح على البصر.
ـ وفي روض مدحك في كل وقت..
ترى في غصونِ مديحي الثمر.
ـ فإن يكن تقصيري فاقَ حدّه..
فتجاوز عنه واصفح... فهأنذا أعتذر.
ـ لما كنت لا أجد لي نظيراً في شاعريتي،
فإني انتظر من عينك القبول والنظر[2].

ويستهل المعزى قصيدته الثالثة في مدح الأمير إسماعيل گيلكي بقوله:

ـ خيال وجه الأحباب نقض توبتي..
أي وجهٍ هذا الذي ينقض خيالُه التوبة؟

= نيايد از ساحرى تيراوى   چو تيغ علاء الملوك از ظفر
معينى كزو يافت دولت شرف   نصيرى كزو يافت ملت خطر
حسامى كه در ملك ايران زمين   بدو تازه شد دين خير البشر
سماعيل بن گيلكى كز شرف   كفش زمزم است وركابش حجر
باندیشه نتوان بقدرش رسيد   كه انديشه زيراست وقدرش زبر
قضا وقدر حاصل آيد از او...   هر آنج اندر آرد بوهم وفكر

(۱) اگرچه ندارد روا دين اوى   كه باشد ثناهاى او چون سور
ثناها كزو اهل دين كرده اند   چو الحمد وچون قل هو الله زبر
بيابان* چنان كرد شمشير او   كه چون آهوى ماده شد شيرنر
براه بيابان بباهى شده است   ز بازارگانان نفر بر نفر
كنندش دعاى سحر هرشبى   كه عدلش شب فتنه راشد سحر
همه راد مردان ازو شاكرند   بشرق وبغرب وببحر وببر

* كوير لوت، كان الجغرافيون يسمونها قديماً (المفازة).

(۲) چو من بر مديحت گشايم زبان   زبان را فضيلت نهم بر بصر
بباغ مديح تو هر ساعتى   ز شاخ ضميرم بر آيد ثمر
گر ازحد گذشته تقصير من   بتقصير منگر بعذرم نگر
چو در شاعرى من ندارم نظير   زتوچشم دارم قبول ونظر

ـ لقد سكن هواه قلبي فخرٌ به . .

أي ساكنٍ هذا الذي بسببه يخرب المسكن؟

ـ رغم أن نار عشقه قد أحرقت قلبي . .

فأنا ما زلت أهوى ذلك الوجه القمري والجسد الفضي[1] .

ويستمر في غزله[2] ،ثم يقول مادحاً الأمير:

ـ فإن سهامك تنفذ من القلب . .

كما تنفذ سهلم علاء الملوك من الدروع بلا توان .

ـ معين الدولة العالي ، نصير ملة الحق ،

ناصر الإسلام وقاهر الأعداء في كل آن .

ـ حسلم دين الهدى ، أبو المظفر إسماعيل ،

شمس الأرض وشمس الزمان .

---

(١) خيال صورت جانان شكست توبهٔ من
چه صورتست كه دارد خيال توبه سكن
هواى او بدلم در نشست وكرد خراب
چه ساكنيست كه ازوى خراب شد مسكن
اگرچه آتش عشقش بسوخته است دلم
همى خورم غم آن ما هروى سيمين تن

(٢) كه سوزد آتش دوزخ درآن جهان تن او
چنانكه آتش عشقش دراين جهان تن من
اياچه سوزن ميان باريكت
همى خلد غم عشقت درين دلم سوزن
ترا زغاليه خرمن زده است بر آتش
مرا هواى تو آتش زده است در خرمن
تو نور چشم منى تاز من جدا شده اى
بجان توكه جهان را نديده ام روشن
گهى زاشك صدف كرده ام زجام شراب
گهى زرشك قبا كرده ام زپيراهن
قد توبينم اگر سوى سروبن گذرم
رخ تو بينم اگر بنگرم ببرگ سمن
وليكن ازرخ وقد توگر براندیشم
مرا نه برگ سمن بايد ونه سروچمن =

- بفضل سيرته لحقت العظمةُ بجوهر گيلكي ووجوده،
كما تسبَّبت سيرة بهمن في عظمة آل ساسان.
- ينبع الفضل من جوهرِه ويخرج منه..
كما يخرج من المنجم الجوهرُ والذهبُ الرنان.
- ويخرجُ الفضلُ رأسَه من فتحة قميص خدمته،
حين يلوذ بأذياله مَنْ يطلب الإقبالَ والأمان
- بينه وبين سائر الأمراء..
ما بين الفرائض والسنن من تفاوتٍ تدركه الأذهان[1]

[294] ويقول في آخر مديحته:
- إن يكن المعزى يستحق العقاب..
فإنه الآن بمدحك يستحق المكافآت والنعم.
- فغذاؤه من شكر نعمتك..
كما يغذي الأطفالَ لبنُ الأم.. لا جَرَم.
- لا يستطيع أن يفيك حقك من الشكر،
ولو كان في مكان كلِّ شعرةٍ من شعرات مسامه لسانٌ وفم.

= نبرده وار دلم را بتيغ هجر زدى
دلبر وار دلم را بتير غمزه مزن
كه تيرهان تو بردل همى چنان گذرد
كه تير هاى علاء الملوك از جوشن
معين دولت عالى نصير ملت حق
كه هست ناصر اسلام وقاهر دشمن
حسام دين هدى بو المظفر اسماعيل
كه آفتاب زمين است وآفتاب زمن
بزرگ شد گهر گيلكى بسيرت او
چنانكه تخمه ساسان بسيرت بهمن
هنرز جوهر او همچنان همى خيزد
كه زر ناب زكان وجواهر از معدن =

ـ إن يكن خاطره قد توهّج كالسراج . .

فعنايتك زيتُ سراجه التي تكفي لقهر الظُلَم[1]

أما التركيب بند المطوّل الذي نظمه المعزى من تسعة بنود[2] ـ في مدح الأمير علاء الملوك معين الدولة نصير الملة حسام الدين أبي المظفر شمس المعالي إسماعيل بن أبي الحسن الگيلكي بن محمد ـ فيبدأ بقوله :

ـ لو أن لك نظيراً في تركستان . . يا بنيّ الحبيب . .

لكان في تركستان عيد . . كل يوم .

وهو يقول في آخر البند الأول :

= بر آورد زگريبان خدمتش سر خويش
چو مرد را زند اقبال دست در دامن

(1) ميان او وميان دگر اميرانست
تفاوتی كه ميان فرايض است وسُنن

اگرچه هست معزى سزای باد افراه
چو گفت مدح تو باشد سزای پاداشن

هميشه پروش او زشكر نعمت تست
چنانكه پرورش كودكان بود زلبن

بشكر تو نتواند رسيد اگر بمثل
بجای موی مسامش بود زبان ودهن

اگرميان چراغی شده است خاطر او
عنايت توبس است اين چراغ را روغن

(2) نص الأبيات المنقولة من البنود التسعة (لاحظ اختلاف القوافي) :

گرچون تو بتركستان ای بت پسرستی
هر روز بتركستان عيد دگرستی

بدنيستی از وسوسهٔ چشم تو كارم
گر چون دل شمس الامرا دادگرستی

شمسی كه ازو درهمه آفاق شعاع است
وز دولت او هركه نصير است شجاع است

جانم چودلم خستهٔ پيكان توگشتی
گر در كنف سيد احرار نبودی

آن ميركه تاج نسب گيلكيان است
از جود وكرم برصفت برمكيان است

ميری كه حسام او در دين محمد
اخلاق علی دارد وآئين محمد

ای آنكه جهان را همه فخر از حسب تست
ای آنكه شهان را همه فخر ازنسب تست

رخشنده چو خورشيدی وبرنده چو شمشير
تا شمس وحسام از همه ميران لقب تست

ای نايب پيغمبر در نصرت اسلام
من گشته ز احسان تو حسّان زمانه

احسان ترا من بغنيمت بشمرم زانك
يا بم پس از احسان تو احسان زمانه=

- لن يسوء أمري إذا ما عشقت عينيك . . .
ما دامتا منصفتين كقلب شمس الأمراء .
- الشمس المشعَّة في كل الآفاق ،
والتي يكتسب النصير الشجاع من عظمتها السناء .

ويقول في آخر البند الثـاني :

- كاد نصلك يجرح روحي كما جرح قلبي . .
لولا وجودها في كنف سيد الأحرار .
- الأمير الذي يعدّ تاجَ نسبِ الگيلكيين ،
ومن هو أشبه بالبرامكة في الجود والكرم والإقتدار .

ويقول في آخر البند الثالث :

- الأمير الذي يتحلّى حسامُه في دين محمدٍ بأخلاق عليٍ وطباع محمد .

ويقول في بداية السابـع :

- يا من تفخر الدنيا كلها بحسبك ، ويفخر الملُوك جميعاً بنسبك .
[295] - أيها الساطع كالشمس ، القاطع كالسيف . .
لذا اتخّذت من الشمس والحسام - دون الأمراء - لقبك .

ويقول في آخر الثامن وبداية التاسع :

- يا نائب الرسول في نصرة الإسلام ،
هأنذا بفضل إحسانك حسّان الزمان
- أرى في إحسانك غنْماً لأنني . .
أنال بعد إحسانك إحسان الزمان .
- إن كان طيعي وخاطري يسعفانني وحدهما عند النظم . .

= هرچنـد كه جز طبـع ودل خاطـر من نيـت | در نظـم سخـن حجـت وبرهـان زمانه
برهـان من وحجـت من نيـت كه نظـم | جـز مدح تودر مجلس اعيان زمانـه
دانـد ملك العـرش كه مشتـاق توام مـن | مـداح تو وشـاكر اخـلاق تـوام مـن
تادهـر بود كار تو پروردن دين بـاد | وايزد بهمـه كار ترا يار ومعـين بـاد
تا جوهـر توهـت ز اقبـال مركـب | بـر دركه تو مركب اقبـال بزين بـاد
تاهشـت در انـكشت تو انكشتـرى ملك | راى تو در انكشتـرى ملك نگين بـاد

بما أقدّمه برهاناً للزمان . .

ـ فبرهاني عند النظـــم . .

لا يعدو مدحك في مجلس عظماء الزمان .

ـ وإنَّ ملك العرش ليعلم أني المشتاق إليك ،

المادح لك ، الشاكر لأخلاقك مدى الزمان .

* * *

ـ ليرعَ أمرُك شئونَ الدين ما دام الدهر،

ولينصرك الله ، وليكن لك المعين في كل أمر.

ـ وما دام جوهرك مركّب من الإقبال ،

فليكن جواد الإقبال مُعَداً على عتبتك طول العمر.

ـ وما دام خاتم الملك في إصبعك . .

فليكن رأيك الفصُّ لخاتم الملك .

وجدير بالملاحظة أن المعزى دائماً ما يشير في أشعاره إلى رئاسة الأمير إسماعيل الدينية ومهمته المتعلّقة بإحياء دين خير البشر ونصرة الإسلام . . وهـذا في جملتـه يتناسب مع حياة شخص كالأمير إسماعيل الكَيلكي كان يقوم ـ كسائر أتباع الباطنية في ذلك العهد ـ بمهمّة الدعوة، والمحافظة على القلاع والدفاع عنها، والتصـدّي للمعارضيـن .

وظلت قلاع قهستان تحت سيطرة الإسماعيلية منذ هذا التاريخ حتى عصر ناصر الدين عبد الرحيم بن أبي منصور محتشم قهستان، أي علم ٦٥٣هـ . . علم خضوعه لهولاكوخان . . ورغم أن هولاكوخان قد سيطر على هذه القـلاع وقضى على قوة الإسماعيلية في تلك البلاد فإن إسماعيلية قهستان لم يندثروا، وما زال عدد منهم يعيش إلى الآن في الأجزاء العامرة من هذه الولاية . ولو تتبَّع شخص بدقة

التاريخَ المحلي لخراسان وسيستان وكرمان ويزد. . لحصل على معلومات تتعلق برؤساء قهستان ورعيّتهم وأخبار ترتبط بدعاة الإسماعيلية من عهد الأمير إسماعيل گيلكي حتى عهد ناصر الدين عبد الرحيم. ولقد بذلنا عنايتنا الكبيرة هنا بإلقاء الضوء على حياة واحدٍ من ممدوحي المعزي الشاعر الكبير. . وعنينا بذلك أكثر من سواه.



الملحـــق الثاني[1]

رسالة السلطان معز الدين سنجر إلى وزير الخليفة المسترشد بالله

(في منتصف رمضان عام ٥٢٧هـ)

﴿ مقدمــة ﴾

رأينا أن ننقل هنا متن هذه الرسالةِ بالغةِ الأهمية مع إضافة بعض الحواشي والتوضيحات باعتبارها إحدى الوثائق الحكومية الرسمية في عهد السلطـان معـز الدين أبي الحارث سنجر بن ملكشاه السلجوقي . وإنه لمن حسن الحظ أن ينجو قسم منها من يد الأحداث ، ويُدرج ضمن مجموعة من المراسلات الرسمية التي صدرت عن دواوين سلاطين إيران الأقدمين. وإنه لمن حسن الحظ أيضاً أن تبقى نسخة من هذه المجموعة في أيدينا بفضل مؤلفات عدد من كبار قدامى الكتّاب أمثال الأتابك منتجب الدين علي بن أحمد الكاتب المعـروف ببـديع الجوينـي . . رئيس ديوان رسائل السلطان سنجر ، وخواجه رشيد الدين محمـد بن محمـد الوطـواط البلخي . . رئيس ديوان رسائل الخوارز مشاهيين ، وخواجه عبد الواسع الجبلي . . كاتب تاج الدين أبي الفضل نصر بن خلف ملك نيمروز، والأتابك علاء الدين عطا ملك الجويني . . حاكم العراق العربي ومؤلف كتـاب جهانكَشـا ، وكُتّـاب ديوان ملوك الغزنوية المتأخّرين ، وبعض سلاجقة العراق الموجودين بمكتبة جمعية لينُنجراد العلمية .

ولقد قام العلاّمة العظيم السيد مـيرزا محمـد خان القزوينـي ـ مُدَّ ظِلّـه ـ

(١) مجلة يا دگار ـ السنة الرابعة ، العددان ٩ ، ١٠ ص ١٣٤ ـ ١٥٥ ، خرداد وتير عام ١٣٢٧هـ .

بتصوير المجموعة ـ في الآونة الأخيرة ـ على نفقة دولة إيران ، وأرسلت نسخةٌ منها إلى المكتبة الوطنية .

وقبل نقل هذه الرسالة نرى من اللازم أن نورد موجزاً للأوضاع التاريخية في إيران الغربية في الفترة التي أرسل فيها سنجر هذه الرسالة إلى وزير الخليفة ، وأن نبيِّن الظروف التي دعت إلى إرسالها ، ليسهل علينا فهم محتواها.

مات السلطان مغيث الدين أبو القاسم محمود بن محمد بن ملكشاه ـ الأخ الأصغر للسلطان سنجر ـ في شوال من علم ٥٢٥هـ ، في مدينة همدان. وقبل [297] وقوعه بين براثن مرض الموت قام وزيرُه الظالم الذي يجيد حياكة المؤامرات والدسائس ـ ونعني به خواجه قوام الدين أبا القاسم أنس أبادي الدرگزيني ـ بحبس عدد من أمراء الدولة وأعيانها ، أو عَمَد إلى قتلهم خوفاً على نفسه منهم . ولما مات محمود واختير ابنه داود سلطاناً للبلاد، بقي الدرگزيني المذكور في الوزارة. لكنه فضَّل ـ بعد فترة قصيرة ـ أن يحمل أمواله ويلجأ إلى الري . . ليكون في حماية سنجر الذي كان يمنحه رعاية خاصة ويحميه.

وبعد أن جلس داود بن محمود على عرش السلطنة وسيطر على القسم الغربي من إيران بالإضافة إلى آذربايجان التي كانت مِلكاً لأبيه ، قَدِم عمُّه مسعود بن محمد من جرجان إلى تبريز واستولى عليها. وغادر داود همدان على عجل وحاصر عمه في تبريز. وبعد صدامات عديدة تمَّ الصلح بين العم وابن أخيه (في محرم من علم ٥٢٦هـ) دون أن يتنازل أحدهما عن فكرة السلطنة واحتلال منصب السلطان محمود .

وأرسل كل من داود ومسعود رسوله إلى المسترشد بالله خليفة بغداد ليُجري الخطبة باسمه في العراق . وأخبر الخليفة رسوليهما بأن أمر الخطبة متروك للسلطان سنجر وطلب منهما الرجوع إليه. ثم أخطر السلطان سنجر بالأمر ، وطلب منه ألا يسمح بأن تجري الخطبة باسم أي منهما ، وأن عليه أن يجريها باسمه هو (أي سنجر).

وفي تلك الآونة ترك الإبن الثاني للسلطان محمد - أي سلجوقشاه حاكم ولاية فارس - فارس إلى بغداد، يرافقه أتابكه قراجة الساقي. وقبل أن يصل أخوه مسعود إلى دار الخلافة.. كان هو قد نزل فيها وحَظِيَ بكرم الضيافة.

وقد وصل السلطان مسعود (برفقة عماد الدين زنكي أتابك الموصل) إلى بغداد بعد حلول سلجوقشاه بها بمدة قصيرة. وتمكَّن جند الخليفة وسلجوقشاه وقراجة من هزيمة أتابك الموصل، وسمع مسعود خبر الهزيمة وعلم بتحرك عمه [298] السلطان سنجر من خراسان إلى العراق فعراه الاضطراب، ولجأ إلى الخليفة يطلب معونته لقمع سنجر الذي يعتزم فتح العراق. ولم يجب الخليفة طلبه لكنه اعترف بسلطنته اتقاء شرّه، واشترط عليه أن يجعل من سلجوقشاه ولياً لعهده، وأن يبقي العراق تحت حكم نائب الخليفة (وذلك في جمادى الأولى سنة ٥٢٦هـ).

ولما سمع سنجر خبر موت ابن أخيه (أي السلطان مغيث الدين أبو القاسم محمود بن محمد) ترك خراسان إلى العراق على رأس جيش كبير، معتزماً أن يجعل السلطنة بعد محمود لأخيه الآخر (طغرل)، الذي كان في كفالة عمِّه ملازماً لركابه، وأن يُخْضِعَ له أخويه مسعوداً وسلجوقشاه.. وابنَ أخيه داود.

فلما وصل سنجر إلى همدان قرّر الخليفة أن يكون حليفاً لمسعود وسلجوقشاه والأتابك قراجة الساقي، وأن يسارع وإياهم لصدّ سنجر. وقد قرر ذلك نتيجة غضبه على سنجر وربيبه في العراق - خواجه أبي القاسم الدركزيني - لأسباب عديدة.

ولكي ينفذ الخليفة ما اعتزمه، أوفد مسعوداً وسلجوقشاه وقراجة قَبْلَه لمواجهة سنجر، وحذف اسمه من الخطبة في العراق، وقرّر أن يلحق بأعوانه بنفسه فيما بعد. وطال انتظار الأعوان للخليفة في كرمانشاه دون طائل. ولما اقتربوا من دينور.. واجهوا جند سنجر، وكان برفقته طغرل بن محمد وأتسز خوارزمشاه والأمير قماج وعدد من قادة الجيش. واضطُر مسعود وسلجوقشاه وقراجة للقتال،

وهُزم جندُهم هزيمة منكرة أمام جند سنجر في پنج انگشت التابعة لدينور ، ووقع قراجة في الأسر فقُتِل بناء على أمر سنجر. وأرسل سنجر شخصاً استدعى مسعوداً وأحضره إليه بعد فراره ، واكتفى بلومه ونصحه ، ثم أعاده إلى گنجة ليحكمها كسابق عهده. واختار طغرلَ ولياً لعهده في سلطنة خراسان وما وراء النهر بصفة [299] رسمية ، وعيَّنه سلطاناً على العراق . ثم عجَّل بالذهاب إلى خراسان عندما سمع أن أحمد خان ـ صاحب سمرقند ـ قد رفع راية العصيان . وفي جمادى الآخرة عام ٥٢٦هـ جلس طغرل على عرش السلطنة في همدان بدلاً من أخيه محمد ، وأسند منصب الوزارة للخواجه أبي القاسم الدرگزيني ـ وزير أخيه محمد السابق ـ بناء على أمر سنجر.

وبعد عودة سنجر إلى خراسان ، ثار « داودُ بن محمد » على « طغرل »، وقَدِم من گنجه وآذربايجان إلى همدان وبرفقته أتابكه آق سنقر أحمد يلي، وذلك في غرة رمضان عام ٥٢٦ هـ . غير أن جنده تفرَّقوا دون قتال ، فاضطر هو وأتابِكُه إلى اللجوء لخليفة بغداد والاحتماء به . وبلغا بغداد في أوائل ذي القعدة من علم ٥٢٦هـ.

وغادر السلطان مسعود گنجة إلى دار الخلافة بعد سماعه خبر هزيمة ابن أخيه داود ، ودخلها في صفر من علم ٥٢٧هـ ، فأصدر الخليفة أمره باستقباله بكل مظاهر التكريم والاحترام ، غير عابىء بسنجر وطغرل والدرگزيني ، نتيجة علم ارتياحه لوجودهم على حدود العراق . كما أصدر الخليفة أمره بأن تكون الخطبة باسم مسعود ، على أن يأتي اسمُ داود من بعده . وأوفدهما مع جنوده إلى آذربيجان وگنجه لطرد الموالين لطغرل من هذه الجهات وإبعادهم عنها كلية (في ربيع الثاني من علم ٥٢٧هـ). وكان وزير الخليفة آنذاك هو الخواجة شرف الدين أنوشروان بن خالد فيني الكاشاني.

وبعد فترة قَدِم مسعود إلى همدان على رأس جيش لطرد طغرل . . ولي عهد السلطان سنجر ونائبه . وفي الثامن عشر من رجب علم ٥٢٧هـ أفلح في تفريق

الجنود القريبين من همدان . ولما أحسَّ طغرل بعجزه عن المقاومة ترك همدان إلى فارس سالكاً طريق الري وقم وأصفهان . وفي شهر شعبان دخل السلطان مسعود همداناً ، وأجريت خطبة السلطنة باسمه في العراق والجبل . . أي أنه حلَّ محلَّ السلطان مغيث الدين محمود ، ثم سارع بالذهاب إلى فارس وراء أخيه.

وعاد طغرل إلى الري في رمضان من علم ٥٢٧ هـ خشية أن ينضم جنودُه إلى مسعود، فيصبح وحيداً. وقبل أن يبلغ تلك المدينة ، غضب على وزيره الخواجه أبي القاسم الدركَزيني ، فشنقه في شهر رمضان من نفس العام.

***

وقد كُتِب خطابُ السلطان سنجر للخليفة المسترشد في منتصف رمضان من علم ٥٢٧هـ ، وأُرسل من خراسان . وكان وزير الخليفة آنذاك هو شرف الدين نقيب النقباء علي بن طراد الزينبي الذي عيَّنه المسترشد خلفاً لخواجه شرف الدين أنوشروان بن خالد الكاشاني، بعد عودة مسعود وداود إلى العراق في ربيع الآخر. . أي قبل وصول خطاب سنجر إلى العراق بستة أشهر تقريباً.

وبملاحظة تاريخ الخطاب ومضمونه ، يفهم أنه أُرسل من طرف سنجر إلى الخليفة إبان هزيمة طغرل على يد مسعود ـ وكان ينعم بحماية المسترشد ـ وأن الدركَزيني كان ما زال حياً.

وكان أحد أهداف سنجر من إرساله هو رغبته في دفع الاتهامات التي ألصقها به الخليفة ورجال بلاطه . وتتلخص الاتهامات في أنه:

(أ) عقد صلحا مع الملاحدة الإسماعيلية وهادنهم وسايرهم .

(ب) فرض حمايته على دبيس بن صدقة المزيدي ملك العرب.

(جـ) فكَّر في إنهاء خلافة المسترشد واختيار آخرَ من آل العبّاس ليحلّ محلّه . . بالإضافة إلى ذمه للمسترشد.

(د) تغاضى عن تصرفات خواجه أبي القاسم الدركَزيني الجائرة تجاه دار الخلافة .

وكان الدركزيني يقوم بهذه التصرّفات باسم السلطان سنجر.

كما كان من أهداف الخطاب إثبات حُسنِ نيَّة سنجر ، وسابق خدماته الجليلة للخلافة والإسلام ، ولوم الخليفة على إيقاعه الفُرقة وتقوية الفتنة بين أفراد الأسرة السلجوقية ، وعلى معارضته لولاية عهد طغرل من جهة ، وتهديد الخليفة ووزيره معاً ، ودعوتهما إلى ترك الاتّهامات من جهة أخرى.

وتشتمل رسالة سنجر على العديد من الموضوعات التاريخية المفيدة التي ساقها السلطان أثناء حديثه عن سابق منزلته وحروبه وفتوحاته . فقد تحدَّث فيها عن طريقة معاملته للإسماعيلية ، وأورد فيها نقطتين هامتين للغاية ، ورد ذكرهما في عدد قليل من كتب التواريخ الهامة . .

[301] أولاهما : إثبات اسم سنجر الإسلامي وهو (أحمد) ؛ فقد ذكره السلطان صراحة . ولا بد أن يكون ملكشاه قد أطلقه عليه في علم ٤٨١ هـ حين توفي ابنه الأكبر وَوَلِيُّ عهده (أحمد).

وثانيتهما : تأكيد عدم معرفة سنجر للقراءة والكتابة كليَّة ، فهو يعترف في هذه الرسالة اعترافاً صريحاً بأميَّته . . وهذا موضوع على درجة كبيرة من الأهمية لأنه يتصل بسلطان عظيم الشأن، يُنظَر إليه على أنه من أكبر مشجعي الأدب الفارسي ، وتروي الحكايات عن حبه للشعر وتقريبه الشعراء إليه ، وإغداقه الهبات على كبار المتحدّثين باللغة الفارسية والناظمين بها.

ومتن الرسالة حافل بالأخطاء ، وقد قُمنا قَدْرَ الإمكان بالتصحيح في العديد من المواضع ، وأضفنا بعض الإيضاحات في الحاشية لتجلية الموضوعات الواردة في المتن.

* * *

[302]

منشور صـــادر
عن الديوان الأعلى السلطاني إلى وزير دار الخلافـــة
من إنشـــاء
مؤيد الدين منتجب الملك[1]
(بتاريخ رمضان سنة سبع وعشرين وخمسمائة)

إن الصاحب فلاناً يعرف أن رسالته قد وصلتني وعُرضت عليَّ ، وأن مآثره التي عدَّدها والتي تنبىء عن حبِّه للدولة وصدقِ موالاته وصداقته لنـا ، وتـذكرُ حقوقَه علينا وما قام به من أجلنا . . أمورٌ لا تنسى ولا يمكن تجاهلها . وهو يدرك أن مكانه في الدولة معمور ، ومنزلته مرموقة ، وأننا نثـق كل الثقـة بنصحـه في كل الأمور ، ونؤمن بصدق لهجته ونقاء طينته ، وصواب كراماته التي تعكس المواقف المقدّسة النبوية المسترشدية أعلى اللهُ أنوارَها . . تلك الكرامات التي يقترن بها يمن المسلمين وبركاتهم . . باركها الله . وقد أملينا هذه الفصـــول ليتأمَّلها .

وقد وقفنا على النصيحة التي قدَّمها فلان للجانبين ، ورأينا كشفه لحقيقـة [303] الحال ، وما أمر به وصدَّق عليه الأشراف بما يليق من مكارم وعواطف تجاه المواقف المقدَّسة ضاعف الله اقتدارها، فعظم لدينا ما رأيناه .

ونبدأ إجابتنا عليه بقولنا إن الطاف الله كانت بالنسبة لي ـ بحمد الله تعالى

---

(١) الأتابك علي بن أحمد الكاتب الجويني الملقَّب بمؤيد الملك ومنتجب الدين ، أو على العكس من ذلك كما جاء في عنوان هذه الرسالة (مؤيد الدين منتجب الملك) من كُتّاب سنجر. وهو خال جد علاء الدين عطا ملك الجويني صاحب جهانگشا، وقد خلَّف لنا مجموعة منشآت باسم عتبة الكتبة .
يمكن الرجوع إلى الجزء الثاني من مقالات ميرزا محمد خان القزويني (ص ١٥٦ ـ ١٦٧) للوقوف على أخباره، ولمعرفة المعلومات عن عتبة الكتبة .

ومنته - في تزايد مستمر منذ طفولتي وأيام أن كنت في الثالثة من عمري . . واستمرَّ عونه لي دون انقطاع . وبفضل اهتمام والدنا السلطان - تغمَّده الله برحمته - وتمهيده الأمر لنا وإسباغه العطف علينا ، آلت إلينا الولايات الفسيحة ، وخَدَمَنا الأعيان ومشاهير الأعوان ، وتربينا في كنف كرمه ، وتعلّمنا رسوم الملك وتقاليد الفتح وآدابها .

ولمّا كان النجاح والتوفيق قد كُتبا علينا - بفضل العظمة الربانية ، واختصّنا الله تعالى وجلَّ ذِكره بالمنزلة الرفيعة بعد عهده ؛ فقد كنّا شركاء لإخواتنا في فتوحاتهم وحكمهم ونفوذهم ، وفي كل ما نالوه في عهودهم من ملك ومال ونعمة وسلطنة واسعة . . بل كنّا نُمِدُّ كلاً منهم بالأرواح والأموال والجنود . وكنّا - كما يعرف أهل العالم - واسطة العقد بين إخوتنا وأهل بيت الملك ، وكنّا للدولة الركن الركين .

[304] ولقد خصَّتنا أسرةُ النبوة والخلافة - منذ عهد قديم - بالمناشير والعهود والألوية والتكريم والتشريف والمساندة والمظاهرة ، وقدَّمنا لهذه الأسرة ما تستحقّه من خدمات. ولقد قدِمنا مع أخينا غياث الدنيا والدين إلى بغداد ، وقمنا بطرد السلطان السعيد بركيارق وطرد إياز ، وكانا يزمعان العدوان والتطاول ، ويريدان إحلال الأمير أبي الحسن مكان أخيه المستظهر ، وهاجمنا جيوشهما وهزمناهما[1] ،

---

(١) جاء السلطان سنجر إلى بغداد أول مرة في الثامن من شوال سنة ٤٨٩ هجرية في بداية خلافة المستظهر (وفاة المقتدي وجلوس المستظهر في ١٥ محرم عام ٤٨٧هـ) وذلك إبان سلطنة أخيه بركيارق (عماد الكاتب ص ٢٦٥). وجاء في المرّة الثانية في السابع والعشرين من ذي الحجة عام ٤٩٤هـ مع أخيه الآخر السلطان غياث الدين محمد بعد هزيمته على يد بركيارق ولجوئه إلى سنجر. ويشير سنجر في رسالته هذه إلى سَفرته الثانية . وفي هذا التاريخ قدم بركيارق (الذي انتصر على أخيه محمد) وبرفقته إياز (أحد أمراء محمد) إلى بغداد بعد أن تحالفا ، وكان هدفهما إخضاع الخليفة لأمرهما . . إذ كان الخليفة المستظهر يغيِّر خطبة العراق وآذربايجان كل صباح فيجعلها باسم بركيارق أو محمد . . بناء على انتصار أحدهما على الآخر . ويُفهم من متن الرسالة - وإن لم يَرِد في كتب التواريخ - أن النيَّة كانت متجهة إلى إحلال الأمير أبي الحسن بن المقتدي أخي الخليفة . . مكان الخليفة.
وحين وصل سنجر ومحمد إلى بغداد نقل أتباع بركيارق هذا السلطان المريض إلى واسط، واستقبل الخليفة محمداً وسنجر ، وخلع عليهما وعقد لهما اللواء بيده وأصدر أمره في ديوان الوزارة بأن تكون الخطبة باسم محمد، وشيَّعهما بكل إعزاز إلى العراق وخراسان.

وحظينا من جانب المسترشد بالعواطف النبيلة والإستقبال الحافل والتكريم البالغ . قبل أن تعرف الأوهام والتصوّرات طريقَها إلى فكرة الشريف . وقد قدَّمنا له فروض الطاعة والإخلاص ، وقاتلنا باسمه العظيم ، وأخضعنا لطاعته كلَّ الملوك والسلاطين والجبابرة في التركستان وغيرها من الولايات حتى حدود الصين وسد ياجوج ومأجوج وحدود قندهار وسومنات ، وقمنا بغزوات عظيمة ، وجعلنا من ملايين الكفّار طعاماً للسباع ، وحصلنا على النصيب الأوفر من ثنائه وثوابه . وجعلنا الخطبة والسكَّة باسمه الشريف في جميع الولايات ، واعترفنا بصحة دينه وطهارة عقيدته فأقرّوا بها . واقتدينا في ذلك بآبائنا وأسلافنا ، ولم نحد عن هذا السبيل لحظة واحدة ، واعتبرنا كلَّ من سار على غير هذا الطريق مارقاً ضالاً .

لقد بدأنا بهذه الديباجة باعتبارها الأساس لكل ما نقصده . وقد كان شرف الدين(1) لدينا واستمع إلى كلامنا حول كل موضوع طرقناه ، ووقف على الحقيقية وعرف أن كلامنا لا تشوبه شائبة ، وأن دَيْدَننا الصدق والوفاء بالعهد والحلم والعمل الجاد ورعاية الحقوق . غير أننا حين نطمع في وفاء شخص فلا نلمس منه سوى الجفاء ، ونعتمد على مكان فلا نجد لنا فيه طريقاً ، ونبذر بذور العاطفة والشفقة فلا تُقَدَّر حقوقنا وسابقة إحساننا . . نهجر ما اعتدناه ونتغاضى عن طباعنا . . إذ لا يمكننا أن نتجرَّع الغصص . . فالقلب لا يمكنه أن يتحمل من الصبر ما يفوق طاقته ، ولا يمكنه أن يتقبَّل ما لا تنطبق عليه الأوصاف البشرية .

إن على العظماء والمجرّبين وأهل الرأي والتدبير ـ إذا ما كانوا في حضرة الخلفاء والملوك ـ أن يغوصوا في أغوار الأمور ، ويدركوا عواقبها ونهاياتها ، ويعرفوا [305] قدر أرباب الدول ومراتبهم ؛ لأنهم إذا أغفلوا أمراً ولم يوقّروا عظيماً يستحق التوقير . فقد أساءوا التفكير ، وتسببوا في الفرقة والآلام ، وكانوا علّة الفتنة والإضطراب ، وحثوا السفلة والرعاع على إفساد ذات البين وإثارة الشرور بهدف

(1) لا نعرف من هو (شرف الدين) هذا ، ولعله يقصد شرف الدين أنوشروان بن خالد الكاشاني وزير الخليفة السابق .

بلوغ مراتب ذوي الرتب العالية . ومصداق ذلك القول أننا أخذنا مُلك الدنيا من إله الدنيا جلت عظمته ، وبلغناه وورثناه عن جدارة واستحقاق . وملكنا اللواء والعهد من قِبَلِ والد أمير المؤمنين وجده . . رضوان الله على الراحلين منهم ، وأدام سلطان الباقين .[1]

واليوم سخَّر اللهُ كل العالم لطاعتنا ، وجعل العالمين ينعمون بأمننا برحمته ، وينوبون عنا. وقد امتلكنا في كل دار من ديار المسلمين والكافرين قِسما ، واتَّسع مُلكنا إبان ولايتنا وسلطاننا ، فبدأنا بدار الخلافة ومكة والمدينة حرسها الله ، ثم غزنين وما وراء النهر والروم والهند وديار العرب واليمن وقبائلهم . وكلما مرَّ يوم ، مَنَّ اللهُ جلَّ جلاله ـ بفضله وكرمه ـ على دولتنا بزيادة القوة والمَنَعة ، ومَنَّ على ولايتنا ومالنا وجندنا وأوامرنا بالكثرة والوفرة . وازددنا مع التوفيق تواضعاً وإقراراً بالعبودية والاحتياج ، وأكثرنا من شكرنا على نعم الله جل ذكره وغالينا في مشايعة السراي . [306] وقد صدقت نيتنا في كل الأحوال . . والله مطَّلع على ذلك . والآن وقد حلَّت الشيخوخة واشتعل الرأس شيبا[2] تزداد نوايانا ومعتقداتنا مع الأيام حُسنا بحمد الله . . فهو معنا في الخير والشر والسرور والحزن والاعتماد والفضل والعصمة والكفاية .

لقد حرصنا دائماً على خير المسلمين وسائر الرعايا ، وطردنا من نفوسنا وعقيدتنا كلَّ الأفكار الذميمة ونزعات الظلم والعدوان ، ونأينا بعيداً عن التجبّر والتكبّر والتطاول على خلق الله تعالى ، وصُنَّا أنفسنا عما يفعله الجبابرة والفراعنة ،

---

(١) لا نعرف المنصبَ الذي كان يشغله سنجر في عهد المقتدي جد المسترشد (١٣ شعبان عام ٤٦٧هـ ـ ١٥ محرم ٤٨٧هـ) إبان طفولته (ولد سنجر عام ٤٧٧هـ) حين خصَّه المقتدي باللواء . وقد قال قبل ذلك أيضاً أن المقتدي والمستظهري كانا يختصّان ـ منذ القدم ـ بالمناشير والعهود والألوية . ويبدو كما سيأتي في هذه الرسالة أن ملكشاه قد أرسل سنجر إلى الحلة في سن الثالثة (ولا بد أنه كان في معية أحد الأتابكة كما هي عادة السلاجقة). والحلة هي مملكة الأمراء المزيديين الذين كانوا يخضعون للسلطان السلجوقي . وقد عاش فيها سنجر في عهدي بهاء الدولة منصور بن دبيس المزيدي وابنه سيف الدولة صدقة .

(٢) كان عُمْر سنجر آنذاك خمسين سنة. ومن العجيب أن يطلق على هذا السن سن الشيخوخة والشيب .

وسهّلنا طريق وصول أصحاب الحاجات إلينا ، ورفعنا حجاب الترفّع الفاصل بيننا ، وواسينا ـ قدر إمكاننا ـ الأولياء والأصفياء والحشم والرعايا ، واعتبرنا أنفسنا عبيداً مذنبين ضعفاء. . . فالمعلوم عنّا أن نصيبنا من كل أموال الدنيا وكنوزها في اليوم الواحد لا يتجاوز رغيفين ورداء.

وإنا لنعرف أن أبانا وجدّنا وأعمامنا وأخوالنا وسائر ملوك العالم وسلاطينه قد تركوا كلّ ما جمعوه ولا مُلك إلا لله. . وإنا بهذا لمعتقدون وعلى سنّة أسلافنا لسائرون. . نعظّم أسرة الإمامة ونوقّر الأئمة ومن بهم يقتدون ، ونطيع آل العباس رضوان الله عليهم أجمعين. . فقد نشأنا على ذلك، واختلط هذا الولاء وامتزجت تلك المودّة بدمنا ولحمنا.

ولما كان يُنظر إلينا على أننا غرباء، ويساءُ بنا الظن، وتُقدَّم المساعداتُ لملوك من مماليكنا ومولى من موالينا ليتمكّن من معاداتنا ، وتُنفق الأموالُ الوفيرة لفتح باب الفتنة في بلاد الإسلام ، وسلب الأمان من أرجائها ، وهدم بيوت المسلمين فيها[1] . . . والجماعة التي تمّ اللجوء إليها جماعة معروفة ، لها نفوذها في كثير من الممالك ، وأوامرها نافذة مطاعة شرعياً ورسمياً . فلو أن شرذمة ممن تخشى آثامُهم لجأوا الى مكان ما ، وعاشوا على الشقاق والفرقة ، فأي عونٍ يُنتظر منهم؟ . وعندما تخفق راياتُنا وتشرق شمسُنا ، وتهبُّ ريحُ نصرنا ، ويمدُّنا اللهُ بعنايته وتأييده ويستظل بظلنا سلاطين الأقاليم وملوك الطوائف وأركان الدولة وأنصار الملة وحماة بيضة الإسلام وأهلُ الخبرة والتجربة ، فلمن يكون الثبات والصمود؟ . [307]

ومما يثير عجبنا أنه عندما وقعت حادثة ابن محمود واضطرب ملك العراق توجّهنا إلى تلك البلاد لترتيب أمور المُلك وإصلاح الفساد ، وفجأة أُرسل قراجة وجماعة من المفسدين لمعارضتنا ومحاربتنا[2] . ولقد تصدّى لراياتنا عدة سلاطين

(١) هنا نقص في المتن ، تسبب في بتر العبارة وعدم تمام المعنى بالتالي .

(٢) تصعب قراءة الجملة لكن الهدف من ورائها واضح ، فسنجر يريد أن يقول إن الخليفة قد أرسل قراجة لمحاربته. . وكان من الأفضل له أن يتذكر ما جرى لبركيارق والأمير حبشي وقدرخان ومحمد خان =

وملوك وخاقانات أمثال السلطان السعيد بوكيارق والأمير داد حبشي وقدرخان ومحمد خان وسلطان غزنين وابن محمود على رأس جيوش العراق وملك التركستان . . فانظر ما فعلناه بخوارزم ، وما حدث لكل هؤلاء القوم وما حاق بجيوشهم التي لا حصر لها، وانظر ماذا فعل الله بهم . لمن آلت اليوم ملكية ولاياتهم وممالكهم التي كانت في أيديهم؟ من الذي يحكمها الآن؟ نوّاب أي ديوانٍ وعمّاله يحكمونها؟

وحين عوقبت تلك الجماعة المفسدة ، وباتت مواكبنا على بعد خمسة فراسخ من بغداد، وأعدَّت جيوشُنا التي لا حصر لها مخالبها ، وأخذت تنتظر الإذن بالهجوم على تلك الولاية للانتقام لقاء ما حاق بها ، ولتعويض آلامها . . غلبنا حِلمنا ، وقهرنا نزغات الشيطان بإيماننا ، وكبحنا غضبنا وكتمنا غيظنا ، وعدنا مجاملة منّا ، ونحن ندرك أن هذه المجاملة من عظائم الأمور وجسيم المنن ، وأن ما أبديناه من شفقة وإجلال واحترام كان أمراً واجباً[1] .

[308] وقد قوبل عطفُنا الزائد ولطفُنا البالغ بغير ما توقعنا. كنا نرجو منهم مشاورتنا فيما يفعلون ، والكتابة إلينا عندما تصدر عن الخواجة أبي القاسم الأنساباذي كلمة أو يبدي سوء الظن بنا. . حتى نتدارك الأمر ونكون في طاعة الخليفة ونسلس له قيادنا.

كما أننا قررنا الخروج وضبط شئون المسلمين ورعاية مصالحهم ، دون أن تكون هناك فتنة أو إراقة لدماء بريئة أو خراب يلحق بالولايات . واعتزمنا غزو الروم والفرنج وبلاد الترك والهند ، وصمَّمْنا على قهر الملاحدة. ويجب أن يصدق

= وملك غزنين وابن أخي سنجر محمود بن محمد، فقد هُزِموا جميعاً . . كان من الأفضل له أن يتذكر ما حدث فلا يُقدِم على فعلته.

(١) إشارة إلى انتصار سنجر على جند مسعود وسلجوقشاه في پنج انگشت التابعة لدينور في جمادى الآخرة عام ٥٢٦هـ . وإشارة إلى اقترابه من بغداد وعودته إلى ما وراء النهر لإنهاء عصيان أحمد خان صاحب سمرقند. وفي هذا الخطاب يعزو سنجر عودته إلى مراعاته لمقام الخليفة واحترامه لشخصه، ويحمِّله بذلك مِنّة عظيمة .

هذا العزم من جانبنا لنقهر أعداء دين الحق . . بعون الله . . وهذا حق . ولقد نمى إلى سمعنا أيضاً أن البعض يقول ـ على سبيل الافتراء ـ أننا أمَّنا الملاحدة[1] والمغرضون بقولهم هذا يتحدّثون بما يحقّق هدفهم ، ويتناسون أثرنا وأثر خدمنا في قهرهم ، ويجهلون أن ما يقولونه لم يحدث قط.

[309] أولاً: معركة بوزجان[2] التي خضناها ضد شقيقنا السلطان بركيارق والأمير داد حبشي التونتاق . . معركة مشهورة ، شارك فيها ثلاثون ألف ملحد، لم ينج منهم أكثر من ثلاثمائة، والتهمت سيوفُنا بقيتَهم .

---

(١) يقول عطا ملك الجويني في تاريخ جهانكشا (ح٣ ص ٢١٣ ـ ٢١٤):

« حين استقر المُلك للسلطان سنجر أراد أن يتدارك أمر تلك الجماعة فبدأ بإرسال جيش إلى قهستان وعاداهم عدّة سنوات . وأرسل الحسن الصباح رُسُلا لطلب الصلح فلم يقبل السلطان . . واستمال حسن الصباح جماعة من أتباع السلطان المقرّبين ، وأغرى أحد خدمه بالمال الوفير، وأرسل خنجراً كي يغرس في الأرض أمام سرير السلطان ليلاً بعد أن يأوي الى فراشه مخموراً. ولما استيقظ السلطان ورأى الخنجر تملّكه الاضطراب . ولما عجز عن إلصاق التهمة بواحد بعينه ، أشار على أعوانه بإخفاء الأمر. وأرسل حسن الصباح رسولاً يحمل رسالة يقول فيها: لو أننا لم نكن نبغي الخير للسلطان لغرسنا هذا الخنجر في صدره الناعم . . بدلاً من غرسه في الأرض الخشنة . وخاف السلطان ، ففضّل الصُلح معهم . وكان هدفهم مما فعلوا التمويه ، ووقف السلطان عن التصدّي لهم . ونتيجة لقرار السلطان ارتقى أمرهم في عهده . أما هو فقد حصل على ثلاثة آلاف دينار من خزائن أملاكهم في قومس ، وخصص لهم كُردكوه ليأخذوا ضريبة من العابرين ، وما زال هذا التقليد جارياً إلى الآن . وقد رأيت في مكتبتهم عدةّ مناشير سنجريّة تؤكد استمالته لهم ومدحه إياهم . وقد أدركت من اطّلاعي عليها لأول وهلة مدى إغضاء السلطان وتغافله وسلامة موقفه . وخلاصة القول أنهم نعموا بالراحة والرفاهية في عهده » وشروط صلح سنجر مع إسماعيلية الموت كما تستقى من زبدة التواريخ لأبي القاسم الكاشي هي: أولا : ألاّ يُشيّدوا قلاعاً جديدة. ثانياً: ألاّ يشتروا أسلحة وآلات حرب . ثالثاً: ألاّ يدعوا الناس إلى عقيدتهم وطريقتهم .

وقد ذمّ الفقهاء الفضلاء هذه المصالحة واتهموا سنجر بصداقته لهم . أما هم فقد أخذ نجمُهم ـ بسبب هذا الصلح ـ يزداد بزوغاً في عهده يوماً بعد يوم . وفي ذي الحجة من عام ٥١١ هـ أرسل السلطانُ سنجرُ إبراهيمَ إلى الموت طلباً للصلح . . وهناك أكّد ابراهيم العهود والمواثيق . وقد أصدر الخليفة المسترشد فتوى أباح بموجبها دم الخراسانيين بسبب الصلح الذي تمّ بينه وبين سنجر وبين الرفقاء النزاريين وكيا بزرگ أميد . وقال في هذا الصدد: ألا إن أهل خراسان قد ألحدوا وجحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله ، فاقتلوهم حيث وجدتموهم» .

(٢) أنظر: أحوال الأمير داد حبشي التون تاق (ص ٢٨٥ من هذه الرسالة) .

ثانياً: معركة طبس ودرونك[1] التي خاضها ضدهم أمير الجيوش بَرغُش، وقد قُتِل فيها عشرة آلاف شخص على الأقل. وفي حربنا ضد دار منور[2] ـ التي أدار فيها عجلة القتال أميرُ جيوشنا تاجُ الدين فرُّخشاه ـ تمَّ قتل ألفي شخص. وقد قمنا بالعديد من أمثال هذه الأمور في جرجان ودهستان وأطراف مازندران. وقمنا مراراً بقتل العديد من الملحدين في ديار بسطام ودامغان وفتحنا القلعة[3] [310] وخرّبناها. ويعرف الجميع أننا أرسلنا جنودنا إلى كل قلاع خراسان، وقتلنا من الملحدين عشرة آلاف أو خمسة عشر ألفاً.[4]

ولا يمكن حصر عدد من هلكوا على يدنا وأيدي أتباعنا من هؤلاء الملاعين. غير أن استمرار هؤلاء المفسدين في الفتك والاغتيال، ولجوئهم إلى شتّى أنواع المكر والحيلة، وسعيهم في إهلاك عدد من الأئمة وكبار القادة، وسلبهم الأمن من الطرقات وتضليلهم المسلمين، وشنّهم الغارات الليلية على العديد من أهالي سبزار[5] وكوسويه وزوزن ومابيژ ناباد وقرى خواف وباخرز، وتعمّدهم السلب

---

(١) لا يُعرف الهدف من وراء تلك الكلمة، ويبدو أنها تحريف لكلمة (درك) أو (دره)، وهي قلعة من قلاع سيستان، وتعتبر من مضافات مؤمن آباد في قهستان (تقع على بعد ١٥ فرسخاً جنوبي طبس مسينان)، وكانت من قلاع الإسماعيلية. وقد هاجم القائد برغش قلاع الإسماعيلية في قهستان وطبس مرتين بأمر سنجر (مرة في عام ٤٩٤هـ، ومرةً في عام ٤٩٨هـ).
وبعد الحملة الثانية تصالح سنجر معهم ومنحهم الأمان، وقرّر ألاّ يبني الإسماعيلية قلاعاً جديدة، وألاّ يشتروا أسلحة حربية، وألاّ يدعوا الناس لعقائدهم (ابن الأثير ـ حوادث عامي ٤٩٤هـ ـ ٤٩٨هـ). وهذه هي نفس الشروط التي نقلناها آنفاً من زبدة التواريخ، والتي يشير سنجر هو الآخر إليها في رسالته.

(٢) لا يعرف المقصود بهذه الكلمة ولا كيفية ضبطها، ويبدو أنها تعني المنور السيمجوري نفسه، وهو الذي مرّ ذكره أثناء حديثنا عن حياة الأمير حبشي (ص ٢٨١ من رسالتنا هذه).
وقلنا إنه لجأ إلى الإسماعيلية بعد انتصار الأتابك كلسارغ، وأحضر هذه الطائفة إلى قهستان.

(٣) المقصود بالقلعة عموماً قلعة گردكوه دامغان نفسها.

(٤) يبدو أن سنجر يشير هنا إلى حملة برغش الثانية بالذات، وهي الحملة التي هاجم فيها قلاع قهستان وطبس عام ٤٩٨هـ، والتي أعطى فيها سنجر الأمان للكثير من الإسماعيلية بعد انتهاء المذبحة.. بناء على مشورة بعض رجال بلاطه، وتصالح معهم بالشروط المذكورة في المتن. وقد كان هذا الصلح نفسه سبباً في إتهام سنجر بصداقته لهم، كما يقول ابن الأثير وصاحب زبدة التواريخ.

(٥) وردت (شيراز) في الأصل، وهذا خطأ ولا شك، والصحيح (سبزار) أي مدينة اسفزار، إحدى بلاد =

والقتل ومهاجمة القوافل . . قد تسبّب عنه ارتفاع صرخات الرعايا وعامة المسلمين وأئمتهم وأعيان البلاد ووجهائها ، والتماسهم الإذن بالمثول بين أيدينا ، ومطالبتهم بمنح الأمان لهؤلاء الكلاب . . بالشروط التالية :

ألاّ يقوموا بالدعوة لعقيدتهم قط، وألاّ ينزلوا في المدن الكبرى ، وأن يهتمّوا بالرعية ، ويؤمّنوا الطرق .

ولما كانوا مصدر رعب لكل المسلمين ، فقد فرّ إليهم مجاوروهم ، واعتنقوا مذهبهم ومقالتهم طوعاً أو كرهاً . . وسوف يعمّ فسادُهم وضررُهم .

وقد برز الخطر وتفاقم حتى تمّ اتّخاذ هذا القرار . ودليلنا على ذلك أنه بعد اتّخاذه لم يلجأ إليهم أحد ، ولم يجدوا لديهم القدرة على الدعوة ولن يجدوها . بل [311] إن الكثيرين ممن لجأوا إليهم وانضموا لصفوفهم قد انصرفوا عنهم . . وما قيل في هذ الشأن له أسبابه ودواعيه .

ولا يخفى على أحد أن الملحدين في العراق أكثر منهم في خراسان ، وكان الواجب على دار الخلافة وعلى ملوك تلك البلاد أن يظهروا معشار معشار ما أظهرناه ، وأن يفعلوا ما فعلناه ويقولوا ما قلناه .

لقد استولى كفار الفرنجة على بلاد الشام والعراق وغيرها منذ سنوات واتخذوا من بيت المقدس ـ الذي كان قِبلة الأنبياء عليهم السلام ـ مرتعاً لخنازيرهم وحانة لبيع خمورهم ، وامتدت أيديهم إلى عورات المسلمين ، وتحكّموا في أموالهم ودمائهم وفروجهم[1] .

ومن جهة أخرى ، فإن ما قام به كفّار الشكي والأبخاز في بلاد المسلمين . .

= سيستان المعروفة . والبلاد الأخرى المذكورة في المتن كلها بلاد قديمة في قهستان ، تقع ما بين هذه الولاية ونيشابور .

(١) بدأت حملة الفرنجة الصليبية على سواحل الشام عام ٤٩٠هـ ، وفتحوا بيت المقدس عام ٤٩٢هـ ، أي قبل تحرير هذه الرسالة بخمس وثلاثين سنة .

مما يعرفه الجميع من نكايات وقتل ونهب ، لم يترك أي أثر مؤلم في نفوسهـم . . كيف؟ . . وهل يعتبرون مقصّرين في جنب الله ورسوله ، أم يعتبرون ممن غفر الله لهم؟ إن كافة ثغور الإسلام في هذه الولاية وفي الممالك التي تحت حكمنا محصَّنة منيعة بحمدالله وفضله. وقد تحقَّق هذا الأمر بفضل ما أرسلناه من عدة وعتاد وقوّات ومساعدات ، وبفضل ما ينفقه الديوان سنة بعد سنة من ألـوف الألـوف لصالح الأهالي ، وقد أعددنا الخاقان الكبير والأمراء والقادة المشاهير ليكونوا على رأس جيوش ما وراء النهر وكاشغر وطراز ، وجهَّزنا حشم خوارزم حتـى حدود البلغار ونيمروز وكابل وزاولستان وسائر الولايات . . ليكونوا جميعاً شوكة في نحور هؤلاء الملاعين والمشركين في كافة الولايات. وضربنا بأنفسنا المثل على هزيمتهم . . ولا شك أن رسائل الفتح تصلكم تباعاً.

إن دولة الإسلام تتَّسع رقعتها في تلك الديار يوماً بعد يوم . ومنذ عهد قريب تحقّقت عدة فتوحات . . فمنذ بضعة أشهر ، قاد خوارزمشاه جيشاً كبيراً ، سار به من خوارزم ـ بحمـدالله ـ قاصـداً ثغـر (جنـد) المعـروف، وأوغـل في أعماق تركستان ، وتحمَّل الأخطار وتلاقى مع ملك من أكبر ملوك الكفّار وقائد من أعظم قوادهم . وقد منَّ الله تعالى عليه بالنصر والتأييد ـ لطفاً منه وفضلاً ـ فهـزم هذا الكافر وقتل الكثير من الكفرة ، ونقل إلى بلاده ـ في أمان ـ ما لا حصر له من الغنائم [312] والسبايا والأموال ، وأرسل لنا الهدايا.[1]

كما أن خان كاشغر الذي عيّناه وأوفدناه . . قد حقق فتحاً مؤزراً. وقد أرسلنا خطاب الفتح ، وبيّنا أن ذلك الكافر الطاغية الأعور[2] ـ الذي كان قد خرج من

---

(١) لا يوجد ذكر لهذه الحرب قط في كتب التاريخ . ورغم أن سنجر قد أعارها أهمية بالغة في خطابه هذا فإن أحداً لم يثبت وقائعها باعتبارها معركة مع الأتراك المشركين على حدود جند .

(٢) المقصود بالكافر الطاغية الأعور أحد الكورخانيين القراخطائيين (ملوك الخطا)؛ فقد كان أعور . وفي عام ٥٢٢هـ ، قدم هذا الكافر إلى حدود كاشغر مع عدد كبير من أتباعه ، فطرده صاحب كاشغر أي أحمد خان بن حسن ـ عامل السلطان سنجر ـ من المكان الذي بلغه ، وهزمه هزيمة ساحقة . (إبن الأثير ـ حوادث عام ٥٣٦هـ) .

أقصى تركستان منذ عدة سنوات ، وقصد ديار الإسلام على رأس جماعة لا حصر لأفرادها ، وأوقع الرعب في القلوب . . قد قُتِل بعون الله ونصره ، وهُزِم جيشه وأُسرِ أفراده وشُرِّدوا بعد أن تصدى له رجال كاشغر ودارت بين الجانبين معركة عظيمة . وهكذا نجا الإسلام وتخلَّص المسلمون من شر ذلك الكافر وفساد هؤلاء الكفرة ، ونعموا بالأمن والدَعَة ، والحمد لله رب العالمين على تحقيقه هذين الفتحين الخطيرين . إنّه الله الذي يسَّر لنا هذين الفتحين الجديدين ، وحققهما لنا في هذه الديار ، فله الحمد على ذلك .

وفيما يتعلق بدبيس[1] ملك العرب ، فقد أوضحنا الأمر ، وقلنا أنه لم يلق منّا سوى الشفاعة في حقّه حين فرّ وقَدِم إلى خراسان . وقد فعلنا ذلك لأننا عندما نزلنا بالحلّة في عهد الطفولة قام صدقة بخدمتنا على أكمل وجه ، وأحضر ابنه دبيس هذا إلينا وأودعه لدينا وأخذ العهد علينا بأن نحسن إليه وقت الحاجة ، ونمدّ له يد العون إذا قصدنا . وعندما خاب مسعانا وفشلت شفاعتنا ، وبلغت مسامعنا شكوى [313] السراي العزيز منه ، أمرنا بحبسه فترة . ولما زاد الأمر عن حدّه ، وانفضّ عنه كبار الشفعاء . . أمرنا بإطلاق سراحه وتسريحه ليذهب حيثما يريد ، ولم نمنحه ولاية ولا جنداً ، ولم ننعم عليه[2] .

---

(١) المقصود هو ملك العرب دبيس بن سيف الدولة صدقة بن بهاء الدولة منصور بن دبيس المزيدي أمير الحلة الذي استولى على البصرة والهيت والأنبار وأعمال الفرات ورحبة ونصيبين بعد قتل أبيه سيف الدولة . وكان دائم النزاع والصراع مع الخليفة المسترشد .

(٢) فرّ دبيس إلى الشام بعد هزيمته على يد المسترشد في عام ٥١٦هـ ، ثم غادر الشام إلى همدان وتوجّه إلى طغرل بن محمد ولي عهد سنجر . وفي عام ٥١٩ هـ حرض محمدا على مقاتلة الخليفة والاستيلاء على العراق . وتوجّه طغرل ودبيس إلى بغداد واستوليا عليها . ولكن مرض طغرل وسعي دبيس لدى الخليفة طلباً للصلح . . كانا سبباً في عودتها إلى همدان . وحين هزمهما السلطان محمود لجأ إلى سنجر في خراسان ، وحرّضاه على الإستيلاء على العراق ، واتّهما محموداً بعصيانه . وجاء سنجر إلى همدان عام ٥٢٢هـ ، فلما وجد محموداً يدين له بالطاعة على عكس ما قاله دبيس . . عاد إلى خراسان في منتصف ذي الحجة ، وترك (دبيس) لمحمود ، وأوصاه بإكرامه وإعادته إلى الحلة . . مملكة أجداده ، فاصطحبه محمود معه إلى بغداد في المحرم من عام ٥٢٣هـ ليصلحه على المسترشد . وكانت إبنة السلطان سنجر ـ وهي زوجة السلطان محمود آنذاك ـ تفرض حمايتها على دبيس طوال الوقت . وتجاوز الخليفة عن آثام دبيس وعفا عنه ، ولكنه لم يمنحه أي ولاية . وعندما ماتت زجة محمود ومرض =

ويعلم الله تعالى أن ما قيل عن رغبتنا في إحلال شخص من آل العباس أو العلويين في الخلافة . . لغو وباطل لا نقره ، بل ونستنكره بشدة . وقد أمرنا بزجر قائله ، لأننا لا نستطيع قط أن نغيِّر مذهبنا وعقيدتنا . وإذا لم تسر السراي العزيزة على ما سار عليه الآباء من توقيرنا واحترامنا ، فسوف نظل على سنَّة آبائنا سائرين في طريق طاعتنا وموالاتنا للأسرة العباسيّة الكبيرة . وهل يمكن لأحد أن يقول خلاف ذلك في حقنا؟ . . هذه عقيدتنا ، وقد أبدينا ما تكنُّه صدورنا ، ولم نشقّ عصا الطاعة على دار الخلافة قط. ومعلوم أن إخوتي كانوا يملكون داراً للمُلك في بغداد إبان حكمهم ، وأنهم كانوا يأتون إليها دائماً ويطيلون المكث والإقامة . وكان يُنفق [314] عليهم في كل مرة ستمائة ألف دينار أو سبعمائة ألف ، ويرتب لهم العمال والشحنات بصفة دائمة . أمثال الأمراء كَوهر آئين وسنقر برسقى وبهروز وبُرُنْقُش زكُوي[(١)] وغيرهم ممن سمعنا عن تحكّماتهم ونفوذهم . وإنّا لنعلم أنهم كانوا يخرجون بعض الناس عن حرم الشريعة ويوقعون بهم العقاب . أما نحن ، فلم نشكّل من جهتنا يوماً عبئاً على الخلافة ، ولم نتخل عن تكريمنا لها . ومشاعرنا التي عرف السراي العزيز قدرها . . مشاعر معروفة نظهرها ونبديها في حق الابن العزيز الملك الجليل عضد الدين مسعود أطال الله بقاءه .

إن ما يصدر عن الأعتاب النبوية في حق ولاة الدولة وعمّالها ـ وخاصة في حق أعزائنا وأولادنا أعزّهم الله ـ يقابل من جانبنا بالشكر والإمتنان والطاعة والانقياد ،

= السلطان . . عاد دبيس من همدان إلى العراق ، واستولى على الحلة مما أغضب محموداً وجعله يأتي وراءه إلى العراق . ولجأ دبيس إلى الوساطة والشفاعة لدى الخليفة فلم يعف عنه ولذا اضطر إلى الفرار .

(١) هذه الجملة مشوشة إلى أقصى حد في النسخة الأصلية بحيث لا يمكن قراءتها وفهم محتواها وهذه صورتها : (جون اميران كوران وسنقر برسقي وعدد ورود ودبيس بكري) ولا شك ان سنجر يشير بذلك إلى تحكمات الشحنات وقوة نفوذهم في عهدي محمد وبركيارق ، أي سعد الدولة كوهر آئين الذي كان يشغل منصب شحنة بغداد منذ عهد ألب أرسلان حتى مصرعه (عام ٤٩٢ هـ) خلال الحرب التي دارت بين محمد وبركيارق . ومجاهد الدين بهروز الذي عزل من منصب الشحنة عام ٥١٢هـ ، ثم أعيد لهذا المنصب عام ٥١٤هـ . وآق سنقر البرسقى الذي شغل المنصب من عام ٥١٦ هـ حتى عام ٥١٨هـ ، ثم أُسنِد المنصب من بعده لبرنقش زكوى .

ويزيد أسرتنا فخراً وعظمة . وإنا لنشفق على أبنائنا وأعزائنا إلى أقصى حد ، ويضيء عيوننا ما ينعمون به من رفعة وإقبال ، ونريد أن يؤتى كل منهم بَسْطة في المُلك والمال ، ونحبّ أن نتوثّق بينهم أواصر الالفة ويستحكم الوفاق لدرجة كبيرة ، وألا يدخل بينهم حاسد مُغْرِض. . وبذلك نرتاحُ بالاً من جهتهم ونقرُّ عيناً.

ونحن لا يمكننا أن نعترض على مواقفهم المقدسة ، ونود أن تنطفىء نار الفتنة في الممالك التي آثرناهم بها، وينام سيفُ التمرُّد في غمده . . لنعيش نحن وهم وكافة رعايانا وأهل العالم قاطبة في أمان وراحة ، بعيدين عن الرهبة والخوف.

[315] ومع أن لكل واحد منهما في قلبنا معزَّة كبيرة ، وله خصاله الحميدة . . إلاّ أن الأمر يختلف بالنسبة لابننا العزيز السلطان المعظّم ركن الدنيا والدين . . وليّ عهد العالم[1] أطال الله بقاءه ، فقد وفّرنا له كل الآداب والفضائل الملكية والدنيوية ، وجرَّبناه واختبرناه ـ خلال السنوات السبعة التي قضاها تحت إشرافنا ـ لنعرف حسناته وسيئاته ،فلمسنا صدقه وحسن عقيدته وتعفّفه وحسن تربيته الدينية وأخلاقه الحميدة وميله للإحسان لخلق الله . لهذا أوليناه ثقتنا واعتمدنا عليه فيما يتعلّق بولاية العهد ، وأنبناه عنا في السلطنة وولاية ملك الدنيا ، فقام بذلك على الوجه الأكمل طوال فترة وجوده معنا ، وأكّد العهود والمواثيق أكثر من مرة في حضرة أركان الدولة وعظمائها ، ويشهد بذلك الجميع . فإذا ما تولىّ زمامَ الأمور فسوف يتبع سنتنا ويسير سيرتنا وسيرة أسلافنا وأسرتنا. وقد قَبِل ولاية العهد وفقاً لهذه الشروط، وتعهَّد بالالتزام بها ، باعتبارها قواعد محكمة لا نفرّط من جانبنا فيها ، ولا نسمح بأن يتطرّق الخلل إليها. وسوف تصان حرمته ويرهب جانبه . . لأن كلّ تقصير في حقّه يعدّ تقصيراً في حقنا . ويجب ألا يطول انتظارُنا نحن وكافة المسلمين، ولا يعجبنا أن تشيع الفرقة بين أفراد أسرتنا ، ففي هذا ما يشغلنا ويؤلم خاطرنا.

---

(١) يعني السلطان ركن الدين طغرل بن محمد ـ إبن أخي سنجر ـ الذي كان السلطان قد اختاره لولاية عهده.

وكنّا ننتظر من السراي العزيز ألاّ يصدر الأحكام الجازمة دون تمحيص ، وخاصة بالنسبة للجسيم من الأمور . إذ أن ذلك يجعل الناس فريسة للخيالات والأوهام ، ويعطي المغرضين فرصة جديدة للكلام .

وقد سمعنا ان ذِكْرنا كان يتردد في الحضرة ، وأن الناس كبيرهم وحقيرهم كانوا يقولون : « هذا ما قاله سنجر ، وهذا ما فعله سنجر » . . وهذا لا يسبِّب لنا غضاضة ولا ينقص من قدرنا ، لأن أبانا السلطان ملكشاه ـ أنار الله برهانه ـ قد [316] أسماني أحمد وسنجر [1] ، وأطلق على أخي اسم محمد ، ولا يمكن أن تكون هناك أسماء تفوق هذه بركة . وقد أعزّ الله هذا الإسم وصاحبه في ممالك الأرض مدة طويلة ومنحه السيادة والقيادة فضلا منه وكرما ، ووكَلَ إليه الأحكام الدينية والدنيوية ، وعظَّمه في الشرق والغرب . . فإذا ما تفوَّه شخص بكلمة نتيجة سوء عقيدته وبتأثير من جهالته . . فلن ينقص هذا من قدرنا ، ولكن عيبها سيرتدّ إلى ولي أمره . . ومن عادي مجدودا فقد عادى الله .

وفيما يتعلّق بالخواجه العميد أبي القاسم الأنسابادي وما يثار حوله من أقاويل ، فإنّا لم نأمره ـ ولن تأمره هو أو غيره ـ بمخالفة الخليفة وعصيان أمره . وقد أوضحنا موقفنا وقلنا إننا كنا ـ وما زلنا ـ نرفض كل عمل ذميم قام به ، ولا يمكن أن نعينه على ذلك . وإذا كانت هناك كتابات بخط يده فلتُرسَل لنا لنقيم عليه الحجة ونرى فيه رأينا ، ونصدر أمرنا بخصوص ما يُتَّخذ بشأنه . . واذا قيل ان هناك

---

(١) كان لملكشاه ولد اسمه احمد ، جعل منه ولياً للعهد في البداية (عام ٤٨٠هـ) ولقّبه بعضد الدولة وكنّاه بأبي شجاع . وقد مات عام ٤٨١هـ ، وعمره أحد عشر عاماً ، وكان عمر سنجر آنذاك أربع سنوات تقريباً . (كانت ولادة سنجر في رجب عام ٤٧٧هـ) ويبدو أن ملكشاه قد أطلق اسم أحمد وليّ عهده على سنجر ليكون له اسم إسلامي إلى جوار اسمه التركي (سنجر) كعادة سلاطين السلاجقة الأوائل ، فقد كان الاسم الإسلامي لجغري بك مثلا (داود) والإسم الإسلامي لألب أرسلان (محمد) . وكان للسلطان محمد بن ملكشاه أخي سنجر اسم آخر ورد في كتب التاريخ على خلاف بينها في الإملاء «طبر» و«تبر» . . ولا ندري مناسبة الإسم ولا معناه الصحيح .
أنظر: أخبار الدولة السلجوقية ، ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي .

مراسيم ممهورة بتوقيعنا . . فمن المعروف أننا لا نعرف القراءة والكتابة . وإذا كان ـ أثناء سطوته ـ قد أخذ توقيعنا على ورقة بيضاء أو مرسوم . . فليس هذا مبرراً يعتذر به ، فهذه هي الطريقة المتَّبعة دائما في مجلسنا [1] . وإن الإستخفاف الذي قوبل به [317] الأمير برنقش القارىء والحكيم البلخي وأبو منصور ماندا [2] ـ الذين كانوا قد جاءوكم باعتبارهم رسلنا ـ لمن عظائم المنكرات التي لم تُجِزها أية أمة أو فرقة ولم تقدم على مثلها من قبل . وقد أثَّرت الواقعة في نفوسنا تأثيرا بالغا ، فقد أرسلناهم لتسكين الفتنة وتحقيق مصالح كافة الأطراف . والعجيب أن يرضى السراي العزيز بما حدث من التعدّي والتهوُّر . لهذا ، فإنه من المحتمل ألاّ نرسل رسولا بعد ذلك .

ولما وصلت المراسيم والتوقيعات إلى ذوي الرأي وعظماء الدولة ، وعُرِضت علينا لأخذ رأينا ورأي الصاحب أيضا . . رأينا وجوب إظهار إخلاصنا في عقيدتنا ، وتدبيج تلك المشاعر والأحاسيس كتابةً . . لأن لنا الحقّ في هذه المعاتبة وتلك المناقشة التي تُثمر حسن العهد وتحقق طيب الأماني وصدق الولاء والإخلاص

---

(١) يقول عماد الكاتب أخذاً عن أنوشروان:

« عندما اعتزم سنجر العودة إلى خراسان قال له الدرگزيني (أي خواجة أبو القاسم أنس آبادى الذي أبقاه سنجر في وزارته بعد إجلاس طغرل على عرش السلطنة في العراق): ما دام السلطان سيقيم في خراسان فإن طلب الإذن لتسيير مهام الأمور سيصبح أمراً صعباً ، وسوف يستغرق الحصول عليه وقتاً طويلاً . . وقال إن الواجب على السلطان والحال هذه أن يضع توقيعاته على صفحات بيضاء ويعطيها له ليصدر عند اللزوم مراسيم يستغلّ فيها هذه التوقيعات ، فيطيعها كل الناس .

وكانت توقيعات سنجر « توكلت على الله » تحت قوس الطغراء فوق «بسم الله». وأخذ الدرگزيني توقيع سنجر على صفحة بيضاء أو أكثر، واتخّذها وسيلة لإراقة دم الناس والتعرّض لمسيرة حياتهم».

(ص ١٦٦ ـ ١٦٧) . والمعروف أن وزير الخليفة قد اشتكى من الدرگزيني لهذا السبب ، وأن سنجر ـ الذي كان قد أعطاه هذا الامتياز ـ قد عمل على إزالة هذا التخبط وإنهاء استغلال الدرگزيني السيء لنفوذه .

(٢) هو نفسه برنقش قارىء القرآن الذي كان رسولاً لسنجر. وقد ذهب ثانية إلى الخليفة كسفير لسنجر قبل نشوب الحرب بين المسترشد ومسعود (مصرع الخليفة في ٤ ذي الحجة عام ٤٢٩هـ)* ، وقد قُتِل برنقش في حرب قطوان عام ٥٣٦هـ ولا نعرف من هما الشخصان الآخران .

* هذا التاريخ خاطىء وصحّته ٥٢٩هـ (المترجم) .

في النصيحة . وقد أرسلنا الأمير مجاهد الدين بهمن أحد الثقاة في مجلسنا ـ لما له من خصال حميدة ، ولتحلّيه بالفضل والأدب ـ كي يوصّل الهدايا ويبلغ دعواتنا للأعتاب المقدّسة ويشرح ما آلت إليه الأمور وما بلغته الأحوال . . فيزيل اللبس ، ويسمع الإجابات ، ويحمل إلينا عند عودته مجمل الألفاظ العالية [318] الشريفة . وعليه أن يقدّم للصاحب الأجلّ شرف الدين نصيبه من النصح ليُضَمَّ إلى بقية سوابقه وذرائعه .

وتبقى بعد ذلك غصة عظيمة في قلوبنا ، إذ كيف يخرج قراجة وآق سنقر وبرنقش بازداري [1] وأمثالهم للقتال ضد راياتنا ؟ كيف يخرج علينا قراجة الذي كان عبدنا ، وكان لعدة سنوات مملوكاً من مماليكنا . . قبل أن يلتحق بالعمل لدى أخينا غياث الدنيا والدين ؟ . كيف يخرج علينا وقد مضى فترة ينعم بعنايتنا ورعايتنا الى أن بلغ رتبة الأتابك وحاكم الولاية ؟ لقد كان ابننا محمود ـ رحمه الله ـ يُنعِم عليه بناء على مراسيمنا ، وكان يرسل إلينا رجاله وأتباعه يؤكدون عبوديتهم لنا ، ويتضرّعون إلينا لنوافق على استمراره في شغل هذا المنصب . . إنا لا نعلم من أين دخل هذا الغرور رأسه . .

لقد أبدينا مشاعرنا ، ولن نعود للماضي ، واتّضحت أعذار الصاحب الأجلّ ، والله عزّ وجل أكثر منه علماً بصحتها وحقيقتها . وإذا كانت طاعتنا وطاعة ألفي ألف مبارز متوقّفة على كلمة تقال . . فالواجب أن تقال ، حتى نقابل شفقة الإمام ـ خلد الله ملكه ـ بشفقة ونقابل عطفه بعطف . أما اذا كان عنّا قد استغنى فالأمر له . . والسلام . كُتِب بناء على الأمر العالي ـ أعلاه الله ـ في منتصف شهر الله المبارك ختمه الله بالخيرات ، سنة سبع وعشرين وخمسمائة .

(١) إشارة إلى الحملة التي وجّهها الخليفة المسترشد (يقودها السلطان مسعود وقراجة الساقي وبرنقش بازداري) نحو سنجر . وكان النصر فيها لسنجر في پنج انگشت دينور في ٨رجب عام ٥٢٦هـ ، وقد تمكن من قتل قراجة .

وكان آق سنقر أحمديلي أحد أتابكة داود بن محمد بن ملكشاه ينعم بحماية الخليفة ، وكان الخليفة يحرّضه على التمرّد على طغرل ربيب سنجر.

الملحق الثالث

أسرة آل إسحاق

(أبناء خواجه نظام الملك الطوسي وأعمامه وبني أعمامه)

دعــوا الــوزارة عــنــكــم تــربــحــوا نــصــبــا
فــالحــبــل في الــدرّ مما لــيــس يــنــســلــك
ورثــتــم يــا بــني إســحــاق مــنــصــبــهــا
فــمــا لــغــيــركــم في إرثــكــم شــرك
(القاضي ناصح الدين الأرجاني)

اشــتــهــر شــعــري فــي آل اســحــق . .
كــما اشتهــر شعــر الــروكي في آل ســامــان
(المعزى النيشابوري أمير الشعراء)

ولازال مــن أبــنــاء إســحــق كــوكــب
يــلــوح إذا ولىّ الــزمــان بــكــوكــب
(أبو المظفر الأبيوردي)

آل إسحاق أي أبناء جد الخواجة الكبير قوام الدين أبي علي حسن بن علي بن إسحاق نظام الملك الطوسي ، الذين من بينهم الخواجة وأعمامه وبني أعمامه وأبنائه . ومذ نال الخواجة وزارة ألب أرسلان في منتصف القرن الخامس الهجري تقريبا وحتى علم ٥٥٢ هـ الذي توفي فيه سنجر ـ وهي مدة قرن تقريبا ـ وآل إسحاق يعملون في حكومة السلاجقة ، ويشغلون مناصب مختلفة كالصدارة والوزارة

والإمارة وقيادة الجيش وحكم الولايات والرئاسة الدينية ، ويحملون على عاتقهم مهمة إدارة معظم العجلات الإدارية والسياسية .

والحق أن القسط الأكبر والأهم من عظمة سلطنة ألب أرسلان وملكشاه وسنجر وبركيارق ومحمد يُعزى إلى عظمة أفراد أسرة إسحاق .

[320] ويؤكد شرحُنا المفصل الذي أوردناه أثناء حديثنا عن حياة كل واحد منهم أن تثبيت قواعد السلطنة لكل من ألب أرسلان وملكشاه جاء نتيجة المشاق التي تعرَّض لها خواجه نظام الملك ، وأن استقرار بركيارق ومحمد على العرش كان بفضل تدبير مؤيد الملك وكفاءته ، وأن القسم الهام من رونق سلطنة سنجر وحسن سياسته وفتوحاته يُعزى لكفاءة فخر الملك وشهاب الإسلام وصدر الدين محمد وناصر الدين طاهر .

ومن بين أفراد أسرة آل إسحق ـ غير خواجه نظام الملك ـ جلس على كرسي الوزارة في حكومة الملوك والأمراء السلجوقيين . . تسعة من أبناء نظام الملك وأحفاده ، كما احتل منصب الوزارة واحد من أبناء إخوته يُدعى شهاب الإسلام عبد الرزاق بن عبد الله بن إسحاق . وكانت السلطة في يدهم ـ معظم الوقت ـ في عهود كل من ألب أرسلان وملكشاه وبركيارق ومحمد وسنجر ومسعود بن محمد ومحمد بن طغرل بن محمد وسليمانشاه بن محمد والأمير بوري برس بن ألب أرسلان . وبلغ الأمر حدّ أن أحد أبناء نظام الملك قد ولى الوزارة للخليفة العباسي أيضا . وشَغَل الباقون ـ سواء في حياة الخواجة أو بعد وفاته ـ منْصِبَي الرياسة والإمارة .

ومجاراة لقول صاحب تاريخ بيهق ، نقول :

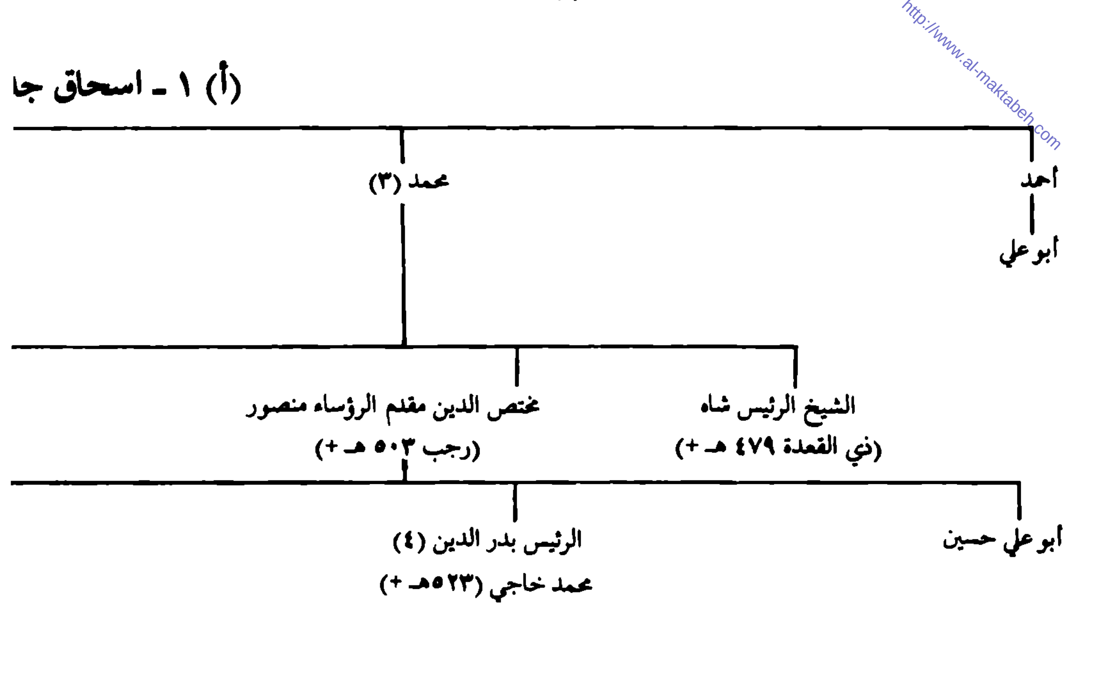
لقد كانت الإمارة والوزارة صنعتين خاصتين بهم .

ومع أن بعض أفراد أسرة آل إسحق ، خاصة آل نظام الملك ـ أي نسله وأعقابه ـ قد عاشوا الفترة ما بين موت سنجر وسقوط سلاجقة العراق يخدمون في

أجهزة الأمراء والسلاطين الإدارية . . إلا أنهم لم يبلغوا منزلة سابقيهم ولم يكونوا على نفس درجتهم من الأهمية . . لهذا اقتصرنا على ذكر بني أعمام الخواجة وأبنائه وأحفاده .

ولما كنّا قد تحدّثنا سابقا ـ تحت عنوان (وزراء سلاطين السلاجقة) ـ عن حياة عدد من أفراد هذه الأسرة ممن شغلوا منصب الوزارة ، وذكرنا ملاحظاتنا حول حول عدد آخر من أبناء الخواجة ممن لم يشغلوا منصب الوزارة . . أمثال جمال الملك وبهاء الملك والأمير منصور ، فسوف نكتفي هنا برسم جداول فقط لأعضاء هذه الأسرة وذكر بعض الملاحظات التي وردت بشأنهم في بعض الكتب . . وذلك أسفل هذه الجداول .





﴿ رجعنا في هذا الجدول والمعلومات الواردة تحتا

---

(١) توفي أبو نصر علي في طفولته ولم يترك ولداً.

(٢) كان أبو الحسن علي والد خواجه نظام الملك والفقيهِ الجليل عبدالله والد شهاب الإسلام الابن الأكبر لإسحاق.

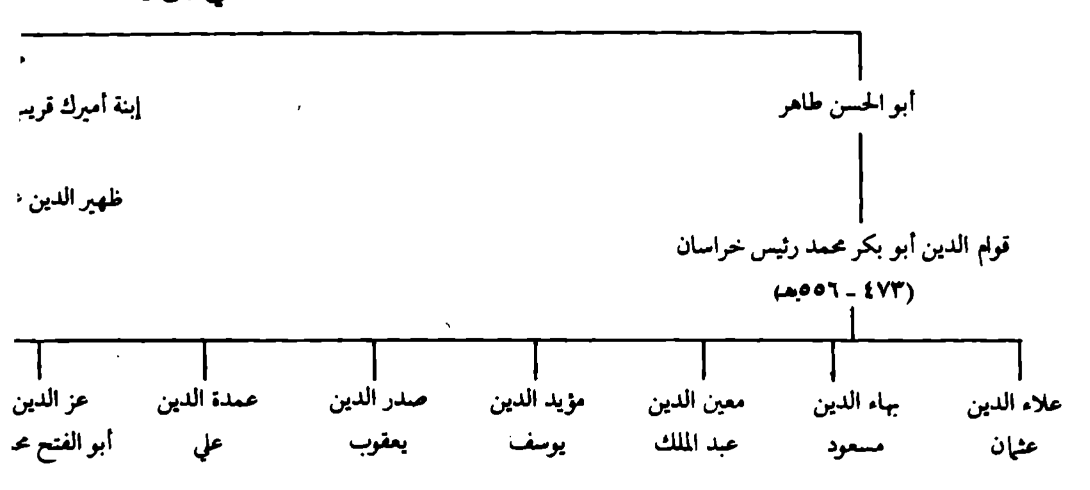
(٣) زالت أسرة ابن محمد المدعو مختص الدين مقدم الرؤساء تدريجياً بعد وفاة أبنائه الثلاثة أبي علي حسين والإمام بدر الدين محمد حاجي وشمس الرؤساء أبي الحسن علي. ولم يظهر بعدهم من له مقام وشهرة.

(٤) مات الرئيس الإمام بدر الدين محمد حاجي في طريق الحج عام ٥٢٣هـ. وقد رثاه السيد الجليل عزيز بن هبة الله الحسيني أحد السادات العلويين في بيهق (٤٥٩ ـ ٥٢٧هـ)، فقال:

بدرى كه بيك ره بمحاق اندر شد ... جانش بر راه عراق اندر شد
هجرش جزوى بود وفراقش كلي ... از هجر در آمد بفراق اندر شد

(ب) ٢ - الفقيه الأجلّ أ[1]

علي بن إسحاق شا

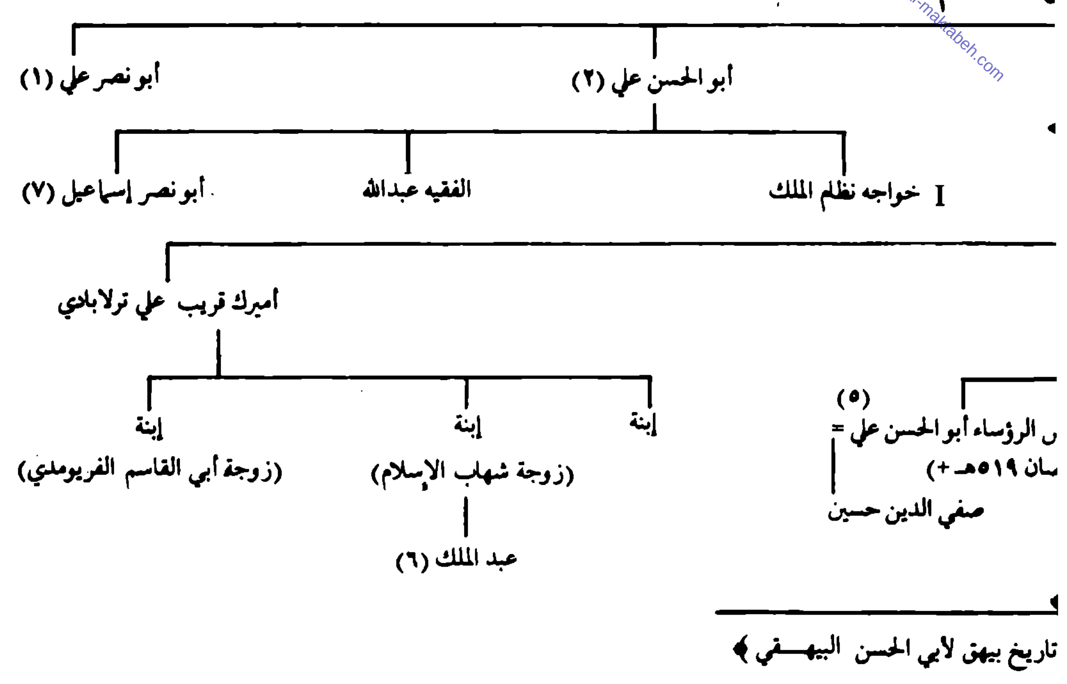


(١) هو والد الوزير شهاب الإسلام من أجلّة فقهاء نيشابور. وقد توفي في سرخس في ذي القعدة علم ٤٩٩هـ. وكان ابنه شهاب الإسلام محبوساً آنذاك في قلعة ترمذ. ولمّا كان خواجه أبو القاسم عبدالله قد اشتهر بالفقيه، فإن ابنه شهاب الإسلام كان يُدعى بدوره «إبن الفقيه».

(٢) أنظر الجدول السابق.

(٣) انظر الجدول السابق أيضاً.

II وزر للسلطان سنجر مدة تصل إلى ثلاث سنوات وشهر تقريباً، تقع بين ذي الحجة من علم ٥١١ هـ (وهو العلم الذي قَتَل فيه السلطان سنجر وزيره الخواجة صدر الدين محمد بن فخر الملك بن نظلم الملك) وبين السابع عشر من محرم علم ٥١٥هـ.



(٥) هو نفسه الأمير ضياء الملك مخلص الدين أبو الحسن علي منصور نائب الخواجة فخر الملك بن نظام الملك أيام وزارته في حكومة سنجر (٤٩٠ - ٥٠٠هـ)، وهو أحد ممدوحي المعزى. تحدثنا عنه عند حديثنا عن فخر الملك.

(٦) أنظر الجدول الثاني.

(٧) يقول البيهقي: بقي عن أبناء الخواجة أبي نصر اخي نظام الملك جماعة قليلة سكنت قرية ششتمد.

I هو وزير ألب أرسلان وملكشاه، جلس على كرسي الوزارة من الأحد ١٣ ذي الحجة عام ٤٥٥هـ حتى العاشر من رمضان عام ٤٨٥هـ دون انقطاع.

ـاسم عبدالله بن أبي الحسن
خواجه نظام الملك[1]

ـزير شهاب الإسلام II

ث، أبو المكارم (٣)

إبنـة
(زوجة شمس الأمراء أبي الحسن علي بن حسين چشمي)

ـصير الدين
محمود

ركن الدين
حسن



(ج) ٣ ـ آل النظ

حسن نا

(رُمِز هنا لمن بلغوا الصدارة في عهد سلاطين السلا
للصفحات التي ع

I الخواجه الكبير أبو علي حسن بن

I

زوجة الأمير محمد أتى — زوجة حاكم الري الجليل — زوجة أبي الحسن طاهر بن عبدالله بن إسحق — زوجة سيد الرؤساء — زوجة عميد الدولة (ت. شعبان ٤٧٠هـ) — بهاء الملك أبو الفتح عبد الرحيم (١١) — الأمير منصور أبو القاس

أبو الحسن

أبو نصر محمد

X شهاب الإسلام عبد الرزاق
(أنظر جدول ٣)

محمد

صدر الدين مسعود — ص

VIII

أبو الحسن علي — أبو الفتح ناصر الدين (١٤)

نهال الدين يوسف — علاء الدين أحمد — أبو المفاخر عثمان — أبو بكر — أبو الفتح محمد

IX

صدر الدين — عماد بن أحمد — نظام الملك ق الدين حسـ

أبناء قوام الدين أبي علي
الملك وأحفاده

بالأرقام الأجنبية ، أما الأعداد العربية فتشير
عنهم فيها)

بن قوام الدين نظام الملك الطوسي[1]

II — شمس الملك (٢) عثمان — ظهير الدين ابو الحسـ

III — مؤيد الملك (٣) أبو بكر عبيدالله — مسعود — أبو علي حسن؛ نصير الملك (٤) محمد

IV — فخر الملك (٥) أبو الفتح المظفر

عز الملك أبو (٦) عبدالله حسين

جمال الملك أبو (٧) جعفر محمد (ت ٤٧٣هـ) — أحمد — ظهير الدين أبو سعد (١٢)؛ ـميم — مسعود

منصور

VI — نظام الملك (٨) قوام الدين أبو منصور احمد — شهاب الدين أبو نصر محمد؛ ـضل نصر

(٩

ـن محمود

VII — قوام الملك صدر الدين محمد أبو الحسن (١٣)؛ الأمير إسحاق — الأمير شمس الدين يعقوب (١٦)؛ جمال الملك يوسف

(١

هامـــش الجـــدول (ج):

(١) أنظر: ص ٤٦ ـ ٥٣.

(٢) ص ١٨٦ ـ ١٩٠.

(٣) ص ١٢٤ ـ ١٤٧

(٤) ص ١٤٨ ـ ١٤٩.

(٥) ص ٢٠٢ ـ ٢٢١

(٦) ص ١٠٦ ـ ١٠٨

(٧) حاكم بلخ، قتل بأمر ملكشاه عام ٤٧٣هـ .

(٨) ص ١٦٣ ـ ١٧٠.

(٩) عماد الملك أبو القاسم وزير بوري برس شقيق ملكشاه الذي قتل في إحدى الفتن عام ٤٨٩هـ .

(١٠) أحد أمراء السلطان محمد بن ملكشاه.

(١١) ص ١٠٦.

(١٢) توفي في سبزاور في ١٢ شعبان ٥٤٩هـ (تاريخ بيهق).

(١٣) ص ٢٢٦ ـ ٢٣٣.

(١٤) ص ٢٧٥ ـ ٢٧٨.

(١٥) ص ٢٧٦ وقد نال الوزارة بعد سليمانشاه في عهد السلطان محمد بن محمود السلجوقي. أقام في بيهق من عام ٥٥٣هـ ، وكان يقيم بها في عام ٥٦٣هـ وهو عام تأليف تاريخ بيهق (تاريخ بيهق، ورقة 44 a)

(١٦) من معاصري البيهقي مؤلف تاريخ بيهق ، ومن الشعراء الكبار الذين نظم البيهقي بعض الأشعار إجابة على أشعاره.

(معجم الأدباء ج٥ ص٢١٦ ـ ٢١٨).

(١٧) من الفقهاء والمدرِّسين الذين ماتوا عام ٥٦١هـ (طبقات السبكي ج ٤ ص ٨٦).



مذكرات وتعريفات

[3 21]

علاء الدولة أبو جعفـر

صفحة ٣٧ ـ السطر ١٨ .

علاء الدولة أبو جعفر محمد بن دشمنزيار بن كاكويه الديلمي الأصفهاني ، الحاكم على أصفهان . تقدّم ذكره في حرف الجيم لأنه كان يعرف بأبي جعفر ، وكان في جملة أتباع الأمير عين الدولة أبي شجاع بن فخر الدولة . ولما توفي عين الدولة استولى علاء الدولة على أصبهان ، وألزم أهلها بطاعته رغبة ورهبة ، وقوى يد أصحابه وأشبعهم من غير أن يعطيهم مالاً ، بل كان يعطيهم ما يحتاجون اليه من النفقات والكسوات ، ويهب لهم الجواري والسراري ، ويخزن المال الصامت لنفسه . وكانت وفاته سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ، وقام ابنه الأكبر فرامرز مقامه .

علاء الدولـة فرامـرز

علاء الدولـة فرامـرز بن علي بن فرامـرز اليزدي ملك يزد من بيت الملك والرياسة . وكان علاء الدولة سمح البنان حرى الجنان حسن الصورة جميل السيرة ممدّحا .

علاء الدولة قتلغ شـاه

علاء الدولة أبو الفتح قتلغ شاه بن محمود شاه اليزدي ، ملك يزد . من الملوك أصحاب الهمم العالية والنفوس الأبيَّة ، والنائل الفياض والكرم

المستفاض . وسمعت جماعة من أهل تلك البلاد يثنون على أيامه ويشكرونه ويترحّمون عليه.

علاء الدولة گرشاسف

علاء الدولة أبو الفتح گرشاسف بن علي بن فرامرز الفارسي اليزدي الملك . . ذكر أبو الحسن علي بن أحمد اليزدي أن علاء الدولة گرشاسب قبض على الشيخ محمد بن ناصر اليزدي وحمله إلى طبس وقتله ، ودفن في تلك الرمة بعد العشر وخمس مائة .

[322] وقرأت في تاريخ ابن النجار في ترجمة أبي منصور محمد بن ناصر بن محمد بن أحمد بن هارون اليزدي الصراف أنه كان رجلاً فاضلاً ، وله معرفة حسنة بالحديث والأدب .

فلك الدولة

أبو كاليجار گرشاسف بن كاكويه محمد بن دشمنزيار الديلمي الأمير . قال أبو الحسن بن الصابي في تاريخه :

لما خرج السلطان ركن الدين طغرل بك وانتشرت طلائعه من أكناف خراسان إلى أطراف الجبال سنة خمس وثلاثين وأربعمائة أنفذ الى فلك الدولة گرشاسف يستدعيه إليه فلم يجد بداً من امتثال أمره ، فصار إليه وسار معه إلى أبهر ظاهراً ، واستظهر عليه باطناً ، ولم يزل يضعفه بتفرقة أصحابه عنه ، وأخذ ما معه من تجمُّل وعدة . . حتى تركه قاصر الحال قليل الرحال ، وسار إلى همدان .

* * *

[323]

من كتـــاب
بعض مثالـــب النواصـــب

صفحة ١٧٥ السطــر ١٤ .

كان الخواجه علي سكرامه (؟) وزيراً لملوك الديلـم (وقـد قدَّم الكثـير من الخيرات . . وقد استشهد على يد الملاحدة الملاعين : أبو عبيد اليوسفي الآوي . . والحاكم عبد الصمد الكبير ، وشقيق أبي طاهر مهيسة أوحد الدين أبو ثابت مهيسة الـذي كان وزير فارس ، ومـن بعـده معـين الـدين أبـو نصر الـكاشي وزير المحتشم . . . . وشرف الدين أنوشروان خالد الكاشي وزير الخلافة) .

وكان عماد الدين ـ وزيرُ أبي سعيد وصفيّه ، ومهذب عبد الكرمي الأرطمي وشرف الدين أبو رجاء وأثير الدين حسين بن العلاء الحرمي ومسلم قريش ـ من الأتقياء ، وعظمته وصولته وملوكيته معروفة مشهورة . وقد شيَّد قبة العسكريين : علي النقي وحسن العسكري (عليهما السلام) في سرَّ من رأى ، ودفـن في ذلك المكان لرفعة مكانته وعظيم درجته .

وكان ابنه عماد الدين أبو المعالي الفاضل الأمين ، ومن بعده شمس الدين محمد سمايان (بنيمان) الطبري ، وكمال ثابت القمي ، ورضى الدين أبـو سعـد المستوفي خوري (خـوافي)، وابنـه خواجـه عزيز الـدين المستـوفي . . مستشـار السلطان المعظم أبي طالب طغرل بن أرسلان والأتابك المعظم جهات بهلوان ـ أعز الله أنصارهما ـ ومدير ملكهما ، ومن بعده خواجه مكين الدين أبو الفخر القمّي ، وكل كتَّاب محي (مختص) الدين الرازي . . كانوا كلهم مستوفيين على درجة كبيرة

من الأهمية . وكل أفراد هذه الجماعة معتقدون وأصولية ، يشتهدون بالفضل وعلوّ المنزلة والرفعة وكمال العلم والإحسان وحب الخير[1] .



(١) ص ١٣٨ ـ هذه صفحة من نسخة كانت لدى المرحوم إقبال. وتشاهد نفس العبارات مع بعض التغيير بالزيادة أو الحذف في صفحة ٢٢١ ـ ٢٢٤ ـ من كتاب النقض ـ طبع طهران.

[324]

أبو الفضل المنشي الهروي

مخلص الدين أبو الفضل محمد بن عاصم كاتب الإنشاء في ديوان سنجر

(السمعاني في مادة «منشى»، مقدمة المؤلف على مجموعة لننجراد)

ص ١٧٩ : السطر ١١

إبن أخت أبي اسماعيل مؤيد الدين حسين بن علي الطغرائي الأصفهاني ، وظهير الدين علي بن زيد البيهقي صاحب تتمة صوان الحكمة ومشارب التجارب .

ويقول وشاح في مدحه :

كريم على أوج النجوم علاه ... وأيقظ نوام المديح نداه
سرى واهتدى طبعي بنجم كماله ... وأحمد في وقت الصباح سراه
له روضة أبدت من الفضل نرجسا ... وغصنا من الإقبال طاب جناه
أعاد رصاع القلب في رحل ورده ... وغادر في قلبي ضواع هواه
تفرق أشجان الأفاضل يمنة ... ويجمع كل الصيد جوف فراه
لقد زرت أشراف الزمان وإنما ... أبي الفضل إلاّ أن أزور فناه

معجم الأدباء (٥/ ٢١٣ ـ ٢١٤) .

صفحة ١٨٠ السطر ١١

كان شمس الدين الدركزيني وزير مسعود السلجوقي رجلاً جاهلاً . فعندما كانت الطرق غير آمنه . . قدم كمال الدين الزنجاني من بغداد إلى أصفهان فقال له شمس الدين :

سلمت، لعلك لم تأت من الجعدة؟

قال كمال الدين: أيها الوزير، إنها الجادة وليست الجعدة.

قال الوزير: صحيح ما قلت، فالجعدة هي التي يوضع فيها القوس. (يقصد الجعبة)

أنظر: (شاهد صادق، الباب الثلاثون، الفصل الثلاثون)،

وأنظر أيضا: (نسائم الأسحار، صفحة ٨٣ ـ دپ).

صفحـة ٣٢٣.

محمد بن عدنان اللوكري الخطيب، صاحب فضل وجاه. تولى الخطبة في نكاح جمال الملوك أبي حفص عمر بن نظام الملك بنت الأمير أبي علي شرفشاه الجعفري سنة سبع وستين وأربعمائة بقزوين على ثلاثين ألف دينار عمادية.

(تدوين رافعي)

خطب نظامُ الملك إبنةَ الأمير شرف شاه الجعفري لابنه الأمير عمر. وأعطى النظام ابنته للسيد مرتضى القمّي.

(كتاب النقض، ص ٢٨٠)

[325] عماد الدين أبو نصر محمد بن محمود بن نظام الملك الطوسي الكاتب من بيت الوزارة والرياسة والفطنة والكياسة.. وله ترسُّل بالفارسية، وقد ولي عدة مواضع بخراسان.

(معجم الألقاب)[١]

---

(١) هذه هي المذكرات التي أوردها المرحوم إقبال في نهاية نسخته، وقد أُثبتت فيها أرقام الصفحات والسطور وفقاً للمناسبات.

فهرست المصادر

[326] رجع المرحوم عباس إقبال إلى العديد من المصادر عند تدوينه هذا الكتاب. ولما كنّا قد ذكرنا معظمها باختصار.. فإنا مضطرون إلى إثبات شرح بسيط لها، والإشارة إلى قسم منها، وتحديد النسخ المخطوطة التي لم تطبع إلى الآن، لكي يرجع إليها من يريد البحث حول حياة وزراء السلاجقة وسيرتهم، ويكون في يده دليل صغير يفيده في هذا الشأن. ولهذا السبب ذكرت عدة كتب أعرفها.. لم يرد ذكرها في هذا الكتاب، أو ذكرها المرحوم إقبال في تعليقاته التي أوردها في نهاية النسخة. وقد رُتّب هذا الفهرست على أساس ذكر أسماء الكتب ورقم الصفحات التي وردت فيها هذه الكتب.

*** تعليق المترجم:**

يقصد برقم الصفحات أرقام صفحات الكتاب الأصلي، المُتَرَجَم، وقد أوردتها في الجانب الأيمن من صفحات الترجمة للرجوع إليها(والارقام بالافرنجية).

[327] **آثار الوزراء:**

تأليف سيف الدين حاجي بن نظام العقيلي، تحت الطبع في الجامعة، على أساس رقم ٤/ ٦١٩ مجلس (٢ : ٣٧١) (١٤٩)

أخبار الدولة السلجوقية:

تأليف صدر الدين أبي الحسن علي بن أبي الفوارس ناصر بن علي

الحسيني ، لاهور ١٩٣٣م، فيما يتعلق بسلاجقة إيران منذ بداية نفوذهم. (٨١ - ١٧٢ - ٣١٦).

أخبار السلجوقيـة :

تأليف أبي المنصور علي بن ظافر الأزدي، المتوفي عام ٦١٣ (معجم الأدباء ٥ : ٢٢٨). . (تعليقات المرحوم إقبال في نهاية النسخة).

أخبار السلجوقية منذ ابتداء أمرهم إلى نهايته :

تأليف علي بن يوسف القفطي صاحب تاريخ الحكماء (معجم الأدباء ٥ : ٤٨٤). . (تعليقات المرحوم إقبال في نهاية النسخـة).

الأنســـاب :

تأليف السمعاني، طبعة مصورة، ليدن ١٩١٢م
(٨٢ - ٢٢٢ - ٢٤٧ - ٢٧٤).

الأوامر العلائية من الأمور العلائيـــة :

تأليف ابن البيبي المنجمة الحسين بن محمد بن المنشي الجعفري الرغـدي، طبعة مصورة، أنقرة ١٩٥٦م الجزء الأول، أنقـرة ١٩٥٧م فيما يتعلـق بسلاجقـة الروم.

البصائر النصيريـة :

تأليف ابن سهلان الساري، مصر ١٣١٦/ ١٨٩٨هـ (٢٦٣ - ٢٦٤).

بيست مقاله :

تأليف القزويني. الجزء الأول، بمباي ١٣٠٧هـ ، والجزء الثاني تهران ١٣١٣هـ ، وقد أعيد طبعه مرتين. (٢١٦ ـ ٢٤٨ ـ ٣٠٢).

تاريخ أفضل أو بدايع الأزمان في وقايع كرمان:

تأليف حميد الدين أبو حامد أفضل أحمد بن حامد الكرماني ، تهران ١٣٢٦.

تاريخ بيهق:

[328] تأليف علي بن زيد البيهقي، المخطوط رقم ٥٦٣، تهران ١٣١٧هـ نسخة مصورة عن النسخة الخطية الموجودة في لندن (١١٢ ـ ١٦٤ ـ ١٩٩ ـ ٢٠٠ ـ ٢٠١ ـ ٢١٧ ـ ٢٢٢ ـ ٢٤٣ ـ ٢٨٦ ـ ٣٢١ ـ ٣٢٣).

تاريخ سلاجقة كرمان : (٨٨ ـ ٨٩).

تاريخ طبرستان:

تأليف ابن أسفنديار، طبع إقبال، عام ١٣٢٠هـ ، في مجلدين، وقد طبع القسم المترجم منه بواسطة براون عام ١٩٠٥م. (٢٦٤).

تاريخ گزيده:

تأليف حمدالله مستوفي القزويني ، طبعة مصورة ١٣٢٨هـ = ١٩١٠م. (٩٤)

تاريخ مسعودي:

تأليف أبي الفضل البيهقي، تهران ١٣٠٧ق، طبع فياض والدكتور غنى ١٣٢٤هـ، وطبع نفيسي في ثلاث مجلدات. وقد طبعت ترجمته العربية في مصر في نفس العام (٤٠).

تتمة صـوان الحكمـة:

تأليف علي بن زيد البيهقي، طبع كرد علي في دمشق، ومحمـد شفيع في لاهور ١٣٥١هـ = ١٩٥٣م (١٩٥ ـ ٢١٦ ـ ٢١٧ ـ ٢٦٤ ـ ٢٧٤).

تتمة اليتيمـة:

تأليف أبي منصور عبد الملك الثعالبي النيشابوري، تهران ١٣٥٣هـ، في مجلدين، طبع بمساعدة المرحوم إقبال. (٤٧ ـ ٤٨).

تجارب السلـف:

تأليف هندوشاه النخجواني، عام ٧٢٤هـ (وهـو أشبـه ما يكون بتـاريخ الخلفاء والوزراء أو الفخري لابن الطقطقي) تهران ١٣١٣هـ . .

ساعد المرحوم إقبال في طبعه.

(٢٠ ـ ٣٨ ـ ٤٣ ـ ٤٧ ـ ٥٠ ـ ٥١ ـ ٨٣ ـ ٩٥ ـ ٩٦ ـ ١٦٢ ـ ١٦٤ ـ ١٦٩ ـ ١٨٦).

تذكرة (خلاصة الأشعـار):

تأليف تقي الدين محمد بن شرف الدين علي الحسيني الكاشـفي، العـدد ٣٣٤ للمجلس (فهرست ٢: ١٩٥). وهو من كتب الأستاذ خسرو فيروز التي أهديت للمجلس. وهناك في مكتبة ملك نسخـة لصـادق الأنصـاري والدكتور

بياني ، وهي قسم من الكتاب بعنوان الخلاصة برقم ٤٠٧٨ . ويقال إن إقبال كان يمتلك نسخة أيضا .

(٢٣٥ ـ ٢٣٦ ـ ٢٦٠ ـ ٢٦١) .

تذكرة الشعراء :

تــأليف دولتشــاه السمرقندي ، بمبــاي ١٣٠٥ق / ١٨٨٤ و١٣١٨/ ٤ ـ ١٩٠١م. بمساعدة محمد إقبال صافي، لاهور ١٩٣٩م، طبعة جيب .

تذكرة عرفــات :

تأليف تقي الدين أوحدي بلياني ، نسخة بنكيپور ، والنسخة رقم ٥٣٢٤ في مكتبة ملك (٧٠ ـ ٧١) .

ترجمة حال وزير آصف تدبير المشتهر بنظام الملك، طبع شيفر Ch. Schefer ، باريس ١٨٩٧م.

تنزير الوزير الزير الخنزير :

تأليف موفق الدولة أبي طاهر حسين بن حيدر الخاتوني ، في مثالب نصير الملك محمد بن مؤيد الملك ، مرتّباً وفق حروف المعجم ، وقد ورد قسم منه في آثار الوزراء، للعقيلي . وله رباعي أيضاً في هجاء مجد الملك أبي الفضل القمّي يمكن مشاهدته في راحة الصدور (ص ١٣٦) (١٤٨ ـ ١٤٩) .

تواريخ آل سلجوقي :

في أربعة أجزاء، ليدن ١٣٢٧هـ = ١٩٠٩م:

تاريخ سلجوقيان كرمان :

تأليف محمد بن إبراهيم ، باللغة الفارسية .

زبدة النصرة ونخبة العصرة:

لعماد الدين محمد بن محمد بن حامد الأصفهاني. وقد اختصر الفتح بن علي بن محمد البنداري الأصفهاني الجزء المتعلق بسلاجقة إيران وكتبه بالعربية. طبع الكتاب في مصر عام ١٣١٨هـ = ١٩٠٠م تحت عنوان «كتاب تاريخ دولة آل سلجوق».

يقول البنداري في ديباجته:

« من نخست البرق الشامي (   ) عماد أصفهاني راگزين كردم سپس به نصرة الفترة وعصرة القطرة في أخبار الوزراء السلجوقية كه ترجمهٔ عربي است از (نفثة المصدور في فتور زمان الصدور وصدور زمان الفتور) فارسي أنوشيروان بن خالد كاشي برخوردم وازآن برگزيدم. إقبال در ص ٩٦ ـ ١٣٠ ـ ١٣٣ ـ ١٥٩ از نسخهٔ أصلي تاريخ سلاجقهٔ عماد الكاتب (نسخهٔ كتابخانهٔ ملي باريس) بنام زبدة النصرة ونخبة العصرة يادكرد. ٢٣ ٢٩ ٤٣ ٥٢ ٥٤ ٥٥ ٧١ (خلاصهٔ تاريخ عماد الكاتب) ـ ٨١ ـ ٨٢ ـ ٩٢ ـ ٩٣ ـ ١٠١ ـ ١٠٧ ـ ١١٠ ـ ١١١ ـ ١٢٤ ـ ١٢٦ ـ ١٣٢ ـ ١٣٣ ـ ١٥٢ ـ ١٥٣ ـ ١٥٩ ـ (خلاصة عماد الكاتب) ـ ١٦٩ ـ ١٧٢ ـ ١٧٥ ـ ١٧٦ ـ ١٧٩ ـ ١٨٢ ـ ١٨٣ ـ ١٨٦ ـ ١٩٥ ـ ٢٠١ ـ ٢٠٥ ـ ٢٠٩ ـ ٢٢٨ ـ ٢٣٢ ـ ٢٣٣ ـ ٢٤٧ ـ ٢٥١ ـ ٢٥٢ ـ ٢٥٣ ـ ٢٥٤ ـ ٢٥٥ ـ ٢٥٨ ـ ٢٦٣ ـ ٢٧٠ ـ ٢٨٦ ـ ٣١٦».

تاريخ سلجوقيان روم (تاريخ سلاجقة الروم)، باللغة التركية.

مختصر سلجوقنامه:

تأليف ناصر الملة والدين يحيى بن محمد بن البيبي، باللغة الفارسية فيما يتعلق بالسلاجقة.

التوسُّل إلى الترسُّل:

تأليف بهاء الدين محمد بغدادي، تهران ١٣١٥هـ .

جامع التواريخ:

تأليف رشيدي، وقد طبع قسم من مجلداته في روسيا وفرنسا وهولندا وطهران وأنقرة (٨٤ ـ ٢٨٣ ـ ٢٨٥).

جوامع الحكايات ولوامع الروايات :

تأليف عوفي ، طبعة بهار المختارة ، طبع طهران عام ١٣٢٤ ، طبعة مصورة عام ١٣٣٥ في طهران، وطبع الدكتور معين في جامعة طهران. . ولا توجد واحدة منها غير كاملة. وقد ترجم قسم مختار منها إلى الإنجليزية. (٧٢).

جهانكشاي جويني:

لعطا ملك في ثلاث مجلدات ـ طبعة جيب ١٣٢٩ و١٣٢٤ و١٣٣٥، وطبع كاهنامهٔ تهراني. (٤٩ ـ ٨٢ ـ ١١٣ ـ ١٦٥ ـ ١٦٩ ـ ٢٨٠ ـ ٢٨٣ ـ ٢٨٦ ـ ٣٠٢ ـ ٣٠٨).

چهار مقالهٔ نظامي عروضي:

تأليف نظامي عروضي السمرقندي، طبع جيب ١٣٢٧ ، وطبع كاهنامهٔ تهراني ، وطبع الدكتور معين. (٦٨ ـ ٧٦ ـ ١٧٦ ـ ١٧٧ ـ ٢٣٥ ـ ٢٦١).

[331] حدائق السحر:

رشيد الوطواط، تهران سنة ١٣٠٨خ، مع مقدمة وحواشي وضعها المرحوم

إقبال. ولها طبعة حجرية ترجع إلى عام ١٢٧١ق، وأخرى ترجع إلى عام ١٣٢١ق. (٦٤ ـ ٩٢ ـ ٢٢١ ـ ٢٨٦).

خريدة القصر وجريدة العصـــر:

تأليف عماد الدين أبو عبدالله إبن أخـي عزيز محمـد بن محمـد بن حامـد بن... بن آله الكاتب الأصفهاني (٥١٩ ـ ٥٩٧)، طُبع القسم الخاص بشعراء مصر فيها.. في عام ١٩٥١م والخاص بالشام في عام ١٩٥٥، والخاص بالعراق في عام ١٩٥٥م أيضاً. وكلّها تشكّل الجزء الأول. وهناك نسخة في تركيا وأخرى في مدرسة سپهسالار تحتوي كل منهما على القسم الخاص بإيران (٢ : ٥٠٤) وقد ذكر تاريخ وفاته في المقدمات التي وضعت للطبعات. (٥٣ ـ ١٥٩ ـ ١٨١ ـ ٢٧٤).

دستور الوزراء:

تأليف خواندمير، تهران ١٣١٧خ.

دمية القصر وعصرة أهل العصر:

تأليف أبي القاسم علي بن حسن الباخرزي المقتول عام ٤٦٧، طبع حلب عام ١٣٤٩هـ =١٩٣٠م ـ وقد لحقها الكثير من الحذف والإضافة . وقد كانت في يد المرحوم إقبال نسخة خطية لها. (٤٠ ـ ٤١ ـ ٤٣ ـ ٥٣ ـ ٥٥ ـ ٥٨ ـ ٥٩ ـ ١٣٢ ـ ٢٢٢).

ديوان أبو المظفر محمد بن العباس الأبيوردي:

م٥٠٧، طبع بيروت في عام ١٣٢٧ق .
(٥٦ ـ ٩٠ ـ ١٠٢ ـ ١٠٨ ـ ١٤٢ ـ ١٤٣ ـ ١٥٩ ـ ١٦٣ ـ ١٦٤ ـ ١٦٨ ـ

١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٨١ - ٢٥٩ - ٣١٩).

ديوان القاضي ناصح الدين أحمد بن محمد بن الحسين الأرجاني (٤٦٠ - ٥٤٤)

(١٠٠ - ١١٦ - ١٤٣ - ١٥٣ - ١٦٠ - ١٦١ - ١٦٣ - ١٦٦ - ١٦٨ - ١٧٢ - ١٧٣ - ١٨٨ - ١٨٩ - ١٩٠ - ٢٥٩ - ٢٦٠ - ٢٧٠ - ٢٧٣ - ٢٧٤ - ٣١٩).

ديوان أنوري:

تأليف أوحد الدين الأنوري، طبع أكثر من مرة، والآن يقوم بطبعه أيضا الأستاذ مدرس رضوي (٢٧٦ - ٢٧٨).

[332] ديوان فخر الكتاب مؤيد الدين أبي إسماعيل حسين بن علي الأصفهاني المنشي الطغرائي،

طبع الجوائب بالقسطنطينية ١٣٠٠هـ . (١١٣ - ١٤٦ - ١٦٨).

ديوان أبي إسحق إبراهيم بن عثمان بن محمد الكلبي الشهابي الغزي (٤٤١ - ٥٢٤)

نسخة بتاريخ ٦٥٠ تحت رقم Arab 3126 في المكتبة الوطنية بباريس (فهرست عربي ص ٥٥٢) (٨٩ - ٩٠ - ١٤٢ - ١٧٤ - ٢٦٣).

ديوان أمير الشعراء محمد بن عبد الملك المعزي النيشابوري:

طبع المرحوم إقبال عام ١٣١٨خ، وقد جاء ذكره في هذا الكتاب عدّة مرّات.

ذيل تاريخ دمشق:

تأليف أبي الحسين هلال بن الصابي عن ابن القلانسي أبي يعلى حمزة بن الأسد الدمشقي. (٥٥٥). (إبن خلّكان ـ في وفاة صلاح الدين يوسف الأيوبي) طبع بيروت ١٩٠٨م (٤٧ ـ ١٨٧ ـ ١٨٨ ـ ٣١٦).

راحة الصدور وآية السرور:

تأليف محمد بن علي بن سليمان الراوندي، عام ٥٩٩هـ ـ طبع ليدن عام ١٩٢١م، طبع طهران عام ١٣٣٣هـ، وهو مرتبط بسلاجقة إيران.
(٤٠ ـ ٨٢ ـ ٩٠ ـ ١٢٨ ـ ١٢٩ ـ ١٣٠ ـ ١٣٢ ـ ١٥٩ ـ ١٦٣ ـ ٢٠٥ ـ ٢٥٢).

روضات الجنات:

تأليف ميرزا محمد باقر خوانساري، طبع تهران في عامي ١٣٠٧ق، ١٣٦٧ق. (٢٤٨).

زبدة التواريخ:

تأليف جمال الدين أبي القاسم عبدالله بن علي بن محمد الكاشاني. وقد كان القسم الخاص بتاريخ الإسماعيلية في يد إقبال، وهو يذكر القسم المتعلق بالسلاجقة والذي اقتبس من سلجوقنامهٔ ظهيري (ص ١٣٣). وقد دار الحديث في تاريخ كرمان (ص ٨٨٦)، وفي تعليقات القزويني (٣: ١٢٤) وفهرست استوري (ص ٧٨) حول هذا الكتاب.

(٨٢ ـ ٨٨ ـ ٩٤ ـ ١١٥ ـ ١٥٨ ـ ١٥٩ ـ ١٦٤ ـ ١٦٥ ـ ١٦٩ ـ ٢٨٣ ـ ٢٨٤ ـ ٢٨٥ ـ ٣٠٨ ـ ٣٠٩ ـ ٣١٠).

[333] سفرنامه:

تأليف ناصر خسرو القبادياني، طبع برلين، وطبع باريس والهند، وقد طبع في طهران مرتين قبل أن يطبعه دبير سياقي في تهران عام ١٣٣٥خ، كما تُرجم في مصر إلى العربية. (٢٨١).

سلجوقنامه:

تأليف ظهير الدين النيشابوري (حوالي عام ٥٨٢هـ)، وذيل سلجوقنامه لأبي حامد محمد بن ابراهيم (٥٩٩) طبع تهران ١٣٣٢هـ. وقد كتب القسم المتعلّق بتاريخ السلاجقة في زبدة التواريخ لأبي القاسم الكاشي بناء على ما جاء في هذا الكتاب (١٢٣).

سمط العلي للحضرة العليا:

تأليف ناصر الدين منشى، تهران ١٣٢٨هـ، وهو يتحدث عن قراخطائية كرمان.

سياست نامه:

تأليف نظام الملك، طبع باريس بمساعدة شفر، وطبع طهران بمساعدة خلخالي، وطبع إقبال في عام ١٣٢٠هـ، ومدرسي عام ١٣٣٤هـ. (٣٢-٤٧).

شاهد صادق:

تأليف ميرزا صادق صادقي الأصفهاني (١٠١٨ - ١٠٦١)، كتبه عام ١٠٥٦هـ تقريباً. نسخة رقم ١١١٠ طبع الجامعة (فهرست منزوي ٢: ٥٩٤).

وقد ورد القسم التاريخي (من الفصل التاسع والسبعين بالباب الثالث) في مجلة يادگار (العدد ٤ ـ ١٠ السطر٢ بتاريخ ١٣٣٤خ). (٢٥٣).

الصادح والباغــم:

تأليف ابن الهبارية، طبع مصر، ١٢٩٢هـ ، وبيروت ١٨٨٦م (١١٤).

طبقات الشافعية الكبرى:

تأليف تاج الدين عبد الوهاب السبكي، مصر ١٣٢٤هـ .
(٢٤٨ ـ ٢٦٤ ـ ٢٧٤ ـ ٣٢٣).

طبقات ناصــري:

تأليف أبي عمر منهاج الدين عثمان الجوزجاني، كلكته ١٨٦٤م. (٢٢٧ ـ ٢٣١).

[33 عتبـة الكتبة:

الرسائل الصادرة بالفارسية عن ديوان سنجر ، بقلم مؤيد الدولة منتجـب الدين بديع أتابك الجويني، طبع تهران ١٣٢٩هـ ، بنـاء على مجهـود القزوينـي وإقبال. (٣٠٢).

العراضة في الحكاية السلجوقية:

تأليف محمد بن محمد بن محمد بن عبدالله بن النظام الحسيني اليزدي، المتوفى في ٧٤٣هـ ، طبع بريل ـ ليدن ١٣٢٧هـ = ١٩٠٩م، ويتعلَّق بسلاجقة إيران.

عقد العلى للموقف الأعلى:

تأليف أفضل الدين أبي حامد الكرماني، تهران ١٣١١خ (٢٠٠).

عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب:

تأليف جمال الدين أحمد بن عنبه داودي الحسيني (المتوفي عام ٨٢٨هـ)، وله نسختان إحداهما تيمورية وهي الأكبر . . ولم تطبع حتى الآن ، والأخرى جلاليّة وهي الأصغر . . وقد طبعت مرتين الأولى في بمباي سنة ١٣١٨هـ ، والثانية في النجف عام ١٣٥٨هـ . .

(فهرست دانشگاه للأستاذ منزوي ٢ : ٦٣٠) (٨٣).

فهرست أسماء مشايخ الشيعة:

تأليف الشيخ منتجب الدين علي بن عبيد الله بن بابويه القمي،طبع عام ١٣١٥هـ (٨٣). **قصايد** أبي المعالي النّحاس الرازي. (٢٢١ ـ ٢٨٦).

قصيدة الرودكي التي كتب الأستاذ سعيد نفيسي قصَّتها. (١٧٧)

قلائد الشرف:

تأليف أبي عامر فضل بن إسماعيل الجرجاني. وهو في سيرة نظام الملك ومدحه. (٥٣).

[335] الكامل في التاريخ:

تأليف ابن الأثير الجزري (م ٦٣٠).

(٣٨ ـ ٣٩ ـ ٤٠ ـ ٤٧ ـ ٥١ ـ ٥٥ ـ ٦٥ ـ ٨١ ـ ٨٢ ـ ٨٣ ـ ٨٩ ـ ٩٦ ـ ١٠٠

-١٠٧ - ١١٥ - ١٢٦ - ١٣٢ - ١٤٨ - ١٤٩ - ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٤ - ١٥٧ - ١٥٨ -
١٥٩ - ١٦٣ - ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٦ - ١٩٥ - ٢٠١ - ٢٠٣ - ٢٠٤ -
٢٠٨ - ٢١٤ - ٢١٧ - ٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٣٢ - ٢٣٦ - ٢٤٧ - ٢٧٠ - ٢٨٠ - ٢٨٤ -
٣٠٩).

لباب الألباب:

تأليف نور الدين محمد عوفى البخاري (القرن السابع) - ليدن ١٣٢٤هـ
تهران ١٣٣٦هـ (٦٧ - ٦٨ - ٧٤ - ١٣٢ - ١٣٥ - ٢٦١ - ٢٦٢ - ٢٦٤).

مجمع الفصحاء:

تأليف رضا قليخان هدايت، تهران ١٢٩٥ق، في مجلدين. (٩٢).

مجمل التواريخ والقصص:

تمّ تدوينه عام ٥٢٠هـ ، صورة لنسخة باريس، طبع طهران عام ١٣١٨هـ .
(٥١ - ١٦٣ - ٢٧٠ - ٢٧١ - ٢٧٢).

مجموعة مراسلات ديوان السلاجقة الرسمية:

نسخة المكتبة الشرقية بلننجراد.
مجموعة تشتمل على منتخبات لستةٍ من شعراء الفرس ينتمون للقرن الثامن الهجري - لندن. (٢٣٦ - ٢٣٩).

مسامرة الأخبار ومسايرة الأخيار:

تأليف كريم محمود بن محمد اقسرائي، أنقره ٤ - ١٩٤٣م، يتحدث عن سلاجقة الروم.

المضاف إلى بدايع الأزمان في وقايع كرمان:

تأليف حميد الدين أبو حامد أفضل أحمد بن حامد الكرماني، وطبع المرحوم إقبال في طهران سنة ١٣٥٣ق (٨٣).

معجـم الأدباء:

تأليف ياقوت الحموي.
(٤٢ ـ ١٧٩ ـ ١٨٠ ـ ١٨١ ـ ٢٦٤).

معجم البلدان:

[336] تأليف ياقوت الحموي (٢٧٠).

معجم الألقاب:

تأليف أبي الفضل عبد الرزاق بن الفوطي البغدادي (٦٦٢ ـ ٧٢٣) ويوجد الجزء الرابع منه في الخزانة الظاهرية بدمشق، كما يوجد قسم منه مطبوعاً في إحدى المجلات. وقد ذكره ابن عتبة في عمدة الطالب (طبع الهند ص ٢٣٤ و٢١٩)، وقد طبع محمد رضا شبيبي رسالة حوله، تحدّث فيها عن سيرته تحت عنوان «مـؤرخ العراق.. إبن الفوطي» عام ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥٠م.
(٩٢ ـ ٢٧٤).

مقالة تاريخية نقديـة:

بقلم ميرزا محمد خان القزويني، حول نسخـة نفثـة المصـدور تأليف نور الدين محمد منشي، تهران ١٣٠٨هـ. (١٨٥)

المقامـــات:

تأليف أبي محمد قاسم بن علي الحريري. (١٨٤)

منهج المقال في تحقيق الرجال:

تأليف ميرزا محمد استرابادي، تهران ١٣٠٦ق.

مونس الأحرار:

تأليف محمد بن بدر الجاجرمي، نسخة الأستاذ نفيسي وصـورة من نسخـة المكتبة الوطنية (٢٨٦).

نامـهٔ سنجر بوزير مسترشد در ٥٢٧ (خطاب سنجر إلى وزير المسترشد عام ٥٢٧هـ):

ضمن مجموعة نسخة مكتبة الجمعية العلمية بلننجراد. (٢٩٦ ـ ٣٠٢).
نسائم الأسحار من لطائم الأخبـار:
تحت الطبع، تقوم بطبعه جامعة طهران بناء على النسخة التركية.

نصرة الفترة وعصـرة القطـرة:

[337] أساس زبدة النصرة ونخبة العصرة، لعماد الكاتب الأصفهانـي، نسخـة مكتبة باريس الوطنية، رقم ٢٤١٥ (ص ٣٨٠ فهرست)، ولها نسخة في مكتبـة بودليان (١: ٦٦٢). (١٣٠ ـ ١٣٣ ـ ١٥٩).

نفثة المصدور في صدور زمان الفتور وفتور زمان الصـدور:

تأليف أنـوشيروان بن خالد الكاشي الذي ترجم إلى العـربية نصرة الفتـرة

وعصرة القطرة في أخبار الوزراء السلجوقيين لعماد الأصفهاني ، وقد ذكر ابن خلّكان هذا الكتاب في سيرة الحريري وتحدّث عنه القزويني في مقالته حول نفثة المصدور.

(١٣٣ ـ ١٦٣ ـ ١٨٤ ـ ٢٣٢ ـ ٢٣٣ ـ ٢٧٠ ـ ٢٨٦).

نفحات الأنس:

تأليف عبد الرحمن الجامي، وقد طبعت مراراً. (٢٦٢)

النقض (بعض مثالب النواصب):

تأليف عبد الجليل القزويني الرازي، تهران ١٣٣١ ، ويبدو أن المرحوم إقبال كانت لديه نسخة خطية.

(٨٢ ـ ٩٦ ـ ١١٤ ـ ١٥٦ ـ ١٧٦ ـ ٢٥١ ـ ٢٥٦ ـ ٢٥٨)

نگارستان:

تأليف القاضي أحمد الغفاري ،طبع الهند. وقد ورد جزء منه في مطارح الأنظار ص ١٢٢ ـ ١٨٨ ـ طبع بمباي. (٧٣).

الوصايا:

تأليف نظام الملك، ويقال إنه لعبد الوهاب إمامي كما ورد في فهرست الجامعة ص ٢٣٧٣ (فهرست دانشگاه) طبع بمباي ١٣٠٥هـ . (٤٩).

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان:

[338] تأليف ابن خلّكان، طبع في إيران ومصر، وما زالت نسخته الكاملة مخطوطة (٨٩).

هفت إقليم:

تأليف أمين أحمد الرازي، كلكته ١٩٣٩م (جزء منه). (٩٢ ـ ٢٨٦).

فهارس الأعلام

١ الأشخاص

[339]

أرقام صفحات هذا الفهرست وما يليه من فهارس هي أرقام صفحات الكتاب المترجم ، وقد أوردتُها في الجانب الأيمن من صفحات الترجمة (المترجم)

(ش)

(ص)

(غ)

(ف)

(ن)

[354]

ب الأماكن

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(و)

واسط: ١٢١

(هـ)

هرات: ١٤ - ٤٢ - ١٢٠ - ١٢٧ - ١٣٤ - ١٣٥ - ٢٦٣ - ٢٨٥ - ٢٨٧

همدان: ١٤ - ١٥ - ٣٨ - ٤٩ - ١٠٤ - ١٢٠ - ١٢١ - ١٣٠ - ١٣١ - ١٤٨ - ١٥٥ - ١٦٣ - ١٧٢ - ١٧٩ - ٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢٦٥ - ٢٦٨ - ٢٦٩ - ٢٧٢ - ٢٧٦ - ٢٨٤ - ٢٩٧ - ٢٩٨ - ٢٩٩ - ٣١٣

الهند: ١٢ - ١٣ - ٣٠٥ - ٣٠٨

(ى)

يزد: ٢٦٦ - ٢٨١ - ٢٩٥

اليمن: ٣٠٥.



جـ الكُتب

***


مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان

مصادر تعليقات المترجم

١ - إبن الأثير: الكامل ، مصــر ١٢٠٣ هـ

٢ - أحمد حسن الزيات (دكتور): تاريخ الأدب العربي ، القاهرة.

٣ - أحمد كمال الدين حلمي (دكتـور): السلاجقـة في التـاريخ والحضـارة، دار البحوث العلمية، ط ١ عام ١٩٧٥م .

٤ - أحمد كمال الـدين حلمـي (دكتـور): النـار تتكلـم ، مؤسسـة علي الجـراح الصباح ، الكويت ١٩٧٩م.

٥ - أحمد كمال الدين حلمي (دكتور): أوحد الدين الأنوري: عصره وبيئته وشعره (رسالة دكتوراه)، آداب عين شمس.

٦ - أحمد كمال الدين حلمي (دكتور): الأنوري شاعر السلاجقة ، مجلـة عالـم الفكـر ، الكويت. . يوليو ١٩٧٦م.

٧ - أحمد كمال الـدين حلمـي (دكتـور): ٣٥٠٠ علم من عمـر إيران، حـ ١ ، الكويت، طبع علي الجراح الصباح، علم ١٩٧٩م.

٨ - أمين أحمد الرازي: تذكرة هفت إقليم - كلكته ١٣٥٨هـ = ١٩٣٩م.

٩ - أنوري: ديوان أنوري (نشر سعيد نفيسي)، طهران ١٣٣٧هـ .

١٠ - براون: تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي (ترجمة د. ابراهيم أمين الشواربي)، مصر ١٣٧٣هـ = ١٩٥٤م.

١١ - أبو بكر الطرطوشي: سراج الملوك، مصر ١٣٠٦هـ .

١٢ - البنداري: مختصر تاريخ آل سلجوق، نشر هوتسما ، طبع ليدن ١٨٨٩م.

١٣ - ابن تغـري بردى: النجـوم الزاهـرة في أخبـار مصر والقاهـرة، طبـع مصر ١٣٤٨هـ .

١٤ ـ ابن الجوزي: المنتظم في أخبار الأمم، طبع حيدر آباد، ١٣٥٧هـ.

١٥ ـ حسن ابراهيم حسن (دكتور) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي حـ ٣ ط٣، القاهرة ١٩٥٥م.

١٦ ـ حمدالله مستوفي قزويني: تاريخ گزيده، طهران ١٣٣٩هـ.

١٧ ـ ابن خلدون: مقدّمة ابن خلدون ـ بيروت ١٨٨٦م.

١٨ ـ إبن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، حـ ٥، مصر.

١٩ ـ إبن خلّكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، بولاق ١٢٨٣هـ.

٢٠ ـ خواندمير: دستور الوزراء، تهران ١٣١٧هـ.

٢١ ـ خواندمير: حبيب السير في أخبار افراد البشر، طهران ١٣٣٣ هـ. ش.

٢٢ ـ دولتشاه بن بختشاه السمرقندي: تذكرة الشعراء، ليدن ١٣١٨هـ.

٢٣ ـ دونالد ولبر: إيران، ماضيها وحاضرها (ترجمة د. عبد النعيم محمد حسنين)، مصر ١٣٧٧هـ = ١٩٥٨م.

٢٤ ـ ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، حـ ٢ ط٣، تهران ١٣٣٩هـ.

٢٥ ـ الذهبي: تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والاعلام، حـ ٢، معهد المخطوطات جامعة الدول العربية مخطوط رقم ٩٨ ـ تاريخ.

٢٦ ـ الراوندي: راحة الصدور وآية السرور، طبع ليدن ١٩٢١م.

٢٧ ـ الراوندي: راحة الصدور وآية السرور، (الترجمة العربية للدكاترة: إبراهيم الشواربي، عبد النعيم حسنين، فؤاد الصياد)، طبع القاهرة ١٣٧٩هـ = ١٩٦٠م.

٢٨ ـ رشيد الدين فضل الله: داستان غازان خان (نشر كارل جون)، إنجلترا ١٣٥٨هـ = ١٩٤٠م.

٢٩ ـ نفس المؤلف: جامع التواريخ (تاريخ المغول في إيران): نشر كاترمير، پاريس ١٨٣٦م.

٣٠ ـ نفس المؤلف: جامع التواريخ، حـ ١ (نشر د. بهمن كريمي)، (از آغاز

پيدايش قبايل مغول تاپايان دوره تيمور قاآن)، طهران ١٣٢٨هـ. ش = ١٩٥٩م.
٣١ ـ نفس المؤلف: جامع التواريخ، حـ ٢ (نشر بلوشيه)، (در تاريخ پادشاهان مغول از اوگتاي قا آن تاتيمور قا آن)، ليدن ١٣٢٩هـ = ١٩١١م.
٣٢ ـ رشيد الدين الوطواط: حدائق السحر في دقائق الشعر، تهران ١٣٠٨هـ.
٣٣ ـ نفس المؤلف: حدائق السحر في دقائق الشعر، (ترجمة د. الشواربي) القاهرة ١٣٦٤هـ = ١٩٤٥م.
٣٤ ـ رضا قليخان هدايت: مجمع الفصحاء، طهران ١٢٩٥هـ.
٣٥ ـ زمباور: معجم الأنساب والأسر الحاكمة في التاريخ الإسلامي، حـ ٢، (الترجمة العربية) طبع جامعة فؤاد الأول، ١٩٥٢م.
٣٦ ـ السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، القاهرة ١١٢٩ هـ.
٣٧ ـ عبد الهادي محبوبة (دكتور): الوزارة ونظلم الملك الوزير السلجوقي (رسالة دكتوراه)، آداب القاهرة ١٩٥٩م.
٣٨ ـ إبن العبري: مختصر تاريخ الدول، بيروت ١٨٩٠م.
٣٩ ـ عطا ملك الجويني: جهانگشا، طبع سلسلة جب التذكارية، ليدن ١٩١١م.
٤٠ ـ عماد الكاتب: تاريخ السلاجقة، نسخة مكتبة باريس القومية، ورقة رقم ٥٧٦.
٤١ ـ الفراهاني: شرح مشكلات ديوان أنوري، طهران ١٣٢٢هـ. ش.
٤٢ ـ فؤاد عبد المعطي الصياد (دكتور): المغول في التاريخ (حـ ١) بيروت ١٩٧٠م
٤٣ ـ نفس المؤلف: مؤرخ المغول الكبير: رشيد الدين فضل الله الهمداني، القاهرة ١٣٨٦هـ = ١٩٦٧م.
٤٤ ـ القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، جوتنجن ١٩٤٨م.
٤٥ ـ إبن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، بيروت ١٩٠٨م.

٤٦ ـ محمد بن إبراهيم : تاريخ سلجوقيان كرمان، ليدن ١٨٨٦م .

٤٧ ـ محمد عوفي: لباب الألباب، تهران ١٣٣٥ هـ .

٤٨ ـ محمد بن نظام الحسيني: العراضة في الحكاية السلجوقية، ليدن ١٣٢٧هـ = ١٩٠٩م .

٤٩ ـ منهاج السراج الجوزجاني: طبقات ناصري، ط٢، كابل ١٣٤٢هـ .ش .

٥٠ ـ محمد عبد الوهاب القزويني: دوره كامل بيست مقالهء قزويني، تهران ١٣٣٢هـ .

٥١ ـ ناصر خسرو: سفرنامه، باريس ١٨٨١م .

٥٢ ـ نظام المُلك: سياستنامه، تهران ١٣٢٠هـ .ش .

٥٣ ـ نظام الملك: مجمع الوصايا، بمباي ١٣٠٥هـ .

٥٤ ـ نظام عروضي سمرقندي : جهار مقاله، ليدن ١٣٢٧هـ = ١٩٠٩م .

٥٥ ـ نظام عروضي سمرقندي: جهار مقالة (الترجمة العربية للدكتور يحيى الخشاب) القاهرة ١٣٦٨هـ = ١٩٤٩م .

٥٦ ـ ابن هشام: سيرة ابن هشام، طبع وستنفلد .

٥٧ ـ هندوشاه بن سنجر: تجارب السلف، طهران ١٣٤٤ هـ .ش .

٥٨ ـ إبن الوردي: تاريخ ابن الوردي، طبع مصر .

٥٩ ـ يادنامه ناصر خسرو: نشر جامعة الفردوسي، مشهد ٢٥٣٥ شاهنشاهي = ١٩٧٦م .

٦٠ ـ اليافعي المكّي: مرآة الزمان وعبرة اليقظان، طبع حيدر آباد الدكن، ١٣٣٧هـ .

٦١ ـ ياقوت الحموي : معجم البلدان، القاهرة ١٣٢٥هـ = ١٩٠٧م .

٦٢ ـ يحيى القزويني: لب التواريخ، تهران ١٣١٤هـ .



انتهى